الحوزة العلمية رائدة التجديد
HAWZA OF NAJAF LEADER IN INNOVATION

موسوعة
العلامة الشيخ محمد رضا المظفر

المُجلَّد الأول

المجتهد المجدد
الشيخ محمد رضا المظفر

(١٣٢٢-١٣٨٣هـ)

تأليف

الدكتور محمد جواد الطريحي

موسوعة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره)

الكتاب: المجتهد المجدد.

تأليف: الدكتور محمد جواد الطريحي.

الإشراف العام: اللجنة التحضيرية.

التدقيق اللغوي: مصطفى كامل / عمار كريم السلامي.

الاخراج الطباعي: علاء سعيد الأسدي.

التصميم: محمد قاسم عرفات.

الطريحي، محمدجواد محمدكاظم كاتب، ١٩٥١-
موسوعة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر قدس سره / تاليف الدكتور محمد جواد الطريحي. -الطبعة الاولى - .[كربلاء، العراق] : العتبة العباسية المقدسة : مؤسسة بحر العلوم الخيرية، ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦.
١٠ مجلد : صور ؛ ٢٤ سم. (الحوزة العلمية رائدة التجديد)
المصادر.
المحتويات : المجلد ١. المجتهد المجدد الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٢٢-١٣٨٣ هـ) -- المجلد ٢. عقائد الامامية -- المجلد ٣. شرح كتاب المكاسب للشيخ الانصاري : البيع والخيارات / اعداد وتحقيق جعفر الكوثراني العاملي -- المجلد ٤. أصول الفقه – المجلد ٥. المنطق – المجلد ٦. الفلسفة الإسلامية / اعداد السيد محمد تقي الطباطبائي التبريزي -- المجلد ٧. سير وتراجم نجفية -- المجلد ٨. من وحي الفكر : مقالات . خطب . دراسات . حوارات -- المجلد ٩. ديوان الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٢٢-١٣٨٣ هـ) / محمد رضا القاموسي -- المجلد ١٠. البحوث المشاركة في المؤتمر الدولي حول التجديد في فكر الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره).
١. المظفر، محمدرضا بن محمد بن عبدالله، ١٣٢٢-١٣٨٤--الاثار العلمية. 2. المظفر، محمدرضا بن محمد بن عبدالله، ١٣٢٢-١٣٨٤—نقد وتفسير. ٣. العلماء المسلمون—الشيعة الامامية--تراجم.
الف. العنوان. ب. السلسلة

BP80.M954 T8 2016
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

اعادة قراءة سيرة الرجال ضرورة معرفية وثقافية، لا يمكن التنازل عنها او تركها، فالأمم التي تريد الرقي والتقدم تبحث في تاريخها ورجالها الذين احدثوا تغييراً ملموساً في واقعها وحفروا في ذاكرتها معالم الحركة والتقدم الصحيح، لم يُخلد التاريخ اي رجل او اي مدينة، سوى الغنية بتراثها ومجدها وحضارتها، ومن النادر ان يخلد الرجل بمدينته، والاندر ان يخلد مندمجاً معها وكأن المدينة اعطته من حضارتها وهو اعطاها من فكره، واي شرف عظيم تشعر به وانت تعيد ذاكرة المدن والشخصيات التي بثت في الناس روح الايمان والخير وعمارة الانسان، وليس من السهل الالمام بمدينة عريقة، زودت البشرية بالخير والصلاح لمدى قرون طويلة، حتى كانت مختلفاً للأنبياء والدعاة والمصلحين، فأرض الكوفة وسماؤها الواسعة وتربتها التي تحتضن مئات العلماء والمصلحين، هي حضارة كاملة ينشدها العارف ويقصدها العالم ويتزود منها الطالب، ويرتوي منها كل ظمآن، أرض عامرة بالعلم والمعرفة والصلاح منذ القِدَم، ومصدر كبير للمعرفة الانسانية والدينية، اختارها امير المؤمنين عليه السلام عاصمة لدولته الاسلامية ايام خلافته المباركة، واهتم بها الائمة الاطهار عليهم السلام من بعده، وشهرتها مما لا تخفى على احد، واهمية مسجدها المبارك (مسجد الكوفة) شاهد على ذلك، والنجف الاشرف بشكل عام هي ارض مقدسة، ومثوى الصالحين ومنطلق الدعوات الالهية، وحاضرها اليوم استمدته من الامس، هذا الحاضر العلمائي الشهير لم يأتِ اعتباطاً، فهجرة الشيخ الطوسي قدس سره العلامة البارزة في هذا المضمار، تكونت حاضرتها العلمية الشهيرة منذ تلك الفترة والى يومنا هذا، فسميت مدارسها الدينية وحلقاتها الدراسية بالحوزة العلمية، كانت بدايات

التأسيس تأخذ انطباع الحفاظ على الفقه والحكم الشرعي بعد الشيخ الطوسي قدس سره لأكثر من قرن، بعد ذلك فتح الباب العلمي على مصراعيه السيد ابن ادريس الحلي، وبلغ التقدم العلمي ايام العلامة الحلي في مدينة الحلة اوجه والتي تقع على مسافة قريبة من مدينة النجف، واستمرت الحركة العلمية في هذه المدينة الى ما بعد القرن الحادي عشر الهجري، وبعد ذلك شهدت الحوزة العلمية في النجف الاشرف تطوراً وتقدماً وتجديداً كبيراً جداً، وبرزت اسر علمية تمتد عراقتها الى سنوات طويلة، والكثير منها باق الى يومنا هذا، خذ مثلاً أسرة آل بحر العلوم واسرة آل المظفر واسرة البلاغي واسرة آل الحكيم واسرة آل الطريحي واسرة آل ياسين واسرة آل شبر وغيرها من الاسر الجليلة التي لها آثار مهمة في مدينة النجف الأشرف، وهذا غيض من فيض فإن الاسر العلمية لا يمكن لهذه الصفحات ان تختزلها كلها لعراقة تاريخها وسعتها، فهنالك من أحصاها ووصل الى اكثر من ثلاثمائة اسرة علمية، وما تزال هذه الاسر تمد الحركة العلمية برجال كبار مهمتهم حفظ الدين والشريعة ومواصلة التقدم العلمي، والاحاطة بهذا التاريخ الكبير للحوزة العلمية لا يكون سهلاً ابداً، فكل واحد من هذه الانوار والكواكب يجعلك تتيه به ويأخذ منك وقتاً طويلاً ، فكل ثمرة من هذا البستان الرائع لا تشبه اختها، وكل ثمرة لها مذاقها وعذوبتها، الا ان ما لا يدرك كله لا يترك كله، والقليل افضل من الحرمان، ولكي لا تضيع هذه الانوار على الاجيال اللاحقة التي لم تعاصرها، وحفظاً لجهودها وابرازاً لنورها سعت العتبة العباسية المقدسة متمثلة بقسم الشؤون الفكرية الى جنب مؤسسة بحر العلوم الخيرية لإحياء ذكرى تاريخ الحوزة العلمية في النجف الاشرف، وبالتحديد اخذت جانب التجديد فيها، فثبت الاختيار على شعار (الحوزة العلمية رائد التجديد)، فجاءت النتيجة ان يقام مؤتمر دولي في كل سنة يتناول تاريخ وسيرة وانجاز وتجديد علماء الحوزة العلمية، فاختارت اللجنة العلمية المشرفة

على المؤتمر المجدد الشيخ محمد رضا المظفر تغمده الله شخصية المؤتمر الاولى كونه احد رجال التجديد في الحوزة العلمية في عصرنا الحالي، جاء هذا الاختيار بعدما قدم الشيخ المظفر تاريخاً علمياً كبيراً وحركة تجديدية لا ينكرها احد، بدأت من حركة جماعة العلماء الى تأسيس منتدى النشر ومدارس المنتدى التي ولدت منها كلية الفقه، التي كانت في وقتها معلماً علمياً وحركة تجديدية كبرى، خرَّجت هذه الكلية جمهرة كبيرة من كبار العلماء والكتاب والباحثين في سماء الحركة العلمية لعصرنا الحاضر، كما اهتم بإعادة طبع المؤلفات التي تغني المكتبة الاسلامية والعلمية بعد ان اخذت المصادر العلمية بالاختفاء والشحة مما يسبب صعوبة وصول العلماء والباحثين لتلك المصادر المهمة، الى جانب ذلك فقد سعى الشيخ المظفر لإعادة قراءة المناهج الدراسية في الحوزة العلمية، ولدت هذه القراءة كتاب المنطق وكتاب اصول الفقه وكتاب عقائد الامامية، هذه الانجازات الكبيرة التي قدمها الشيخ المظفر مع ثلة كبيرة من العلماء والمفكرين آنذاك شكلت حركة علمية في تاريخ الحوزة العلمية ومدينة النجف الاشرف، فكانت حركة بثت روح العلم والتجديد في نفوس طلابها واساتذتها، فبرز اسم شيخنا المظفر في اكثر من مكان وراح يؤسس ويفكر ويخطط لمشاريع كبرى ولو امده الله بالعمر الطويل لكتب اكثر ولأنتج اغزر، ولكن هذا الموجود هو خير كثير وعمل مبارك وجهد مشكور، لا يمكن لأي باحث ودارس وعالم ان يتجاهله، وحفظاً لتراث هذا العلم الكبير ولإنجازاته الهامة اخذت الامانة العامة للعتبة العباسية متمثلة بقسم الشؤون الفكرية والثقافية ومؤسسة بحر العلوم بجمع تراث العلامة المظفر واخراج المخطوط منه الى النور بحلة جديدة وجميلة ضمت كل نتاج الشيخ المتوفر بعد بذل الجهد في استحصاله وترتيبه وتدقيقه، وجمع هذا النتاج الكبير في موسوعة كبيرة تسهيلاً على الباحثين مراجعة تراث العلامة المظفر وتخليداً لذكراه بطريقة علمية، ويسجل هذا الاحتفاء بسجل الاعمال الهامة التي

تكشف عن اهمية دراسة حياة العلماء والمفكرين في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، واعادة بث سيرة العلماء الاعلام، واظهار فضلهم ومكانتهم الحقيقية التي تخفى على الناس، وهؤلاء العظماء هم احق بالتخليد من اي فئة من الناس، فبهم تحفظ معالم الدين وبجهودهم تعرف الناس دينها، بعد ان قدم كل واحد منهم مجهوداً كبيراً وتاريخاً عريقاً، من اجل ايصال الدين بصورة صحيحة وبث العلم بطريقة لطيفة خدمة لشريعة الله عز وجل، وهذا هو الاخلاص الذي تمتع به علماؤنا الاعلام، وهذه الذكرى شاهد صدق على ما نقول، فرحم الله العلامة المجدد الشيخ محمد رضا المظفر وجزاه الله خيراً عن الاسلام والمسلمين لما قدم من انجاز كبير واعمالٍ كبرى للعلم والدين، ونسأله تعالى ان يمد في اعمار الباقين من الاعلام السائرين وفق منهج ايصال الدين بحكمة ووعي، فانه ولي ذلك.

اللجنة التحضيرية

المقدمة

تستند المقومات الأساسية لحياة الأمم والشعوب على المبادئ والرجال ولذا وجب الاهتمام بالبحوث المعنية بحياة الأعلام والمفكّرين في ضوء دراسات بناء الشخصية للوقوف على الملامح العامة والخاصة ومعرفة ظروف النشأة ومقومات التربية في مراحلها والسلوك الاجتماعي والفردي حيث تتجلّى بمعرفة السيرة الشخصيّة معالم الأفكار، والرؤى، والنزعات التي أثّرت في تكوين الآراء ومتبنّياتها وأبعاد المسار الفكري، والمنهج العلمي المتّبع في الكتابات والمؤلفات والنتائج التي وصلت إليها.

وقد أكّدت الدراسات المعنية بهذا الخصوص على أهمية هذا الاتجاه لأن معرفة الشخصية بمثابة التعريف الدقيق لظاهر الإنسان وباطنه عن طريق الميول وتصوّرات التفكير والاعتقادات حيث تتركب من الجوانب الوجدانية، والعقلية ويدخل في حسبانها مواصفات العمر والبنية والحركة والتصرّفات المتعلّقة بالأخلاق والآداب والخواطر من القيم والأفكار والخبرة والعادات والتقاليد.

وفي محاولتنا للوقوف على معالم الشخصية العلمية للمجتهد المجدّد الشيخ محمد رضا المظفر قدس سره وما اتّصفت به من صفات ومواهب وكفاءات أهّلته بأن يحتل موقعاً متميزاً، حيث يعدّ من القلائل الذين أدركوا مسؤوليّتهم العلميّة في تناسبها مع حجم عطائها الفكري للظروف الزمنية التي عاشها، والملكات التي وهبها الله له فكان بحقّ صاحب منهج ومبادئ ورسالة في الإصلاح والتربية وبقدر ما تحمله من المعاناة والأزمات، كان يقينه بالله وإيمانه بالحق معينه الثر الذي أمدّه بالصبر وقوة الإرادة لينال بغية الهدف السامي حيث حالفه النجاح فيما خطّط له من البرنامج الذي سعى جاداً لإنجازه علماً وعملاً، وبذل في سبيله تضحيات كبيرة حول تطوير مناهج الدراسات للعلوم الشرعية وإعداد مقوّماته كياناً بمؤسسات خالدة وجيلاً من طليعة تلامذته ومقرّرات دراسية

وتميّز بدور الريادة في عصره وفهم مقاصد النهضة الحديثة والوعي الهادف من حركات التجديد والتنوير لمعالجة القضايا التي تهم أطروحات الفكر الإسلامي، سواء ما تعلّق منه بدراسات علوم الشريعة الإسلامية في الفقه والأصول والعقائد والفلسفة والتأريخ والأدب،أو غيرها.

وإذ تعود بي الذاكرة إلى ما قبل عقود خلت، ويومها كان الزمن النجفي زاخراً بالعطاء المعرفي الذي يطلّ من خلال نوافذ عدّة كالمجالس العلمية والندوات الثقافية والمجلات والصحف وسلاسل ثقافية هادفة، وما يصدر من مطبوعات تحفل مواضيعها بالبحوث والدراسات الرصينة والكتب التي تصنّفها أقلام أعلام في فروع من التاريخ والتراث والأدب والنقد والترجمة وفي علوم الفقه والأصول والتفسير[1] وغير ذلك.

وبقدر ما كان الطابع العام لوصف الحالة الثقافية في العصور الوسطى بالحقبة المظلمة فإن – والحق يقال – طلائع النهضة الحديثة التي واكبت حواضر العراق مثل كربلاء وبغداد والبصرة والموصل، كان لها التأثير الواضح في المسار الفكري تقليداً وتطويراً.

إلّا أن مدينة النجف الأشرف (وريثة مدرسة الكوفة) حافظت على تميّزها بحكم مكانتها الجامعة بين قدسيّتها ومركزيتها كونها عاصمة الحوزات العلمية وباحتضانها المدارس العلمية والمكتبات لدراسة العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية فيها، حتى أمست محطة أنظار العالم الإسلامي والعربي في الإبداع والتفوّق بما تواكب به حركات التنوير وما تحمله من آفاق التجديد وتبنّي الحركات التحرّرية الذي كان له الأثر البالغ في ميدان التحرّر الذهني وانطلاقه لتطوير الفكر الفقهي والأصولي وولادة الخطاب الديني الذي يحاكي رغبة الشوق لاستيعاب وفهم المتبنيات العقيدية والأخلاقية.

---

(١) راجع معجم المطبوعات النجفية منذ دخول الطباعة إلى النجف حتى الآن لمؤلفه الشيخ محمد هادي الأميني الصادر ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م، مطبعة الآداب وقد أحصى(١٨١٥) مطبوعاً صدر عن مطابع النجف في حينه.

وحين ندلف إلى آفاق (الموسوعة المظفرية) فإن أهميّتها تنطلق من خلال ما شهدته ساحة الثقافة الدينية من العطاء الفكري حين أقدم الشيخ المظفر بتأليف كتابيه المنطق وأصول الفقه وما قدّمه في بحوثه الرائقة بمجالي الفلسفة والتاريخ بما يمثل فتحاً كبيراً في حينه زماناً ومكاناً، كمرحلة مهمة في بناء العقلية الأصولية يضاف إلى ما حققه مظفراً في مؤسساته (جمعية منتدى النشر وكلية الفقه) وملحقاتهما من المدارس والتي دامت إلى اليوم تحكي جميل الذكر واستذكار قصص المحن التي ابتلي بها شيخنا قدس سره مواسياً بشأنه هذا لخاصة حملة مشعل الفكر والمبادئ الخيرة في كل زمان ومكان.

ومن نافلة القول أن الشيخ تمتّع بشخصية جذّابة وجاه علمي عريض، فكان حقّه أن يتوّج بعنوان (المجتهد المجدّد)، فقد قضى دورة حياته مؤمناً غيوراً وفقيهاً مجدّداً وأصولياً ماهراً وخطيباً وكاتباً وأديباً ومجاهداً صلباً وفي كل مضمار سلكه وفضيلة قدمها، كان همّه الإصلاح وتقوية شوكة الإيمان والتضحية الصادقة والإيثار الجاد ولا أدل على إخلاصه وصدق نواياه بما حالفه من حضوره – في جيله والأجيال بعده – مقترناً بأهبة التقدير والإكبار بحيث كانت وما تزال شخصيته وسمعته تغطّي مساحة من المنتديات كان فيها مضرب المثل في الرجال الصفوة الذين يجتمع في شخصيتهم الهمّ والهمّة بالعمل والإنتاج المثمر والرؤى الإيجابية في مواجهة مجتمع يشهد التناقض السلبي إلى حد ما![1] الذي عاشه رحمه الله مع سماحة الطبع ورقة العاطفة وأسلوب الحوار الهادئ والأريحية والصبر الجميل.

وفي حين تولّيه مهام رئاسة جمعية منتدى النشر فقد كانت تعد من معالم النجف

(١) وللمظفر هنا قوله: ما زلت أنعى على نفسي وعلى بلدي ظاهرة ملتوية مشجية وهي أنّا معاشر المسلمين والنجفيين بالأخص أمة بكاءة تجيد الأسف حيث لا ينفع الأسف، فنهب من غفوتنا مذعورين بلغاء في القول شعراء في الرثاء عندما نخسر من رجالنا الأفذاذ من كان يجب أن نرفع ببعضه – العضد – في حياته وأن نضعه في منزلته اللائقة به من تكريم ورعاية وحدب وعناية وكنا وهو حي بين ظهرانينا لا نكيل له بصاعه أو (نشعر مجتمعنا السادر) بما له من حق الشكر والتقدير من أمّته إذا لم نجرؤ فنغمز قناته غمطاً لحقه واستهانة بكرامته. انظر سير وتراجم نجفية للمظفر الكنز الدفين: ٢٣٥.

المنظورة لنشاطاتها وشهرة بنايتها الملاصقة لجدران الصحن الحيدري المطهر، وللمكانة العلمية والجاه العريض لإدارتها وأعضائها وسمعة ندواتها ولطلاب كلية الفقه ونباهتهم وما كان يصدر من مؤسساتها من صحافة وكتب قيّمة.

وفي ضوء ما تقدم بدأ التطلّع يتوهّج في نفسي للاقتراب أكثر من هذه المؤسسة والبدء بجمع مصادر الدراسة عن هذه الظاهرة الرائعة التي تحظى بالمهابة والتقدير والتعرف على التجربة الناجحة في ضوء المخاض الصعب الذي عاشته في مراحل تأسيسها خاصة وقد مهّدت لتعزيز تطلّعاتي حضوري بعض المجالس[١] التي كان الشيخ المظفر يحضرها ويلقي خطاباً في مناسبات نجفية أو ما يواصله من نشر مقالات وبحوث.

ثم عقدت العزم في الثمانينات أن أبدأ بإعداد ما يتعلق بالموسوعة المظفرية فاستفدت أولاً من مكتبة جمعية المنتدى التي كانت غنيّة بمصادرها عن الموضوع، ولاحقت جمع المعلومات مع فريق من الأعلام الذين رافقوا المظفر في مسيرته في طليعتهم شيخنا العلامة التقي الإيرواني والعلامة السيد التقي الحكيم والأستاذ الصادق القاموسي وآخرون رحمهم الله.

وفي مطلع عام ١٩٨٢ وحينها كان رئيس الجمعية العلامة الدكتور الشيخ محمود المظفر[٢] – أمدّ الله في عمره – وبعد اطّلاعه بمهمّة الإعداد للموسوعة وجه كتاباً من

---

(١) ولا أنسى ما كان يحفزني على أهمية المتابعة حضوري مجلس المرحوم طيب الذكر الشيخ مسلم الجابري ١٣٣١ – ١٣٨٣ الذي كان ينعقد يومياً بالكوفة بسبب أن الجابري رحمه الله قضى دور معاناته الأخير بمرضه فيها وكنت حريصاً على الحضور بخدمة جدي المغفور له الشيخ كاتب الطريحي طاب ثراه وكانت أمسيات رائعة كل ليلة تحضرها طبقات علمية ومن صحبه في المنتدى، وفي طليعتهم الشيخ المظفر والسيد التقي الحكيم والشيخ جواد قسام والشيخ الوائلي والسيد جواد شبر والوجهاء الأكارم من آل القاموسي وغيرهم من الأفاضل الأعلام – رحمهم الله– ولا أزال استذكر وأؤكد فيما يتكرّر الحديث فيه كل ليلة عن موضوع المنتدى وصور المعاناة ورؤى الطموحات للمستقبل ويحزنني الآن أن تلك الفترة لم تكن قد توفرت – باليد – أجهزة التسجيل والتصويرلتوثيقها.

(٢) قدر لي التوفيق بمباركة أستاذنا العلّامة الدكتور المحمود دام عزه حين المباشرة بطبع كتاب

الجمعية لي وللأخ الأستاذ الباحث البارع حامد المؤمن حفظه الله معلناً تبنّي المشروع بناء على القرار المتخذ من الجمعية المنعقدة جلستها بتاريخ ٢٠ – ٢ – ١٩٨٢ وإناطة العمل بنا وعليه فقد أقدمنا بهمّة عالية وتصميم طموح.

وبعد أن حكمت الظروف في العراق بقسوتها وما فرضته الأقدار الطاغية على هدم البنية الثقافية والاجتماعية للعراق، فقد توليت الأمر على عاتقي وازددت إقداماً وعزماً ولم يفت بعضدي متابعاً رغم المحن السود ثم الهجرة طيلة ما يزيد على ثلاث عقود من الزمن، وقد جهدت وجاهدت طويلاً لجمع ما يخصّ الموضوع من مختلف المضان في مسيرة بحث وتنقيب لاستفادة أيّة شاردة وواردة بين رفوف المكتبات الخاصة والعامة وفي ثنايا ملفّات صفراء وصحف ومجلات قديمة ونفسيات مختلفة الطباع وفوائد مستفادة من أفواه الرجال في مدن العراق وخارجه؛ آملاً في الحصول على أثر مما سطره يراع سماحة الشيخ المظفر رحمه الله من كلمة أوخطاب أو دراسة بمناسبة أو تفسيرات مختلفة لمواقف وغيرها. ولله المنة بالتوفيق لاستيفاء الأعم مما يخص التراث المظفري[1].

وكم كنت خلال المدّة السالفة أتحدّث مع نفسي بالتوفيق الذي حالفني صابراً حيثما يرسمه مستقبل هذا العمل الذي أقدّمه برجاء الإخلاص لوجه الله تعالى حتى لاح

عقائد الإمامية بعد تحقيقه سنة ١٤١٧هـ حيث وردت رسالته الكريمة في ٤/ ١٠ / ١٩٩٥ التي تضمنت: (أُقدّر كلّ التقدير ما تفضلتم فيه من الاهتمام بشخصيّة المرحوم عمّنا وعمّكم الراحل الشيخ محمّد رضا، وإن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدلّ على حسن أرومتكم... وقد سرّني ما ذكرتموه من قيامكم بتحقيق كتابه «عقائد الإماميّة» مع كتابة مقدّمة، ولا شكّ أنّها ستكون مقدّمة ضافية ووافية ومحيطة بحياته فأنتم من أقرب الناس إليه، وأكثرهم اتّصالاً به ومعرفة بجهوده وآثاره...).

(١) لم تتوفر كافة المجلات والصحف – في الوقت الحاضر – غير هذه الإضمامة التي استطعنا درجها بالموسوعة خاصة وأنها ترقى إلى ثلاثينيات القرن الماضي، وبالمناسبة أود أن أقدم امتناني للأخ الكريم الشيخ أمير كاشف الغطاء لصبره ومتابعته بتقديم الوافر في إغناء المنشور فألف تحية لمعروفه وطوبى للخزانة النفيسة مكتبة الإمام كاشف الغطاء التي يرعاها بهمة والده الفاضل الشريف دام مجده.

ميموناً بتصدي العتبة العباسية المقدسة في كربلاء المشرفة للنشر، مقترناً جهدها المبارك بعناية ومشاركة معهد العلمين للدراسات العليا في النجف الأشرف حين تنادوا بينهم بهمة عالية بالإقدام على نشر وطباعة الموسوعة المظفرية؛ ليتوّج بها افتتاح المؤتمر العالمي بإحياء الذكرى المظفرية.

وفي مسك الختام أثبت للقارئ الكريم النقاط التالية:

الأولى: أعتقد أن هذا القدر الذي أقدّمه يوفر – إلى حدّ ما – مادّة علمية كافية تمثل فكر المظفر بما ألّفه ودوّنه ونشره في الصحف والمجلات على الغالب مما عثرنا عليه فعلاً والسعي متواصل على إضافة مادة أخرى في قابل الأيام.

الثانية: أقدم الاعتذار عما يرد من ملاحظات فنّية أو منهجية أوغيرها لأن تهيئة ما قدّمناه من هذا التراث تم إعداده في غضون شهرين أو أقل.

الثالثة: لا أحسب أن كلمات الامتنان والتقدير تكفي لوحدها في مقام تقديمها لكل الأخوة الأفاضل الذين ساهموا في بيان أيّة معلومة أونصيحة، وكانوا مثالاً للوفاء وغمرونا بلطفهم وملاحظاتهم القيّمة وبالأخص الأخ الأستاذ محمد رضا القاموسي وأمثاله من ذوي الفضل داعياً المولى القدير أن يجعلها في ميزان حسناتهم وأن يوفّقنا جميعاً لأداء الأمانة لخدمة كلمة الحق إنه سميع مجيب.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمؤْمِنُونَ﴾

محمد جواد الطريحي

غرة ربيع الثاني ١٤٣٧هـ

١١/ ١٢ / ٢٠١٦م

توطئة البحث

تعتمد الدراسات التاريخية الحديثة في تفسير الأحداث التاريخية ونشوء الشخصيات على دراسة المحيط الاجتماعي والجغرافي والملابسات التي تحف بهذا المحيط، وبذلك تظهر أهمية الدراسة من الناحية العلمية وتتجلّى الفائدة في كشف الحلقات المفقودة من التاريخ، وتنبسط أمام المؤرخ والباحث مهمته في ربط حلقات الأحداث وملء فراغاتها والوقوف على نتائج إيجابية لتحقيق التكامل في الشخصية الإنسانية، فالتاريخ في حقيقته صورة من التجسيد الفعلي للخبرة الإنسانية.

وإذا نظرنا للتراث التاريخي نظرة فاحصة فإنما ندرك تماماً أنه شاخص حضاري في معرفة كيان الأمة في علاقتها بمديات الخلق والإبداع وقابليتها على تطوير بنية المجتمع بوسيلة تجديد فكر الإنسان المعاصر باعتباره قيمة حضارية تنهض بوعي التاريخ ودعوته لإنجاز عملية التغيير في الواقع المعاش.

وفي ضوء هذا المنهج لا بد أن ندرس حياة الشيخ المظفر الذي عاش عصره وهو يتمثل في ذاته وعي شخصية الأمة وتكوينها الفكري، وانطلق من حيثيات هذا الاتجاه إلى مشروع إعادة بناء التفكير بالثقة لمنجزات الوعي الجمعي للانقضاض على تركة الإحباط في صيرورة الأمة إلى واقع جديد من الانبعاث والقوّة.

وإذا كان الإنسان مثالاً صادقاً لمجتمعه وهو نتاج بيئته التي عاش فيها فلا مناص أن نقف على حقيقة شخصية الشيخ المظفر من خلال ما تأثّر به من مقوّمات بلده الذي ولد به ونشأ فيه وتربى على أديمه وانعكست على مخايله طبيعة أهله وسجايا قومه.

إن نشأة المظفر وتكوينه الذهني كان في الجامعة النجفية بما يحفّها من ظروف وتعيشه

من انطلاقة وما يطوقها من حدود، ولذا فقد كان لهذه البيئة من التأثير الكبير في تكوين شخصيته العلمية ونشأته الفكرية واتجاهاته الإصلاحية.

ولا يخفى أن الجامعة النجفية تختص في دراساتها بمناهج وأساليب معينة في التدريس، حيث تعد النجف المدينة الجامعة منذ تأسيسها معهداً عالياً للعلوم الإسلامية والعربية من قدمها.

وإذا أردنا أن نتعرف على مستوى الدراسة من حيث مناهجها وأسلوب التدريس ومستوى الأساتذة، فلا يكتفي الطالب النجفي عادة بما يلقى عليه في الدور الأول ولا الدور المتوسط من حياته الدراسية من غير أن ينتهي إلى الدور العالي من المعرفة، حيث يتاح له ان يبحث الموضوع من جديد وينقد الفكرة التي تلقى إليه أوالتي يلقيها الأستاذ على طلاّبه في جو مشبع بالحرية الفكرية[1].

وفي ضوء دراستنا نأمل الإلمام قدر الإمكان بسيرة الشيخ المظفر، ونقف على محطّات حياته الهامة مستفيدين في توثيقها فيما أثبتناه في القسم الرابع من الكتاب من دراسات لشخصيته العلمية ومن كتب عنه أو ترجم له ومما استفدناه من معلومات شخصية لمعاصريه.

وينبئنا المظفر عندما يقف ليستذكر أحد الأعلام وكأنه ينطلق من داخله ليكتب عن نفسه حتى بما اختار من عنوان (الشخصية الفذّة) لمقالته التأبينية فيقول: إن لله في خلقه لشؤوناً.. فقد أودع الله تعالى في كل نفس هداها فمنحها بالمواهب الخيرة الطبيعية التي كان يسميها الفلاسفة في القديم بالملكات الفاضلة، وقد يختصّ الله تعالى بعنايته

---

(١) الشيخ محمد مهدي الآصفي مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية في النجف: ١٥. ويعد هذا الكتاب أول وأهم دراسة جادّة وموفّقة من تلميذه الوفي المرحوم الشيخ الآصفي وقد صدر أبان الاحتفال بتأبين المظفر حيث سد فراغاً وأفاد الباحثين.

أفذاذاً من بريّته فيلهمهم مواهب عالية يتفرّدون بها ويتميّزون بفضلها عمن سواهم، تسمو وتعلو تلك المواهب كلّما غذّاها صاحبها بالعمل والتنمية حتى تبلغ حظّها الذي أوتي لها من خالقها.[١]

ويتكلّم على آخر فيذكر عنه: وجدت من أظهر مزاياه أن الخدمة العامة كانت محبّبة إليه حتى كأنها هوايته الخاصة المفضّلة فكم كان يلتذّ بالعمل لأجلها ويعاف كل اعتبارات الناس في سبيلها وينصرف بكل جوارحه إلى تفقّدها.[٢]

وعليه سيكون منهج الكتاب في أقسام أربعة:

القسم الأول، السيرة الذاتية وفيه:

المبحث الأول: البيئة العامة في مجتمع النجف والحالة الدراسية فيها

المبحث الثاني: محيط النشأة الأسرية وتاريخها العلمي

المبحث الثالث: الولادة والنشأة

المبحث الرابع: صفاته ومزاياه

المبحث الخامس: تراثه وتلامذته

المبحث السادس: وفاته

القسم الثاني: حركته الإصلاحية

القسم الثالث: دوره المؤسساتي والثقافي والاجتماعي

المبحث الأول: المؤسسات

المبحث الثاني: الحقل الاجتماعي والوطني

المبحث الثالث: مواقفه مع أنظمة الحكم في العراق وغيره

---

(١) انظركتاب سير وتراجم نجفية خطاب الشيخ المظفر في تأبين السيد علي بحر العلوم.

(٢) المصدر السابق تأبين الشيخ محمد علي الأوردبادي وعنوانها (الطليعة في نصرة الحق).

المبحث الرابع: الدور الأدبي والثقافي

القسم الرابع ذكرى المظفر

(١) كلمات الرثاء والتأبين

(٢) دراسات في شخصيته العلمية

(٣) المراثي الشعرية

(٤) وثائق وصور

القسم الأول

السيرة الذاتية

المبحث الأول:

البيئة العامة في مجتمع النجف والحالة الدراسية فيها

تتمثّل في البيئة العامة للمجتمع النجفي صبغة أصالة تاريخية للمنطقة تنتمي إلى أصول حضارتها قبل الإسلام، وتمتدّ إلى عصر صدر الإسلام حيث الفتح الإسلامي ثم اتّخاذ الإمام علي – عليه السلام – مدينة الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية، وبعدئذ تأسيس جامعة كبرى لعلوم الشريعة الإسلامية وآداب اللغة العربية، وبعد التشرّف بالمرقد العلوي المطهر وبتواصل العلماء لزيارة النجف وبسبب تداعي الأحداث السياسية أصبحت دار الهجرة العلمية حيث استوطنها طلاّب العلم لنيل بركة المعرفة الدينية بالمجاورة ثم لانتقال شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي واستقراره توسّعت الحلقات الدراسية إلى اليوم.

ومن يومها أصبحت تؤمّ حاضرة النجف أمم من أجناس وقوميّات متعدّدة لتنهل من نميرها العذب، وفي هذا التمازج المعرفي تولّدت تقاليد ومناهج وأعراف تعيش مع بعضها البعض لتخلق أفقاً علمياً وطبيعة اجتماعية ومزاجاً معيناً في إطار متميّز ومساحات فكرية بين الانبساط والانغلاق مما يخلق اختلافاً في الرؤى والأفكار المطروحة والمتبنّيات المتعدّدة بما تؤثّره على الواقع العلمي من تنمية أوتطوير وتقليد أوتحديث، ولذلك كان لمستوى الذهنية النجفية رؤيتها التي تمثّلها.

وعندما مرّت القرون على تاريخ الحوزة النجفية أكسبتها صلابة وحيوية وقوّة، حيث تسنّمت موقعاً ريادياً في قرارها الذي تصوغه المرجعية الدينية العليا في مجمل القضايا التي تهم المسلمين والعالم، واحتلت مكانة مهمة لمشاركتها في تقرير النتائج لما

يجري من أحداث سياسية وثورات فكرية ومعالجة أزمات وأصبح لها دورها المنظور وآثاره على الواقع المعاش محلياً ودولياً.

ونخلص فيما تقدم أن الصورة التي ترتسم لكيان النجف ويتأثّر بها ربيبها لها انعكاسها على الأفق التربوي لمن يولد وينشأ ويتعلّم فيها، وبخاصة طالب العلم الديني في النجف.

ووليد النجف في الأسر العلميّة يستقبل استقبالاً خاصّاً، فهو وريث الآباء في المجد الديني، وهو حليف العلم في المنظور التربوي، لا يطمح في صباه بأكثر من أن يعتمر العمة السوداء إن كان علويّاً، أو العمّة البيضاء، إن لم يكن كذلك، ليسلك حينئذ سلوك أجداده، وينخرط في سلك الحوزة العلمية طالباً، ليصبح بعد هذا مشتغلاً ففاضلاً فعالماً فمجتهداً، وهكذا كان الأمر للأستاذ المجدد الشيخ محمّد رضا المظفر، فقد اعتمر العمّة في ميعة صباه، وقد اشتغل فيما بعد ليبلغ مرحلة الاجتهاد في أوّل كهولته[1].

تلك سمة المعالم في حياة الشيخ المظفر بدأت تترعرع وتسمو وتستقر لتمثل إنساناً ثائر التفكير، وقاد العواطف، إنساني النزعة، حرّ الضمير، عميق التأثر في الأحداث الفعلية، بعيد النظر في الأحداث المستقبلية، وهو بعد في عنفوان شبابه مع العدد الهائل من فحول العلماء الأعلام.

لم يكن درب المظفر معبّداً بباقات الورد، فهو يشقّ طريقه بمرارة ولوعة، ولا هو بمعزل عن مشكلات عصره، فهو من المآسي بصميمها من شظف العيش وحياة من الكفاف وهي سمة عامة الناس؛ لأن الجميع يعيش في مستوى يتقارب بعضهم من البعض وناقضات العصر الذي كان طابع أزمانه بسبب بداية الانفتاح على العالم الآخر والتشوف إلى ما يجري فيه من تقدّم وتطوّر في أساليب الحياة وتطلّعات النخبة نحو

(١) انظر القسم الرابع الدكتور الصغير دراسات في شخصية المظفر العلمية.

رفض الواقع وتبنّي الجديد من الثقافة العصرية وما يقابله من رفض لكل ما يمتّ بصلة إلى التغيير حتى وإن كان حسناً.

في مثل هذه البيئة الصاخبة تلألأ نجم محمّد رضا المظفر لامعاً، وبدأ سلوكه متزناً، يتّجه مع دعاة الإصلاح في عنف وإصرار، ويتراوح بين رجال الحفاظ والوقار في دعة واضطراب، لا يستطيع الجهر بكلّ ما يحمل، ولا يكتم إلّا القليل من كلّ ما يريد، حتّى اصطدم بالواقع المرير؛ فأمّا الانزواء والقوقعة على الذات، وإمّا الإصحار بصراحة واطمئنان، وكان الخيار الثاني قدره في الحياة فانصاع إلى قدره بكلّ ما يخبئ في طياته من الجهد والعناء والنضال العريض[1].

وفي ذلك دلالة على الأصالة العلمية التي يتمتّع بها وعرف به من الذكاء الذاتي الذي يتلمسّه الهواة الأفاضل من الأعلام من خلال اطّلاعهم على أسرار أفكاره وخواطره والزمن كفيل في مستقبل الأيام في دراسة المعالم والآفاق والنتائج التي بلغها الشيخ المظفر رحمه الله.

البيئة الدراسية

تعد البيئة الدراسية من معالم الخلق والإبداع للإنسان الواعي لما يتلقّاه من خلال حضوره مجالس الدرس وتلقّيه مفردات المعرفة والتثقيف الذاتي وتطوير الملكات والتعمق بالتخصص في باب من أبواب العلم.

وعادة يجتهد الطالب في بداية دخوله المرحلة الأولى لدراسته، فإن التوجه يكون التعلّم وما أيسر أن يجد الإنسان في هذه الحلقات المتواضعة التي تعقد في الجامع الهندي أو جامع الشيخ الأنصاري، هذا الأستاذ الذي يتعرّض بوقار وتوأدة لرأي للعلاّمة الحلّي مثلاً في الفقه أو رأي للشيخ الأنصاري في الأصول ويناقشه مناقشة موضوعية

(١) المصدر السابق، راجع القسم الرابع دراسات في شخصية المظفر.

هادئة... وذلك الأستاذ الذي يتعرّض لرأي الجرجاني في مسألة بيانية وينتقده بعنف أو رفق ثم يعرض لطلابه رأيه الخاص في المسألة.

وما أكثر ما نجد الطلاب يتعرّضون لشيوخهم فيما يبدو لهم من رأي عرضاً وفيقاً أوعنيفاً، ما أكثر ما يخرج هذا النقاش عن شكله الهادىء الذي ابتدأ به إلى نقاش عنيف حاد حتى يتّفقوا أخيراً على وجه من الرأي أو يلتجئ أحدهم إلى أن ينزل عند الرأي الآخر.

وبجانب هذا العمق من البحث يتوسّع الطالب النجفي في الدراسة قبل أن يدخل دور التخصّص من حياته الدراسية.

في دور المقدمات يمتاز الطالب النجفي باهتمامه البالغ بآداب اللغة العربية، وإذا علمنا أن اللغة العربية لم تلق من الإعراض والإهمال في تاريخها الطويل ما لاقته في القرون الأخيرة قبل عصر النهضة عرفنا بعض ما أسدته مدرسة النجف إلى لغة القرآن الكريم.[1]

وفي الدور الثاني يتّفق الشيخ والطلاّب على كتاب خاص مما يتعاطاه الطلاّب عادة في هذه المرحلة الدراسية فيقرأ الشيخ مقطعاً من الكتاب ثم يشرح الموضوع بما يزيل الغموض والإبهام، ثم يستعرض بعض النقود التي ترد عليه والتي تضج بها حواشي الكتاب، ويحدّد موقفه من جميع ذلك ويستمع إلى ما يثيره الطلاّب من تعليقات فيصحّح آراءهم إذا كانت بحاجة إلى التصحيح أو يتنازل عند رأيهم إذا كانت جديرة بذلك.

والملاحظ أن المدرسة النجفية شهدت تطوّراً في المنهج والتجديد في الصياغة بمجال الدراسات الأصولية.

ونحن نود أن تلاحظ هذه التجربة الفكرية الضخمة التي تمخّضت عنها مدرسة

(١) الشيخ الآصفي، مدرسة النجف: ١٧.

النجف الأصولية من قبل فقهاء المسلمين من المدارس الأخرى وفقهاء القانون على اختلاف مدارسهم القانونية بعين الاعتبار لنساهم جميعاً في تجديد المنهج الأصولي وخاصة في كتاب الرسائل للأنصاري؛ لما فيه من تطوّر البحث الأصولي وتجديد مبانيه في المدرسة النجفية ولم يقف الباحثون بعد الأنصاري عن محاولات تجديدية.

وبعد الدور الأخير للطالب النجفي على هذه الآفاق الرحبة من الفكر الإسلامي تقع مهمة التحضير والإعداد على الطالب نفسه من غير أن يتقيّد بمصدر علمي خاص، فيقوم بتحضير مادّة المحاضرة قبل حضوره ثم مراجعة أقوال العلماء بالمادة الدراسية وما يصلح من الأدلة ثم يحاول أن يستخلص لنفسه رأياً خاصاً في المسألة.

فإذا فرغ من الإعداد حضر البحث الخارج ليستمع إلى توجيهات الأستاذ والبحث عن أطراف المسألة وربما يختلف الأستاذ كثيراً عن طلاّبه في صياغة الدليل وإعداد البحث ومناقشة الآراء والرأي الذي يتبنّاه في المسألة.

فيتعرض الطالب لمناقشة الأستاذ فيما يختلفان فيه من وجوه الرأي والبحث بعد أن كوّن لنفسه رأياً فيها. وقد يشتدّ الخلاف بين الشيخ وطلاّبه في حلقة البحث فيتبلور لدى الشيخ الوجه الآخر من الرأي فيتنازل عند آراء الطلاّب ولا يُفقد هذا اللون من المناقشة الأستاذ وقاره الخاص وإنصاف الحق.

ومن ذلك يظهر أن الدراسة الخارجية في النجف نحو من الإشراف والتوجيه في البحث يقوم به أساتذة متضلّعون في البحث مارسوا التدريس والبحث والنظر كثيراً، وعرفوا بإصابة الفكرة وعمق النظرة ودقّة الالتفاتة وسعة الإحاطة، وتتسع حلقات الدرس الخارجي تبعا لشهرة الأستاذ العلمية ومدى نجاحه في البيان وطريقة العرض ويتّفق أن يحضر حلقة من هذه الحلقات أكثر من ألف طالب، وقد كان يحضر درس المحقّق الخراساني كما ينقل ثلاثمئة مجتهد واكثر من ألفي طالب بين مراهق ومجتهد.

ويستمر الطالب على هذا النمط الخاص من الدراسة في الفقه والأصول والتفسير حتى يبلغ مرحلة الاجتهاد في الوقت الذي يدير حلقات دراسية.

وعندما يبلغ الطالب مرحلة الاجتهاد ويطمئن الأستاذ إليه في البحث والاستنباط وصياغة الدليل والجمع بين الأحاديث ووجوه الرأي ومناقشة الأقوال بعد أن قطع هذه المرحلة الطويلة التي تستغرق أكثر من ربع قرن يشهدله الأستاذ بالاجتهاد فيستقل الطالب.[١]

وفي هذا الجو الدراسي عاش المظفر إلّا أنه كان مميّزاً سواء في ما اتّصف به من جدية ونشاط وما تمتّع به من الذكاء والعبقرية حيث توجه إلى إكمال مراحل الدراسة وأصبح مؤهّلاً للدراسات العالية في مدى زمني قصير، وبدأت المعيته تظهر في مجالس البحث التي تتطلّب منه ذلك ليكمل شوطه في المرتبة العلمية. وهو في هذه الحال كان يشارك في كتاباته بالصحف والمجلات وفي الخطب بالمناسبات.

وقد اكتسب من محصّلة دراسته الحوزوية اندفاعاً روحياً لتبني أفكار في القمة تعنى باهتماماته لإصلاح الوضع الدراسي وضرورة البدء بها لخدمة الأجيال المقبلة على الدراسة الدينية والاستزادة من الثقافة التي يجب أن يتحلّى بها طلاّب الدراسات الشرعية لتأهيلهم في التبليغ والدعوة والتخصص والتحلي بالورع والتقوى والأخلاق المرضية والتهذيب في السلوك.

---

(١) حاولت الاقتباس مما كتبه الشيخ الآصفي في كتابه عن الشيخ المظفر لإيفائه البحث عن الحالة الدراسية.

المبحث الثاني:

محيط النشأة الأسرية وتاريخها العلمي

محيط النشأة الأسرية

لا شك أن الأسرة تمتلك الدور الأساسي في بناء شخصية أبنائها، فهي تمثّل أول كنف يضمّهم بأحضانه ويسدي لهم المعونة ويبعث في قلوبهم روح الحياة، ومنه ينطلق الإنسان في مسيرته نحو عالم المجتمع، فإذا كان الإنسان – كما يعرف – ابن بيئته فالقصد الأساسي هو الإشارة لعالم الأسرة لأنها تلعب الدور الأول في التربية والسلوك والتهذيب وتنمية الكفاءات.

وفي هذا الإطار فإن الشيخ المظفر بدأ حياته يتيماً ولكن محيط الأسرة كان يوفّر له الرعاية الكاملة بمستوى من الحنان والاهتمام بحيث لم يشعر أو يتأثّر من خلالها بفقدانه لوالده، فأمّه الفاضلة بمستواها التعليمي والثقافي على ما عرفت به فضليات النساء في الأسر العلمية النجفية، وتكفّل الأخ الكبير الشيخ عبد النبي (١٢٩١ – ١٣٣٧) وهو من أعلام النجف ووريث آبائه الأفاضل وكان على (جانب من حسن الخلق وطيب المعاشرة، فقد ملك قلوب مريديه بلذيذ كلامه وجميل سيرته.....)[1]، وقد عاش شيخنا الرضا في كنفه مرحلة الطفولة وأحسن إليه بنشأته وأعده إلى عمر مبكّر من فتوته على أسس قويمة ومؤهّلات تخلق فيه الرغبة والتشوق لأن يحتل مكانة لائقة في مجتمع النجف العلمي ويعبر المظفر عن هذه الرعاية بقوله: (كان لي كالأب الرؤوف)،

(١) ماضي النجف وحاضرها محبوبة ٣: ٣٦٧.

وقبل وفاته بسنتين كان قد بدأ دراسته في الحوزة وتكفله شقيقه علم التقى الشيخ محمد حسن الذي تفيّأ شيخنا ظلال رعايته وتمتّع بمتابعة دقيقة للتلقي المعرفي وبناء لشخصيته العلمية وتوجّهاته الفكرية.

كما توفّرت له رعاية شقيقه الذي يكبره سنّاً الشيخ محمد حسين الذي كان عوناً وعضداً حميماً وأخاً شفيقاً، ومما انماز به فضيلته وصيته العلمي وما كان يتّصف بطيبة ذاته المحبّبة لكل النفوس شأن عائلته وإخوانه. فغذاه من كرائم أنفاسه ووقف معه في مهمّاته وتطلّعاته التربوية وتوجهاته الإصلاحية وعاش همومه من أجل تحقيق أحلامه ومنجزاته الرائعة.

ومما أشار إلى هذه الرابطة الأخوية السيد موسى بحر العلوم تلميذ المظفر وهو يهنيه بقرانه قوله:

إذا زان الثناء خصال قوم فمثلك من يزان به الثناء
من الحسن الزكي عليك رمز التقى ومن الحسين السيمياء[1]

ولا ننسى العمق الأسري الممتد في آل المظفر من أعلام أفاضل وأدباء وشعراء كانت تعقد لهم مجالس ومنتديات، وإن كان المجلس الرئيسي هو مجلس الأخوة المظفريين الذي كسب الشهرة والتقدم.

والمتتبّع لتاريخ النجف عن تلك الفترة يلمس أن أبناء الأسر كانوا يتلقّون أوّل ما يتعلّمونه دروسهم التربوية على منهج أهلهم وأسرتهم، وكما أشرنا أن الشيخ الرضا تلقّى في أسرته الخاصة ما يكفيه تماماً في بناء شخصيته، ومن أفضل صورها ما يحكيه رفيق صباه جعفر الخليلي عن تصرّفاته وهو في دور الطفولة وكيف يشترك في بعض الألعاب بما يدل على البراءة وطهارة الضمير وحسن التربية، ولنقرأ ما يذكره الخليلي

(١) علي الخاقاني، شعراء الغري ١١: ٥٢٥.

إذ يقول: وكان للشيخ محمّد رضا ثلاثة أخوة آخرين من أمّه وأبيه وكان هو أصغرهم وقد تولى الإشراف على تربيتهم وتنشئتهم أخ لهم من أبيهم هو الشيخ عبد النبي المظفر، وكانت له وجاهة بين الناس ومكانة مرموقة، فنشأ أخوته تنشأة كانت مضرب المثل بين الناس لا من حيث طلب العلم والأدب فحسب وإنّما من حيث الخلق الرضي والصفاء والوفاء والإخلاص الذي كان يجمع بين الأخوة جمعاً جعل الناس يعنونهم حينما يسمّونهم (بآل مظفر) فالأسرة كبيرة جداً، وأهدافها مختلفة، وطبائعها غير متجانسة، وفيها الطيب وغير الطيب، والفاضل وغير الفاضل، ولكن سيرة هؤلاء الأخوة ونشأتهم والمثل المضروب بهم (آل مظفر) قد طغى على كلّ شيء وغطى كلّ شيء، ولم يعد أحد ينظر لغير هؤلاء الأخوة من الأسرة الكبيرة، خصوصاً وقد شقّ الأخ الأكبر طريقه في وسط ذلك الزحام من طلاّب العلم حتّى بلغ درجة الاجتهاد، وأصبح مرجعاً ومن أهم المراجع الدينيّة.

ويميز هؤلاء الأخوة الأربعة عن بقية الناس بشرة طافحة على وجوههم، وجاذبية من نوع خاص لا يستطيع أحد أن يسبر كنهها ما لم يصاحبهم ويماسهم زمناً ينتهي بعده إلى الإيمان بأنّ هذه الجاذبية إنّما هي مظهر من مظاهر الوداعة والطيبة وصفاء النفس، فقد كان هؤلاء الأخوة وحتّى الشيخ محمّد علي مظفر الذي يكبر الشيخ محمّد رضا والذي قد يثور بعض الأحيان وقد يغضب حين يجري ما يستدعي الثورة والغضب.

لقد كانوا نسيجاً واحداً من حيث الدماثة وإشراقة الوجه، أمّا الشيخ محمّد حسين وهو الأخ الثاني للشيخ محمّد حسن فقلّما عرفت النجف نظيره ترفاً وأناقة في لباسه، وذلاقة وظرفاً في كرمه، وكان يحسن التعبير والتصوير إذا تولى الكلام، ويحسن حبك الطرفة وإشاعة البهجة في النفوس، وله شهرة واسعة بين أقرانه لم تقل إن لم تفق شهرته العلمية والأدبية، وقد كان يرسل النكتة واضحة مرّة ومبطّنة أخرى، ولكنها لم تكن

تكدّر خاطراً أو تخدش قلباً[١].

ولهذا أشار العلاّمة الراحل الشيخ محمد الشيخ راضي في تهنئته للشيخ المظفّر مخاطباً بمناسبة عقد قرانه بتاريخ ١٤/ رجب / ١٣٥٥هـ بقوله في قصيدة:

تربّى بحجر العلم والحلم والتقى ... ثلاث خصال قد حواهنّ واحد
وأخوته للعلم والدين مأمن ... وها هم بتقوى الله فينا المحامد
إذاالحسن المشهور سيفاً على العدى ... فإنّ الحسين الندب للسيف ساعد
وهذا عليّ تاجر الله رابحاً ... وسوق سواه في التجارة كاسد
تقبّل فدتك النفس منّي غادة ... لها اللفظ جيد والمعاني قلائد

ويتّضح مما اطلعنا عليه مختصراً في أحوال أسرته الكريمة واحتضانها له مدى التأثير والتأثر في بناء النفس الكبيرة للشيخ المظفر وتقويم مسار شخصيته بما بلغه من نتائج في تحقيق طموحاته وتجسيد أفكاره وما اتسمت به سجاياه من الإخلاص والتقوى والمثابرة والبذل والتضحية، حيث يعد من أبرز قادة الإصلاح والتجديد في حقل دراسات العلوم الشرعية وخلق جيل من تلامذته وروّاد فكره في طليعة المفكّرين من أعلام الدين.

(١) جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم: الجزء الثاني.

أسرته وتأريخها العلمي

ينتسب آل المظفر الى مسروح من حرب المضرية العدنانية ومن فخذ آل علي عرب الحجاز، وهي قبيلة معروفة في عوالي المدينة المنورة ومنها هاجروا إلى النجف الأشرف. ويحدثون أن جدّهم مظفراً كان من أهل العلم، أقام في النجف مدة ثم انتقل إلى حوالي مدينة البصرة فسكنها وتنسب له هناك بعض البقاع.

ينحدر شيخنا المظفّر من سلالة علميّة، بسق يانع فضلها في مرابع العلم، ونما غرسها في حقل الفضل والكمال، من أسر العلم النجفيّة ونبعة من نبعات الأدب، عرفت في النجف أواسط القرن الثاني عشر[١]... وهي كثيرة العدد، منتشرة في محلّات النجف، موزّعة في كثير من المدن العراقيّة بغداد والمدينة والبصرة والقرنة وكربلاء وغيرها، وقطن بعض رجالها الجزائر في جنوب العراق، ولها بها المكانة السامية، والشأن المرموق بعين التبجيل والاحترام، وهم قادة تلك الأنحاء، وهداتهم، وأئمّة محاريبهم، وأرباب فتاواهم، عنهم يأخذون مسائل الدين والسنن والآداب [٢].

وقد كان والده الفقيه المجتهد الشيخ محمد المظفّر من أعلام النجف ومراجع التقليد فيها وهو ممّن برع في الفقه وجودة التحقيق بتأليفه موسوعة جليلة – كما ألمحنا– شرح فيها كتاب «شرائع الإسلام» سمّاها: «توضيح الكلام».

أمّا جدّه الشيخ عبد الله، فقد عرف بالفضيلة والتحصيل، إلى جانب شهرته بالزهد والتقوى والصلاح، على أنّ عصره، وما والاه، قد امتاز بنبوغ وظهور عدد آخر من أفراد

---

(١) وقيل في القرن العاشر الهجري. عباس محمد الدجيلي، الدرر البهية في أنساب عشائر النجف العربية ٢: ٢٩٤ مطبعة الغري الحديثة النجف ١٩٩٠م – ١٤١٠هـ.

(٢) الشيخ جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها ٣:٣٦١.

هذه الأسرة العلميّة، وبنيل بعضهم مرتبة الاجتهاد التي لا ينالها إلّا ذو حظّ عظيم.

ومنهم الشيخ محمد بن الشيخ حسن، من معاصري السيّد بحر العلوم الكبير، وممّن تتلمذ عليه، وكذلك الشيخ نعمة بن الشيخ جعفر، وهو من الفقهاء المتضلّعين بالعلوم الإسلامية والعربية.

ومن أشهر أعلام الأسرة الشيخ إبراهيم الملقّب بالجزائري المعاصر للشيخ جعفر كاشف الغطاء، والعلاّمة الشيخ أسد الله صاحب «المقابيس» وغيرهم كثير ممّن حفلت بذكرهم كتب التراجم والسيرة بما لديهم من صفحات علميّة مشرقة.

والشيخ عبد المهدي بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ نعمة عالم جليل من المبرزين بالفضل كان فقيها فاضلا عاش في العشار بالبصرة محترم الجانب توفي عام ١٣٦٣ وشيّع جثمانه بموكب مهيب إلى النجف، من آثاره إرشاد الأمة للتمسّك بالأئمة.

والشيخ عبد الواحد عالم محقق له اطلاع تام في التاريخ الإسلامي له مؤلفات قيّمة كثيرة والشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد الله عالم مجتهد بارع له الشافي في شرح أصول الكافي.

واليوم من طليعة أعلام الأسرة العلاّمة الدكتور الشيخ محمود نجل الشيخ محمد حسن المظفرعالم فاضل وأستاذ جليل القدر وهو أحد الوجوه العلمية في الأسرة، بل بقية السلف الصالح فيها وقد عانى مجاهداً كثيراً لإعادة إهاب جمعية منتدى النشر وكلية الفقه مبنى ومعنى له مؤلفات مهمة في القانون المقارن.

وفي الأسرة بتاريخها صفوة من الأدباء والشعراء وفي طليعتهم المرحوم كاظم الشيخ باقر الذي عرف محققاً بارعاً وأديباً فاضلاً ومؤرخاً دقيقاً بالإضافة إلى الأكاديميين، ومنهم الدكتور محسن الشيخ عبد الصاحب وله مؤلفات قيمة وبحوث رصينة في تاريخ

النجف وغيرها[١].

وقد حافظت الأسرة اليوم على مكانتها العلمية ويشهد العصر الحاضر توجه أبنائها لدراسة العلوم الشرعية في أروقة الحوزة العلمية في النجف، ومنهم من أكمل دراسته الأكاديمية لتوثيق الصلة لحاضرهم بماضيهم شأن بعض الأسر النجفية التي نهضت أخيراً لتجديد شبابها وهي ظاهرة إيجابية تستحق الاعتزاز والفخر.

وكان لهذه الأسرة الكريمة صلات وثقى ومصاهرات بأسر العلم في النجف، كآل الشبيبي، وآل الطريحي، وآل فرج الله، والسادة آل المقرّم، وآل الأعسم، وآل القاموسي، وآل بحر العلوم، وآل الشيخ راضي، وآل الحكيم، وغير ذلك كثير ممّا كان يتمثّل منها كيان علمي رصين في مجتمعنا الديني.

وبالتالي فقد تطرّقت كتب التاريخ الأسري – للنجف خاصة – إلى ترجمة لأعلام الأسرة ومنها مؤلّف كتاب ماضي النجف الشيخ آل محبوبة حيث أرّخ إلى تسع عشرة من حياة الاعلام[٢] وتجاوزت العشرين ترجمة في كتاب معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام للشيخ محمد هادي الأميني.

وفي معرض الكلام عن الأسرة المظفرية نكتشف من آثارها نشأته شأن رفاقه من أبناء الأسر النجفية، حيث كانت لها منتديات في بيوتها، وهي في الواقع مجالس أما تنعقد يومياً أو أسبوعياً، ولكنها في حقيقتها قاعات دراسة يتعلّم بها حضارها فنوناً من المعرفة التي تصقل الذهنية ويتلقّى بها ما ينفع الدارسين بمراحل ومستويات علمية، والمظفر شأن لداته منذ عمر مبكر من عمره استفاد من نوادي النجف – وقتئذ – ومجالسها بل حتى ما كان يجري من أسلوب المباحثة في الشؤون الدراسية وغيرها بين أطراف الطلبة

(١) حيث لا يتّسع المقام أعتذر عن الإفاضة في الحديث إلاّ ما يناسب الإشارة مختصراً.
(٢) الجزء الثالث منه ص ٣٦٠ – ٣٧٦.

بينهم أو بينهم وأساتذتهم الذي يجري عادة في باحة الصحن الحيدري الشريف، وكل ذلك يعبر عن إضافة نوعية لكل من عاش الفترة التي عاشها شيخنا، ولعلّها كانت تمتاز بنهضة علمية وأدبية واسعة، ولذلك فقد وفّرت له خبرة وتجربة غنية في تقويم شخصيته.

وإذا عطفنا النظر على ما توفّر له من الندوة الأسرية في بيته حيث يعيش فيه مع إخوته الأعلام وهي – في الواقع – ندوتان:

الأولى: خاصة بين أفراد الأسرة وهي عادة تنعقد في أكثر البيوت العلمية، يجري فيها التباحث في موارد علمية وأدبية وتراثية، وقد اطلعت من خلال أحاديث عائلية أن المرحوم الشيخ محمد حسن كان عندما يعود إلى البيت بعد الانتهاء من إلقائه الدرس للبحث الخارج يلتقي مع أشقّائه الكرام وتبدأ جلسة حوار ومباحثة بينهم في مسائل علمية متنوّعة، وتشترك معهم العائلة بما في ذلك والدتهم الكريمة الفاضلة نظراً لانحدارها من أسرة علمية وهو أمر طبيعي يؤيّده مستوى الوعي التربوي والثقافي للتربية الأسرية الذي ينطلق من البنية العلمية للمجتمع النجفي – آنذاك –.

الثانية: منتدى المجلس اليومي في دارهم حيث كان يحضره أعلام النجف وفضلاؤها فتطرح مسائل متعددة المضامين والأفكار في الفقه والأصول والتاريخ والأدب وغيرها فتنمو بذلك قابلية الشجاعة الأدبية وتبرز في أثناء ما تجري الحوارات والمناقشات مواهب وكفاءات الحضور.

المبحث الثالث:

الولادة والنشأة

هو الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمّد[١] بن الشيخ عبدالله بن الشيخ محمّد بن الشيخ احمد بن مظفّر الصميري[٢] الجزائري[٣] المظفّر[٤].

(١) فقيه جليل من أعيان تلامذة فقيه العراق الشيخ راضي ولد سنة ١٢٥٦هـ، وتوفي مستهلّ ربيع الأوّل سنة ١٣٢٢هـ، برز مرجعاً للتقليد بعد وفاة أستاذه الإمام الشيخ محمّد حسين الكاظمي عام ١٣٠٧هـ، وكان ممّن عاصر الفقيه الشيخ محمّد طه نجف وشاركه مرجعيّة التقليد. كان له مجلس بحث يحضره لفيف من أهل الفضل والتحصيل العالي، جاء ذكرهم في عدد من المصادر التي ترجمت له، أولهم، وكان الكثير منهم ينحدر إلى جبل عامل في لبنان.

هذا، وكان الشيخ محمّد يؤمّ مصليه في الجامع المعروف بـ «جامع المسابك» في النجف الأشرف، والذي تعاقب على إمامة الجماعة فيه أولاده الأعلام من بعده. له مكانة جليلة في قلوب المؤمنين ترجم له السيد حسن الصدر في التكملة فأفاد: كان عالماً عاملاً فاضلاً متبحّراً تقياً ورعاً كثير العبادة والتواضع له كتاب توضيح الكلام في شرح شرائع الإسلام توفي في أول شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ. أعيان الشيعة ٤٥: ٢٧٩ / الذريعة ٤: ٤١٥ ماضي النجف ٣: ٣٧٥.

(٢) نسبة إلى الصيامر، وهي قبيلة في رساتيق البصرة وضواحيها، وقيل سمّيت باسم نهر من أنهار البصرة القديمة وعليه عدّة قرى «معارف الرجال» الشيخ محمّد حرز الدين: ٢/ ٢٤٦.

(٣) حيث قطن بعض رجال الأسرة منطقة الجزائر جنوب العراق، فعرف بالانتساب إليها وضاع لقبه الأصلي، وأكثر آل المظفّر كانوا يلقّبون أنفسهم بالجزائري ولهذا اشتبه برجال آل الجزائري الأسرة العلمية النجفية المعروفة والتردّد كان من السيد الأمين في كتابه أعيان الشيعة ٥: ١١٧ ورد عليه الشيخ عبد المهدي المظفر ونشر في الأعيان آخر الجزء السادس. آل محبوبة ماضي النجف وحاضرها ٢: ٣٦١.

(٤) نسبة إلى الشيخ مظفّر جدّ الأسرة الأعلى، فقد كان فقيهاً فاضلًا، استوطن النجف الأشرف من أجل الدراسة والتحصيل الديني في حدود المائة الحادية عشرة للهجرة، ثمّ رحل منها إلى بعض ضواحي البصرة؛ حيث قضى فيها الشطر الأخير من حياته كمرجع ديني يقوم بواجب الإرشاد وتبليغ الأحكام، وقد أطلقت هناك على اسمه بعض البقاع، وبعض الأنهر لا تزال معروفة إلى وقت متأخّر

ولد في مدينة النجف، في اليوم الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٢٢هـ، وأمّه الفاضلة بنت العلاّمة الكبير الشيخ عبد الحسين الطريحي[١]، وولادته بعد وفاة والده بخمسة أشهر، فلم يقدّر الله تعالى أن يظفر الطفل الرضيع برؤية والده، ولا الوالد أن يظفر برؤية ولده، فكفله أخوه الأكبر العلم الحجّة الشيخ عبد النبي[٢] (١٢٩١ –

بهذا الاسم، كدليل على تأثيره وآثاره في تلك البقاع.

لقد استمدّت هذه الأسرة شهرتها العلمية واللقب من الشيخ مظفّر(الثاني) هذا، الذي ذكر أنّ اصوله النسبيّة تعود إلى أهل العوالي من العرب المضريّة.

ويضيف الدكتور الشيخ محمود المظفر أن الأسرة المظفرية كما يظهر من سلسلتها النسبية انها حجازية الأصل ترجع الى حرب آل علي وهي قبيلة مضرية معروفة تسكن افخاذها الى الان في عوالي المدينة المنورة وقد كان لبعض افراد اسرة آل المظفر وهو المرحوم الشيخ يونس الشيخ احمد – وهو احد اعلام المظفريين تتلمذ على الشيخ صاحب الجواهر الكبير – اتصال وثيق بهم.وقد كانت رسلهم تستقبل قوافل الحجاج العراقيين مستفسرة عنه فاذا علموا انه في القافلة اكرموا وفادتها احتراما وتقديرا وكان هو يحمل معه الهدايا والمؤن ليوزعها عليهم وبنو حرب بطن من بني هلال بن عامر بن صعصعة ومنازلهم الحجاز والمظفريون يرجعون بالنسب الى بني مسروح منهم وأضاف ان بقية سلسلة النسب للمظفر الثاني ما يلي:

مظفّر (الثاني) بن احمد بن محمّد بن علي بن حسين بن محمّد بن أحمد بن (مظفّر الأول) بن الشيخ عطاء الله بن الشيخ أحمد بن قطر بن الشيخ خالد بن عقيل..

مقدمة الشيخ محمود المظفر ص ٩– ١٥لكتاب من اعلام آل المظفر مطابع دار الجمهورية بغداد ١٩٦٩. االشيخ محمّد طاهر آل الشيخ راضي، في ترجمة الشيخ محمّد حسن المظفّر: ٢٧، ماضي النجف وحاضرها محبوبة ٣: ٣٦٠.

(١) الشيخ عبد الحسين بن الشيخ نعمة بن الشيخ علاء الدين، من أحفاد العالم الجليل الشيخ فخر الدين الطريحي، ولد عام ١٢٣٥هـ وتوفّي ١٢٩٣هـ، عالم مجتهد، وفقيه شهير، من أعيان تلاميذ الشيخ الأعظم الأنصاري، ترجمه صاحب التكملة بقوله: عالم فاضل فقيه أصولي، من أكرم من رأيت من علماء النجف وأجمعهم فضلاً في كثير من العلوم النقليّة، وكان يحفظ اللّمعة وشرحها على الغيب، ودرّسها مرّات عديدة، له مؤلّفات مهمّة في الفقه والتفسير والأصول وعلم الرجال والأدب.

انظر: ماضي النجف ٢: ٤٤٥.

(٢) أحد اعلام النجف وائمة الجماعة فيها وكان صالحا عفيفا طيب المعاشرة ملك قلوب مريديه

١٣٣٧هـ) وأولاه من عنايته وعطفه ما أغناه عن عطف الأبوّة.

وبعد وفاته نشأ في ظلّ شقيقه آية الله المقدس الشيخ محمّد حسن، فربّاه تربية دينيّة، وغذّاه من نبوغه وفضله، فنشأ نشأة حسنة، وكان الشيخ محمد حسن من أعلام الدين المجتهدين، ومراجع التقليد المبرّزين، متّصفاً بالورع والتقوى؛ فهو من العلماء الأبرار، لم يناقش في ورعه وصلاحه، وللناس فيه أتمّ الوثوق... تقرأ في جبينه آثار الأبرار، وتلوح على مخايله سمات أهل الورع، يغلب عليه الهدوء والسكون، صالحاً نقيّ الضمير، طاهر النفس، متعفّفاً، صادقاً في القول والعمل، وله إجازة الاجتهاد من اكثر مشايخه وله من الآثار العلمية كتابه الخالد (دلائل الصدق لنهج الحق في الامامة) و(الافصاح في أحوال الرجال الصحاح) و(شرح عبادات قواعد العلامة) في ست مجلدات، توفّي في بغداد ظهر الأربعاء الموافق لليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ١٣٧٥هـ وشيّع يوم الخميس بعده بتشييع مهيب في النجف، ودفن بمقبرة خاصّة[١].

وفي الدور الأوّل لنشأته كان التأثير الكبير في توجيهه العلمي هو امتياز أسرته بالعلم والفضيلة؛ فقد فتح عينيه في بيت تعيش فيه أسرة آل المظفّر المتكوّنة – بعد وفاة أخيه الأكبر عبد النبي – منه، ومن إخوانه الذين يكبرونه في السنّ: الشيخ محمّد حسن، والشيخ محمّد حسين[٢]، والشيخ محمّد علي، وهؤلاء الإخوة يسكنون داراً واحدة،

بلذيذ كلامه وجميل سيرته ويقول الشيخ آل محبوبة: ادركته وهو شيخ طويل القامة كبير العمة يبدأ كل من واجهه بالسلام ولين الكلام. محبوبة ماضي النجف ٢: ٣٦٧.

(١) وأرّخ وفاته شعراً عدد من الأفاضل، كان من بينهم المرحوم السيّد محمّد الحليّ، الذي قال:

كم للهدى بعد أبي أحمد ... من أمل خاب ونجم خبا

فشرعة الحقّ بتأريخها ... تنعى رجاها (الحسن) المجتبى

(٢) ولد في النجف عام ١٣١٢هـ، وتوفي ٢٣ محرم ١٣٨١هـ، عالم مجتهد عامل فذّ، مؤلّف محقّق، له في مضمار الفكر والعقيدة والتأريخ ما أغنى المكتبة الإسلامية من المؤلّفات التي طبع أكثرها، وكانت له مساهمات جادّة في خدمة الدين الإسلامي ومذهب أهل البيت، ساهم بتأسيس جمعية المنتدى وكان –

ولدوا فيها، ونشؤوا وترعرعوا في أفيائها، وتزوّجوا وأولدوا بها، ولم يتحوّلوا عن دارهم هذه إلّا بعد أن ضاقت بهم وبأولادهم فاضطرّوا إلى الانتقال[١].

وكانت بدايات دراسته العلميّة منحصرة في ما تلقّاه على أخويه العلمين الشيخ عبدالنبي، وبعده الشيخ محمد حسن، وبعد أن أتمّ مقدّماته توجّه لاستكمال مسيرته العلميّة، فحضر عند الشيخ محمد طه الكرمي الحويزي[٢]، الذي أفاد منه كثيراً، كما عبّر الشيخ المظفّر نفسه بقوله: (حضرت كتاب «المطوّل» على الشيخ الحويزي، وجملة من علم الأصول، فاستفدت فائدة كلية، وتعّلمت منه كيف يتوصّل إلى التنقيب عن المسائل العلمية بما كان يتوسّع به في بسط المسائل وتحقيقها، وفي خلال ذلك تتلمذت عليه في الشعر، فكان له عليّ المنّة الكبرى في تعلّم النظم حتّى اشتدّ ساعدي في ذلك كلّه)[٣].

وبعد هذه المرحلة حضر في علم الأصول والفقه مجلس درس أخيه الشيخ محمّد حسن، كما حضر عند الميرزا محمّد حسين النائيني (١٢٧٧ – ١٣٥٥)، وكذلك كان حضوره عند الشيخ ضياء الدين العراقي (١٢٧٨– ١٣٦١) وحضر يسيرا عند السيد جمال الدين الكلبايكاني (١٢٩٥ – ١٣٧٧). كما حضر في الفلسفة الإلهية عند السيد

وهو الاخ الذي يكبر المظفر – مع اخيه الشيخ الرضا فرسا رهان لتحقيق الاهداف ترأس لجنة المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر والقى محاضرات هامة له مؤلفات مطبوعة منها تاريخ الشيعة والثقلان والشيعة والامامة وغيرها من مصادر ترجمته الذريعة ٧: ١٢٠ و١٢٤ / ١٤: ١٩١و٢٧٢ / ماضي النجف ٣: ٣٧٠ / نقباء البشر ٢:٦٤٦ / شعراء الغري ٨: ١٩٤.

(١) راجع جعفر الخليلي هكذا عرفتهم ترجمة الشيخ المظفر.

(٢) علّامة فقيه أديب شاعر بارع ولد في النجف ١٣١٧ كانت له حلقة يحضرها من يكبره سنا لازم استاذه الشيخ الكمباني مدة طويلة واخذ عليه اثناءها اسرا ر الأصول والحكمة توفي ١٣٨٨. الذريعة ٩ ق٢: ٦٤٠ علي في الكتاب والسنة للحاج حسين الشاكري ٥: ١٤٩–١٥١.

(٣) انظر سيرة المظفر بقلمه، الخاقاني شعراء الغري ٨: ٤٥٢.

ميرزا حسن البنجنوردي.

إلّا أنّ عمدة استفادته كانت مواصلته لمسيرة أخيه الشيخ محمّد حسن العلميّة؛ بحكم الصلة والتفاعل الروحي الذي بقيت آثاره بادية عليه طيلة حياته.

وحضر في الفلسفة وعلم الأصول عند الشيخ محمّد حسين الأصفهاني[١]، المعروف بالكمباني (١٢٩٦ - ١٣٦١)، وتأثر بطريقة هذا الأستاذ وانسجم معه في أفكاره وخواطره حتّى كتب عنه مشيراً إلى تفاصيل استفادته العلميّة وأفكاره الإصلاحيّة؛ حيث عبّر عن ذلك قائلاً عن أستاذه: (وكثيراً ما كان يوحي إلينا في الخلوة به من خواطره في سبيل إصلاح الحركة العلميّة والمجتمع الروحي، ولم يكن يؤاتيه - يومئذ- أن ينهض بواحد منها، حتّى خسره العلم والدين عماداً لقبّة الإسلام، وعميداً لخزّان الشريعة، وخزّاناً للفيض القدسي، وترجماناً للكلام النفسي، وإماماً للخلق، وهادياً للحقّ، مصباحاً للمهتدين إلى عين اليقين)[٢].

وكذلك كان الحال بحضوره على العالم الربّاني السيّد علي القاضي الطباطبائي، الذي كان له في حياة الشيخ المظفّر وسلوكه الأثر البالغ؛ لما كان يتمتّع به هذا السيّد الجليل من سيرة مثلى ونزعات إصلاحيّة[٣].

وكان للشيخ المظفّر في حياته العلميّة تطلّعات إلى معرفة ودراسة العلوم الأخرى،

---

(١) ترجم له المظفركما في سير وتراجم نجفية أحد أجزاء الموسوعة المظفرية.

(٢) الشيخ المظفّر في مقدّمة حاشية المكاسب لأستاذه الكمباني.

(٣) السيّد علي القاضي؛ عالم ومجتهد جليل، فقيه بارع من نوابغ الرجال العارفين، ولد عام ١٢٨٥هـ وتوفي بالنجف عام ١٣٦٦هـ، وهو من رجال الأخلاق والتهذيب: انظر صفحات من تأريخ الأعلام في النجف الأشرف لولده المرحوم السيّد محمّد حسن القاضي، وتأريخ دراسة الفلسفة في النجف تقديم كتاب أحلام اليقظة للمظفر ضمن الموسوعة، والسيّد محمد مجتهدي في كتابه الخاص المخطوط عن هذا السيّد الجليل.

كالعروض والحساب والهندسة ومبادئ العلوم الطبيعيّة والرياضية، وقد برع وأجاد فيها؛ نتيجة لما كان يبذله من جهد وإتقان وحسن تلقّي يدلّ على نبوغه المبكّر، وألمعيّته التي جعلته في مصافّ العلماء العاملين الذين يشار إليهم وهو لمّا يزل على مشارف العقد الثالث من عمره.

كما حضر في مرحلة السطوح عند السيد محسن الطباطبائي الحكيم (١٣٠٦ – ١٣٩٠) والظاهر ان حضوره عليه في الجزء الاول من كتاب كفاية الاصول للآخوند الخراساني[١].

وحين تسنّم المراتب العالية في دراساته الفقهية والأصولية استقل بآرائه، حيث بلغ درجة الاجتهاد والقدرة على الاستنباط واعترف له بذلك أساتذته من كبار العلماء ومراجع الدين ومنحوه درجة الاجتهاد في حدود سنة ١٣٥٧هـ لما كان يتّصف به من مزايا علميّة، ومنهم أستاذه الشيخ الكمباني، وأخوه الشيخ محمد حسن المظفّر، والميرزا السيّد عبد الهادي الشيرازي[٢]؛ حيث أشاروا إلى طول باعه وبلوغه مرتبة الاجتهاد وحصوله على ملكة الاستنباط التي تؤهّله لمصافّ الزعماء الدينيّين الذين كان ينتظر لهم مستقبل المرجعيّة.

وقد عقد له بعدئذ مجلس بحث حضره لفيف من أفاضل طلبة العلم وكان فيهم من بلغ درجة الاجتهاد.

إلّا أنّنا وجدنا أنّ الشيخ بسبب اهتمامه في أداء رسالته الإصلاحيّة، خاصّة في بذله

(١) من اوراق المظفر اعداد وتعليق محمد رضا القاموسي: ٢٢.

(٢) ولد في ١٣٠٥ وتوفي ١٣٨٢ فقيه اصولي من كبار مراجع التقليد كان ذا رأي صائب مع غور في الدليل بذوق عربي سليم قوي الحافظة أديباً شاعراً. وبعد ان تتلمذ عليه الشيخ المظفر منحه إجازة الاجتهاد. انظر معارف الرجال للشيخ محمد حرز الدين ٢: هامش ٢٤٧ مما كتبه محقق الكتاب الشيخ محمد حسين حرز الدين وقد اشار الى اجازة الاجتهاد للمظفر.

المتواصل لمؤسسته جمعيّة منتدى النشر وما تفرّع عنها لم يتسنّ له ذلك، وبقي في فم الزمن خالداً بآثاره وجهاده وتطلّعاته إلى تقويم مسيرة العلم والفكر والعقيدة[1].

(١) يذكر المظفر: (هذا هو التفكير الذي يبدو ظاهرا على بعض رجالنا الذين كانوا يحلمون باصلاح نواقص الدراسة العلمية في معهد النجف الأشرف، فانها كانت تهدد المفكرين منا بشل الحركة العلمية في مستقبل الجامعة القريب او البعيد يوم ان اصطدمت سفينة هذه الجامعة القديمة بتيار هذا العصر الجديد فهزتها في بحر متلاطم بالميول..) محمد مهدي الآصفي مدرسة النجف وحركتها الاصلاحية: ٩٣.

المبحث الرابع:

صفاته ومزاياه

لقد امتاز شيخنا المظفّر بالنبوغ واليقظة والألمعيّة والذكاء بسبب تربيته الأساسية، حيث ربّي في حجور طاهرة، ونشأ بين رجال أسرة عرفت بمكانتها العلميّة وتقواها الذي فهمه القاصي والداني، ومن هنا كان معروفاً في الأوساط بالحيويّة والنشاط مع سداد الرأي، ورجاحة العقل، ودقّة التفكير، وإصابة الهدف في التخطيط، يقابل كلّ ذلك العفّة ونكران الذات والبساطة والتواضع والورع والزهد عمّا في أيدي الناس، وقد عرف بالسيرة الطيبة والسلوك المحمود والخلق المرضي الذي حبّبه إلى عارفي فضله، وممّا اشتهر به ابتسامته المشرقة المنطبعة على شفتيه رغم المحن والمضايقات التي تعمّ -عادة- حياة المصلحين وروّاد حركات النهضة والإصلاح.

وقد عرف طيلة حياته بأنّه كان (حيّ الشعور، يقظ القلب، مرح الروح، لا يميّز بين العدو والصديق؛ لقوّة المجاملة عنده، وقلّما تراه يهاجم أحداً وإن أزعجه بالقول الجاف واللهجة اليابسة، وإنّ خطواته التي ترسّمها على ضوء توجيه مربّيه الأوّل والثاني أورثت عنده هذه الوداعة والخلق الدمث)[1]... وقد كان اجتماعيّاً إلى درجة كبيرة؛ بحيث كان يحضر المجالس العامّة والخاصّة، امتاز بشخصية جذابة محبوبة من كافّة الطبقات، وقد عرف بإجادته للطرفة التي كان يطلقها بوداعته عفو الخاطر مصحوبة بهدوء.

اجمع من أرخ له في حياته أو رثاه بتأبينه على ما كان يتصف به من السجايا الكريمة

(١) الخاقاني: علي، شعراء الغري ٨: ٤٥٣.

والخصال الحميدة وبأنه كان نسيجا وحده بل من نوادر الرجال ومن أبرز اخدانه الذين عاصروه وافضلهم فقد رزق علما وأدبا وقلما سيالا لم نقف على نظير له من غيره، وان اسرته التي افاضت عليه اكثر هذه المواهب أخسرته مواهب أخرى منها مصادمته للرجال الذين عرفوا بسلبيتهم... إلا انه واصل جهاده بصبر وجلد مع ضيق العيش وفقدان للضمان، وهذه سيرة ان دلت فانما تدل على إنسان مؤمن بفكرته موقن بصحة ما يسعى اليه عند الله في رفع راية الحق.

نشأ المظفر في بيت متواضع اتّسع لأخوته الأربعة وأهاليهم، مساحته لا تعدو خمسين متراً مربعاً في محلة البراق من النجف الأشرف، وامتاز بالعفة والنجابة وبسلوك روحي يندر مثيله معروف بالاستقامة وقوة الارادة وسمو الشخصية ولكنّه متجمل جدّاً في ملبسه وهيئته، باسم الثغر، منفتح الأسارير، مغتبط النفس بما يقدمه من جليل الأعمال العلميّة والثقافية والتربوية، تمازجه فتلمس طيبته ونقاءه في أوّل جلسة، وتتعرف إلى عبقريته النادرة فتحس ريادته لقومه عند أوّل وهلة، يهزه الحديث الهادف، وتأسره الكلمة الصادقة.

وكان جلّ اهتمامه التوجيه لتقويم المسيرة الاجتماعية نحو الاستقامة، وإذا ما حاولنا تقصّي مفردات حياته لوجدناه في طليعة القادة الدينيّين الذين كانوا يبذلون جلّ طاقتهم في سبيل المصلحة الإسلاميّة من حيث شعوره اليقظ ووعيه المبكّر.

وقد سرد مؤرّخوه الكثير من القصص المعبّرة عن غيرته الدينيّة، واتّجاهه لإصلاح مجتمعه على أُسس الصلاح والتقوى والعمل الديني الصحيح البعيد عن المصالح والغايات الشخصية، ومن هذا يمكن تفسير نجاحه في مشاريعه على كافّة المستويات، بل إنّ ممّا يلمسه الباحث في حياته وآثاره هو إخلاصه وفناؤه في ذات الله، وحسن توجّهه ونيّاته التي لم تدخل عليها شائبة، ووعيه المبكّر إلى خدمة التراث الإسلامي،

وبذله، وتضحياته الكبيرة.

ومن جملة هذه القضايا التي دلّت على سموّ ذاته وخدمته للمبادئ الإسلاميّة، والتي تمثّل الدعوة إلى تأسيس التيّار الإسلامي في الأدب؛ حيث كان قد دعي إلى إحدى الاجتماعات الموسّعة التي كانت تعقد لإطالة الصراخ بوجه الغاصبين لفلسطين، وحينما افتتح الحفل بكلمات وقصائد، تقدّم الخطيب العلاّمة الشيخ محمد علي اليعقوبي وألقى قصيدة غرّاء أصبحت فيما بعد ترنيمة الشباب في ذلك اليوم لأيّام وشهور... وبينا هو ينشد والمستمعون يستعيدون مرّة وأخرى، قام المظفّر ملقياً عباءته على رأسه كأنّه يشكو عارضاً وخرج من المجلس، يقول تلميذه السيّد محمّد حسن القاضي – الذي يروي هذه القصّة –: وتبعته وسألته عن السبب... وبعد الإلحاح قرأ عليَّ هذه الأبيات:

أعيدوا مجد قومكم أعيدوا جديداً أيّها النشءُ الجديد
وحوزوا بالجدود وبالمساعي جدوداً لا بما فعل الجدود

وهكذا... إلى أن يقول:

لقد حمل البريد لنا كتاباً ألا لله ما حمل البريد
بأنّ مواطن العرب استُبيحت وقد فتكت بسادتها العبيد

وهنا يكمن ما أراده المظفّر من مبدئيّته الإسلاميّة؛ حيث يعلّق قائلاً: فهل هي مواطن العرب، أو مشاهد الإسلام وبقاعه المقدّسة وقبلته الأولى؟.. إنّما البليّة تكمن في أنّها غصبت من المسلمين وبأيدي أعدى أعداء المسلمين لتكون وكراً للمؤامرات، وإثارة الفتن والقلاقل في البلاد الإسلاميّة [1].

ونقل لي شيخي الوالد المرحوم الشيخ محمد كاظم الطريحي (١٩٢٦ – ٢٠٠٢)

(١) القاضي: السيّد محمد حسن، صفحات من تأريخ الأعلام في النجف – القسم الأوّل: ص١٧٩.

رحمه الله أنّه عندما كان ينجز طبع كتاب «تفسير غريب القرآن» للشيخ الطريحي في المطبعة الحيدريّة بالنجف، ولدى مراجعته لبعض ملازم الكتاب أشكل عليه نصّ قرآني فيما لو كان قد طبع بصورته الصحيحة أم لا، فطلب من عامل المطبعة التريّث إلى حين التأكّد من ذلك، إلّا أنّ العامل المذكور كان متسرّعاً لإنجاز العمل، يقول الوالد: وكان الوقت ظهراً ومستوى حرارة الجوّ في النجف أيّام الصيف معلوم، فأسرعت بخطوي نحو سوق الكتب، بعد أن عجزت عن تحصيل هذا المورد بمراجعة القرآن الكريم في المطبعة؛ حيث كنت بحاجة إلى كتاب «المرشد لآيات القرآن» وفي الطريق واجهت المرحوم شيخنا المظفّر؛ وبعد أن هلّ مستبشراً داعياً إلى تناول طعام الغداء معه في بيته، فاعتذرت للسبب المذكور، فحاول الشيخ أن يتذكّر الآية القرآنيّة، فلم يفلح في حينه، ولمّا أخبرته بتسرّع عامل المطبعة، للطبع دون الاكتراث بأنّ هذا الكتاب سيصدر من مطبعة في النجف ولها سمعتها المقدسة علمياً ولا يتناسب مع ذلك ان يطبع الكتاب وبه خطأ في رسم الآية القرآنيّة، عندئذ بادر الشيخ المظفّر إلى أنّه سيذهب إلى المطبعة ويحاول مع عامل المطبعة على أن أسرع إلى السوق فأجلب التصحيح من إحدى الكتب، وقد تمّ ذلك.

يقول الوالد: وعندما حصلت على المراد من الآية ورجعت إلى المطبعة توّاً شاهدت أنّ الشيخ المظفّر قد جلس مع العمّال وقد تحلّقوا حوله وهو يحدّثهم، وعندما شاهدني قادماً قام بوجهي مستفسراً: هل حصلت على الآية؟ فأشرت إليه بالإيجاب، فقال الشيخ معقّباً: الحمد لله، الآن انتهت مهمّتي، وبعد ذلك أنجز المطلوب وذهبت مع الشيخ مجيباً لدعوته في داره[1].

وكان الشيخ المظفّر محور الحركة في مختلف وجوه النشاط، في مؤسّسة منتدى النشر

(١) نفح الطيب في تأريخ النجف القريب مخطوط لكاتب هذه السطور: ص١٥٠.

وباعثها في كثير من الأحيان، ولم يظهر على حديثه أو قلمه طيلة هذه المدّة ما يشعر بأنّه شيء يذكر في هذه المؤسّسة إلّا عندما يأتي حساب المسؤوليّة، فيظهر الشيخ على المسرح؛ ليتحمّل هذه المسؤوليّة بنفس ثابتة وإيمان قوي.

وما أكثر ما شوهد الشيخ يلقي دروساً على طلاّبه الناشئين، أو يلقي عليهم نصائح وإرشادات، أو يقوم بتوجيههم بنفسه في روحانيّة وبساطة.

ولم يعرف الشيخ حيناً من الزمن معنى لكلمة (أنـا)، ولمّا يلابس هذه الكلمة من بغض وحبّ في غير ذات الله، فقد كانت نفسه الكبيرة تضيق بما يسمّى بالبغض، ولا تعرف معنى للخصومة والعداء، فاستمع إليه كيف يحّدد موقفه من خصومه، أو بالأحرى من خصوم مؤسّسته: (...وأنـا أكثر إخواني عذراً لجماعة كبيرة ممّن وقف موقف المخاصم لمشروعنا، ولا سيّما الذين نطمئنّ إلى حسن نيّاتهم ويطمئنّون إلى حسن نيّاتنا).

وقلّما نعهد أن تبلغ التضحية ونكران الذات فيمن رأينا من أصحاب الأفكار هذا الحدّ في سبيل الفكرة التي يؤمن بها الإنسان.

وإنّ من الحريّ جدا إمعان القارئ في هذه الجملة الرقيقة التي تشف عن نفسيّة كاتبها الكبيرة: (ونحن مستعدّون لتضحية جديدة بأنفسنا فنتنحّى عن العمل عندما نجد من يحبّون أن ينهضوا به دوننا، خصوصاً إذا اعتقدوا أنّهم سيعطون المشروع صبغة عامّة بدخولهم، وليثقوا أنّا عمّال للمشروع أينما كنّا، ومهما كانت صبغتنا فيه، ولا نريد أن نبرهن بهذا القول على حسن نيّاتنا؛ إنّ هذا لا يهمنّا بقليل ولا كثير بعد الذي كان، إنّ الذي يهمّنا أن ينهض المشروع نهضة تليق بسمعة النجف، ويؤدّي الواجب الملقى على عاتقه كاملاً، وبأيّ ثمن، حتّى إذا كان ثمنه أرواحنا، وما أرخصها في سبيل الواجب.

وقد صرّحنا مراراً أنّنا لم نخط حتّى الآن إلّا خطوة قصيرة في سبيل ما يُقصد من

أهدافه).

... وكذلك كانت قصّة النفس الكبيرة[١].

يقول الشيخ الآصفي: (وكم رأينا الشيخ المظفّر يحاضر على الصفوف الأولى في مدارس منتدى النشر، ويتلقّى أسئلتهم برحابة صدر، ويدفعهم إلى البحث والدرس والتفكير، ويحشر نفسه معهم حتّى كان يبدو للإنسان – لأوّل وهلة – أنّه يخاطب زملاء له في الدراسة، لا طلاّباً بهذا المستوى)[٢].

وقد أثر عنه لأكثر من مرّة بأنّه كان يجلس على الآلة الكاتبة عند إجازة الموظّف المختصّ في مؤسّسته ليطبع كتاباً، أو رسالة، حيث أنّه لم يحاول أن يصاب بالغرور والخيلاء، بل كان معروفاً بنكران الذات والتواضع الجمّ، كما عرف عنه بأنّه لم يقبض من الحقوق الشرعيّة لتمشية أموره المعاشية، أو أن يتسلّم راتباً من الحوزة العلميّة بما يستحقّه أمثاله من الأعلام، بل كان يؤجر نفسه بالعمل عند أحد متاجر الحبوب في النجف – وما أكثرها في حينه – حيث يقوم بترتيب الحسابات ومسك السجلاّت التجارية لذلك التاجر في الليل بعد غلق المحل ويتقاضى أجرةً على هذا العمل، وهو في بحبوحة من هذا الكسب الذي يرسّخ ما كانت عليه طريقة السلف الصالح من العلماء الربانيين الذين كانوا يجمعون بين طلب العلم والعمل[٣]. وحينما أصبح عميداً لكلية الفقه إستمر الحرمان ضيفاً ملازماً له، فقد كان مرتبه الشهري لا يتجاوز خمسة عشر ديناراً عراقياً، وإن وقع على الثلاثين أو الأكثر، فذاك تبرع للكلية الفتية الأهلية التي لا تنهض وارداتها بمصروفاتها.[٤]

(١) الآصفي: الشيخ محمّد مهدي، مدرسة النجف وتطوّر الحركة الإصلاحيّة فيها: ص١٣٧.
(٢) المصدر السابق: ص٦٥.
(٣) نفح الطيب، المصدر السابق: ص١٥٧.
(٤) دراسة الدكتور الصغير، راجع القسم الرابع.

وبهذه السيرة المثلى، والأخلاق الفاضلة عاش شيخنا المظفّر ليحقّق أمام الأجيال نموذجاً فريداً، قلّما جاد الزمان بأمثاله.

ومما يشير اليه مدير ثانوية منتدى النشر عن مزاياه (ويشمل الصغير والكبير بالبسمة العذبة التي تشيع في النفس كل معاني الغبطة والرضا، لقد كانت نفسه تفيض بكل معاني اللطف لهؤلاء الطلبة الذين يصابحهم ويماسيهم، ولقد كنا نجد الامل الممراح تشع به عيناه، حيث يلمح فلذات الكبود تروح وتغدو في ساحة المدرسة اوتدلف الى حجرات الدرس او الاساتذة الكرام يلقون إليهم بالعلم والأدب).[1]

ومن المسائل الهامة التي ينبغي للدارسين ملاحظتها بالتفريق وفهم ما كان يحرره من رسائل او يصدره من بيانات ومذكرات وكتب رسمية، حيث يجب ان ينظر الى كل واحدة بحسبها وللصفة التي عبرعنها عند التوقيع اوالاصدار ونفهمه مرة بعنوانه رئيس جمعية او عميد كلية اوشخصية علمية دينية.

(١) المرحوم السيد محمد حسين المقرم، دموع وفاء، اصدار بمناسبة الاربعين باقلام الاساتذة والطلبة مطبعة الآداب النجف: ٩. وقد شكلوا في موكب التشييع عزاء وهم يرددون:

أمة الإسلام نوحي والبسي ثوب الحداد ... واسكبي الدمع دماء قد هوى منك العماد
ياأبانا قد فقدنا فيك رمزا للجهاد ... فوداعا من قلوب مالها بعد ضماد

وموكب آخر في مجلس الفاتحة يردد:

يا إماما فقد الدين به ... علم الحق ونبراس الرشاد
نحن أبناؤك فارحم يتمنا ... يا أبا الجيل ويارمز الجهاد

المبحث الخامس:

تراثه وتلامذته

مؤلّفاته

كان الشيخ المظفّر يحمل رسالة إصلاحية متميّزة بخصائص وملامح تنسجم مع اتّجاهاته الفكرية التي كان يطمح جادّاً لتحقيقها على الواقع المعاش شكلاً وأسلوباً ومضموناً، ويتمثل جلياً أمام قارئ سيرته بالرغم من انشغاله بمؤسساته الثقافية، واهتمامه بنشر الآثار الإسلامية وتعضيد حركة التحقيق، وإصدار المجلات الإسلامية، وبالإضافة إلى ما كان يؤديه من دور على الصعيد الاجتماعي، والتزامه بإمامة الجماعة في (مسجد المسابك) بالنجف ولقائه بالناس بمختلف طبقاتهم وقضاء حوائجهم.

ومع ما تقدم فقد وجدناه في ساحة التأليف والكتابة مهتمّاً إلى القدر الواسع الذي رفد فيه المكتبة الإسلامية بمجموعة قيّمة من المؤلفات والمقالات الهامة، التي كان لها صداها على مستوى الاتجاه الفكري العام بما يمثّله قلم المظفّر من ملكة التعبير عن الخطاب الإسلامي الحديث.

وقبل استعراضنا لمؤلفاته فلابد من الاشارة ان اول كتاب الفه كان في عام ١٣٤٣ في علم العروض، عندما كان يتلقى دروسه عند الشيخ محمد طه الحويزي – كما ذكر ذلك فيما دون المظفر سيرته بقلمه –فيبدو لنا انه بدأ التأليف وهو في مقتبل العمر وفي ذلك دلالة على نبوغه المبكر.

نقتصر الحديث على ما استطعنا حصره من مؤلفاته وما رشح من قلمه من دراسات

وبحوث حسب المعلومات المتوفّرة، وهي كما يلي:

١ – السقيفة:

وهو دراسة موضوعية في بيان وتحليل لقضية السقيفة وما وقع فيها من المناظرات تحليلا فكريا في أربعة فصول: الأول – موقف النبي تجاه الخلافة بعده. الثاني – تدبيره لمنع الخلاف. والثالث – بيعة أبي بكر في السقيفة. والرابع– موقف الامام علي عليه السلام في امر الخلافة[١]. ألّفه عام ١٣٥٢هـ وموضوع الكتاب عالجته عشرات الاقلام قديما وكان مسرحا لكثير من عواطف الكتاب، فكانت الحاجة كبيرة الى من يعالجه معالجة موضوعية مجردة من ناحية، ولذلك فقد وفق كتاب المظفر لبحثه بنظرة موضوعية خالصة ووفق في منهجه العلمي الدقيق على التماس ملابسات شتى القت كثيرا من الاضـواء على هذه الحادثة التاريخية بالاضافة الى ماعرض من النصوص الـواردة فيها خاصة ناقدا لها جميعا نقدا دلاليا دقيقا مجليا مفاهيمها على حسب ما يقتضيه الفن[٢]،صدرت الطبعة الأولى عام ١٣٦٨هـ من قبل المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر وعلى أثر صدوره صدر من مطابع دار الكتاب العربي بمصر كتاب «ردّ على السقيفة»[٣]. منسوباً إلى عبدالله الحضرمي [٤] بأسلوب بعيد عن آداب البحث والمناظرة، وقد صدر للمرحوم السيد أمير محمد الكاظمي القزويني كتاب «ردّ على ردّ السقيفة» طبع مرّتين

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة للشيخ الطهراني ١٢: ٢٠٦ الطبعة الثانية دار الاضواء بيروت.

(٢) تقديم الكتاب بقلم السيد محمد تقي الحكيم والدكتور محمود المظفر.

(٣) عرض بتقديم السيد التقي الحكيم الدكتور علي الوردي بكتابه مهزلة العقل البشري: ٤٨، ودافع عن استاذه الحكيم الأستاذ عبد الرضا صادق بكتابه سوفسطائية للبيع، راجع تحقيق محمد رضا القاموسي، من أوراق المظفر: ١٨٢.

(٤) الحضرمي اسم مستعار تستر وراءه الشيخ عارف محمد محمود الوسواسي من ائمة وخطباء بغداد واول من كشف النقاب عنه الشيخ يونس السامرائي في كتابه تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري ط بغداد ١٩٧٨ ص٣١٥ انظر الاستاذ القاموسي من اوراق المظفر هامش ص١٨٢.

آخرها في مطبعة العرفان بصيدا وطبعة ثالثة في الكويت، كما اصدرالمرحوم محمد جواد الغبان بعدئذ كرّاسا بعنوان «على هامش السقيفة» ضمنه اسئلة وجهها للمظفر والسيد عبد الله الملاح احتوى على الاسئلة والملاحظات أجاب عليها المؤلّف، وطبع كتاب السقيفة عام ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م كما طبع في مطبعة الزهراء بالنجف وله طبعات اخرى وترجمه إلى اللغة الفارسيةمحمد جواد حجتي كرماني وطبع من قبل مؤسسة انصاريان ١٣٧٣ مطبعة نمونة في ٣٣١ صفحة كما ترجمه الى اللغة الاوردية السيد حسين مهدي الحسيني ونشرته مؤسسة انصاريان ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م مطبعة اعتماد في قم، ترجمه إلى اللغة الانكليزية الدكتور حسن النجفي مؤسسة أنصاريان قم.

٢ - المنطق:

في ثلاثة أجزاء، طبع في النجف وأعيد طبعه مرّات عديدة في بيروت وإيران، ترجمه الى اللغة الفارسية منوجهر صانعي وطبع بعنوان منطق المظفر انتشارات حكمت في طهران ١٤٠٤. ولخصه الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي في كتابه خلاصة المنطق، وألف محسن غرويان ترجمة الشيخ وسام شقير (الإجابة على تمرينات المظفر في كتاب المنطق دار الهادي بيروت. والسيد كمال الحيدري شرح منطق المظفرتقرير الشيخ نجاح النويني وعبد الرضا افتخاري، شرح المنطق السيد رائد الحيدري بعنوان المقرر في توضيح منطق المظفر مع متنه المصحح طبع مؤسسة التاريخ العربي ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م وتلخيص المنطق اكبر ترابي والمنطق التعليمي عبد الجواد ابراهيمي مطبعة قدس قم والاثر في تلخيص منطق المظفر قراءة جديدة في كتاب منطق المظفر للشيخ مهند رحيم حسين العتيجاوي والشيخ حسين حامد محمد الفرطوسي النجف ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

يذكر ان كتاب المنطق قد عم تدريسه في الحوزات العلمية العربية وغيرها كما اخذت بعض الجامعات العراقية مؤخراً بتدريسه في كلية الهندسة وفي أقسام الفلسفة.

المنطق[1] دراسة في المنهج ..

ما رأيت هذه الكتاب القيم الا ونقلني الى الجهود الجبارة التي بذلها مؤلفه في سبيل تأليفه واخراجه. فالكتاب يعد طفرة في تاريخ تطور الدراسة في جامعة النجف الأشرف لان الاساتذة في هذه الجامعة المقدسة على كثرة من فيهم من الافذاذ في هذا العلم وغيره من العلوم لم يعطوا المقدمات – كما يصطلحون– عليها شيئا من الاهتمام ولم يفكروا ان يخضعوها لناموس التطور كما اخضعوا علمي الفقه والأصول، والحق ان في النجف ثروة لا تقاس بها ثروة من الكتب الفقهية والأصولية تلمس فيها الافكار الناضجة السامية التي تساير العصور كما تلمس بها الأساليب – التي تكاد تكون حديثة.

ولكنهم لم يعطوا للمقدمات أية قيمة، فالطالب المسكين يواجه اول ما يواجه كتبا منطقية يحتاج في حلها الى تعاويذ علاوة على الفهم الوقاد ومن الكلمات الشائعة عندهم في علمنا هذا (المنطق كرار فرار) وسر فراره من الذهن انه لايعطى الا بعبارات مغلقة اغلاقا تاما لا يتوفق لفهمها الا الافذاذ من الطلاب والافذاذ بالطبع قليلون بالنسبة، ومن هنا يكثر الادعاء فيكثر الالتجاء عند الامتحان الى هذه العبارة المالوفة «كرار فرار» يعني انهم حصلوا عليه وفر من بين ايديهم الكريمة.

ومؤلف الكتاب من هؤلاء الذين لا يعترفون بهذه الجملة منذ بدء دراسته، فقد عرف بين اقرانه بالالمعية كما عرف بالجد منذ أن أقبل على تلقي العلوم في هذه الجامعة المقدسة، وقد كان – و ما يزال – أفضل أقرانه من غير منازع وليس المهم اثبات ذلك الآن فهو أمر يكاد يكون مفرغا منه، وانما المهم ان نعرض للظاهرة التي دعته الى تأليف الكتاب فهو من هؤلاء الذين شعروا ان طريقة دراسة المقدمات تحتاج الى جهد كبير في كتبنا القديمة، وهذه الدراسة بجميع شؤونها قد لا يحصل عليها الا القليل ومعنى ذلك

(١) مجلة الدليل النجفية السنة الثانية العدد العاشر.

فقدت طبقات كان يمكن ان يكونوا في عداد المحصلين لو أن الدراسة بسطت لهم على ان الزمن تطور فلم يعد الترف الذي ساد جل الطبقات يساعد على خلق الصبر على دراسة ومطالعة هذه الطلاسم المغلقة، وهذا التضايق من الدراسة القديمة أحدث -بمعونة غيره من العوامل الكثيرة التي ليس ههنا محل التعرض لها - رد الفعل في نفوس الطلاب فلم تظفر النجف منهم بالواحد من كل عشرة.

واخواننا الروحيون يذكرون الأزمة التي مرت على النجف قبل عشر سنوات يوم تقلص ظل الطلاب الى حد مؤلم جدا.

ورد الفعل هذا هو الذي حفز الأستاذ المظفر كما حفز غيره من أعضائه للقيام بنهضة قد ترد للنجف بعض ما فقدت من الطلاب ولا أقل من أنها توقف من غلواء رد الفعل في نفوس الباقين.

وهذا ما كان، فقد أسسوا كلية منتدى النشر او سعوا فيها الى تبسيط الدراسة بقدر الامكان.

وأخذ هو على عاتقه من العلوم فيما أخذ المنطق، ولعل من الحق - اذا جارينا اذواق اهل العلم في توزيع الدروس على قدر الكفاية - ان لا يكون هذا من نصيبه فهو أرفع من ذلك مستوى وأعلى منزلة ولكن تواضعه شاء ذلك كما شاء تواضع جل من درس في هذه الكلية، فهم كما يعرف عنهم جل من اتصل بهم أرفع من مستوى تدريس ما أخذوه على عواتقهم ولكنهم اقدموا اذ اقدموا على التضحية خدمة للناشئة الحديثة وهذه الحقيقة نسجلها للتاريخ، وحسب التاريخ ان يسجل لهم انهم الغوا الفروق في مقام الافادة والاستفادة.

وكتاب المنطق بعد هذا التمهيد محاضرات ألقيت على طلاب منتدى النشر حاول مؤلفها فيها ان يأخذ الحد الوسط في اسلوب الدراسة فلم يأخذ بالطريقة الاستقرائية كما

يصنع جل المحدثين ولم يبق على الطريقة التقريرية كما صنع جل القدماء، والطريقة التي اخذ بها هي المثلى فيما اعتقد لان الاولى (الاستقرائية) لا تليق في عقيدتي لغير المبتدئين من الطلاب، والثانية – التقريرية – لا تناسب غير المتوغلين في العلم، وطلاب منتدى النشر الذين لاحظ الأستاذ قابلياتهم لم يكونوا من الطبقة الاولى كما ليسوا هم من الطبقة الثانية، فالحد الوسط ان يعمل الطريقة الاستقرائية فيما يشكل تعقله من مباحث الكتاب كما يهمل ذلك في القواعد السهلة ويكتفي بالتمارين بالطريقة الاستقرائية، في حين أنهم لم يلاحظوا قابليات الطلاب والأستاذ لم يصنف الجماعة مبتدئين وانما طبع المحاضرات التي لو حفلت فيها قابليات تلامذته في كلية منتدى النشر.

وقد صدر من هذا الكتاب جزآن سبق لكاتب هذه السطور[1] أن عرف الأول منهما على إثر صدوره في بعض الصحف كما اعطى فكرة عن علم المنطق وعن مبدأ انتقاله من اليونان الى البلاد الإسلامية وعن التطوارت التي ادخلها الفلاسفة المسلمون، وسجل للمؤلف الفضل في بعض الابتكارات التي ادخلها على العلم كتعريف الحركات الفكرية على نحو ما هو موجود في الجزء الاول.

وهذا الجزء الذي بين ايدينا الان يبحث التصديقات ويبدأ من تعريف القضية ثم تقسيمها الى حملية وشرطية، وهو بهذا يوافق المناطقة في الإسلام وهذا التقسيم- كما تعلمون- من مبتكرات الفلاسفة المسلمين، ثم يتسلسل في تقاسيماتها الاخرى وهو قد يخالف الكتب المتداولة كالحاشية في ذكر بعض الموجهات وترك بعضها.

ثم يدخل في التناقض ويعرضه عرضا مفصلا ويلحقه بفوائد لم تعرض في الكتب المتداولة على نحو ما عرضه كذكره للتداخل والقضاء، ثم يدخل في العكوس ويلحقها بالنقض المبحث الذي لا يقل في قيمته عن مباحث العكوس وان اهملت تفصيلاته في

(١) السيد محمد تقي الحكيم.

بعض الكتب وبعدها يدخل في القياس فيعرض له بجميع اقسامه واشكاله، والقياس هو الغاية تقريبا من علم المنطق وبه وبالتعريف كما يقولون يعصم الفكر عن الخطأ، وهذا المبحث من اجل مباحث الكتاب وبه يظهر عمق المؤلف ومقدار تمكنه من هذا العلم.

اما بعد فهذا عرض عابر لا يدل على كل ما في الكتاب من محاسن، وحسبنا ان نقول عنه اجمالا انه فتح بمؤلفه فتحا جديدا في هذا العلم وطور الدراسة الى ما يرجى لها من التطور، وهو كما قلت طفرة في تاريخ الدراسة في النجف ونرجو ان تتبعها طفرات على ان الكتاب اذا قيس بالمنطق المبثوث في الجامعات العربية ظهر اثر الفرق بينه وبين ما يدرس هناك، وحسب العلامة المظفر انه اخذ أطايب ما يقرأ هناك وما في المنطق القديم ثم اضاف اليها تجاربه الخاصة فكان منها هذا الكتاب.

الكتاب سليم العبارة جيد الاداء جميل التصوير مزود بجداول هامة تقصر، وهو من اخراج لجنة المجمع الثقافي التابع لمنتدى النشر، وقد ظهر في ضمن سلسلة كتبها العلمية.

ولا يفوتنا ان نوصي الادباء والمثقفين بقراءته والاستعانة برجال الاختصاص على فهم ما ييسر فهمه لانه من العلوم التي يضطر الى معرفتها حل المثقفين ونحن في الزمن الذي يعم فيه تدريس هذا الكتاب.

النجف – ابو الهادي [1]

(١) من الأسماء المستعارة للعلامة السيد محمد تقي الحكيم.

٣ – أصول الفقه:

في مجلّدين، وهو حسب ما ذكره المؤلّف (وضع لتبسيط أصول هذا الفن للمبتدئين؛ ليعينهم على الدخول في بحره العميق عندما يبلغون درجة المراهقين، وهو الحلقة المفقودة بين كتاب معالم الأصول وكفاية الأصول، يجمع بين سهولة العبارة والاختصار، وبين انتقاء الآراء الحديثة التي تطوّر إليها هذا الفن).

وقد طبع لأوّل مرّة في النجف عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م بتصدير للإمام الخوئي قدس سره ثمّ أعيد طبعه لمرّات عديدة، كما ترجم إلى اللغة الفارسية.

وقد قام الدكتور الفضلي بتلخيص اهم مباحثه وطبع بعنوان مبادئ اصول الفقه.

كما صدر بعد وفاته كتاب «تتميم كتاب أصول الفقه» للشيخ المرحوم ميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، وهو تلميذ الشيخ المظفّر، وقد بحث فيه (أصالة البراءة، وأصالة الاشتغال، وأصالة التخيير).

وهناك تتمة لاصـول الفقه من تأليف السيد محمد مهدي بن السيد فاضل الخلخالي[1]. وشرح اصول المظفر الشيخ ابراهيم اسماعيل الشهركاني طبع في بيروت في اربعة اجزاء. وللشيخ احمد الشيخ عبد الحسين الاميني ترجمة وشرح على كتاب اصول الفقه يقع في اثني عشر مجلدا صدر منه عام ١٤٠٨ بعض الاجزاء. وشرح أصول الفقه كسؤال وجواب احمد علي اسكندرعابدي من الاجزاء الى نهاية دلالة النهي على الفساد واظفر بمطالب اصول المظفر خالد السويعدي البغدادي في اربعة اجزاء .

ونثبت ماحرره الامام السيد الخوئي قدس سره تقريظا على كتاب الأصول:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين محمد وعترته

(١) ولد سنة ١٣٤٤ في رشت وتتلمذ عند السيد الخوئي وله تقريراته في فقه الشيعة والسيد المحسن الحكيم والشيخ حسين الحلي وهو امام مسجد الصدرية في طهران انظر مجلة الموسم العدد ١٩: ٣٤٨.

الطيبين الطاهرين وبعد، لما كانت معرفة اكثر مسائل علم الفقه متوقفة على البحث عن مسائل لم تحرر في سائر العلوم تصدى العلماء الاعلام (قدس الله تعالى اسرارهم)لتدوين علم الاصول الذي يبحث فيه عن تلك المسائل، فكان هذا العلم يتطور ويتكامل الى ان انتهت الرئاسة العلمية الى المحقق العلامة شيخ الاساطين استاذ الفقهاء والمجتهدين الشيخ مرتضى الانصاري تغمده الله فاجتهد في تنقيحه وتحريره حتى اصبح خلوا من المباحث التي كانت تأخذ بالطالب يمنة ويسرة دون ان تتفرع عليها اية ثمرة فقهية، واستبدل بتلك المباحث مباني واسسا رصينةكانت قبله على جانب من النقص او الاهمال ولذلك اخذت آراؤه محورا للابحاث العالية الاصولية نقضا وابراما.

ومع ذلك فان الكتب الاصولية التي نسخ كثير من مسائلها واقوالها هي التي بقيت يدرسها الطالب المبتدئ والمتوسط حتى اليوم، ولذلك فإن الطالب حينما يصل الى الدرس العالي يجد انه لاعلاقة بين ماتعلمه وما يتعلمه الآن.

وكنت منذ زمن بعيد ارغب في ان يؤلف كتاب في هذا العلم تلائم ابحاثه الابحاث العالية ويقوم بتدريسه على طلاب العلوم الدينية، حتى قدم لي العلامة الحجة الشيخ محمد رضا المظفر دامت تأييداته مارتبه من المباحث الاصولية في القسم الاول من كتابه (مبادئ علم الاصول) ترتيبا جميلا، فالفيته – بحمد الله – وافيا بالمقصود وجامعا بالموجز من القواعد والاصول التي تدور عليها رحى الابحاث في عصرنا الحاضر.

وجدير بطالب العلم ان يدرس هذا الكتاب ليتهيأ بذلك للانتفاع بالدراسات العالية ونسأل الله تعالى ان يوفق المؤلف دام فضله لانجاز القسم الثاني من كتابه انه ولي التوفيق.

حرر في الليلة الحادية عشرة شهر ربيع الاول ١٣٧٧

أبو القاسم الموسوي الخوئي

٤ – عقائد الشيعة:

وهو من الكتب القيمة التي كان لها الاثر الكبير في سد الفراغ لطلاب المعرفة العقائدية وقد ألفه رحمه الله سنة ١٣٦٣هـ بدافع القائه محاضرات دورية في كلية منتدى النشر الدينية للاستفادة منها تمهيدا للابحاث الكلامية العالية لينتفع بها المبتدئ والمتعلم والعالم ثم يقول: وما كنت يومئذ قد اعددتها مؤلفا ينشر ويقرأ... وعندما حصلت المبادرة للطبع والنشر يذكر:جمعت في رسالة مختصرة موصولة الحلقات لتدرأ كثيرا من الطعون التي الصقت بالامامية ولاسيما بعض كتاب العصر في مصر وغيرها.....وما يهمنا من هؤلاء وغير هؤلاء ان يستمروا على عنادهم مصرين لولاخشية ان ينخدع بهم المغفلون فتنطلي عليهم تلك التخرصات وتورطهم تلك الهجمات في اثارة الاحقاد والحزازات [١].

ومما كان يؤرق المظفر في هذا الجانب قوله: نحن في قمة الصراع العقائدي الذي يستهدف فيه القضاء على البقية الباقية من الإسلام وكل مسلم مؤمن برسالة الدين الإسلامي لابد ان يشعر شعورا عميقا بان عليه واجبا ثقيلا ينوء به الابطال المجاهدون من الرجال....[٢]

وقد حظي الكتاب بالانتشار الواسع حيث يمثل في حقيقته تبويبا ملخصا دقيقا لأصول المنظومة العقائدية عند الشيعة الامامية بالامكان الانفتاح عليها واغناؤها بما يستكمل المشروع المظفري، ولولا القدر الجاري الذي اختطف الشيخ المظفرلكان قد اغدق بالعطاء الوافر في باب التأليف العقائدي، ومع ذلك فان ما حققه الشيخ في

---

(١) تصدير المظفر لكتابه العقائد الطبعة الاولى في المطبعة الحيدرية النجف بتاريخ ١٧ / جمادى الآخرة/ ١٣٧٠هـ.

(٢) افتتاحية مجلة النجف السنة الخامسة العدد الاول جمادى الاولى ١٣٨٢هـ – تشرين الاول ١٩٦٢م.

عقائده يعد خطوة تأسيسية هامة.

طبع بهذا العنوان عام ١٣٧٣هـ في المطبعة الحيدرية بالنجف، ثمّ أعيد طبعه في مصر بهمّة السيّد مرتضى الرضوي مع تغيير العنوان إلى «عقائد الإمامية» وهو هذا الكتاب.

وقد أشرنا سابقاً إلى إعادة طبعه مكرراً في العراق وإيران وبيروت والقاهرة، وهو هذا الكتاب الذي وفّقنا إلى إصداره بطبعته المحقّقة الأولى وسيراها القارئ ضمن احد اجزاء الموسوعة بطبعة جديدة منقحة عن الطبعة الاولى ومزيدة.

وقد حظي الكتاب بطبعات كثيرة وفي بلدان مختلفة وبترجمات بلغات عالمية عديدة التي جاوزت العشرين لغة حية، وصدرت الطبعات المترجمة للنسخة المحققة التي هي احد اجزاء الموسوعة بعناية ونشر مؤسسة الامام علي للترجمة احدى مؤسسات مكتب المرجعية الدينية العليا للسيد السيستاني دام ظله في قم، ومنها على سبيل الشاهد الانكليزية والفارسية والتركية والبمبارية واللنكارية والهوسا والكردية والفرنسية والآذرية والايطالية والاسبانية والاوردية والبوسنية وغيرها، وكانت الترجمات رصينة باقلام مترجمين أكفاء وشروح مطبوعة ومسموعة لانه من الكتب المعتمدة في تدريسه في الحوزات العلمية والاكاديمية، وصدرت عدة شروح للكتاب منها الفوائد البهية في شرح عقائد الامامية للشيخ محمد جميل حمود في جزأين وكتاب بداية المعارف الالهية في شرح عقائد الامامية للسيد محسن الخرازي في جزأين والف الاستاذ فارس علي العامر كتابا بعنوان عقائد الامامية بثوبه الجديد وافاد عن تعريف كتابه: ان كتاب عقائد الامامية للشيخ المظفر من الكتب العقائدية المهمة التي امتازت بالمنهجية والبيان الواضح الا انه جاء مختصرا مجردا عن الادلة والبراهين العقلية والنقلية الا القليل، ونظرا لاهمية هذا التراث النفيس واعتزازا به وبمؤلفه وبعد التوكل على الله عزوجل اقدمت على صياغته باسلوب علمي جديد مستوعب للادلة العقلية والنقلية محافظا على الخطوط العريضة

للكتاب.

وقد طبعت ترجمته إلى اللغة الانكليزية لمرّتين دون ذكر اسم المترجم، كما طبعت ترجمته إلى اللغة الفرنسية من قبل الدكتور عباس البستاني في فرنسا وفي إيران، وكذلك طبعت ترجمة الكتاب إلى اللغة التركية بعناية المترجم البروفسور عبد الباقي كولبيفارلي، كما ترجم إلى اللغة البوسنية وطبع من قبل الرابطة الإسلامية في كرواتيا وأسلوفينيا.

وترجمه الى اللغة الفارسية بعنوان عقايد وتعاليم شيعةمحمد مجتهدي شبستري وطبعه مؤسسة محمدي سنة ١٣٤٧ طهران.

٥ – الفلسفة الإسلامية:

وهي دروس في الفلسفة تصدى لتدوينها الكثير من تلامذة الشيخ اثناء القائها ومنهم عبد الحليم البغدادي، ولكنها لم تطبع، كما أن مجلة النجف نشرت بعضاً من هذه المحاضرات مذيلة بتعليقات المرحوم العلاّمة الشيخ محمد كاظم شمشاد استاذ الفلسفة الإسلامية في كليّة الفقه. واعيد نشر قسم منها من قبل دار الزهراء في بيروت وصدرت بعنوان قطوف دانية ومعها مجموعة من بحوث اخرى للشيخ.

اما الطبعة المتكاملة – الى حد ما – وهي مجموعة المحاضرات التي ألقيت على تلاميذه اثناء تدريسه الفلسفة الإسلامية في السنوات الثلاث الأولى لتأسيس كلية الفقه في النجف الاشرف، وقد طبع البعض من هذه الكراسات التي وزعها الشيخ في حينه باعداد وعناية تلميذه السيد محمد تقي الطباطبائي التبريزي بمطبعة امير وباصدار مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر – السيد الجزائري – في مدينة قم المقدسة بايران بتاريخ رمضان من عام ١٤١٣ للهجرة.

وقد ذكر الناشر في كلمته: (ان هذه الدروس الفلسفية خلت بحد الامكان عن

التعقيدات اللفظية والمبهمات المعنوية التي توجد غالبا في تأليف من كتب قبله في هذا الموضوع، وانه –رحمه الله –ألقى هذه الدروس بنفسه على تلاميذه في جامعته التي أسسها في النجف الاشرف أعني –كلية الفقه –عام ١٩٥٨و١٩٦٢ ثم نشرها في كراسات وأوراق طبعت على جهاز رونيو (استنسل) وحفظها بعض تلاميذه حينما أضاعها آخرون، ومضت على ماحفظ منها كرّ الغداة و مر العشي حتى آلت الى الاصفرار وكادت أن تنمحي فلايبقى لها أثر ولاعين).

وهي في (١٤٩ صفحة) موزعة بين طيات الكتاب على شكل دروس، منها سبعة دروس القيت على طلاب السنة الاولى بعنوان (مباحث الوجود) تبدأبالتمهيد وتنتهي بالدرس المعنون بـ–إعادة المعدوم – وثمانية دروس لطلاب السنة الثانية، الدرس الاول منها في (مباحث الوجود الذهني) وآخرها في بحث موضوع (الجهات إعتبارات ذهنية)، وكانت المحاضرات في السنة الثالثة تتعلق في مباحث (العلة والمعلول) وأما محاضرات المظفر الفلسفية على طلبة الصف الرابع وهي السنة المنتهية في كلية الفقه فقد أملاها عام ١٩٦١ –١٩٦٢ وهي موزعة على اثنين وثلاثين درسا، يبدأ الدرس الاول منها حول (الفلسفة وعلم الكلام)، وتاريخ القائه يوم الثلاثاء المصادف ١٠/ ١٠/ ١٩٦١والدرس الاخير في البحث حول (دخول الشيء في القضاء والقدر) وتاريخ القائه يوم الاربعاء ١١/ ٤/ ١٩٦٢.

في معرض الاشارة الى المحاضرات الفلسفية لا بد من معرفة ان الشيخ المظفر بدأ مبكرا بالاهتمام في دراسات العلوم العقلية، يذكر المرحوم جعفر الخليلي وهو رفيق الصبا للمظفر: (وشاع يومذاك ونحن في أوّل أدوار الشباب علم استحضار الأرواح، وقد أخرج (الطنطاوي) فيه كتاباً، فرحنا ننشد المتعة بسببه من طريق جديد إضافة إلى وسيلة الشعر والتقفية، واحضر لنا الشيخ عباس الشيخ مشكور منضدة من الخشب

تقوم على ثلاث قوائم وقد كتبت على كلّ قائمة حروف وخططت خطوطاً، وقال لنا أنّه يستطيع أن يحضر أرواح الموتى بواسطة هذه المنضدة، فجئنا أنا والشيخ محمّد رضا والسيّد جعفر الكيشوان نجرّب، وقد نجحت التجربة وبدأت إحدى قوائم المنضدة تتحرك –وليس هنا وقت تعليل القضية وذكر الأسباب – وقد أحضرنا عدداً كبيراًمن الأرواح على قدر ما كانت تسنح لنا الفرصة، وبدأنا نتفنن كلّ يوم في وضع الأسئلة، وقد حملتنا هذه اللّذة على متابعة هذا الموضوع والبحث عن الروح وماهيتها في بعض ما كنّا نحصل عليه من مجلات كالهلال والمقتطف والعرفان، وأحسب أن هذا هو مبدأ اقبال الشيخ محمّد رضا المظفر على مطالعة الكتب الحديثة، ولعلّ قضية تحضير الأرواح هي التي ساقته إلى التعمق والتغلغل في دراسة الإلهيّات والتصوف ودراسة فلسفة الملا صدرا وتفهم اسفاره فيما بعد، ولعلّ هذه الميول هي التي جعلته يبحث عن الأسس والأصول الإسلاميّة، وعن طريق هذه الميول أقبل كما أقبلت أنا يومها على تتبع ما كان يضعه الشيخ جواد البلاغي وما كان يقول به في الردّ المنطقي المبني على المعقول على كلّ من كان يأخذ على الإسلام وأصوله من مستشرقين وغير مستشرقين من المآخذ الأساسيّة، فقد كان الشيخ جواد البلاغي من العلماء الذين انفردوا بالاطلاع الواسع وبناء ردّه ونقده على المنطق في الغالب ولم يعرف عصرنا نظيراً له وللسيّد عبد الحسين شرف الدين في هذا الميدان)[1].

وفي استمراره بطي مراحل دراسته في الحوزة لازم أستاذه الشيخ محمد حسين الاصفهاني الشهير بالكمباني ملازمة قوية دامت خمسة عشر عاما وانطبع بكثير من آرائه في الأصول والفلسفة وكتب الكثير من ابحاثه ودروسه، ونلمح تأثره به في ترسمه خطى منهجته لدراسة الاصول في كتابه (أصول الفقه) وتقسيم مباحثه كما يشير هو

(١) هكذا عرفتهم الجزء الثاني.

لذلك في كتابه أصول الفقه[١]. ويمتاز كتابه هذا بتبويبه الحديث وهذه الجدة في التبويب ليست في واقعها من بنات افكار المؤلف، بل هي مستقاة من استاذه الاصفهاني كما يشير هو في مقدمة بحثه. فقد كان يجله إجلالاً كبيراً كلما جرى له ذكر أو أتيح له أن يتحدث عنه، ويخلص له الحب والاحترام أكثر مما يخلص تلميذ لأستاذه بل يلمس القارئ هذا الشعور والوفاء فيما كتب المظفر عن أستاذه في مقدمات كتبه الفقهية والفلسفية وفي مقدمات الاسفار وغيرها من رسائله ومقالاته.

ولا يبعد أن يكون الاستاذ السيد ميرزا حسن البجنوردي هو أحد أساتذته في الفلسفة كما يذكر هو ذلك في مقدمة كتابه المنطق[٢]. ومما أمتاز به كتابه المنطق (التوفيق بين مايسميه هو بمنطق الفلاسفة والمنطق الدارج).

٦ – أحلام اليقظة:

في ترجمة الحكيم صدر الدين الشيرازي – صاحب الأسفار – ومحاولة عرض فلسفته بأسلوب الحوار القصصي الذي يسهل أمام القارئ فهم الكثير من القضايا الفلسفية ويشوقه الى متابعتها، وهي مجموعة محاضرات كان قد ألقاها في قاعة المجمع الثقافي لمنتدى النشر، نشر قسماً منه في مجلّتي العرفان الصيداوية، والدليل النجفية.في الفلسفة نشر أكثره في المجلات العربية كالعرفان والهاتف والدليل والفكرنشرته جمعية منتدى النشر في طبعته الاولى مطبعة الضياء النجف ٢٠٠٩، وطبعته الثانية ستكون من اجزاء هذه الموسوعة وربما كان الشيخ نديم الجسر مؤلف (قصة الايمان)قد سبق له ان اطلع على بحوثه فجرى على منواله في كتابه المذكور؛ لان المظفر الف كتابه في ١٢/ ربيع

(١) كتابه اصول الفقه ١ : ٧.

(٢) الطبعة الاولى المقدمة.

الثاني / ١٣٦٥هجرية.[١]

٧ – أضغاث احلام:

كراس صغير لا يزال مخطوطا يضم أربعة أحلام، يظهر فيها المظفر معاناته من جراء الاوضاع السائدة وفيها نقد رمزي لبعض الزعامات، اخبرني الشيخ جعفر الكوثراني بانه يوجد في مكتبة والده المرحوم الشيخ محمود الكوثراني وهي في جملة كتابات واوراق للمظفر بحوزة الشيخ محمد الكوثراني وقد قدمها شاكرا لطبعها في هذه الموسوعة.

٨ – حاشية على كتاب المتاجر للشيخ الأعظم الأنصاري:

وهي تعليقة على جملة من المطالب تقع في قسمي البيع والخيارات، وقد أبان فيها عن مقاصد الشيخ مع التعرّض لمناقشات الأعلام لآراء الشيخ سواء الموجودة في الحواشي على الكتاب أم في مجالس أبحاثهم، وقد اشار المؤلف الى ذلك في ثنايا كلامه في الحاشية، وقد وصل في قسم البيع إلى بيع أم الولد، وفي الخيارات وصل إلى خيار الرؤية، بدأ فيه الشيخ بتأريخ ٢٧ شوال ١٣٥٢هـ أنجز تحقيقه وطبعه الشيخ جعفر الكوثراني العاملي عام ١٤٠٣ في أربعمائة صفحة.

٩ – آراء صريحة:

وقد دونها سنة ١٣٦٩ ذكر المظفر في مقدمته: (أحرر هذه الآراء الصريحة لنفسي وحدي ولا أرضى ان يقف عليها احد في مدة حياتي اما بعد الوفاة فذاك لمن يتولاها وله رأيه وليس لي ان احكم عليه حتى لوشاء ان يذيعها بل ينشرها مطبوعة) ثم يختم المقدمة.. واذا كنت اطمع في شيء انما اطمع في خدمة الحق لوجهه الكريم واذ يمنعني

(١) وقفة على ديوان المظفر، مقدمة ديوان المظفر جمع وتحقيق محمد رضا القاموسي (النسخة المخطوطة).

الخوف من اذاعة هذه الآراء ولا اجد لها حملة اقنع في تسجيلها لنفسي وحدي.

وقد بقيت كراسة هذه الآراء حبيسة مخطوطة، واول من بادر لنشرها الدكتور جودت القزويني في موسوعته التاريخية ثم بدا للاستاذ محمد رضا القاموسي ان ينشرها ضميمة تحقيقه لأوراق المظفر، وتمنى على قرائها – اليوم خاصة – بأن لاتقرأ بعين واحدة الى آخر ماأشار اليه في الاضاءة التي قدم بها الآراء، ولعل الزمن يفصح عمن يتقمص خواطر الشيخ المظفر فيفهمها بحسن نية وقلب طاهر فهوتقمص كما يقول المثل: ان الزمان بمثله لعقيم....!!

١٠ – كان الشيخ المظفّر رحمه الله غزير الإنتاج بما كتبه من مقالات هامّة وبحوث ودراسات نشرت في كثير من الصحف والمجلات العربية باسمه الصريح واسمه المستعار، كان منها: الهاتف،والدليل والحضارة والنجف، والكحلاء والهدى بالعمارة، و(العرفان) بصيدا، والمرشد العربي باللاذقية، والفكر ببغداد، ومجلة الرسالة للزيّات بمصر، وغير ذلك، وقد حاولنا الإلمام بما توفر منها وصنفت بحسب موضوعاتها وستكون ضمن الموسوعة في ثلاثة اجزاء، الاول عنوانه دراسات وبحوث فلسفية والثاني من وحي الفكر والثالث سير وتراجم نجفية نلفت لها عناية القارئ الكريم، وفيما يلي عناوين البعض من هذه المقالات:

١. فلسفة ابن سينا: في ترجمته ونقد بعض آرائه، نشر قسم منه في مجلّة البذرة العدد الخاص بالذكرى الألفية لابن سينا.

٢. المثل الأفلاطونية عند ابن سينا: نشر في العدد المشار إليه في الفقرة السابقة بتوقيع مستعار (فيلسوف نجفي).

٣. فلسفة الكندي: نشر في مجلة النجف.

٤. الزعيم الموهوب السيّد أبو الحسن الأصفهاني: نشر في مجلة الدليل النجفية.

٥. مقالة عن الصحافة: في مجلة النحف.

٦. توجيهات إلى طلاب كلية القفه: مجلة النجف.

٧. حرية الإنسان وارتباطها بقضاء الله: مجلة النجف.

٨. علي مع الخلفاء: نشر في كتاب «أسبوع الإمام» ثمّ الحق في كتاب «السقيفة».

٩. اسمعني: مجموعة مقالات، نشرت في جريدة الهاتف النجفية.

١٠. الشيخ الطوسي مؤسّس جامعة النجف: مجلة النجف.

١١. الحجر الأساسي لمنتدى النشر.

١٢. فلسفة الإمام علي: وهو موضوع محاضرته التي ألقاها في المؤتمر المنعقد في الباكستان بمناسبة ميلاد الإمام علي عليه السلام.

١٣. بين جامعة النجف وجامعة القرويين محاضرة ألقيت في جامعة القرويين بالمغرب.

١٤. نظام منتدى النشر. وغيرها.

وقد قام الشيخ بتقديم كتب كثيرة، تعتبر كلّ مقدّمة منها دراسة متكاملة في بابها، منها:

١. تصحيح وتقديم كتاب «الحج» من شرح القواعد للشيخ محمد حسن المظفر، مط النعمان النجف ١٩٥٩ المجلد السابع في ٥٢٠ صفحة.

٢. كتاب «تذكرة الفقهاء» للعلاّمة الحلّي، حيث طبع الجزء السابع والثامن منه بتحقيق وتصحيح السيد مرتضى الخلخالي، ونفقة السيد محمد كلانتر.

٣. كتاب «جامع السعادات» للمولى النراقي، الذي أصدرته جامعة النجف الدينية.

٤. «تحفة الحكيم» – منظومة في الحكمة – لأستاذه الشيخ الكمباني.

٥. حاشية المكاسب لشيخه الكمباني كذلك.

٦. كتاب «جواهر الكلام» للشيخ محمد حسن النجفي.

٧. كتاب «الأسفار المتعالية» للفيلسوف ملا صدر الدين الشيرازي.

٨. كتاب «مشهد الإمام» لمحمد علي جعفر التميمي في تأريخ النجف.

٩. القصيدة الأزرية وتخميسها للشيخ جابر الكاظمي.

١٠. كتاب «تأريخ الكوفة» للسيد حسون البراقي.

١١. كتاب «تأريخ الديوانية» للحاج وداي العطية.

١٢. كتاب «مالك الأشتر» للسيد محمد تقي الحكيم.

١٣. رشحات الفيوض في علم العروض للشيخ علي الجواهري.

١٤. كتاب «العقد المنير في تحقيق ما يتعلق بالدراهم والدنانير» تأليف السيد موسى الحسيني المازندراني.

١٥. ساهم في تحرير منشورات جماعة العلماء في النجف.

١٦. كتب بقلمه منشورات صدرت باسم الهيئة العلميّة في النجف حول انتهاك الشاه المقبور لحرمة المقدّسات الإسلامية ومحاربته للمرجعية الدينة.

وممّا كتبه الشيخ المظفر وبقي مخطوطاً لحدّ الآن:

١. بحوث في علم الكلام مفقودة.

٢. رسالة عملية في ضوء المنهج الحديث، أنهى منه مقدّمة في أصول الدين وبعض كتاب العبادات.

٣. تأريخ الإسلام، وهومحاضرات القاها على طلابه في فترة مبكرة في السيرة كتبه بألفاظ الروايات والأحاديث، يذكر السيد محمد حسن القاضي ان لديه قسما مما دونه منها، الاانه عند سفره من العراق الى ايران تركها في بيته بالنجف ولايعرف مصيرها لحد الآن.

تلامذته

مما جرت به تقاليد الدراسة في الحوزات العلمية عادة ان الطالب في تواصله الدراسي بكل مرحلة بعد تحصيله لمستوى معين فيها يقوم بتدريس الموادالدراسية على مجموعة او افراد من الطلاب، وهكذا يتسابقون بينهم ويبرز في هذه العملية النابهون من المحصلين ويشار اليهم ويسعى البعض من الطلبة للتوسط من اجل ان يوفق الاستاذ لقبوله في حلقته.

وقد كان الصحن الحيدري الشريف يشهد حضورا علميا للمباحثات العلمية بين كل طبقة معينة مع نظيرتها، ولذا فإن شيخنا درج في شأنه الدراسي على هذه السيرة وعندما بدأ دراسته كان له حضور متميز، ويذكر مؤرخوه انه لفضيلته كان يتنقل في هذه الحلقات بين طبقة تلامذته واساتذته لنباهته وذكائه على أنّ الذين كانوا يستلفتون الأنظار بجدهم وانغماسهم في الدروس لم يزيدوا بين مئات الشبان من أمثالهم يومذاك على بضعة أنفار كان من أبرزهم الشيخ محمّد رضا، والسيّد حسن الحكيم، وكان الشيخ مهدي الحجار ألمع أولئك جميعاً ولكنه كان أكبر من تلك الزمرة سنّاً.

ولمع الشيخ محمّد رضا كطالب علم وكأستاذ يتحلق حوله عدد من الطلاب، وقد بدأت حلقة طلابه تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم، وكان الشيخ محمد رضا من أكثر من كان يضيق بالوسطاء لقبول من يتوسطون له في حلقته.

وينقل عنه بعد ان أكمل الشيخ المظفر مسيرته العلميّة في الدرس العالي لدى الأستاذين العراقي والأصفهاني حتّى عاد من المبرزين في علم الاصول، وقد استقل بعدهما بتدريس الأصول، وتخصص بتدريس «فرائد الأصول» المعروف بكتاب «الرسائل» للأستاذ الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري (ت: ١٢٨١هـ) وكان ذلك في

المدرسة العلميّة للمرجع السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (ت: ١٣٣٨هـ) الواقعة إلى اليوم في الفرع الثالث بين تقاطع شارع الرسول وسوق الحويش في النجف، ففي الطابق الأوّل من هذه المدرسة أيوانان للتدريس، أشغل الأستاذ المظفر أحدهما لتدريس فرائد الأصول، وأشغل الثاني السيّد عبد الكريم السيّد علي المدني لتدريس الفقه الإسلامي[١].

فكان للشيخ المظفّر – شأن العلماء الأعلام في الحوزة العلميّة – مدرسة ضمّت من تلاميذه وروّاد فكره؛ حيث انعقدت مجالسه للبحث والدرس او في داره بشكل دروس خاصّة، أو في مجالس اقرانه أو على مستوى مدارس منتدى النشر وكليّة الفقه العامرة.

وقد تخرج على يديه كثير من التلامذة والطلاب في مراحل دراسية متعددة زمانا ومكانا، واستمر تدريسه الى حين التزاماته وانشغاله برعاية المشاريع التي جاهد لتأسيسها واقتصر بالتدريس على مدارس جمعية منتدى النشر وكلية المنتدى سابقاً والفقه بعد ذلك.

ولا نستطيع على مختصر ما نقدّمه من سيرة الشيخ أن نلمّ بصورة تفصيليّة بأسماء الأعلام من تلاميذه كافّة، منوها الى ان مسألة التلمذة على الشيخ المظفر تختلف من مرحلة دراسية الى مرحلة اخرى في دراسات الحوزة العلمية وفي مستوى الدراسة بمراحلها المعروفة، وكذلك بما القاه من محاضرات على طلبته في كلية منتدى النشر اوكلية الفقه وان لكل من تلامذته الاعلام مقامه وشخصيته.

وفي هذا الصدد اود قبول العذر مما اثبتناه من الاسماء الكريمة للتلامذة الافاضل بهذا القدر اليسير على ترتيب الحروف الأبجدية مع حفظ الألقاب:

١. الشيخ أحمد الدجيلي

(١) راجع القسم الرابع، دراسات في الشخصية العلمية للمظفر. بحث الدكتور الصغير.

٢. السيد أحمد زكي تفاحة
٣. السيّد أحمد شوقي الأمين
٤. الشيخ أحمد القبيسي
٥. الشيخ أحمد محمّد حسن المظفّر
٦. الدكتور الشيخ أحمد الوائلي
٧. الدكتور الشيخ باقر المقدسي
٨. الشيخ تقي الخاقاني
٩. الشيخ جعفر آل إبراهيم المهاجر
١٠. الشيخ جعفر الهلالي
١١. الشيخ جعفر صادق العاملي
١٢. الشيخ جعفر الظالمي
١٣. السيد جواد شبر
١٤. الشيخ جواد قسّام
١٥. الدكتور السيد حازم سليمان الحلي
١٦. السيّد حسن إبراهيم شبر
١٧. السيّد حسين الخرسان
١٨. السيد حسين محمد تقي بحر العلوم
١٩. الشيخ حسين الصغير
٢٠. حسين عبود
٢١. الشيخ سليمان المدني
٢٢. الشيخ صادق الشيخ باقر القاموسي

٢٣. السيد صادق السيد ياسين الصعبري

٢٤. صاحب عبد الأمير القاموسي

٢٥. الشيخ صالح مهدي الظالمي

٢٦. صباح عبد الجبّار الصيّاح

٢٧. الدكتور السيّد طالب الحسيني الرفاعي

٢٨. الشيخ عارف البصري

٢٩. الدكتور عباس الترجمان

٣٠. عبد الباقي المسقطي

٣١. السيد عبد الحسين الحجار العوادي[١]

٣٢. السيد عبد الحليم البغدادي

٣٣. الشيخ عبد الحميد الحرّ

٣٤. السيد عبد الرحيم الشوكي

٣٥. الشيخ عبد الصمد الكرماني

٣٦. الشيخ عبد العالي المظفّر

٣٧. عبد الغني الجابري

٣٨. السيد عبد الكريم القزويني

٣٩. الشيخ عبد المجيد الصيمري

٤٠. الشيخ عبد المنعم (نعمة) الساعدي

٤١. الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي

٤٢. الدكتور السيد عبد الهادي محسن الحكيم

---

(١) الخاقاني: شعراء الغري ٥: ٣٣١.

٤٣. السيد عدنان البكاء

٤٤. عبد الرزاق الشيخ صاحب الطريحي

٤٥. الشيخ غلام رضا عرفانيان اليزدي[١]

٤٦. كاظم باقر المظفر

٤٧. كاظم سعيد الطريحي

٤٨. الشيخ محمّد الأزيرجاوي

٤٩. السيد محمد إبراهيم شبر

٥٠. الدكتور السيد محمّد بحر العلوم

٥١. السيد محمد تقي الطباطبائي التبريزي

٥٢. السيد محمد تقي الحكيم

٥٣. محمد تقي الصحاف

٥٤. الشيخ محمد جعفر شمس الدين

٥٥. السيّد محمّد جمال الهاشمي[٢]

٥٦. الشيخ محمد الشيخ راضي

٥٧. الشيخ محمد سعيد مانع

٥٨. الشيخ محمد علي العمري المدني الحجازي

٥٩. محمد علي عبد الصاحب الحسني العاملي

٦٠. السيد محمد مهدي الخرسان

٦١. السيد محمد علي الحكيم

---

(١) أشار إلى ذلك في كتابه تتميم كتاب أصول الفقه الذي نشر فيه صورة فوتغرافية من إجازة الشيخ المظفّر له.

(٢) شعراء الغري ١١: ٣.

٦٢. الشيخ محمد كاظم الطريحي

٦٣. السيد محمد رضا محمد حسين الحكيم

٦٤. السيد محمد رضا السيد قاسم شبر

٦٥. السيد محمد جواد الدجيلي

٦٦. الشيخ محمد جواد الشيخ راضي

٦٧. محمد جواد الغبان

٦٨. الشيخ محمد جواد المظفّر

٦٩. الشيخ محمد حسن الطريحي

٧٠. الشيخ محمد حسن آل ياسين.

٧١. السيد محمد حسن القاضي

٧٢. السيد محمد حسين الصعبري

٧٣. محمد حسين المحتصر

٧٤. السيد محمد رضا جعفر الحكيم

٧٥. الحاج محمد رضا المسقطي

٧٦. محمد سعيد القرملي

٧٧. محمد سلمان الخاقاني

٧٨. محمد صادق القاموسي

٧٩. السيد محمد صالح بحر العلوم[١]

٨٠. الشيخ محمد صالح آل الشيخ راضي

٨١. السيد محمد صالح الخرسان

---

(١) المصدر السابق ٩: ٣٢٢.

٨٢. السيد محمد الصدر

٨٣. الشيخ محمّد عبد الله الهجري

٨٤. المحامي محمّد عبد الأمير القاموسي

٨٥. الشيخ محمد علي إبراهيم المهاجر

٨٦. الشيخ محمد علي الايرواني

٨٧. السيد محمد علي الباقري

٨٨. الشيخ محمّد علي التسخيري

٨٩. السيد محمد محمد حسين الحكيم

٩٠. الشيخ محمّد مهدي الآصفي

٩١. السيد محمد موسى الجصّاني

٩٢. الدكتور محمود البستاني

٩٣. الشيخ محمود الكوثراني

٩٤. الدكتور محمود المظفّر

٩٥. السيد مرتضى الحكمي

٩٦. الشيخ مسلم الجابري

٩٧. الدكتور السيد مصطفى جمال الدين

٩٨. الشيخ مهدي السماوي

٩٩. السيد موسى بحر العلوم[١]

١٠٠. السيد مير حسن علي أبو طبيخ

١٠١. السيد هادي فيّاض

---

(١) المصدر السابق ١١: ٥٢٢.

١٠٢. الشيخ يونس المظفّر

١٠٣. الشيخ محمد حسن الاصطهباناتي[١]

١٠٤. السيد يوسف السيد محسن الحكيم

١٠٥. السيد عبد المحسن الحكيم

١٠٦. الدكتور عبد الرزاق محي الدين

١٠٧. عبود الجابر

١٠٨. عبد الصاحب دخيل

١٠٩. الشيخ عبد الجليل الشيخ يوسف شختور

١١٠. السيد علي عبد الحكيم الصوافي

١١١. الشيخ عبد الرحيم الحلفي

١١٢. الشيخ عبد الرضا صادق العاملي

١١٣. الشيخ ضياء الخاقاني

١١٤. الشيخ عبد العزيز الحلفي

١١٥. خليل رشيد

١١٦. الشيخ جعفر شمس الدين

١١٧. السيد عبد الامير صفي الدين

١١٨. الشيخ عباس الخاقاني

١١٩. السيد نوري لعيبي

١٢٠. السيد جعفر محمد القزويني

---

(١) ولد عام ١٣٥٠ وهاجر مع والده الى النجف حضر عند السيد المحسن الحكيم والسيد الخوئي وتتلمذ عند الشيخ المظفر وعاد الى طهران عام ١٤٠٠.

ترجم له معجم رجال الفكر والادب في النجف للشيخ محمد هادي الاميني ١: ١٢٨.

١٢١. الشيخ عارف البصري

١٢٢. الشيخ علي الفضلي

١٢٣. جابر عبد الحميد الخاقاني

١٢٤. عبد العظيم البكاء

١٢٥. جعفر هادي

١٢٦. الدكتور مجيد عبد الحميد ال ناجي.

مكتبته

كانت للشيخ المظفر مكتبة شأن امثاله من العلماء وفيها مجموعة من الكتب التي اختارها اواهديت اليه، وبعد تأسيس جمعية منتدى النشر قدمها هدية لمكتبة الجمعية ليستفيد منها طلاب المعرفة، ثم بعد ان ابتلي البلد بالمحن السود ومنها ماطال دور العلم وخزائن الكتب من الاتلاف بشتى الوسائل، وكان نصيب مكتبة المنتدى من جملتها وأصبح خبرها اثرا بعد عين وبعد السؤال و التتبع واهتمام المخلصين من الافاضل المعنيين بهذا الشأن كانت محصلة البحث – في الوقت الحاضر – ما سجّلناه من مخطوطات مكتبة المظفر:

١ – ديوان الشيخ عباس بن الحاج عبد السادة الاعسم (١٢٤٨– ١٣١٣) عالم اديب شاعر وهو خال السيد محمد سعيد الحبوبي له ديوان شعر تعددت نسخه، وذكر الخاقاني ان النسخة التي اطلع عليها بخط الشيخ محمد رضا المظفر لم يعلن ختامها تقع في ١٥٦ صفحة، عدد السطور ١٦ طوله ٢١ سم عرضه ١٣ سم سمكه ٣–١ سم [١].

٢– مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة، تأليف السيد محمد جواد بن محمد الحسيني العاملي ت١٢٢٦هـ كتاب الخيارات والعقود والرهن والحوالة والكفالة والصلح والشركة والوديعة والاجارة والوصايا والرضاع والطلاق والاقرار.

أول النسخة:(والحمد لله رب العالمين.. قوله: الفصل الثالث في الخيار) وهولغة الاسم من الاختيار بمعنى ثبوت الخيرة في الشيء..).

آخر النسخة: يفيد كونهم حاكمين بمثل ماحكمنا به من كون اقراره الثاني اقرارا عائدا الى تكليف نفسه، فلا تغفل والله هوالعالم بحقائق احكامه وهو العاصم من

(١) علي الخاقاني ،شعراء الغري ٤: ٤٦٩.

الخطأوالخلل انه اكرم من سئل والحمد لله رب العالمين.

نسخ غرة شهر رجب سنة ١٢٧٣.... وعليها تملك الشيخ محمد رضا المظفر في سنة ١٣٧٧هـ[١] عليها قيمة شراء النسخة (٢٠٠) فلس.

٣- يتيمة الدهر ومحاسن اهل العصر، تأليف ابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري ت٤٢٩هـ.

أول النسخة: (القسم الثالث من كتاب يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر يشتمل على ملح اهل الجبال وفارس.....).

آخر النسخة:(انتهى الباب العاشر وبه تم الكتاب وبقي على ذكر قوم من اهل نيسابور.....).

نسخ محمد علي بن حسب الله البلدي يوم الخميس ١١ شهر رمضان ١٢٤٦هـ في دار المرحوم ملا علي النوري في اصفهان كتبها الناسخ كما جاء في آخرها وهو مريض سقيم من نسخة سقيمة مغلوطة، ابتدأ في نسخها في سفره حين خرج من بغداد في ١٥ ذي الحجة سنة ١٢٤٥هـ وأتمها في اصفهان وكتب اكثرها بالطريق عليها تملك الشيخ محمد رضا المظفر في محرم الحرام سنة ١٣٧١هـ[٢].

٤ - المحصول في علم الأصول، تأليف المقدس الكاظمي. محسن بن الحسن الاعرجي ت ١٢٢٧هـ.

أول النسخة: (الحمد لله رب العالمين... أما بعد فهذا هو الفن الثاني من كتاب

---

(١) فهرس مخطوطات مكتبة الامام الخوئي في النجف الاشرف، اعداد وفهرسة احمد علي مجيد الحلي الجزء الاول: ٣٣٨ ، اصدار مكتبة دار ومخطوطات العتبة العباسية المقدسة كربلاء مطبعة دار الكفيل ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

(٢) المصدر السابق: ٣٧٣.

المحصول في علم الاصول لمحسن بن الحسن الحسيني ستر الله عيوبهما وغفر ذنوبهما في مدارك الاحكام الشرعية وما يتبعها...).

آخر النسخة (وكمن نشأ في بلاد الشرك اوفي اقاصي بلاد الإسلام في مفازة او سعفة [كذا] جبل ثم لم يسمع الا بما تلقاه منه).

نسخ عصر المؤلف عليها حواشي بامضاء (منه عفي عنه) عليها تملكات اخرى وتملك المظفر في سنة ١٣٧٧هـ عليها ختم مكتبة القاسم بن الحسن في سنة ١٣٥٧هـ وهي مكتبة الشيخ قاسم محيي الدين[1].

(١) المصدر السابق: ٣٨٣.

المبحث السادس:

وفاته

توقّف القلب الكبير، وفاضت هذه النفس المطمئنّة راضية مرضية؛ حيث لبّى نداء ربّه شيخنا المقدّس الشيخ محمّد رضا المظفّر؛ وذلك في مساء ليلة السادس عشر من شهر رمضان المبارك سنة [١] ١٣٨٣هـ في مدينة النجف الأشرف.

يذكر الشيخ جعفر الكوثراني: (حدثني والدي العلامة الشيخ محمود الكوثراني رحمه الله انه في مساء ليلة وفاة شيخنا المظفر – وكان ذلك في الساعة العاشرة ليلاً – أن المرحوم قد طلب من والدي أحد مجلدات أعيان الشيعة الذي يتضمن ترجمة العلامة الحلي، فأراد والدي أن يقوم بنفسه بنقل الترجمة وتجهيزها بين يدي شيخه المظفر الا ان الشيخ احب ان يكتبها بنفسه، وقبل احضار الكتاب وبعد مفارقته إياه بنصف ساعة وافته المنية، وكان بيت الوالد قريبا وهذا ان دل على شيء فانما يدل على شدة اهتمام الشيخ باستغلال وقته وعدم إضاعة أي فرصة للعطاء حتى في حال مرضه)[٢].

وكان لوفاته رنّة أسىً ولوعة في العالم الإسلامي، وفي العراق خاصّة؛ حيث كان يوم تشييعه مشهوداً، كما ألفت أن تودّع مدينة النجف أبناءها من العلماء والصالحين؛ فقد نكِّست الأعلام، وخرجت مواكب الهيئات العزائية تردّد أشعار الرثاء، وتقدّم المواكب مراجع الدين وأعلام الحوزة العلمية ووفود المشيِّعين التي تقاطرت على المدينة

---

(١) ١٣٨٤هـ عام ولادته في «دائرة المعارف الإسلامية الكبرى» بإشراف السيد كاظم الموسوي البجنوردي: ١/ ٦٣٥.

(٢) حاشية المظفر على المكاسب، تحقيق الشيخ جعفر الكوثراني الطبعة الأولى قم ١٣١٥ ص: ١٨.

من مدن العراق.

وبعد أن تمّت مراسيم الزيارة لمرقد مولى الموحّدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ووري الجدث الطاهر الثرى في المقبرة الخاصّة بالمشايخ الأعلام إخوة الفقيد العزيز، الواقعة على الشارع العام لمدينة النجف.

وبذلك فقد طوي لواء خفّاق من ألوية العلم والجهاد والإصلاح، أدّى رسالته الإصلاحية في خدمة الدين الإسلامي، وقدّم لمذهب أهل البيت الطاهر: التضحيات الجليلة في سبيل إرساء قواعد مدرسة متميّزة تخدم الجيل الحاضر والآتي بما ينسجم وأهداف العقيدة، ويرسم لدراسات الشريعة الإسلامية ملامح العطاء في إطارات التراث والمعاصرة.

وأقيمت لتمجيد ذكراه محافل التأبين، وقدّم الشعراء والأدباء ما فاضت به العواطف، وعبّرت به المشاعر في ذكرى الراحل العظيم أبي محمّد رحمه الله.

كما وأقامت مؤسّسة منتدى النشر حفلاً تأبينيّاً فخماً في ذكراه الأربعينيّة، وذلك في عصر يوم الجمعة ١٣ / ١١ / ١٣٧٣هـ، ٢٧/ ٣/ ١٩٦٤م في مدرسة جامعة النجف الدينية، وكان حفلاً مشهوداً قلّ أن يشاهد له نظير، وكان البرنامج كما يلي:

منهج الاحتفال التأبيني لفقيد الإسلام الخالد [١]

الشيخ محمد رضا المظفر

١. القرآن الكريم. المقرىء الشيخ عبد المجيد الصائغ.

٢. الافتتاح والتعريف. الشيخ جواد قسام

٣. كلمة جماعة العلماء. تقديم الشيخ عبد الهادي الفضلي

٤. كلمة منتدى النشر. السيد هادي فياض

٥. قصيدة السيد محمد حسين الشبيبي

٦. كلمة المجمع العلمي العراقي. تقديم الدكتور يوسف عز الدين

٧. كلمة جامعة بغداد. الدكتور عبد العزيز الدوري

٨. قصيدة الشيخ صادق القاموسي

٩. كلمة جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين الدكتور عبد الرزاق محي الدين

١٠. كلمة سفير المملكة المغربية في بغداد السيد عبد الهادي التازي. تقديم الشيخ جعفر الهلالي

١١. قصيدة الشيخ احمد الوائلي

١٢. كلمة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة. تقديم الشيخ عارف البصري

١٣. كلمة السيد جعفر الخليلي

١٤. قصيدة السيد مصطفى جمال الدين

---

(١) يجد القارئ هذه المشاركات وغيرها في حق المظفر منشورة في القسم الرابع بعنوان ذكرى المظفر.

١٥. كلمة جمعية الانماء الثقافي الاجتماعي في لبنان للسيد صدر الدين شرف الدين.

تقديم الشيخ محمد الخاقاني

١٦. كلمة لو بقي المظفر. الشيخ جلال الحنفي

١٧. كلمة اسرة الفقيد. الشيخ محمود المظفر

وانتهى عند الغروب، وكان قد ضمّ عدداً كبيراً من الشخصيّات اللامعة في العراق.

أدب تاريخ الوفاة

لمكانة المظفر في قلوب محبيه ومدى الحزن والاسى لفقده فقد أرخ اعلام افاضل تاريخ وفاته شعرا:

١ – الشيخ عبد الغفار الانصاري بقوله[1]:

بجهاده فاز الرضا بالعلم في تبيانه
خدم الشريعة مخلصا بيراعه ولسانه
من بعد ذلك ربه جازاه في غفرانه
طوبى له أرّخ (وقد سكن الرضا بجنانه)

وكان الشيخ الأنصاري قد أرسل برقية تعزية ضمنها بيتين:

فجع الإسلام في موت الرضا يالهول الخطب والعلم نعى
فقده للدين.....(غير مقروء) بالأسى والحزن شجواً صدعا

٢– الشاعر عبد الكريم الندواني:

أياشمس من عظم المصاب تكوّري فقد غاض بحر العالم المتبحّر

(١) ذكرى الأحبة ديوان شعر الانصاري ص١٣٨ – ١٣٩ ط دار الكفيل كربلاء بلا.

نعم جفّ بحر كان أعذب مورد ... إذا صوّح الوادي وأغزر مصدر
يجول بميدان العلوم بمقول ... سليط عن الحقّ الصريح معبر
سلاسته في منطق العلم أوضحت ... مسالك (تصديق به وتصوّر)
سميّ الرضا يابن[1] الغريّين لو ترى ... وقد حلّ فيك الحتف ما حلّ بالغري
لشاهدت أنّ الدين ينعاك باكياً ... يروح ويغدو حول قبّة حيدر
وها أنّني حزناً عليك تهزّني ... إلى ما سأبدي لهفتي وتحسّري
أسائل أهل العلم والصدق شيمتي ... وهل شيمة كالصدق للمتبصر
أقول لهم مستفهماً لا مغالياً ... بمدح الرضا كلاّ ولست بمكثر
أهل جاء في نشر الثقافة عالم ... أشاد به التأريخ (قبل المظفّر)[2]

٣ – السيد محمد الحلي:

منتدى النشر قد بكى ... للعميد الموقر
قائدا كان للحمى ... قد مشى بالمعسكر
وبناها جمعية ... سوف تحيا للاعصر
رج دنيا الغري ... ارخ (بنعي المظفر)[3]

٤ –السيد محمد حسن الطالقاني:

الفقه ريعت ... لما دهاها المقدر
بفقد من شاد مجدا ... لها وضحى وطور
ومن له حسنات ... وخبرة ليس تنكر

(١) حيث تحذف ألف (ابن) و(ابنة) الواقعتين بعد يا النداء.
(٢) مجلّة الإيمان النجفيّة في عددها ٥ و٦ من السنة الأولى.
(٣) مجموعة التواريخ الشعرية مطبعة الآداب في النجف ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م: ١٢٢ .

سعى حثيثا فأضحى شأن لمسعاه يذكر
قضى الرضا اليوم نحبا فلينعه من تدبر
خسارة قد منينا بها ومجد تبعثر
نعت مدارس ارخ (بها العميد المظفر)[1]

٥ – السيد احمد الموسوي الهندي:

خبت شعلة في سماء الهدى وغيض من الارض بل الصدى
وغاب امرؤ كان يجلو الدجى ايبقى كذا ليله سرمدا
ومات (الرضا) بعدما شنها على الجهل شعواء تشقي العدى
بدا العلم وهو مكب عليه الى ان غدا خبر المبتدا
لئن قتل الجهل في نهجه ففي نهجه كم قتيلا ودى
أترتد خطوته القهقرى ويرجع أمس عليه غدا
وفي كل افق سما نوره ومد الى كل علم يدا
تطامن للخسف يبقى الصعود والبدر يهبط كي يصعدا
بدا في المدى أمة وحده قريب المنال بعيد المدى
وأدى رسالته جاهدا وزاد بان كان كبش الفدا
نمت (بذرة) قد رعى حقلها فكان لغرستها موردا
تواضع وهو علي الجناب الى ان غدا سيدا ايدا
وقد خسرت صفقة وسدته فما تركت وارثيه سدى
فعز الملايين في ميت حكى يوم غيبته المشهدا

(١) أدب التاريخ في شعر السيد محمد حسن الطالقاني: ١٧٤ دار الينابيع دمشق ٢٠١٠ تحقيق الجبوري.

وارســـــل شـآبـيـب تـاريخـه (عـلى فـقـد معـتـمـد المـنـتـدى)

١١٠ +١٨٤ +٥٥٤ +٥٣٥

١٣٨٣

القسم الثاني

حركته الإصلاحية

للنهضة في تأريخ الحضارة الإنسانية مكانة جليلة لما فيها من مجال الإبداع على المستوى الفكري، ولما تقدّمه في حركتها من معالم التجديد، وبعث الحيوية، والتغيير في نظرة الإنسان للحياة وتقييمه لمظاهرها، وذلك لأنّ النهضة عبر مسيرة المعرفة الإنسانية كانت ولّما تزل تمثّل نقلة نوعيّة كبرى ذات مضمون شامل، بحيث أنّها تتبنّى المعالم الخيّرة في الماضي، وتبعث فيها روح التطوير والإحياء نحو جديد يحمل ذات الروح الأصيلة.

فكل عصر له سماته كما ان كل عصر يختلف بطبيعته عن سابقه من حيث انه عصر اليقظة والانتباه ومحاولة التحرر والانعتاق من قيود التقليد والعادات، بل هو عصر الحوادث الجسام والمجريات العظام التي هزت النفوس وأثارت الأفكار.

ولا يمكن أن ينظر إلى النهضة في كل عصر وأمة بعيداً عن اجتماع عوامل داخلية أساسيّة وخارجيّة مساعدة تشارك في تفاعلها على إيقاظ الشعور نحو وعي الأمّة لذاتها، ولمسؤوليّتها، ولمعالجة قضايا المرحلة في ضوء متبنّيات يبتدئ عندها المسار الإصلاحي وتجتمع لديها عناصر النهضة ومقوّمات أهدافها التي ترمي إليها.

ومن هذه العوامل البيئة، فهي كلمة نريد منها حيث نطلقها فيما نحن فيه مجموع المؤثرات الخارجية الذهنية وفي مصطلح كتاب العصر المؤثرات المادية والمعنوية التي تؤثر في تكوين الشخصية الإنسانية من أوضاع خاصة بالزمان والمكان والثقافة والأخلاق، وقد انتبه المفكرون من علمائنا السابقين الى أثر البيئة في تكوين خصائص الكائنات اجمالاً ومن اقوالهم المأثورة: (ان لله اسرارا في الأزمنة والامكنة والبقاع) وغير ذلك[1].

ومنذ أمد بعيد في تاريخ أمتنا تتردد مسميات وألقاب لوصف حالة مرت على الافق الفكري تلونت بها أبعاد معرفية بمستوى واسع من الالوان والمديات بحسب

(١) النجف وطبقات شعرائها، الشيخ محمد رضا الشبيبي (١٨٨٩ – ١٩٦٥) مجلة الاعتدال النجفية.

المناخات التي عاشتها، الاانها في واقع أمرها كانت تمثل ردة فعل لهزة قوية تعرضت لها الامة بسبب انبثاق النهضة الحديثة في أوربا وخطابها المؤثر في كافة مناحي الحياة في وقت كان فيه المسلمون يعيشون حياة مفصلية بين مايعد في تاريخ الحضارة مجدا داثرا أقام الدنيا ولم يقعدها في مسار التقدم الإنساني في مجالات العلم والمعرفة والفنون وبين ربقة الاستبداد السياسي وتسلط الطغيان من الاسر الحاكمة التي تعاقبت على حكم المسلمين عبر قرون عدة، الى ان رست مقاليد التحكم بيد السلطنة العثمانية التي اعتبرت قيامها وريثة الخلافة الإسلامية.

وأما النهضة الروحية في تأريخ الأمّة الإسلامية فإن مداها مجال واسع للبحث والتحقيق نظراً لما امتازت به من مظاهر الإنجازات الرائعة التي تحتاج إلى كثير من الاستقصاء والاستقراء فيما قدّمته للجيل العلمي من روائع الأفكار وثمرات الخواطر في رفد المسيرة العلميّة، وبالأخصّ على صعيد العلوم الدينيّة والإسلاميّة التي يتمثّل بها الكيان الشامخ في تراث أمّتنا العريقة، فقد كان للنظريّات المطروحة على ساحة علوم الفقه الإسلامي وأصوله ومناهج التفسير، والحديث، ومعالم التأريخ، ودروس الفلسفة والحكمة العالية، وآداب اللغة العربية وفنونها، كلّ ذلك ممّا جعل للأمّة مكانتها التي تحتلّها بين الأمم المتحضّرة.

وعندما نستطلع الوجه الحضاري لمدينة النجف الاشرف نرى من جهة بعض وسائل الثقافة وأدواتها من مدارس ومعاهد وخزائن كتب تمثل صورة من التراث الرائع، ونشاهد حلقات الطلاب والمحصلين اثناء مذاكراتهم ترسم لنا أمثلة من الكيان العلمي المأثورة في المجتمع الإسلامي القديم.

وحينما نلقي نظرة على الجامعة النجفية للعلوم الدينية – أواسط القرن الرابع عشر الهجري – نجد أنّ الجديد أخذ يتطاول على القديم، والمناهج العلميّة في مختلف

الجامعات العالميّة قد تطوّرت، والعلوم في برامجها قد تغيّرت، وتشعّبت من حيث الفروع والأصول، وكان لزاماً على كلّ جامعة تريد أن تساير وتماشي الجامعات في العالم، وتفرض نفسها كجامعة علمية دينيّة تحمل رسالة خاصّة أن تتطوّر طبقاً لمتطلّبات الظروف والأحوال.

والحديث عن النجف الأشرف في هذا الظرف بالذات حديث انماط من السلوك المتباين ذو شجون فيما كانت تقف فيه وسط تيّارات القديم والجديد وخارطة متغيرات وسباق رؤى أثرت على الواقع الفكري في نظرته للعلم والثقافة وتنمية المجتمع.

وتعد مدينة النجف الأشرف من أعرق البيئات الثقافية الإسلامية قدماً، ومن أغزرها مادّة علميّاً وأدبيّاً، وأرحبها صدراً في تقبّل الجديد المفيد فكراً وأسلوباً مادّة ومنهجاً، وأوسعها أفقاً في مسايرة التطوّرات الأدبيّة في العالم العربي والإسلامي[1].

فهي – إلى جانب محافظتها على أصالة الفكر الإسلامي – لم تتزمّت فترفض المعاصرة، وإنّما أخذت من وسائلها وأسبابها ما رأته الضروري النافع.

ومن هنا كانت الشخصيّة النجفيّة – دارساً ومدرّساً – أعمق وعياً في تفاعلها مع التطوّرات الفكريّة، وأرهف حسّاً في معايشتها لأحداث العصر اجتماعيّاً وسياسيّاً. ومن حيث نفهم هذه المعاني الرائعة لعطاء مدرسة النجف الأشرف – التي هي مدينة فكر وعقيدة وصراع – ندلف إلى تلمّس الواقع في معرفة حقيقة الإبداع في الشخصيّة العلميّة النجفيّة.

قال المتصوّفة: إنّ العلم نور يقذفه الله في قلب من قهر نفسه وتحرّر من معدته وترفّع عن الطبيعة ومطالبها، وقال الفيلسوف الإنكليزي جون لوك: إنّ الإنسان

(١) السيّد محمد حسن القاضي، صفحات مطويّة من تأريخ الحركات الإصلاحيّة –مخطوط –: ١٢.

بافكاره وعواطفه ثمرة لبيئته وتربيته، ويقول الشيخ محمد جواد مغنية: إنّ في أعماق كلّ إنسان نفحة إلهيّة إذا أحسن استغلالها وصبر على مرّها يبلغ هدفه، ويصبح وجوده حقيقة ذات قيمة ومعنى حتّى ولو كان في بيئة متخلّفة، وإذا أهمل وتكاسل عاش على هامش الحياة بلا معنى ومذاق.

وهكذا يمكن لنا أن نفسّر تخرّج هذا الجمع الحاشد الكبير من أئمّة الفقه والدين، وأعلام الفكر والأدب، الذين عاشوا ما عاشوه من حياة البؤس والشقاء، حتّى قال أحدهم: (كدت من الجوع آكل الحصير)[1].

وإذا ما علمنا ذلك استطعنا أن نفسّر العبقريّة في العلم، والألمعيّة في الفضيلة، التي كانت اجمل السمات البارزة في جيل السلف الصالح، الذي سبق جيلنا الحاضر، خاصّة بما يتعلّق بتراث المثل العالية، والأخلاق الرفيعة، والإنتاج الغزير في كافّة الدراسات الإسلامية، وعلوم الشريعة، وآداب اللغة العربيّة، تلك التي تتميّز في كلّ عصر بمزايا وملامح معيّنة تسمو شامخة لتشير إلى المكانة الجليلة التي أحتلّها خرّيجو (مدينة العمائم وحاضرة المجد العلمي)[2].

ومن حيث حسب أكثر الباحثين في تأريخنا الحديث بأنّ من صاغ هذا التأريخ رجال طلبوا العلم في المدارس العصريّة، وأنّهم كانوا علمانيّين، فإنّ الحقيقة الناصعة التي تواجه هؤلاء: بأنّ الذي عاش النهضة بكلّ أحاسيسه وعواطفه، وأحتلّ الصدارة

(١) للشيخ مغنية في تجاربه ولنقرأه من قصيدة في آداب المتعلم:

لم اطلب العلم كي أختال مفتخرا ... على القرين وأزري بالذي دوني
وما تحملت آلاما على ألمي ... وعشت مدة عمري عيش مسكين
حتى أخادع فلاحا ليشحذ لي ... مدا من القمح اورطلا من التين
ولالاجمع حولي اهل مزرعة ... ان قمت قامو ا وان اقبلت حيوني
سيان ان بعدوا وان قربوا ... لي همة لخلود الذكر تدعوني

(٢) عنوان مقال لكاتب هذه السطور مجلّة الموسم العددان ٢٣ و٢٤ :٥٠٦.

في بناء الكيان الاجتماعي لأُمّتنا في الغابر والحاضر، وألهمها بالفكر الخلاّق هم شيوخ لم يتخلّوا عن العمامة وأفكارها الواضحة يوماً ما، وأنّ هذه الصفوة كانت قادة حركات تجديد، وروّاد نهضات تحرّر، وطليعة عهد جديد، وأنّهم ثاروا وتمرّدوا، ولم يتخلّوا عن رسالتهم؛ فهم حضور في كلّ مجال قيادي.

ومن خلال ما تقدّم، يمكننا أن نستطلع البدايات التي كان لها الأثر في نشأة شيخنا المظفّر، ومنها نستكشف تطلعاته الإصلاحية، التي كانت تنمو لديه بحوافز ذاتية مؤطّرة بالعفّة والتقوى، والطهر والنقاء.

ولعلّنا في قراءة متأنّية لقصيدة الخطيب المرحوم الشيخ مسلم الجابري في رثاء الحجّة المقدس الشيخ محمد حسن المظفّر ١٣٧٥هـ، نعرف ما كان يحتلّه الشيخ محمد رضا من زعامة للتيّار الإصلاحي الذي وضع بذوره وضحّى من أجل أن يصلب عوده، فكان على حدّ قول الجابري:

فتى شاب في الفضل حتّى شأى ... على النجم تأريخه الأضوع
زعيم الشباب وشيخ الحمى ... يلوذ به الفكر إذ يجزع
تسامى بأعماله (المنتدى) ... وشيد في فضله (المجمع)[1]

ولهذا فإنّ ملاحقة الأحداث التي حاول المظفّر أن يختزلها بمعرفة كافية من اجل ان تستمر مسيرة الإصلاح، بما كان يتمثّله في منهجة الدراسة والتربية والتعليم، وإمكانية إصلاح وتقويم مناهجها، وتطوير أساليبها لمواكبة التطوّر التربوي، الأمر الذي كان قمينا بتحقيق الهدف لكسب الموقف في المستقبل الذي يترقّبه المظفر لطرح المبادرة السريعة في مواجهة التيّارات الضالّة، التي استطاع الاستعمار أن ينفذ من خلالها ومنها

(١) المصدر السابق: ص٣١٧ والمقصود بالمنتدى هو جمعيّة منتدى النشر الدينيّة، والمجمع هو المجمع الثقافي الديني اللذان أسّسهما المرحوم المظفّر.

تصعيد النشاط لدعوات التبشير المسيحي وبدايات تأسيس الاحزاب اليسارية التي هدفها الرئيس تحطيم البناء العقائدي للمسلمين[١].

ولم يخف وجود الطابع السلبي في تأريخنا المعاصروبروزه في الوقوف لاحباط ماكان يطمح اليه دعاة الإصلاح والمفكرون النابهون في النجف الأشرف وما يتّصل بها من مراكز الفكر الإسلامي، فقام دعاة الإصلاح هنا وهناك يدعون إلى تهيئة الأجواء المواكبة للأوضاع الاجتماعية، وتخطيط الحياة الاجتماعية بالشكل الذي يخمد النار التي اججها المستعمر، وبرغم المواجهات الجادة لنقض سعيه فقد ابتكر اساليب ووسائل بديلة اهمها تفريق الشمل الإسلامي باثارة النعرات الطائفية وزرع الضغينة بين اوساط الطائفة الواحدة والمساهمة باشاعة الجهل بمجتمعاتنا وتردي الحالة التعليمية والتربوية وهو ما نعانيه اليوم في حياتنا الحاضرة.

ولننظر الى مادونه المظفر باوراقه وهو يستعرض تطور الحركة الفكرية لاصلاح الدراسة الدينية اذ يقول:حياة مليئة بالمخاطر هذا الذي يعمل للدين في ساحات الدين، وهو يريد ان يصلح نواقص لاترتبط بالدين بصلة الاانها عادات جارية بين اهله وعرف شائع في طبقاته، فقد تطارده امته مطاردة ناقمة ولوكان عمله لصالح الدين واهله..[٢].

ولم يكن المظفر يعيش همومه الاصلاحيه لوحده بل كان يحمل هذا التوجه غيره من رجال الاصلاح التعليمي في غير العراق، فكانت هناك دعوات تخطط عين مايسمواليه حيث قاموا بتنفيذ تجاربهم – وبقدر يطابق اويختلف شيئا ما– بتأسيس مدارس ابتدائية ومتوسّطة وثانوية تجاري المدارس الحكومية في شكلها ومحتواها وتطوّرها وتوسّعها، في

(١) راجع ماكتبه الشيخ بمقالاته التي نشرناها بالجزء الموسوم (من وحي الفكر). كما تنظر ماكانت تغطيه المجلات الصادرة في تلك الفترة وفي مقدمتها مجلة الهدى العمارية ونشاط اعلام الدين وفي طليعتهم الشيخ حبيب المهاجر العاملي.

(٢) من اوراق المظفر:١٢٩.

الوقت الذي تحافظ فيها على جانب التوجيه الإسلامي.

(ففي سورية تبنّى هذه الدعوة الإيجابية السيد محسن الأمين، فأسّس في الشام مدارسه المعروفة باسمه، والتي ما تزال قائمة تؤدّي رسالتها الإصلاحية، وتبنّاها السيّد شرف الدين في لبنان، فأسّس لها المدارس الجعفرية بـ(صور)، وأخضعها للمناهج الحديثة، وأحاطها بعنايته وتوجيهه)[1].

وفي إيران تبنّى الفكرة الشيخ عباس علي الإسلامي، ففتح المدارس الإسلامية، وقد لاقت هذه المدارس إقبالاً منقطع النظير من قبل الناس، وانتشرت في المدن والقرى بصورة واسعة.

وتبنّى الشيخ محمّد رضا المظفّر لأوّل مرّة هذه الفكرة، وحاول تحقيق هذه المهمّة بما أوتي من إمكانات واسعة و لاقى في هذا السبيل كثيراً من العناء، وبذل من نفسه الشيء الكثير، حتّى كاد أن ينسى نفسه في سبيل الوصول إلى الغاية، وكان في كل ماقدمه عند بدء حركته او بعد ما أسس من بذل وجهاد في هذا السبيل يشرف على سير التدريس بنفسه في المدارس الابتدائية والثانوية، ومن دون أن يشعر بذلك هواناً على نفسه، وكان يتّفق أن يباشر التدريس في بعض الصفوف الأوّلية من الكلّية وهو يحمل شهادة الاجتهاد ويزاول التدريس العالي.

وقد قدّر للشيخ المظفّر في هذا السبيل أن يحظى بشيء كثير من التوفيق يتخلّله الفشل، ويخالطه الإخفاق، ولا يفتر شيء منهما من عزيمة الشيخ المؤسس لأنه كان يملك (إيماناً منه بأنّ تربية الناشئة تربية دينية، وتوجيههم إلى العلم والأخلاق الفاضلة من أفضل الواجبات المفروضة على الرجل الديني في هذا العصر، وخير السبل القويمة لتحقيق أهدافه الإصلاحية في نشر الثقافة الدينية، وبعث الروح الإسلامية في النفوس،

(١) محمّد تقي الحكيم: تمهيد وتقديم كتاب النص والاجتهاد: ص٢٥.

وتقويم الأخلاق)[١].

كما ان المعنيّين بشؤون الحوزة العلميّة في بواكير القرن الماضي ادركوا أنّ النجف[٢] – كمدرسة علميّة – تعاني من بعض ما تحتاجه لتطوير مستلزمات الدراسة وأساليبها، وأنّ سبب هذا الضعف ناشئ من عدم النظام، والتعصّب للقديم البالي، وليس للتراث العلمي الضخم الذي يعتزّ به الجيل العلمي أساس لمواكبة السيروالبحث والاستقصاء.

وكان الرأي العام يراقب سير الأعمال والحركات الإصلاحية، في النجف، ممّا جعل القيام بأيّ نشاط إصلاحي على جانب كبير من الخطورة...بل ان هذا التفكير كان في وقته، يشل كثيراً من الحركات والاتّجاهات الإصلاحية يقول الشيخ المظفّر في بعض مذكّراته: (هذا هو التفكير الذي يبدو ظاهراً على بعض رجالنا الذين كانوا يحلمون بإصلاح نواقص الدراسة العلميّة في معاهد النجف الأشرف، فإنّ هذه النواقص –كفقدان نظم التربية والتدريس في الامتحانات والمـواد العلمية والأوقـات والشهادات– كانت تهدّد المفكّرين منّا بشلل الحركة العلميّة في مستقبل الجامعة القريب أو البعيد، يوم أن اصطدمت سفينة هذه الجامعة القديمة بتيّار هذا العصر الجديد فهزّتها

(١) راجع للتفصيل: كتاب مدرسة النجف للشيخ الآصفي. حتى بعد ان تأسست جمعية منتدى النشر؛ فقد جاء في المادّة الرابعة من نظام الجمعية: ان (مقاصد المنتدى تعميم الثقافة الإسلامية، والعلمية، والإصلاح الاجتماعي بواسطة النشر والتأليف والتعليم وغير ذلك من الطرق المشروعة).

(٢) من خلال استقراء ماكتب بهذا الصدد نستطيع التأكيد ان علماء افاضل في الحوزة النجفية كانت لهم افكار مبكرة بغية التوصل الى صياغة مشروع تطوير وتنظيم الدراسة في الجامعة النجفية ومنها نقابة الاصلاح العلمي التي سعى لتأسيسها الشيخ محمد جواد الجزائري، ولعله كان اول المبادرين في ١٣٢٣ او بعد هذا التاريخ لتنظيم كلية دينية، ويذكر الخاقاني ان السيد عيسى كمال الدين (١٢٨٧ – ١٣٧٢) استمر يناضل ربع قرن لتوجيه اخوانه وتنبيههم وايجاد كلية دينية تحفظ لهم اتعابهم، فيما يرى الاخ القاموسي الى ان اول من فكر باعادة النظر بمناهج الحوزة وتطويرها السيد محسن الامين عام ١٣٠٨ بعد هجرته للنجف، اما شيخنا المظفر فقد كتب سنة ١٣٤٥ باسم مستعار مقالات تخص الحديث عن طرق التدريس: انظر اوراق المظفر هامش الصفحة: ١٣١.

في بحر متلاطم بالميول، ولكن الوقت الذي كانوا يفكّرون في هذا، كان يعوقهم عن التقدّم في العمل، ذلك التفكير المؤلم) [١].

وكان المظفر يتابع بجدية مايقع في الساحة النجفية يقول:لقد سايرت بنفسي تطور فكرة الاصلاح حتى هذه الساعة وسأعطيكها وليدة نشأت في احضان الاجتماعات الصامتة ومرت عليها ادوار وتجارب غذتها حتى اشتد ساعدها ونمت نموا يناسبها شأن الكائنات الحية، ثم يضيف موضحا انه في سنة ١٣٤٣هـ تألفت عدة جماعات اشبه بجمعيات سرية او مجالس تمهيدية للتفكير في طريق الاصلاح وكسب الشعور العام، واتخطر جيدا اني اشتركت في احدها وكنت كاتبها واعضاؤها كلهم من الشباب الديني ذلك اليوم...وهم اكبر منا طبقة اشترك اكثرهم في منتدى النشر...[٢]

ثم وضع في سنة ١٣٥٥ (الخطّة لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينية أو كلية للاجتهاد، بفتح الصف الأوّل الذي كان يدرّس فيه أربعة علوم: الفقه الاستدلالي، والتفسير، وعلم الأصول، والفلسفة على شكل محاضرات توضع بلغة سهلة واضحة، فتبرّع بتدريس الأوّل والثاني الشيخ عبد الحسين الحلّي، وتبرّع بتدريس الثالث والرابع الشيخ عبد الحسين الرشتي، وكان تبرّع هذين العلمين بالتدريس دراسة منظّمة من أهم الأحداث في تأريخ النجف الأشرف، ويعدّ تضحية نادرة، منهما تذكرة مدى الدهر بالتقدير والإعجاب بروحهما الإصلاحية، ولم تأت العطلة الصيفية إلّا وتعطّل هذا الصف ليعود بعدها، ولكنّه أبى ولا يدري غير بعض أعضاء مجلس الإدارة أكان إباؤه عن دلال أم ملال أم عن شيء آخر غير منتظر حتّى من مثل هذين العلمين نفسهما ؟! قاتل الله الشجاعة الأدبية كيف تعزّ في أشد ظروف الحاجة إليها)[٣].

(١) محمد رضا القاموسي، من أوراق المظفر: ٥٩.

(٢) المصدر السابق: ١٣٠.

(٣) المصدر السابق: ١٥٠.

(وفي سنة ١٣٥٧هـ بعد فتور وفترة مقدارها قرابة السنة تأسس صف لدراسة العلوم العربية والمنطق والفقه والأدب العربي وبعض الفروع الأخرى، واستمرّ إلى آخر السنة، وكان نجاحه ممّا شجّع على فتح ثلاثة صفوف في سنة ٥٧ – ١٣٥٨ دراسية، واعتبر الطلاب المتخرّجون من الصف السابق طلاّباً للصف الثالث، وقد نجح هذا المشروع في تلك السنة نجاحاً باهراً، وبلغ طلابه ١٥٠ طالباً، واعترفت بها وزارة المعارف[١].

وتـمّ له في سنة ١٣٦٤ هجرية – بقوّة الاستمرار – أن يفتح أربعة صفوف باعتبارها قسماً متوسّطاً للعلوم الدينية مع صف تحضيري قبلها وثلاثة صفوف أخرى عالية اعتبرت كليّة للفقه، وقد نجح في خلال هذه المدّة جماعة لا يستهان بها من الطلاب الأذكياء الذين أصبح قسم منهم مفخرة من مفاخر الجيل، في ثقافتهم وأقلامهم وأخلاقهم الإسلامية، وجملة منهم لا يزالون يؤدّون واجبهم المقدّس في تربية الناشئة الدينية)[٢].

ومن هذا نعلم ان المظفر واكب هذه الحركات منذ ظهورها، واشترك في كثير منها، ووعى ضرورتها منذ بدء ظهورها، فاستمع إليه عندما يؤرّخ سير الإصلاح في النجف منذ نشوئه ولاهتمامه نجده يقول: ولا أزال أحتفظ بمحاضر جلسات جماعتي الأولى تلك ومذكّراتي الخاصّة عنها وعن غيرها، وهي – على بساطتها – تمثّل لي مقدار التكتّم والخوف الذي كان يساورنا، وكان عملنا وتفكيرنا مقتصراً على تفقّد المفكّرين من أصحابنا الذين يحسّون بالداء مثلنا، وبالرغم من مواصلة الجلسات والتفكير طيلة عام، فإنّنا لم نستطع أن نخرج وقتها من غرفتنا إلّا بعض الشيء، ولم نستطع أن نضم إلينا أكثر من عشرة أعضاء فرّق الزمن بين أكثرهم في بلاد نائية وقريبة، ولا يزالون على قيد الحياة

(١) المصدر السابق: ١٥٠ – ١٥١.

(٢) المصدر السابق.

في النجف وخارجه، يقرؤون كلامي هذا إذا اتّفق لهم ولابدّ، وما أدري هل يسمحون لي أن أذكر أسماءهم، ولكن صديق العلاّمة الشيخ عبدالله السبيتي، أعتقد أنّه لا يبخل عليّ بالتصريح باسمه، والآخر ! من هو؟ (فليسمح لي أن أذكر اسمه) الأخ بالروح العلاّمة الشيخ محمد كاظم آل الشيخ راضي، وعندما يقرأ اسمه الصريح هل يرتاح له؟ سأعرف ذلك عندما أعلم أنّه قرأه.

ولم يقتصر همه على اصلاح الجانب التعليمي فحسب، بل كان تفكيره ينصب على كل ظاهرة سيئة، فمثلا في عام ١٣٤٩هـ عندما هاجمت النجف كتب عدائيّة حسّست الشعور العام فاتّخذه جماعة منّا –وأكثرهم من هاتين الجماعتين السابقتين وأعضاء في المنتدى أيضا –وسيلة للنهضة بتأسيس جمعية للنشر والتأليف، وكان ينوي بعض القائمين بالحركة الذين اتّصلت بهم استغلال هذه الجمعية إذا تمّت لإصلاح الدراسة الدينية.

ولا أنسى ما قام به الأخ العلاّمة الشيخ علي ثامر – مدرّس علوم البلاغة في المنتدى الآن – من الجهود المشكورة في سبيل المشروع؛ فقد كان هو من أوّل المفكّرين فيه ومتتّبعي هذه الحركة، وفي داره عقدت الاجتماعات التمهيديّة، ثم في دار العلاّمة السيّد سعيد الحكيم، وقد تمكّن القائمون بالنهضة ان يشركوا بعد أشهر رجالات النجف وعلماءها ومفكّريها، حتّى انتخبوا هيئة عاملة تتألّف من سبعة أشخاص وهيئة علمائها من ثلاثة مجتهدين، وباقتراح هذه الهيئة العليا نهض العلاّمة الأكبر المرحوم الشيخ محمد جواد البلاغي لتأليف تفسير مختصر للقرآن العظيم ليكون باكورة الأعمال أسماه «آلاء الرحمن» وعاجلته المنية قبل إكماله، وخرج منه جزآن وطبعا، فكان هذا كلّ نتيجة هذه الحركة.

وهذا هو الدور الثاني للفكرة، ولم تخل النجف بين هذين الدورين وبعدهما من

أحاديث وآراء ومجتمعات، بل ومحاولات كالفقاقيع لم تظهر إلّا لتختفي كما يقولون، ولا ينكر أيضاً أثرها في توجيه الأفكار وتهيئة الشعور العام.

وجاء الدور الثالث من قبل ست سنوات – أي من حين تدوين المذكرات – وهو أبعدها مدى، وأعظمها أثراً، وذلك حركة الكلية، كما يسمونها؛ لأنّها هزّت النوادي النجفية هزّة عنيفة اشترك فيها الكبير والصغير، والعالم والجاهل، وقد بلغ الموقّعون على ورقة شروط العمل المائتين، وهم من رجال العلم بالنجف وأهل الكلمة فيها، ولكن يظهر أنّ هذه الكثرة في ابتداء العمل وقبل انتظامه ساعدت على توقّف الحركة، فلم تصمد أمام العاصفة الهوجاء، وقد أعطتنا التجارب أنّ الأعمال الكبيرة يجب – لأجل نجاحها – أن تقوم بها جماعة محدودة تدير دفّة العمل بتعاضد وتكاتف وتضحية، على عكس ما هو مشهور، إلّا أنّ الشعور بالمسؤولية يقوى في الفرد إذا قلّت الجماعة، وهكذا كلّما كثرت الجماعة ضعف الشعور بالمسؤوليّة، وهذه نظريّة اجتماعية نستطيع أن نلخّصها بقولنا: إنّ عدد الجماعة يتناسب عكسياً مع الشعور بالمسؤولية في الفرد.

واعتقد أنّ من أسباب فشل هذه الحركة أيضاً أنّ الدعوة كانت لعمل كبير جدّاً، ليس من السهل تحقيقه مرّة واحدة مهما كان القائمون به، والتدرّج سنّة الله في خلقه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[1].

فمن الضروري لمثل هذا العمل أن يبدأ صغيراً، ويتمّ بمرور الزمن إذا تعوهد من رجال مخلصين بالسعي والجهد المتواصل، ولو تحقّقت يومئذ هذه الفكرة لتغيّر مجرى تأريخ النجف إلى غير ما نشاهد اليوم، ولكانت علالي العلم سامقة دونها ناطحات السحاب...) إلى آخر ما ذكره في مذكّراته المهمّة.

وما يمتاز به المنهج المظفّري لتطوير دراسات العلوم الإسلامية هو الدقة في اختيار

(١) الفتح: ٢٣.

واقرار المادة العلمية المطلوبة والاستاذ الذي يؤدي دوره في تدريسها، فعندما اختير المرحوم الشيخ محمد الشريعة لتدريس علم الأصول كان المظفّر بين إقدام وإحجام على تقديمه للتدريس بسبب أنّ الشيخ الشريعة كان يميل إلى طريقة أستاذه وعمّه – والد زوجته – المرحوم الشيخ أغا ضياء الدين العراقي، و من رأي المظفّر أن يتمّ تدريس الأصول على منهج أستاذه الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني. لذلك بادر المظفر بنفسه للبدء بتدريس الاصول لبيان المنهج المطلوب.

وبهذا الاسلوب المتبع بانت بوادر الاصلاح التعليمي ومن شعوره بالتوفيق قوله: وكان تبرع هذين العلمين (الشيخ عبد الحسين الحلي والشيخ عبد الحسين الرشتي) بالتدريس دراسة منظمة من اهم الاحداث في تاريخ النجف الاشرف، ويعد تضحية نادرة منهما تذكر مدى الدهر بالتقدير والاعجاب بروحهما الاصلاحية[١]. ومن ملامح تحقيق أهدافه...(وقد نجح في خلال هذه المدة جماعة لايستهان بها من الطلاب الاذكياء الذين اصبح قسم منهم مفخرة من مفاخر الجيل في ثقافتهم واقلامهم واخلاقهم الإسلامية..).[٢]

وفي هذه الفترة بالذات كان ابتداء الشيخ المظفّر بتدوين ما كتبه في المنطق وأصول الفقه والعقائد، بل إنّه بدأ يكتب تأريخ الإسلام على طريقة السيرة؛ حيث كتبها المظفّر بألفاظ الروايات والأحاديث وهواسلوب جديدفي الكتابة الادبية.

ولاهمية قرار المرجعية الدينية فيما يجري من تجديد وتغيير، فقد حالفه النجاح في تعضيد وتشجيع المرجعيّة الدينيّة بزعامة المرجع الاعلى السيّد أبي الحسن الأصفهاني، الذي أجاز صرف الحقوق الشرعيّة لتطوير حركة هذه المدرسة وجمعية المنتدى، ثم فتواه

(١) كان ذلك عام ١٣٥٥هـ الشيخ المظفر، منتدى النشر أعماله وآماله: ٨-٩.

(٢) في سنة ١٣٦٤ نظام منتدى النشر.

باتّخاذ خان الشفا (الوقف) المجاور للصحن الحيدري الشريف مقراً للمنتدى من أبرز جوانب التشجيع على ترتيب سير الدراسات الدينيّة في ضوء منهج جديد.

وكان لآية الله المرجع المقدس الشيخ محمد رضا آل ياسين[1] موقف لتأييد المشروع الدراسي في رسالة ارسلها للمظفر:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

سألت -أيدك الله- عن رأينا في مدرسة منتدى النشر الدينية في النجف الاشرف، نعم اطلعت على مناهجها القويمة ومبادئها الدينية المستقيمة التي أخذت الهيئة العلمية المحترمة القائمة بشؤونها تطبيقها عملا بكل همة ونشاط ودقة واحتياط، فظهر لنا بالرغم عما يختلج في أذهان البعض منا من الريب في أمرها. إنها مؤسسة دينية علمية اخلاقية لاهم لمؤسسيها الكرام على مايشهد به أعمالهم سوى تثقيف طلابها بالمعارف الإلهية والعلوم الدينية والأخلاق الفاضلة والآداب الشرعية، فشكر الله مساعيهم وبارك لهم وفيهم ونسأله تعالى لهم التأييد والتسديد ولمدرستهم التقدم والنجاح ولطلابها التوفيق للعلم والعمل الصالح.

والأمل باخواننا المؤمنين الذين يهمهم أمر العلم والدين ولاسيما ذي اليسار منهم معاضدة الهيئة المحترمة ومساعدتها على هذا المشروع الخيري النافع مادام الدين شعاره والعلم غايته المقصودة وبغيته المنشودة.

وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين.

١٥ ذق ١٣٦٣

الراجي عفو ربه

---

(١) راجع القسم الرابع، وثائق ومعطيات.

محمد رضا آل ياسين

وقد سجل الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء اعجابه جوابا لسؤال وجه له عن مدرسة المنتدى بقوله:

فضيلة معتمد منتدى النشر

كتبت تسألني عن رأيي في مشروع المنتدى والذي أحسه أن المنتدى نواة صالحة يرجى ان تثمر ثمرا يانعا بل نافعا ان شاء الله والذي يعوز الدارس اليوم عموما هو الأخلاق أي الدين، فان توفق المشروع لاخراج ثلة من الشباب متخلق بالاخلاق الفاضلة فقد نجح انشاء الله.

وهذا مايرجوه لكم ابوكم الروحاني محمد الحسين [١].

كما ساهم بالتأييد والدعم المعنوي آيات الله السيد ابوالقاسم الخوئي والسيد جمال الكلبايكاني والسيد مرزا حسن البجنوردي والسيد عبد الهادي الشيرازي والسيد محسن الحكيم والسيد محمود الحكيم والشيخ محمد حسن المظفر والشيخ حسين الحلي والسيد حسين الحمامي والشيخ عبد الكريم الجزائري والسيد محمود الشاهرودي والشيخ مرتضى آل ياسين. [٢]

كما تحفزت الاسر العلمية والطبقات النجفية لتأييد المشروع بانتساب ابنائها وتقديم العون والحرص على نجاح المشروع.

وإن دلّ هذا على شيء، فإنّما يدلّ على الوعي المبكّر للمرجعيّة الشيعيّة في مواجهة ظروف العصر، و كان لنجاح المنهج الجديد الأثر البالغ في خلق مثل هذه الأجواء التي عاشها المظفّر في عصره الى جانب تأثره بشيوخه حين اتّفق له بالاطلاع على طرف من

(١) قسم الوثائق في مكتبة الامام كاشف الغطاء، المصدر السابق.

(٢) للتفصيل انظر الحجر الاساسي لمنتدى النشر ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م المطبعة الحيدرية في النجف.

الثقافة العصريّة، وهو في ريعان شبابه فتذوّقها، وما طمحت اليه نفسه العالية في إطار مواجهة النزعات الحديثة خاصة عند مراسلته لبعض المجلاّت كالمقتطف والرسالة والهلال المصريّة.

وهكذا أتيح للشيخ أن يستمر على هذه الحالة، ويواكب الحركة الفكرية الناشئة، ويأخذ نصيباً وافراً من هذه العلوم الجديدة، ويتأثّر تأثّراً بالغاً إلى جانب تأثّره بشيوخه.

ومن أهم ثمراته التي لها دلالات في بناء الشخصية الإسلامية الرائدة برجال – من خارج المنتدى – يعدون في طليعة أعلام النهضة الحديثة للفكر الإسلامي من تأثرهم وعملهم بمؤسساته ولجانها، ثم انطلقوا ليؤدوا رسالتهم في الحياة امثال السيد موسى الصدر والسيد محمد مهدي الحكيم والشيخ محمد مهدي شمس الدين والشيخ محمد مهدي الاصفي، فقدكانت اللبنة الاساسية لمواصلة مشاريعهم ومؤسساتهم وما حققوه قائمة على إثارة مباركة من بنات أفكار الشيخ المظفّر.

ولابدّ من استذكار مواقف العطاء بمختلف الوانه التي قدمها العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي والدكتور ضياء جعفر والمحسن الوجيه الحاج عبد المحسن شلاش والسيد عبد المهدي المنتفكي والشيخ بلاسم ال يس والشيخ خيون العبيد وصادق البصام والحاج حسين الشاكري وصادق الخليلي.

ومن نجاحاته دعوة المرجع الكبير المرحوم السيّد حسين البروجردي له، حيث استضافه في مدينة قم المقدّسة لـلإشراف على تنفيذ مشروع تنظيم شؤون الحوزة العلميّة في إيران في برامجها الدراسية، حيث اجتمع مع المرجع السيد البروجردي في مدينة قم وأنجز رسم الخطوط الرئيسيّة لإصلاح المناهج والتخطيط لدراسات الحوزة ومجالات تطبيق نظام الإمتحانات، وبعد إقامة الشيخ لمدّة غير قليلة في إيران والمشروع بعد لم يدخل حيّز التنفيذ في حينه ولظروف لا يسعنا ذكرها... أهمّها مرض السيّد وتلبيته

نداء ربّه الجليل، وإياب المظفّر إلى عرينه في النجف الأشرف.

ولعلّ هذه البادرة الغالية في حياته من عناصر نجاحاته بما تستحقه من الإعجاب والتقدير[١].

وممّا يسجّله الشيخ المظفّر في معرض اهتمامه بنشر الكتاب الإسلامي، ومرجعيّة مدينة النجف وإسهاماتها الكبيرة باعتبارها مهد جامعة دينية كبرى، قوله: (والنجف بلاد علميّة من قديم القرون، وعاصمة للمرجعيّة في التقليد، والجامعة الأولى لدراسة العلوم الدينية والعربية، ولها سوق رائجة في الأدب العالي، وفيها في كلّ عصر مؤلّفون وأدباء، ولها في كلّ فن كتب وآثار، فهي من هذه النواحي غنيّة لا يضارعها بلد إسلامي آخر، ولا سيّما قبل عصر النهضة الحديثة.إلّا أنّ الذي ينقصها – ويجب الاعتراف به – تنظيم نشر ما تضم كنوزها من مؤلّفات قديمة وحديثة، وتوجيه التأليف على النحو المرغوب فيه في هذا العهد، وتشجيع المؤلّفين والناشرين في عصر راجت فيه الطباعة واتّسقت حركات الثقافة، واتّسعت دور النشر، وحرمت منه بلادنا المقدّسة، فهي –على ما فيها من مادة غزيرة – منكمشة على نفسها، لا تظهر آثارها كما يجب أن تظهر، وما يتّفق أن ينشر في منتجاتها – وإن كان ليس بالقليل في حدّ نفسه – لا يبلغ الواحد من المائة إذا أردنا المبالغة، على أنّه قد لا ينشر المنتخب والمختار من تلك المؤلّفات ! لأنّ ما يطبع – على الأكثر – إنّما هو نتيجة جهود فردية يقوم بها أشخاص المؤلّفين أو من يمتّ لهم بصلة[٢].

ولا ننسى أنّ الحركة الإصلاحية لابدّ وأن تواجه بمعاكسات ومضايقات، خاصّة في الوسط الذي لا يدرك وعيه إلّا بطيئاً، ولذلك نجد الشيخ الآصفي يعلّق على

(١) أشار إلى هذه المعلومة السيّد محمّد حسن القاضي في كتابه القيّم المخطوط عن أستاذه المظفّر، حيث استعرض سيرته من خلال تطلّعاته وآفاق وعيه المبكّر في الإصلاح والتجديد.

(٢) سير وتراجم نجفية للمظفر: ١٦٥.

مشروع النهضة المظفّرية بقوله: (ولا يكاد ينفع العمل الإصلاحي في مثل هذه الظروف ما لم يكن مقروناً إلى دراسة الوضع دراسة موضوعية شاملة، وإلى الرويّة والتدرّج في العلاج، وقد أدرك الشيخ كلّ ذلك، وفكّر في ذلك كلّه طويلاً، وشمّر عن ساعد الجد؛ ليخوض ميدان العمل، وهو يدري أنّ هناك عقبات صعباً تعرقل سيره في هذا الطريق.

وأعقبتها بمحاولة لتطوير الدراسة، وتبسيط الكتب الدراسية، وتوسيع المناهج الدراسية، ووجد أنّ الدراسة المنهجية هي الخطوة الأولى في هذا الطريق، ومهما كانت ضرورة الدراسة الفرديّة، ومهما قيل في جدواها فلا بدّ أن ينضمّ إلى هذا اللون من الدراسة لون آخر من الدراسة يعتمد على نظام خاص، وبهذا الشكل حاول أن يحقّق جزءاً من الإصلاح.

وكان يتوخّى من وراء ذلك تبسيط الكتب الدراسية، وتنظيم الدراسة، وتوسيع المناهج الدراسية بصورة منهجية خاضعة لنظام خاص تعدّ الطالب لدخول الدراسات الخارجية والتخصّص في الاجتهاد، أو التفرّغ للخطابة والكتابة الإسلاميّتين، أو ما يتّصل بذلك ممّا يرتبط برسالة النجف الأشرف.

وفي سنة ١٣٧٦هـ- بعد محاولات عديدة وتجارب طويلة - أسّس الشيخ المظفّر كلّية الفقه في النجف الأشرف، واعترفت بها وزارة المعارف العراقيّة سنة ١٣٧٧، واعتبرت شهادتها عالية يطبّق على حاملها ما تنصّ عليه القوانين والأنظمة فيما يتعلّق بخرّيجي المعاهد العالية.

والعلوم التي تدرّس فيها هي: الفقه الإمامي، والفقه المقارن، وأصول الفقه، والتفسير وأصوله، والحديث وأصوله - الدراية - والتربية، وعلم النفس، والأدب وتأريخه، وعلم الاجتماع، والتأريخ الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، والفلسفة الحديثة، والمنطق، والتأريخ الحديث، وأصول التدريس، والنحو، والصرف، وإحدى اللغات

الأجنبية.

وقد بذل فقيدنا الشيخ حياته في سبيل تنمية هذه المؤسّسة بإخلاص وإيمان يعزّ مثله في نفوس المجاهدين؛ فكان يقوم بتدريس الفلسفة الإسلامية، وإدارة الصفوف عند غياب بعض المدرّسين في سائر العلوم، وكان في الوقت نفسه يعدّ مجلّدات كتابه القيّم «أصول الفقه» للتدريس في كلّية الفقه، وفي حوزة النجف الأشرف – باعتباره الحلقة المفقودة بين كتاب معالم الأصول وكفاية الأصول – ويباشر مهام الإدارة والعمادة والتأليف وحتّى تدوين السجلات في بعض الأحيان، وكم شوهد الشيخ، وهو يقوم بتدوين بعض سجلات الطلبة أو مراجعتها أو طباعة بعض الرسائل بالآلة الطابعة.

وكذلك قامت المؤسّسة على عاتق الشيخ الفقيد، وأودعها حياته، وشيّدها بدقّات قلبه، وبذل في سبيلها جميع إمكانيّاته.

وحاول في الوقت نفسه أن يقوم بتبسيط الكتب الدراسية وإزالة التعقيد والغموض عنها؛ ليسّر للطالب المادّة الدراسية في الدرس من غير جهد ومشقة، وليوفّر على الطالب كثيراً من الجهود التي يبذلها في هذا السبيل؛ ليصرفها في مجالات الفكر الرحبة.

وحرّر لذلك كتابيه «المنطق» و«أصول الفقه»، فحرّر بهما هذين العلمين من غموض وتعقيد الكتب القديمة.

ومن إنصاف الحقّ أن يقال أيضاً: إنّ هذين الكتابين يعتبران فتحاً كبيراً في هذا الباب، ولا يجد الباحث عسراً كثيراً ليلتمس الجهد الكبير الذي بذله الشيخ الفقيد لتبسيط المنطق والأصول في هذين الكتابين، مع صعوبة المادّة في ذاتها.

ولا يقتصر الجهد التجديدي الذي بذله الشيخ المظفّر في هذين الكتابين على تبسيط العرض، ففي هذين الكتابين وما فيهما من التجديد والتطوير ما لا يوجد في الكتب الأخرى.

وقد حاول المؤلّف أن يجاري في هذين الكتابين أحدث المناهج التأليفيّة في كتب الدراسة الجامعيّة من العرض والتبسيط والتمثيل والتمرين والتنسيق والتعليق[١].

ومن أعماله الرائعة تفكيره بتقويم مسيرة المنبر الحسيني، باعتباره أحد أهم الوسائل التبليغيّة المؤثّرة في المجتمع بشكل مباشر، فقد قام بمحاولة جادّة؛ لتوطيد رساليّة الخطابة الحسينيّة، فكان فتح معهد بهذا المستوى من أكبر آمال الشيخ الفقيد، ففي التقرير السنوي الذي رفعه إلى الهيئة العامّة سنة ١٣٦٣ تصريح بهذه الفكرة، فقد جاء فيه: (كلية الوعظ والإرشاد، يتحوّل المتخرّج أن يعظ باسم الدين، وأن يكون ذاكراً للحسين والمنوي السعي في فتحها في فرصة قريبة إذا سهّل الله تعالى)[٢].

وتألّفت هذه اللجنة عام ١٣٦٣هـ برئاسة خطيب العراق الشهير فضيلة الشيخ محمد علي قسّام، وذلك على أثر التوجه العام الذي ظهر في جميع الأوساط المثقّفة في العراق بضرورة تهذيب ناشئة خطباء المنبر الحسيني، وتثقيفهم ثقافة عالية تليق برسالة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وقد باشرت هذه اللجنة أعمالها، وشرعت بالفعل – قبل أن يتم منهاج المدرسة وفتحها رسميّاً – في فتح صف بمنزلة تجربة لعملها لدراسة الفقه والعلوم العربية وأصول الدين وأصول الحديث وعلم الدراية.

غير أنّه لم يمض على فتح هذا الصف التجريبي قرابة شهر واحد إلّا وثارت – على غير انتظار – زوبعة عنيفة على هذه اللجنة بحجّة أنّها تسعى لتحديد نوع خطابة المنبر الحسيني وتحديد أشخاص الخطباء، وبحجّة أنّها تريد أن تقلّص من ذِكر الحسين عليه السلام، وبغير ذلك من التهم الباطلة التي كانت تكال على هذه اللجنة، في حين أنّ أعضاءها

(١) خدمة للحقيقة، نشير إلى أهميّة كتاب « مدرسة النجف» للعلّامة الجليل الشيخ محمّد مهدي الآصفي الذي أصدره في أربعينيّة الشيخ المظفّر، وقد استفدنا منه الكثير ممّا افاضه في دراسة الحركة الإصلاحية وتطوّرها.

(٢) منتدى النشر أعماله وآماله للشيخ محمد رضا المظفّر: ص٢١.

كلّهم من مشاهير الخطباء وأتقيائهم، الذين حرصوا كلّ الحرص على خدمة الحسين ومنبره، وما كان تأليفهم للجنة إلّا بدافع الإخلاص للدعوة الحسينيّة؛ لغرض تثقيف ناشئة الخطباء، وقد توتر جوّ النجف بهذه التهم ضدّ اللجنة، ممّا اضطرّ معه أصحاب اللجنة إلى أن يسرعوا في إلغائها؛ تفادياً لوقوع ما لا تحمد عقباه وكانت هذه الحركة الثائرة في وضع لم يدع للّجنة المهلة لكشف نيّاتها ومبادئها.

وبعد إلغائها في فترة وجيزة استطاع رجال المؤسّسة وجماعة من علماء البلد وزعمائها أن ينوّروا الرأي العام بالدوافع الحقيقية لتلك الحملة، وأن يفهموا الفوائد العظيمة التي كانت تُجنى من تأليف مثل هذه اللجنة.

وما يجب أن يذكر للتأريخ أنّ الذين تأثّروا بهذه الحركة وقابلوا الجمعية كان أكثرهم مندفعين بدافع من سلامة النيّة، ووفرة الإيمان الصحيح؛ لذلك كانوا أسرع استجابة من غيرهم إلى قبول ما أدلى به موضّحو الفكرة من العلماء والزعماء[1].

وإلى هذا القدر اليسير من حياة الشيخ المظفّر، وسيرته المشرقة نختتم الحديث المستفيض غير المدوّن لتأريخ حركة الوعي والمبادرات الخيّرة في وسط الحوزة العلميّة في النجف، والتي كان لها كبير الأثر في تفعيل الساحة علمياً وأدبيّاً وثقافيّاً، بل كانت بحقٍّ – لو سمحت الظروف– تقوم بمهمّة استباق الحوادث قبل أوانها.

على أنّ حركة المظفّر الإصلاحيّة قد آتت أكلها، وأينعت ثمارها، إلّا أنّ تسجيل وقائعها، وتدوين مفرداتها الزمنيّة وشخوصها لم تحظ بالكتابة الوافية[2].

---

(١) نظام منتدى النشر ١٣٧٠: ص٤، كذلك راجع الآصفي: الشيخ محمد مهدي، كتابه عن الشيخ المظفّر: ص١٣٢.

(٢) الحقيقة ان شخصية الشيخ المظفر على اهميتها وريادتها لم تحظ الا بالقليل من عناية الباحثين، وكان –كما المحنا– كتاب الشيخ الآصفي امثولة الوفاء وكتب عنه من ترجم لاعلام النجف ولم اظفر في الدراسات الجامعية غير الرسالة الموسومة (الشيخ المظفر وجهوده العلمية) للطالب حسين كاظم

وقد اجاد المرحوم محمد صادق القاموسي حيث قال:

أيهـا القـائـد المـظـفـر حـيـاك جـهـاد يخـتـال في عـنـفـوانـه
كـلـل الـغـار مـفـرقـيـك وعطر الخلد يستاف مـن شـذا ريحانه
ان عـمـرا صرفـتـه في بـنـاء كـان تـقـوى الآلـه مـن أركـانـه
سوف يبقى رمزا يباركه النشء ويهـدي الـنـضـال في لمعـانـه

عزيز نوقشت في كلية الدراسات الإسلامية جامعة الكوفة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. ولعل هناك غيرها.

واطلعت -وانا على اهبة تسليم الكتاب للمطبعة للاسراع في انجازه ضمن اجزاء الموسوعة- على دراسة هامة بعنوان جمعية منتدى النشر وأثرها الفكري والسياسي على الحركة الإسلامية في العراق (١٩٣٥ - ١٩٦٤) وهي رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية/ جامعة القادسية ٢٠١٢م-١٤٣٣هـ، وصدرت من مطبعة دار المدينة الفاضلة بغداد.

القسم الثالث

دوره المؤسساتي

و الثقافي والاجتماعي

المبحث الأول:

المؤسسات

في اطار دراسة الواقع الدراسي للجامعة النجفية يكتشف الباحث مكانتها على مدى تاريخها فيما تميز لاساتذتها من الخبرة العالية والمران لحيازة مراتب الفضل في تخصصاتهم.

فقد درجت حاضرتها على التطويرلمعالجة القضايا ذات الصلة بالمادة العلمية في ابواب المعرفة الفقهية والاصولية واقتناص الافكار الجديدة التي تجعل من المناهج أكثر حيوية ونضوجا ولانهامدرسة الاجتهاد، واما العلوم الشرعية فقد شهدت تجديدا في فتح باب الاجتهاد بما يماشي روح العصر وما تتم به معالجة مستحدثات المسائل، الامر الذي جعل اختلاف الآراء رحمة للامة في تقصي الفكرة الصائبة وإقرارها.

ومن هنا كان للمدرسة الفكرية في تاريخ الشيعة الامامية اثر يتناسب مع معطيات الحرية الفكرية في الإسلام ونشأت على اسسها طبيعة الحركة الاصلاحية؛ وذلك لان الاحداث ليست اشياء مجردة تقع في الفراغ دون ان تكون لها صلة بالبشر، بل هي من صنع البشر تحمل السمات الشخصية لصانعيها وتحكي طابعهم وامزجتهم وعواطفهم وطريقة فهمهم للحياة، على ان هذا الإنسان اذا كان رائدا للاصلاح فلا يستطيع ان ينجح في مهمته اويبلغ درجة نجاحها الا اذا احرز عنصر المشروعية في اقدامه على تطبيق اطروحته ورؤاه، فان (قيم الرجال وتشخيص ادوارهم في مجالات الابداع الفكرية والاجتماعية لايمكن ان تحدد على اسس من الخضوع لمقاييس مطلقة تتخطى طابع الزمان والمكان، وانما تشخص وتقيم اذا امكن ان توضع ضمن إطارها

الخاص وتحاط بمختلف ظروفها البيئية والزمانية.... ومن هنا كان للريادة والتأسيس دور المكانة الاولى في حساب الخالدين واذا صح هذا الاساس عدنا به الى مآثر رجال المنتدى واعمالهم لنقيم عطاءها وفق اسسه وركائزه ودراسة هذه الافكار وتشخيص ادوار الريادة فيها... وهذا النوع من الدراسة يقتضينا ان نعود الى الفترة الزمنية التي تمخض بها الصراع بين القديم والجديد عن ولادة فكرة هذه المؤسسة – جمعية منتدى النشر – واهم معالمها فكرة تطوير الدراسة من طريقة التعليم المنتظم والاستغناء عن نظام الحلقات)[١].

ولم تولد الفكرة لوجودها دون ان تتخطى الصعاب التي لابد من ظهورها في كل عمل جديد، حيث احتدم الصراع على اشده بين القبول والرفض وكان للعواطف والانفعال دورهما وبينهما دور يتمتع اصحابه (بحرية فكرية مع قدرة على التحرر من مسبقاتهم الفكرية اذا اتضح من خلال المناقشة مجافاتها للحق الذي يهدفون اليه)[٢].

(١) السيد محمد تقي الحكيم ،المنتدى تاريخ وتطور، مجلة النجف السنة الثالثة العدد الثاني ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م.

(٢) المصدر السابق.

جمعية منتدى النشر

تعد جمعية منتدى النشر من اهم المؤسسات التي سعى الشيخ المظفر في التفكير بتأسيسها ولم تكن هذه الجمعية هي الاولى في طموحاته لتحقيق آماله، بل وجدناه مواكبا الحركات الإصلاحيّة لتطوير الدراسات الدينيّة وهو في مقتبل العمر، فقد اشترك في أوّل جمعيّة سريّة انبثقت في النجف عام ١٣٤٣هـ لهذا الغرض، ثمّ ساهم بعد فشل هذه الجمعيّة وأمثالها في جماعة أخرى كانت أكثر قابلية وخبرة وأكبر شهرة وطبقة.

ثم في عام ١٣٤٩ عندما غزت بعض الكتب الالحاديّة المسمومة البلاد الإسلاميّة قام مع بعض الاعلام وبمقدمتهم الشيخ محمد جواد البلاغي بتأليف جمعيّة أخرى كان هدفها الرئيسي النشر والتأليف، وكان في نيّة المظفر ومن معه من القائمين بهذه الحركة استمرار هذه الجمعيّة إذا تمّت لإصلاح الدراسة الدينيّة.

والثالثة بما سميت بحركة الكلية نظرا لكثرة المؤيدين ممن اشتركوا فيها، وقد بلغ الموقعون على ورقة شروط العمل المائتين وهم رجال العلم بالنجف واهل الكلمة فيها ويعلق المظفر على اسباب الفشل فيها: (ان الدعوة كانت لعمل كبير جدا ليس من السهل تحقيقه مرة واحدة مهما كان القائمون به والتدرج سنة الله في خلقه)[1].

في رابع شوال عام ١٣٥٣هـ الموافق ١٠ كانون الثاني ١٩٣٥م قدم مجموعة من الشباب الروحانيين بيانا الى وهم سبعة اشخاص، الشيخ عبد الهادي حموزي والشيخ محمد جواد قسام والشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد علي الحكيم والسيد موسى بحر العلوم والسيد هادي فياض والسيد يوسف الحكيم طلبا يطلبون فيه تأسيس

(١) القا موسي، من اوراق المظفر: ١٣١ – ١٣٥.

جمعية دينية بالنجف الاشرف باسم منتدى النشر مصحوبة بالنظام الاساسي، وبعد مدة اجازت الوزارة فتح المنتدى في كتابها المرقم ٩٠٧٧ في ٥ صفر ١٣٥٤ الموافق ٨ مايس ١٩٣٥. وانضم لهم مجموعة من الاعلام منهم السيد جعفر بحر العلوم والشيخ عبد الحسين الحلي والشيخ محمد حسين المظفر.

وفي عام ١٣٥٤ اسست جمعية منتدى النشر وارخ عام تأسيسها الشيخ محمد حسين يونس المظفر بقوله:

يا بنفسي عصابة اخذتهم غيرة الدين مذ رأوه تفرنج
فاقاموا لواءه لبنيه فهو من طيب نشرهم يتأرج
بلغوا دينا الحنيفي ارخ (منتدى النشر جاء للحق منهج)

وقد صدر لها نظام اساسي ورد في مادته الثالثة ان الغاية من التأسيس تعميم الثقافة الإسلامية بجميع الطرق المشروعة، ويذكر المظفر في اوراقه: (ولئن كانت كلمة النشر في اسمه تعطي معنى خادعا لاول وهلة، فعند التفكير في غايته العامة ينكشف لك المعنى المقصود منها، فلم تمض سنة واحدة حتى قرر مجلس ادارته في جلسته المنعقدة بتاريخ ٧ / ربيع الاول / ١٣٥٥ برئاسة المعتمد الشيخ محمد جواد الحجامي وبطلب منه فتح مدرسة عالية للمنتدى تدرس فيها المعارف الإسلامية والعربية، وبوشر في تطبيقها في نفس العام بفتح صف عال يدرس فيه لاول مرة الفقه الإسلامي والتفسير واصول الفقه والفلسفة، وعهد في تدريس الاولين الى العلامة المجتهد الشيخ عبد الحسين الحلي عضو الهيئة المشرفة يومئذ وفي تدريس الاخيرين الى العلامة المجتهد الشيخ عبد الحسين الكيلاني الرشتي. وتستمر المسيرة بتقدم ونجاح ملحوظ، ويكتب الشيخ بلغة متفائلة لفتح ثلاث صفوف وطلاب يزيدون على المائة واختبارات شهرية ورنة استحسان ورضا العلماء وتأييدهم واعتراف وزارة المعارف الجليلة.

وعندما نقرأ في كراسة من اعـداد الشيخ المظفر بعنوان (منتدى النشر آماله وأعماله)[١] وهي تقرير قدمه مجلس الادارة السادس للجمعية الى جلسة الهيئة العامة بتاريخ ٢٢/ ربيع الاول / ١٣٦٣ يتضمن تدوين ما تم انجازه خلال فترا ت من التأسيس، فالدور الاول ينتهي بكونها مؤسسة نشر والدور الثاني يشير الى تأسيس مدرسة لتأسيس العلوم الدينية او كلية الاجتهاد والدور الثالث طبع محاضرات علم المنطق والنحو، واعتراف وزارة المعارف لاستثناء الطلاب من خدمة العلم باعتبارهم رجال دين [٢]. وتأييد المرجع الاعلى السيد ابي الحسن الاصفهاني لمشروع المنتدى. وفي الدور الرابع تم انتخاب مجلس الادارة السادس بتاريخ ٢٨ / رجب / ١٣٦٠ وسجلت له اعمال هامة منها جعل المدرسة في دورتين الاولى في اربع صفوف كمتوسطة والثانية ثلاثة صفوف ككلية الفقه ووثوق العلماء بجواز صرف الحقوق الشرعية في مشاريع المنتدى، والانجاز الاخرالمبادرة لتأسيس مدارس خارج النجف في الكاظمية وكربلاء والبصرة وبلد وغيرها وان كان الاهم ماتحقق بالمركز الرئيسي في النجف لانه المعول عليه بتحقيق اهداف المنتدى، ومنها تقصير مدة الدراسة لتقريب الطالب الديني من نيل درجة الاجتهاد وتهيئة المتخرج كاتبا وخطيباً[٣].

ونخلص اخيرا ببيان النتائج التي تحققت من مساعي الشيخ المظفر ما تم انجازه:

١ – مدرسة منتدى النشر العالية في السنة التالية من تأسيس جمعية منتدى النشر أي سنة ١٣٥٦هـ – ١٩٣٦م وبعد إغلاقها.

٢ – أعلن تأسيس كلية منتدى النشر سنة ١٣٦٣هـ – ١٩٤٣م التي استمرت إلى قيام نظيرتها.

(١) المصدر السابق: ١٤٧ –١٦٣.

(٢) انظر مذكرة المظفر حول قانون وزارة الدفاع في القسم االرابع (وثائق ومعطيات).

(٣) تحدثنا بتفصيل اكثر عن مرحلة التأسيس في القسم الثاني (الحركة الاصلاحية).

٣ – تأسيس كلية الوعظ والإرشاد سنة ١٣٦٣ هـ.

٤ – تأسيس لجنة المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر سنة ١٣٦٣هـ.

٥ – تأسيس أول مركز أهلي لمحو الأمية في العراق سنة ١٣٦٤هـ – ١٩٤٤م.

٦ – كلية الفقه التي أسّست سنة ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م واستمرت حتى إلغائها من قبل النظام السابق.

٧ – فتح دورات زمنية خاصة مثل دورة مسك الدفاتر التجارية، ودورة قسم من العلوم الرياضية، دورة ببعض اللغات الأجنبية.

٨ – تأسيس وإدارة عدد من المدارس الإعدادية والمتوسطة والابتدائية في النجف والكاظمية والشامية والبصرة والحلة وكربلاء.

٩ –طموحه في التمهيد لاقامة (الجامعة الإسلامية) حيث يعد بذلك رائداً في الدعوة لفكرة (جامعة الكوفة) قبل تأسيسها من خلال ما طرحه في تأسيس كليات عالية للفقه والاصول في العتبات المقدسة مثل كلية الوعظ والارشاد وكلية التبشير وكلية الادب والتاريخ ومدارس ثانوية ومتوسطة.

١٠ – أصدرت المؤسسة برعاية المظفر مجلتين الاولى البذرة والثانية النجف وهما من خيرة المجلات النجفية، وتعهد تحريرها الطلاب والاساتذة وتضمنت بحوثا ودراسات رصينة وكان لها حضور في المشهد الثقافي العام.

ويذكر الاستاذ ابراهيم الوائلي عندما تأسست الجمعية (التف حول مناهجها ودروسها طائفة غير قليلة من النجف وغيرها وهي تفعل في شكل فصول وامتحانات كما يفعل الازهر وكانت نشرة (البذرة) منبرهم الذي يتبارون عليه.

ويمكن القول – بعد الاستعراض الموجز [١] – ان الجمعية قد حققت الكثير من اهدافها واستمرت الى يومنا الحاضر على انها مرت بظروف قاسية، لكن الاهم ان من انتسب لها مؤسسا اواستاذا او طالبا كانوا يعدون من النخبة التي تحمل رسالة الاصلاح والتغيير، وكانت لنهضتها الواسعة الاثر الواضح في ولادة الوعي الإسلامي الحديث في الرجال والاثار القلمية بل كما عبر عنها (أزهر النجف).

ونودّ أن نختم الحديث عن مؤسّسة منتدى النشر الدينية، بما خاطبها الشيخ الوائلي، وهو ابنها البار، وتلميذ الشيخ المظفّر الوفي، الذي تتجسّد فيه مدرسته الفكريّة والإصلاحية بقوله من قصيدة نظمها عام ١٩٦٣ م، أيّام تعرّض المنتدى إلى هزّات عنيفة في محيطها، وفيها يشير إلى جهاد الشيخ المظفّر:

نجَّاكِ عبر التيه أنَّك بيرق ... ووقاكِ عند الموج أنَّكِ زورق
لا ترهبي أن يغرقوكِ بضجَّة ... فأَبوك عهدي سابح لا يغرق
شدَّت بكاهله الخطوب فأَدَّها ... ثقلاً وما أدَّته سود تطرق
ورمته أُم بالعقوق فكذبت ... كفٌّ تذود وفكرة تتأَلّق
المسرج الأَذهان يطعم جوعها ... قلباً على اللهب المقدَّس يحرق
والمنكر الذات الَّتي لو رامها ... لتضخّمت ذات وأَخصب مرفق
لكنَّ ذات العاملين وجودها ... هدف وإن وعر الطريق يحقّق
ولتنمحي من بعد ذلك ذاتها ... ما عاش رقم بالمكاسب ينطق

ثمّ يقول:

سيري فما وقف الزمان لفرية ... يوماً ولا ردَّ المغذَّ معوِّق

(١) – للتفصيل يمكن الاطلاع على ماورد باوراق المظفر آنفة الاشارة. ورسالة الماجستير الموسومة (جمعية منتدى النشر واثرها الفكري والسياسي على الحركة الإسلامية في العراق ١٩٣٥ – ١٩٦٤) بقلم سعد عبد الواحد عبد الخضر طبع دار المدينة الفاضلة بغداد٢٠١١.

ما فلَّ عارضة الهزبر مخذِّل أَبداً ولا دفع الجبان مصفِّق
روِّي الثرى فإذا ازدهى فرسالة أولا فحسبك أَنَّ غيثك ريِّق
إنّ الحياة لواضحين مشوا إلى هدف وليست للَّذين تزأبقوا
صنعوك للأجيال أُمنية فلا يلوي بعزمك أَنَّ أُفقك ضيِّق
إنّا نريدكِ جذوة تهدي ولا يكوى بها حتَّى العدوُّ المحنق

ولاننسى ونحن نقف عند محطة من جهاد المظفر ان نؤكد اهمية دوره (في مسيرة الجمعية فكرة ومنهاجا وتنظيما ومؤسسات وعلاقات اتصفت بالألق والسمو والقدرات العالية الفذة والجهاد المتصل الذي لم يفتر أواره أويطفأ نوره حتى بعد وفاته)[1].

(١) المصدر السابق: ٢٦٥.

المجمع الثقافي الديني

تأسس المجمع الثقافي ابتداء في دار الخطيب الشيخ مسلم الجابري واستمر يعقد فيه ثلاث سنوات في ليلتي الاحد والاربعاء من كل اسبوع والاعضاء هم ١- السيد عبد الحسين الحجار ٢- السيد محمد رضا جعفر الحكيم ٣- السيد محمد تقي الحكيم ٤- محمد صادق القاموسي، وبعد ان توسع في منهاجه وفكرته اجمعوا على الحاقه بجمعية المنتدى ونظموا تشكيلته وفق الاصول بتاريخ ١٥ / ١٢ / ١٣٦٣.[١]

ويشير نظام المجمع الثقافي[٢] في لائحته الى اعتماد تسميته الرسمية بعنوان لجنة المجمع الثقافي الديني، وان اهدافه هي اهداف جمعية منتدى النشر في رفع مستوى الثقافة وخدمة العلم والدين عن طريق القاء المحاضرات والنشر والتأليف وان عدة اعضائه الدائميين خمسة عشر عضوا، وهناك اعضاء شرف واعضاء مساعدون ومدة العضوية ثلاث سنوات على الاقل، ويجري اجتماع اداري في كل اسبوع مرة واما انتخاب الرئيس فيكون على رأس كل سنتين.

وقد اقام المجمع نواته التي كانت غنية بالبحوث والدراسات القيمة بمشاركة اعلام الفكر وافاضل العلماء، ومن اهم اعمالها الثقافي اقامة اسبوع الامام بمناسبة شهادة الامام علي عليه السلام في شهر رمضان ١٣٦٤هـ، وعقدت جلسات القيت بها محاضرات لاعضاء المجمع الثقافي كالسيد محسن الامين والشيخ محمد حسين المظفر رئيس المجمع والسيد محمد تقي الحكيم والسيد محمد علي كمال الدين والحاج عبد المحسن شلاش

(١) علي الخاقاني، شعراء الغري ١١: ٣١١.

(٢) راجع نص النظام في وثائق ومعطيات.

والدكتور احمد سوسهة والشيخ محمد رضا المظفر ومحمد جواد جلال والشيخ عبد الحميد السماوي

وأصدر المجمع مجموعة من الكتب كانت أصولها في الغالب محاضرات تليت بالمجمع، منها الشيعة والامامة والصادق الثقلان وللشيخ محمد الحسين المظفر والسقيفة للشيخ محمد رضا المظفر والزهراء للسيد محمدجمال الهاشمي وشاعر العقيدة وزرارة بن اعين ومالك الاشتر للسيد محمد تقي الحكيم وغيرها.

كلية الفقه

أمّا «كليّة الفقه» فكانت امتداداً لكليّة منتدى النشر السابقة، وقد وضع لها الشيخ المظفر نظاماً ومنهجاً جديداً يتناسب والمستويات الدراسيّة العالية ويجمع بين القديم والحديث، تأسست عام (١٩٥٨م – ١٣٧٨هـ) ونالت الاعتراف الرسمي من وزارة المعارف العراقية بموجب كتابها المرقم ٨٠ / ٢/ ١ في ٣٠ / ١١/ ١٩٥٨ وكان عدد طلابها في الدورة الاولى (٤٥) طالبا المسجلين رسميا بعد ان تقدم (٢٠٠) طالب، وتخرج(٣٥)طالبا في هذه الدورة عام ١٩٦٢ بدرجة بكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وتلقت الكلية الاعتراف الرسمي من جامعة بغداد بكتابها المرقم ٢٠٨٣ في ٢٩/ ١٢/ ١٩٦٢.

وكان اساتذة الكلية لهذه الدورة في طليعتهم الشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ محمد تقي الايرواني والشيخ عبد المهدي مطر والدكتور عبد الرزاق محيي الدين والدكتور احمد حسن الرحيم والدكتور حاتم الكعبي والدكتور عباس الوهاب والدكتور صالح الشماع والدكتور فاضل حسين [1].

وقد ظلّ المظفر عميداً لها ورئيساً لجمعيتها إلى وفاته.

والمعروف عن اساتذة كلية الفقه اما اعلام الحوزة العلمية او غيرهم من حملة شهادة الدكتوراه بصفة محاضرين، وقد حاضر منهم غير ماذكرنا سابقا في ستينات القرن الماضي الدكاترة عناد غزوان وعبد المجيد الحكيم وعبد الله درويش وحسين نصار وحامد شاكر حلمي وقيس النوري ومدني صالح ومحمد باقر تويج.

---

(١) مراجعة كتاب كلية الفقه تاريخ وتطور، اعداد الدكتور علي خضير حجي دار الضياء النجف.

وتبقى كلية الفقه رغم التحدي والظلم الذي طالها في فترة العهد المباد بالغائها اوربطها بالجامعة المستنصرية ومصادرة بنايتها وسلب اثاثها ومكتبتها العتيدة الا انها شامخة باصالتها وتاريخها الخالد الذي يمثل تضحيات غالية ومسيرة كفاح نادرة المثال في تاريخنا العلمي والتربوي.

جماعة العلماء

بعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ وولادة الجمهورية العراقية بدأت بعض الاحزاب اليسارية تتصدر الساحة وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العراقي، ووقع مالايحمد عقباه في عدم احترام القيم والآداب التي دأب الناس على احترامها والنجف بالاخص لانها مدينة دينية تحرص على صيانة المقدسات وقيادة امورها في ظلال المرجعية العليا.

وما القصد من العرض التاريخي هذا إلا بما نحاول ان نقف على الاسباب التي أدت الى تأسيس جماعة العلماء في النجف للحفاظ على القيم الروحية للمسلمين عامة والعراق والحاضرة العلوية بالذات، والتصدي للنزعات الالحادية التي بدأت حينها بالظهور والتجاوز بانتهاك المحرمات وشيوعها في المجتمع آنذاك.

وكان موقف المظفر يجتمع مع الآخرين من إخوانه العلماء المجاهدين، ويجتمعون إليه، ويتحدث إليهم، ويتحدّثون إليه، وتتمخّض هذه الأحاديث والاجتماعات عن (جماعة العلماء)، ويكون الشيخ المظفّر من أبرز أعضائها العاملين، يعقدون الاجتماعات السريّة والعلنيّة ليضعوا منهاجاً للعمل، وليصمدوا أمام التيّار الشيوعي، وليردّوا إلى المسلمين بعض الأمن الذي سلبه الشيوعيّون.

وقد لاقى عملهم هذا رقابة شيوعيّة قاسية، ويكلّل الله العمل بالنجاح، ويجتمع العلماء على مقاومة التيّار، ومن ورائهم جماعة العلماء الأفاضل ومن ورائها المسلمون.

وتُدعم هذه الحركة المباركة من قبل المرجعيّة الدينيّة بقيادة المرجع الديني الاعلى السيّد محسن الحكيم في فتواه الخالدة، التي كان لها أثر بالغ.

وتضطرّ الشيوعيّة أن تتراجع أمام هذه الزحف المقدّس: وينحسر ظلّ الشيوعيّة البغيض عن هذا البلد، ويؤوب المسلمون باطمئنان إلى ظلال الإسلام الوفيرة، بعد أن حاولت الشيوعيّة أن تكدّره عليهم بمحاولة فاشلة[١].

ومن حيث مرّت هذه الفتنة بسلام، فقد كانت مساهمة الشيخ المظفّر فعّالة ومهمّة.

ونقف على ماجرى بتاريخ تلك الفترة – بعد سقوط الحكم الملكي في العراق –حيث سجل المرحوم الشيخ محمد حسن الشيخ محسن الجواهري (١٣٢٧– ١٤٠٨) ذكرياته بما يلي: ويوم حلت الذكرى الاولى لانقلاب ١٤ تموز وصادف ذلك في يوم السابع من شهر محرم ومعلوم ان المد الاحمر في تلك الفترة قد بلغ مداه، ومعلوم ان الاحتفالات جرت على عادتها ووقع هتك لحرمة الشهر ولشعائر الدين، فالتقى الجواهري بالشيخ المظفر وشخص آخر من بيوتات النجف على ان يسافروا الى بغداد شريطة سفر كل منهم بمفرده خشية إذا اجتمعوا بالسفر ان يقع المحذور بتحرشات المقاومة الشعبية، واتفقوا على مقابلة عبد الكريم قاسم ويعرضون عليه رأي النجف وأهمية الاستجابة لطلب إلغاء الاحتفالات خلال العشرة الأولى من المحرم.

وصادف في عشية تلك ليلة السفر وصل نعي وفاة شقيق الشيخ الجواهري المرحوم الشيخ جواد فأغشي عليه ونقل إلى البيت ولم يستطع لهذا السبب السفر إلى بغداد ولكن الشيخ المظفر وصل بغداد وانتظر رفيقيه فلم يأتيا فقفل راجعاً إلى النجف وحضر مراسم التعزية للشيخ الجواهري وقال – المظفر – للجواهري: أنه صمم على أن يلبس كفنه ويأخذ بيده السيف ويقف بباب جمعية منتدى النشر التي كانت تجاور الحرم الحيدري فإذا مرّت التظاهرات يمنعها فإن لم تمتنع يجاهدهم بالسيف. وقد أيّده الجواهري على ذلك ووصل الخبر إلى مجموعة من رجال الدين فاعصوصبوا للأمر ولكن السلطة طرق

(١) الشيخ الآصفي، مدرسة النجف وتطوّر الحركة الإصلاحية فيها: ٧٩.

سمعها ما عزم عليه الشيخ وأنصاره وخوفاً من العواقب ألغيت الاحتفالات في مدينة النجف...

وحدثت في النجف وقائع أخرى من هتك للحجاب والأعمال المشينة وقابلها بالتحدّي الشيخ الجواهري، ثم توالت الأحداث المؤلمة خلال المدّ الأحمر بانتهاك المقدّسات ومنها احتفالات صاخبة قرب حرم أمير المؤمنين عليه السلام واستهتار بكل الحرمات وانجراف الأمّة بذلك التيّار الجارف، فبادر الشيخ الجواهري بدور أساسي متعاوناً مع مجموعة من الأعلام إلى تشكيل جماعة العلماء وقد شاركه الرأي لأول مرّة السيد باقر الشخص وعرض الأمر على بعض الذوات فاستجابوا له وكان منهم آية الله الشيخ مرتضى آل يس وسماحة السيد صادق الصدر والشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي والشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي والشيخ خضر الدجيلي والشيخ محمد حسين الهمداني والسيد محمد حسن الصافي والشيخ محمد رضا المظفر وغيرهم من أعلام الحوزة العلمية في النجف، وعرض الأمر على المرجعين آنذاك السيد محسن الحكيم والسيد عبد الهادي الشيرازي قدس سرّهما فباركا تأسيس هذه الجماعة وتعضيدها، وقد عقد الاجتماع الأول في دار المرحوم الشيخ الجواهري في محلّة العمارة وكان من رغبته أن يتولّى الشيخ مرتضى آل يس الرئاسة لها لمنزلته العلمية وكبر سنّه وأيّد الحاضرون على اختيار رئيس الجماعة الشيخ آل يس... وبعد ذلك صدر البيان الأول لهذه الجماعة وقد أحيلت كتابته إلى الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره وفي الاحتفال الذي أقيم بالجامع الحيدري بمناسبة ولادة أمير المؤمنين عليه السلام، اعتلى الشيخ الجواهري لأول مرة في حياته المنبر معلناً البيان الأول لجماعة العلماء الداعي إلى التمسّك بالدين وعدم الانحراف وراء الدعايات الضالة والمضلّلة التي تروّجها الجماعات الخارجة عن الدين، وكانت هذه وقفة شجاعة توفّر فيها الإخلاص لله تعالى برفع راية الحق والوقوف بوجه الهمج

الرعاع الذين ينعقون، ولا يغيب عن البال المجازر التي ارتكتبت منهم في مدن عراقية كثيرة مثل الموصل والكاظمية.

وهكذا كانت كلمة مدينة النجف التي عبّرت عنها جماعة العلماء في أول تأسيسها ثم صدرت الفتوى من مراجع النجف وفي طليعتهم الإمام السيد محسن الحكيم حول الشيوعية، واستمرّت اجتماعات جماعة العلماء بصورة سرّيّة ولم يثنها عن عزمها عصابات تلك الجماعات التي رفعت شعار حكم الإعدام وعلّقته في الشوارع والأسواق وعلى أبواب بيوت العلماء، فأصدرت الجماعة بيانها الثاني، ثم صدر البيان الثالث واندحر الباطل إلى النهاية[١] وكانت هناك مواقف جريئة أخرى من جماعة العلماء كان لها التأثير في مسيرة الوعي الإسلامي وتوجيه النابهين من أفاضل الحوزة العلمية إلى التوجه بكتابة المقالات والدراسات في الفكر الديني بخطاب إسلامي جديد، فقد قامت الجماعة بتشكيل يضم مجموعة من رجال الدين في ظل جماعة العلماء وهم الشيخ هادي القمّي والسيد مير حسن أبو طبيخ والشيخ جعفر صادق العاملي والسيد محمد مهدي الحكيم والسيد محمد سعيد الحكيم (المرجع المعاصر) والشيخ عبد الهادي الفضلي والشيخ مهدي السماوي والشيخ عبد الحليم الزين والسيد جعفر بحر العلوم والسيد طالب الرفاعي، وكانت هذه المجموعة تعمل في صفوف جماعة العلماء وقد شُكّلت لغرض ممارسة الكتابة والخطابة ليقوموا بمهمّة الرد على الأفكار الشيوعية ونقدها كما شُكّلت لجنة للإشراف عليهم ممثلة بالشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد جواد الشيخ راضي والسيد موسى بحر العلوم والشيخ محمد أمين زين الدين[٢].

كما أن جماعة العلماء أشرفت على إصدار مجلة الأضواء التي يرأس تحريرها المرحوم

(١) السيد حسن الأمين، مستدركات أعيان الشيعة المجلد ١١: ٣٠٢. (بتصّرف)

(٢) الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، هكذا قرأتهم ١: ٣٢٨. القاموسي، مع السيد الرفاعي في أماليه: ٢٣.

الشهيد الشيخ كاظم الحلفي وقد ملأت هذه المجلة مساحة واسعة من الفراغ العقائدي والفكري وكانت عاملاً مؤثّراً في تنشيط وولادة الحركة الإسلامية.

ومما يجب التنويه إليه هو أن هذه الجماعة ضمّت بالإضافة إلى من ورد اسمه من الأعلام أسماء أعلام آخرين يستطيع الدارسون أن يبحثوا في المصادر المتوفّرة عن هذه الجماعة ومشاركتهم في المساهمة بالتشاور والرأي والنشاط الفكري.

المبحث الثاني:

الحقل الاجتماعي والوطني

حيث كان له في التوجيه الاجتماعي اهتمام كبير، فهو يرى في الأُمّة مصدراً رئيساً لنشاط وحيويّة العمل من أجل المبادئ الإسلامية، وأنّ من حقّ المرجعيّة الدينيّة أن تتصدّر الزعامة للمجتمع، خاصّة عندما تكون هناك حقوق متبادلة، يقف في مقدّمتها حقّ الأمّة على الزعامة في التوجيه الواعي، والتثقيف، وممارسة أفضل الوسائل المتاحة، من أجل أن تنهض الأمّة بمسؤوليّاتها، كما أنّ من حقّ الزعامة الدينية على المجتمع الطاعة والانقياد.

وقد وجدناه كيف يشير إلى هذه المسألة في رؤيته لنيابة الإمام المنتظر عجّل الله فرجه في عصر الغيبة الكبرى.

ومن نتائج هذا التفكير في موقعيّة رجل الدين في المجتمع، ومرجعية الزعامة الدينيّة، كان في مشاريعه الإصلاحية أوقع أثراً على توجيه الناس.

هذا، بالإضافة إلى أنّه كان يمثّل امتداداً طبيعيّاً للبيئة النجفيّة في صراعه الدائم مع الاستعمار، وسعيه المتواصل في التوجيه الاجتماعي، وكفاحه الإسلامي المستمر[1].

وقد عاش كثيراً من هذه الحركات، ولم يعاصرها فحسب، والتأم بها فكريّاً وعاطفيّاً، وصار يحسّ بها جزءاً من كيانه، يهمّه من أمرها ما يهمّه من أمر نفسه.

وساهم في القضيّة العراقيّة مساهمة فعّالة في طليعة الشباب الذين تبنّوا القضيّة،

(١) لغرض معرفة ما يوثق هذه القضية ينبغي الاطلاع على ما ذكرناه بعد ذلك من أشعاره عند التعرّض إلى أدبه ومنهجه في ذلك.

وعانى من فشلها ما يعانيه الإنسان من فشل تجاربه الحياتية الخاصّة، وتأثّر بذلك فكريّاً وعاطفيّاً.

وكان يعيش هذه الأحداث كما لو كانت جزءاً من كيانه الخاص، ويمتزج بالثورات والدعوات الإصلاحية حتّى يكاد أن ينكر ذاته في البيت.

ولم يشعر يوماً من الأيّام أنّه يعيش وحده، في عزلة اجتماعية في زاوية من بيته المتواضع، أو جانب من مؤسّسة منتدى النشر، بل كان يشعر دائماً – بوضوح وقوّة – أنّه جزء من الأُمّة الإسلامية، يعنيه ما يعنيها من أمر، ويهمّه ما يعرض لها من سوء)[1].

ولعلّ من اولى اهتماماته التوجّه إلى تأسيس مدارس دينيّة على الصفة الحديثة التي امتدّت إلى مدن عديدة من العراق.

ولا أدلّ على حسن توجّهه من تخريج الطليعة من تلامذته الذين احتلّوا موقع الريادة الفكريّة، سواء منهم من واصل مسيرته العلميّة في الحوزات العلمية، أو من جمع بين هذه الدراسات والدراسات الجامعيّة، ولذلك يعد جيل المظفّر سبّاقاً لتوثيق العلاقة الفكريّة بين الحوزة والجامعة في العالم الإسلامي؛ حيث احتلّت الصفوة الصالحة ممّن كان يعاضده – كالعلاّمة السيد محمد تقي الحكيم، والشيخ عبد المهدي مطر – مراكز علمية مهمّة في الدراسات الجامعيّة العليا بصفة خبراء لهم دور الإشراف على الرسائل الأكاديميّة.

وكان تلامذته، وما زالوا يواصلون هذا السبيل، بل كان انتزاع الاعتراف الرسمي بشهادة كليّة الفقه من الجامعة.

هذا، بالإضافة إلى اختيار العديد من هؤلاء الأعلام لمنصب العضويّة في المجامع العلميّة أو اللغويّة، على مستوى العالم العربي أو الإسلامي.

(١) الآصفي: الشيخ محمد مهدي، المصدر السابق.

ولابدّ من الإشارة إلى أهميّة الدور الإيجابي للدوريّات الثقافيّة التي صدرت عن مؤسّسة الشيخ المظفّر، كمجلّة النجف أو البذرة، أونشاط الصحافة الإسلامية وانجاز دراسات في الفكر الإسلامي.

ولقد كانت خطوات الشيخ في حركته الإصلاحيّة بمنزلة الحافز الرئيسي المباشر إلى وضع أصول الوعي الإسلامي، ودعم موقع المرجعيّة الدينيّة ومساهمتها في مشروع النهضة بخطوات تأسيسيّة فاعلة.

أمّا قضايا الأمّة، فقد كان ينظر إليها برؤية إسلاميّة، ويتابعها، ويقاسي من أجلها، وهو في بيته، أو في أثناء تدريسه، أو ممارسة مهامّه في المنتدى والكليّة، وفي المجالس والمنتديات، ومن ذلك محنة فلسطين والجزائر، (هذه المحنة التي حلّت بالمسلمين في هذين البلدين، فيُخال حين يتحدّث لمن حوله عنهما بأنّه يعيش المحنة بين جوانحه أكثر ممّا يعيشها المسلمون هناك)[1]، وقد تجلّى ذلك في أكثر كتاباته، ومنها مقالته الشهيرة (اسمعني) المنشورة في جريدة الهاتف النجفيّة، السنة الثالثة عشرة والسنة الرابعة عشرة.

وأمّا ما حلّ بمصر عام ١٩٥٦ في العدوان الثلاثي عليها، فلم يطق الشيخ المظفّر هذا الاعتداء، حيث أبرق إلى شيخ الأزهر في حينه ببرقية تضمّنت ما يلي:

(١) الآصفي: الشيخ محمّد مهدي، المصدر السابق: ص٨٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

محافل النجف الأشرف تعجّ صارخة إليه تعالى بدعائها لإنقاذ مصر المسلمة، وتبتهل إليه أن يأخذ بنصركم، ويرفع لواءكم، والقلوب تقطر دماً من الاعتداء الصارخ الذي تقوم به وحشية أعداء الإسلام والإنسانيّة، والمسلمون في جميع البلاد يد واحدة في شدّ أزركم.

محمد رضا المظفّر

عميد كليّة منتدى النشر

تشرين الثاني / ١٩٥٦

ولا بد من الإشارة إلى موقف الشيخ المظفر بصدد ما وقع من الاعتداء على الطلاّب وقتل بعضهم من قبل الشرطة في النجف وترك جثثهم، حيث حضر إلى مجلس يضم مجموعة من العلماء ومنهم من آل الشيخ راضي (الأسرة العلمية النجفية) وكان قد استشهد ابن الشيخ محمد جواد الشيخ راضي ولم يتوصّل الحاضرون في حينه إلى قرار يحسم كيفية استلام الجنائز بسبب توتّر الوضع العام في النجف بعد أن بعثت الحكومة بقوّات مساندة للشرطة التي اعتدت، عندها بادر المظفر قائلاً: أنا سأخرج وحدي وأتوجّه لاستلام الجنائز واتحمّل كلّ المسؤولية. ثم خرج لتنفيذ ما أراده وقام الحاضرون باتباعه والذهاب معه وكانت هذا الموقف يمثّل جرأة الشيخ وشجاعته.

المبحث الثالث:

مواقفه مع أنظمة الحكم في العراق وغيره

ولعلّ من الأمور الهامّة الإشادة بمواقفه الدالّة على الحزم وحسن التدبير، ومن ذلك: موقفه حين وقع عليه الاختيار لزيارة البلاط الملكي في بغداد، تلطيفاً للجفوة التي قوبل بها وليّ العهد في أثناء زيارته للنجف، فقد كانت هناك أمور استدعت علماء النجف أن يحجموا عن مقابلة وليّ العهد في تلك الزيارة؛ يقول جعفر الخليلي – رفيقه في هذه الرحلة– للبلاط: (ولقد قابلنا ولي العهد فعلاً، ولنترك الآن ما قلته أنا، أمّا هو، فما عرفت لوماً أفرغ في عتب حلو جميل، ولا نقداً صيغ في عبارة عذبة، كالعتب الذي عاتب به المظفّر الحكومة، وكالنقد البناء العذب الذي أسمعه المظفّر لوليّ العهد عن حكومة ذلك الوقت، ولم يكذب ولم يداهن، وكلّ ما عمل هو ان نقل أحاسيس الناس وسخطهم في عبارة غاية في الأدب، وخرجنا من البلاد وأنا جازم بأنّه قد قال أكثر ممّا تسمح به الظروف هناك عن الحكومة وطريقة الحكم)[1].

وأمّا ما حدث بعد ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ في العراق؛ حيث استطال الشر وطرأت على البنية الاجتماعيّة الدينيّة فتن وأحداث جسام بتسلّط الشيوعيّين على دفّة الحكم، وقد أمتُحن المسلمون امتحاناً عسيراً في إيمانهم، ويقدّر الله للشيخ المظفّر أن تتّصل به أسباب الحياة، ويدرك هذه الفترة الحالكة من تأريخ العراق، ويساهم مع المجاهدين من المؤمنين في إجلاء هذه الفتنة؛ يعاني بنفسه هذه التجربة الجديدة، بما فيها من مرارة وقسوة.

---

(١) الخليلي: جعفر، هكذا عرفتهم: ٢/ ٢٥.

ثمّ يجد في هذه التجربة القاسية ملامح الضعف في الدعوة والخطأ في السلوك نحو التوجيه – وعزّ من لا يخطأ – ولا جدوى في اللوم والعذل، فيشمّر عن ساعد الجدّ؛ لتصحيح أخطاء الماضي، وملء فراغات الدعوة بجدٍّ ومثابرة لا يعرفان الملل، ويحاول أن يعالج الداء – بعد أن استفحل أو كاد – بصورة سريعة قبل أن يسري الداء إلى سائر أجزاء البلد الإسلامي العزيز.

وفي عام ١٩٥٩ صدر قانون الأحوال الشخصيّة رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩م، والشيء المهم فيه هو تحدّيه للمبادئ الإسلاميّة، ومحاولة إقصاء دور الشريعة الإسلامية في أحكامها المقرّرة لتنظيم حياة الأسرة في المجتمع، من زواج وطلاق وميراث وتضمّنت مواد هذا القانون مخالفة صريحة للشريعة الإسلامية، ومعارضة لصريح القرآن الكريم، وكذلك ما يخالف المذاهب الإسلامية، وما هو موضع خلاف بين السنّة والشيعة بحيث يقع العمل بمثل هذه المواد موضع إشكال إذا لم توافق رأي المرجع الفعلي لكلّ مذهب[1].

أمّا المواجهة لصدّ هذه الزوبعة العنيدة، فقد كان في الموقف المعروف بصلابة الإيمان الذي يتحلّى به علماؤنا الأعلام في الحوزة العلمية بالنجف، وكانت المساهمة الرائعة لشيخنا المظفّر تتناسب مع أهميّة وخطورة الحدث، فقد قام بدوره بإرسال برقيّة إلى المسؤولين من رجال الحكم والإدارة لينذر فيها – بتوقيع وتوقيع ثلّة من أعلام الدين– من مغبّة الوضع السيّىء الذي يواجه البلاد؛ حماية لذمار العقيدة، وصيانة لأحكام الشريعة، ونصّ البرقيّة:

---

(١) أفاض العلّامة الدكتور المرحوم السيّد محمد بحر العلوم في بحث هذا الموضوع الهام في دراسته القيّمة: (أضواء على قانون الأحوال الشخصيّة).

وقد تطرّقنا إلى بحث هذه الناحية في دراستنا عن (البنية القانونية العراقية اضاءة حول قانون الاحوال الشخصية العراقي).

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اطّلعنا على قانون الأحوال الشخصية، فوجدناه يصطدم في كثير من مواده بالقانون الإسلامي المقدّس، وبنصوص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فأسفنا أن يشرعّ مثل هذا القانون، ولا سيّما في العراق، البلاد الذي يرجع إليه المسلمون أجمع في تعرف أحكام الإسلام الحنيف وتشريع القرآن الكريم، فكان الجدير بقانون الأحوال الشخصية أن يكون صدى لصوت القرآن، ونسخة مطابقة لأصل قانون الإسلام لا يحيد عنه، فالمأمول من سيادتكم إدصار الأمر بتعديله على وجه يطابق القانون الإسلامي.

محمد رضا المظفّر

النجف الأشرف

وحين نعود إلى ذاكرة الزمن، نجد في طيّاته الصفحات المشرقة للشيخ المظفّر رحمه الله التي تدلّ على مساعيه الكريمة، والغيرة الإسلامية التي يتحلّى بها[1]، ومن ذلك ما يتّضح من موقف الشيخ واستبشاره خيرا بإلغاء مواد قانون الأحوال الشخصيّة المنافية لأحكام الشرع الإسلامي، ونجد ذلك من خلال برقيّته إلى المسؤولين التي نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أثلج صدور المؤمنين بالنجف الأشرف، ولا سيّما مؤسّسات منتدى النشر اهتمامكم البالغ بإلغاء قانون الأحوال الشخصيّة، وخطوتكم الموفّقة نحوه، سيروا قدماً لإعلاء كلمة الإسلام بالأرض بسحق كلّ ما يتجافى وتعاليمه؛ ليبرهن العراق الثائر على الاستعمار والكفر والإلحاد أنّه لا يزال الحصن المنيع لرسالة محمّد المصطفى صلى الله

(١) مجلّة النجف الصادرة عن كليّة الفقه، العدد السادس السنة الخامسة شوّال ١٣٩٢هـ / آذار ١٩٦٣ م.

عليه وآله، وكان الله في عونكم ما دمتم في عونه.

محمد رضا المظفّر

عميد كليّة الفقه[١]

آثرنا أن نثبت نصّ المذكّرة التي رفعها الشيخ المظفر بهذا الخصوص إلى رئيس الوزراء ووزير العدل ورئيس لجنة النظر في لائحة الأحوال الشخصية؛ لما فيها من أهمية وموقف؛ بغية أن يتعرّف القارئ الكريم على الأسلوب الخطابي للشيخ في هذا الباب؛ حيث كان نصّها كما يلي – بعد حذف العناوين –:

كان لنبأ تأليف لجنتكم الموقرة للنظر في قانون الأحوال الشخصية أعمق الأثر في نفوس أبناء بلدة النجف المؤمنة؛ لما خالجها من الثقة بما ستقوم به اللجنة من دراسة اللائحة دراسة واعية مدركة، تتجلّى من خلالها ما انطوت عليه من مفارقات لا تستند إلى مصلحة أو دين، وأنّكم سوف تكونون لسان هذه الأمّة المسلمة في التعبير عن مشاعرها بضرورة إلغائها إلغاء تامّاً، وقد أحببنا أن نضع بين أيديكم ما نراه من مبرّرات ملحّة للإلغاء.

تعلمون – ولا شكّ – أنّ ما انطوت عليه هذه اللائحة مزيج من أحكام شتّى يخالف بعضها صريح القرآن الكريم، ويخرج على إجماع المسلمين في جميع عصورهم، وبعضها يأخذ بوجهة نظر بعض المذاهب دون بعض، وقليل منها ما تجمع عليه كلمة أئمّة المذاهب جميعاً.

فمن القسم الأوّل ما يتّصل ببعض أحكام المواريث، كمساواة الأُنثى بالذكر في الميراث، ومساوئ هذا القسم أكثر من أن تُحصى؛ فهي – بالإضافة إلى تحدّيها لصريح القرآن الكريم وإجماع المسلمين في بلد لا يزال مثال الإيمان بالله تعالى وبشريعته المقدّسة–

(١) مجلّة النجف العدد ٥ للسنة الخامسة شهر رمضان ١٣٨٢ / شباط ١٩٦٣.

تفتح امام أبناء هذا البلد مسارب للجريمة والتحلّل، وتعمل على إماتة الإخلاص فيهم؛ فالمرأة التي تقدم على مقاضاة الرجل إلى هذا القانون، وتأخذ من حصّته في المال تقدم على ذلك وهي تشعر في أعماقها – بما تدين به الله تعالى – أنّها تقدم على سرقة أمواله في وضح النهار، ولها من هذا القانون حماية، كما تشعر أنّ جميع تصرّفاتها بهذا المال باطلة؛ فهي في تحدٍّ دائم لأحكام دينها، وما رأيكم في امرأة تعمد إلى إماتة وازعها الديني بتحدّيها الدائم لتعاليمه المقدّسة ؟! أيرجى لها أن تخلص لوطنها إذا زاحمت مصالحها مصاحله، وهي التي لم تخلص لربّها بإقدامها على مخالفته ؟! وكيف يرجى لها أن تقوم على تربية الجيل على أسس من قيم الإسلام ومبادئة وهي التي تشعر أنّها قد تنكّرت له في كثير من تصرّفاتها من أجل شيء من الحطام؟!

وأمّا قياس هذه اللائحة فيما يتّصل بهذه الفقرات منها بما كان مشرّعاً بالنسبة إلى الأراضي الأميريّة – كما صنع مشرّعوها – فقياس مع الفارق الكبير؛ إذ ينطوي على مغالطة لا مبرّر لها؛ لأنّ الأراضي الأميريّة امرها بيد وليّ الأمر، وليست ملكاً للمتصرّفين بها، ومن حقّ وليّ الأمر أن يأذن بالتصرّف بها مع الشرط، أمّا هذه الأموال التي عناها القانون، فهي ملك لأصحابها وليس لوليّ الأمر أيّ حقّ في التصرّف بها من وجهة تشريعيّة، بل حتى أصحابها لا يملكون لأنفسهم جعل هذا الشرط؛ لأنّه شرط مخالف للكتاب العزيز، وما خالف الكتاب من الشروط لا ينفذ؛ لقوله: «إلّا شرطاً خالف كتاب الله».

وما يقال عن هذا القسم يقال عن القسم الثاني، وأمثلته كثيرة في القانون، والمفارقات التي تنشأ عنه لا تقل فضاعة عن تلك المفارقات في القسم الأوّل؛ فالسنّي مثلاً إذا طلّق امرأته بالثلاث بانت منه ولا يحلّ له في مذهبه نكاحها إلّا أن تنكح زوجاً آخر، فإذا أراد الرجوع بها – بحكم ما سوّغ له هذا القانون – كان مقدماً على نكاح محرّم

في عقيدته، وولده ولد زنا في رأيه، وما رأيكم في أسرة تتحدّى شريعتها فتقيم علائقها الجنسيّة على أسس لا تؤمن في أعماقها بوجود مسوّغ لها؟! ثمّ ما رأيكم بالولد الذي يكبر بعد حين فيرى نفسه أنّه ولد غير شرعيّ بحكم ما يدين به الله؟ وماذا يكون شعوره تجاه أبويه وبلده الذي فرض عليه هذا القانون؟!

ونظير هذا الفرض يأتي في الجعفري الذي يطلّق – بحكم هذا القانون – زوجته بغير شهود، ثمّ تنكح زوجاً آخر، وهي في عقيدتها بعد في حبائل الزوج الأوّل، أليست تشعر في أعماقها أنّها مقيمة على نكاح محرّم، وهكذا زوجها الثاني ؟!

أمّا القسم الثالث، وهو ما اتّفقت عليه كلمة المسلمين، فهو في غير حاجة إلى تشريع قانوني ما دامت أحكامه واضحة لدى الجميع.

فإلغاء هذا القانون من أساسه، وإرجاعه الأمّة إلى ما تدين به ربّها هو الذي تقتضيه مصالحه إذا أردنا أن نخلق لها مواطنين صالحين، ومثل هذه اللائحة لا تقبل التعديل.

والتقدّمية التي تـذرّع بها مشرّعو هذه اللائحة – فيما يقال – ليست بالعبث بمقدّرات الناس والتحكّم بما يدينون به الله عزّ وجلّ، وخلق مسارب جديدة للجريمة أو الشعور بها على الأقل، وإنّما التقدّمية بالعمل على الاستقرار والطمأنينة، ورفع مستويات العشوب في مختلف مجالاتها العلميّة والاقتصاديّة والثقافية، وتركيز قيمها ومثلها الأخلاقية.

﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ وفي الإيمان بأمثال قوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ**﴾، اعظم رائد للخير والصلاح.

إنّه وليّ التوفيق، والسلام عليكم.

محمد رضا المظفّر/ عميد كليّة الفقه

النجف الأشرف ٧/ ١٠/ ١٣٨٢

وكان للشيخ مواقف كبيرة في معاضدة الشعوب الإسلاميّة، كما في محنة فلسطين والجزائر؛ حيث عاش هذه المحن بنفس توّاقة لانتصار الحقّ، ومناشدة الضمير المسلم للحصول على حقوق هذه الشعوب، وكان يبدو ذلك من خلال خطبه في المناسبات العامّة أو ما يخالجه من خواطر توحيها الذكرى في مجالسه الخاصّة، وفي مؤسّساته الثقافية، حتّى كان يُخال أنّه يعيش هذه الآلام بين جوانحه أكثر ممّا يعيشها المسلمون هناك.

وعندما أمتحنت إيران المسلمة بقرار حكومة الشاه لإلغاء الدستور الدائم وتقنين لوائح جائرة بعيدة عن التشريع الإسلامي، وثار العلماء – في حينه – لمواجهة هذا الإجراء، وحاولت الحكومة حينئذ الاستمرار على تطبيق نيّاتها وإلقاء القبض على علماء الحوزة العلميّة في مدينة قم المقدّسة وطهران ومشهد وشيراز، فقد كان لعلماء النجف موقف للمطالبة بتحقيق مطالب العلماء والإفراج عنهم، وقد أقيمت الاجتماعات العامّة، وعُطّلت الدراسة، وامتنع العلماء من إقامة صلاة الجماعة في النجف؛ تنديداً وتأييداً لموقف العلماء في إيران، وأبرقوا البرقيّات إلى المسؤولين.

ويقدّر للشيخ المظفّر، وهو يعيش المحنة الجديدة بنفسه أن يساهم في هذه الحركة، ويجتمع مع العلماء في النجف الأشرف، في بيته العامر أو في غير بيته، وليدرس المشكلة دراسة معمّقة، ويخطّط للعمل، ويسعى لإنقاذ الموقف في إيران، ومواصلة إخوانه من العلماء المجاهدين في هذا البلد الإسلامي العزيز بما صنعه من المواصلة.

وكان يكتب بنفسه كثيراً من النشرات التي صدرت عن النجف في هذه الفترة، ويوشّحها بتوقيعه الكريم فيمن يوقّع من أعلام الفكر والجهاد في النجف الأشرف.

وقد نشرت برقيات وقعها علماء النجف ومنهم شيخنا المظفر منشورة في كتاب (اسناد انقلاب اسلامي) الجزء الثالث.

المبحث الرابع:

الدور الأدبي والثقافي

أدبه وشعره

لمّا كان الشيخ المظفّر من ألمع خرّيجي جامعة النجف، فلابدّ وأن يحظى بمكانة مرموقة في باب الأدب والفضيلة، خاصّة وأنّه نشأ في ظلال جوّ أدبي متميّز، وذلك لأنّ مدينة النجف فضلاً عن منزلتها الجليلة في العلوم الإسلامية فإنّها مدينة الشعر الرائق الذي له صداه في عالمنا على مستوى كبير من حسن الأداء، ورقّة التعبير، وجزالة اللفظ، وأداء المعنى، وقد حلّق شعراؤها في تأريخ الأدب العربي قديماً وحديثاً (وما كان يمرّ شهر على النجف إلّا أغتنمت فيه مناسبة لقول الشعر، وكانت المناسبات عودة صديق من سفر، أو إبلالاً من مرض، أو إياباً من حجّ، أو بناء بزواج، أو وفاة لشاب، أو تأبيناً لعالم أو فاضل، في كلّ هؤلاء يقال الشعر مدحاً أو رثاءً، وطالما تكلّف الشاعر أن يقيم احتفالاً على نفقته ليقول قصيدة في غير مقابل إلّا إشباع رغبة فنيّة، أو سماع كلمة إطراء وثناء)[1]، وفي كلّ ما يُلقى من القصائد تجد لغة الشعر تنبئ عن المبدئيّة والالتزام، والفنّ الرفيع، والهواجس الرقيقة في خدمة هدف عقائدي، أو غاية وطنيّة أو دعوة للخير العام، أو لتحقيق حركة إصلاحيّة.

وحينما نشأ شيخنا المظفّر في هذه البيئة كان مؤكّداً أن يصدر عنها أديب بارع، وشاعر مُجيد، له قدم راسخة في قول الشعر وتعاطيه وكتابة النثر الفنّي، وهو في أسلوبه الأدبي يمثّل تمازج التراث والمعاصرة، وتلاقح الجديد والقديم، خاصّة وأنّه عاصر

(١) محيي الدين: الدكتور عبد الرزاق، الحالي والعاطل: ص٥٤.

جيلين من أعلام الفكر والأدب والعلم، وعلى يديه الكريمتين كانت ولادة مدرسة جديدة في العلوم الإسلاميّة، والآداب العربيّة، ولست مبالغاً فيما أقول إلّا أننا – مع الأسف – لم نحاول لحدّ الآن استجلاء معالم هذه المدرسة الرائدة واستيعاب ملامحها ونتائجها؛ حيث أنّ تأريخ العلم وحركة النهضة في حوزاتنا العلميّة لم تلد المبادرة إلى تسجيله وإعداده في صورة دراسات تفصيليّة متخصّصة !

وإذا نظرت إلى الأستاذ المظفر في مقتبل شبابه لرأيته شاعراً في بيئة النجف الأدبيّة، يشارك في مهرجاناتها، وعمد إلى صب أفكاره في قالب جديد في النجف، وهو المشاركة في المناسبات الكبيرة، والاحتفالات المتميزة، والمحافل الثقافية، بخطبه الارتجالية المؤثرة التي جمعت إلى أصالة البيان عمق التفكير وموضوعية الأهداف، وهو أوّل خطيب رأته عيناي مرتجلاً في مسجد الهندي، والمجمع الثقافي لمنتدى النشر، ولدى استقبال وفود البلاد العربية والإسلامية التي تؤم النجف في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، بل في نهايات النصف الأوّل منه، وكان لهذا المنهج صدى اعتزاز وإكبار في النجف، إذ لم يعرف الارتجال إلّا للأساتذة، المصريين آنذاك، وإلّا لجملة من الثائرين لدى ثورة النجف ضد الانكليز، وثورة العشرين في حدود ضيّقة لا تعدو الاعلام الثوري دون الآراء النيّرة الهادفة، وكان المظفر بهذا ثانياً للإمام كاشف الغطاء المعروف بخطبه العصماء في الأزمان[1].

يذكر المظفّر في مذكّراته عن نشأته العلميّة، فيردف القول عن تلمذته عند العالم الكبير الشيخ محمد طه الحويزي، فيذكر: (استفدت منه فائدة كليّة وتعلّمت منه كيف يتوصّل إلى التنقيب عن المسائل العلميّة بما كان يتوسّع به في بسط المسائل وتحقيقها، ومن خلال ذلك تتلمذت عليه في الشعر، فكان له عليّ المنّة الكبرى في تعلّم النظم حتّى

(١) راجع القسم الرابع، ذكرى المظفر.

اشتدّ ساعدي في ذلك كلّه...).

ومن اهتمامه بالشعر قوله: (وقد ألّفت كتاباً في علم العروض سنة ١٣٤٣هـ على الأسلوب الحديث، ولكن بقي ناقصاً...).

وعندما نستقرئ ما قيل في شعره وأدبه، نجده موصوفاً في أوّل نبوغه بأنّه (شابٌ من شباب النجف المنوّر، معتدل البديهة في السرعة والبطء، طرق مواضيع جليلة، ومعاني عميقة، يغور في معان حتّى تكاد لا تفهمه – أو الناظم لا يفهمه – من شدّة غوره بها، ينصرف عن حسن الألفاظ وتنميقها إلى حسن المعنى ورقّته؛ لأنّه تلميذ الشيخ محمد طه الحويزي في القريض، لكن البون بينهما شاسع؛ فإنّ الحويزي وإن غار في المعنى لكن لحاظه لحسن الألفاظ وتزويقها كلحاظه لحسن المعنى ودقّته)[١].

فهو (شاعر واسع الخيال، دقيق النظر، يتوخّى المعاني البعيدة المبتكرة، غير ناظر إلى تزويق الألفاظ، وتحسين الكلمات، ولد في النجف، ونشأ فيها، ودرس الأدب والشعر في نواديها الأدبيّة ومحافلها الشعريّة، وله في أوساط الأدب النجفي شهرة طائلة وذكر جميل)[٢].

وقد (دخل ميادين النظم مبكّراً، وأجاد قرض الشعر وهو يافع، وعرفته الأندية الأدبيّة شاعراً له وزنه بين أخدانه قبل أكثر من ربع قرن، وقد نظم أكثر من ألفي بيت.. وشعره متين في أكثره، ورصين في معظمه... نزع في قسيم منه إلى تصوير بعض الخواطر الفلسفيّة والنفسيّة... ونال استحسان الأدباء له)[٣].

ونكتشف من خلال ذلك الجانب الأدبي الكبير الذي تمتّع به المظفّر في أسلوبه

---

(١) الدجيلي: عبد الكريم، شعراء النجف، مخطوط: ص٣٢٨.

(٢) الهاشمي: السيّد محمد جمال، الأدب الجديد: ص١٣٠.

(٣) الخاقاني: الشيخ علي، شعراء الغري ٨: ٤٦١.

النثري والشعري، فهو شاعر، حيّ الشعور، يقظ القلب، مرح الروح، لا يميّز بين العدوّ والصديق لقوّة المجاملة عنده، وقلّما تراه يهاجم أحداً وإن أزعجه بالقول الجاف واللهجة اليابسة[١].

وفي كتابات الشيخ يقترن جمال التعبير وسلامة الاداء وروعة العرض بخصوبة المادة ودقة الفكر وعمق النظرة ويتألف منها مزيج من العلم والادب يشبع العقل ويروي العاطفة.

فقد كان (يجري في الكتابة كما يجري الماء من غير أن يظهر عليه شيء من الكلفة أو التصنع، وينساق القارئ معه كما ينساق الماء على منحدر من الارض من دون أن يعرقل سيره شيء ولايصطنع في الكتابة هذه المحسنات البديعية التي تصرف الكاتب عن الانسياق مع الفكرة وتصرف القارئ عن مجاراة الموضوع.

والمواضيع التي كان يتناولها بالكتابة والبحث مواضيع علمية كالاصول والمنطق والفلسفة يعسر على الاديب أن يصوغها صياغة أدبية أويفرغها في قالب أدبي.

وتمتاز كتابات الشيخ المظفر بعد ذلك بروعة العرض والتنسيق حتى أن كل نقطة من البحث تأتي في موضعها الطبيعي ولاتتغير عن مكانها الخاص حتى تختل أطراف البحث) [٢].

(١) لا نستطيع استيفاء الحديث عن أدبه نثراً وشعراً، لذا نرجئه إلى مناسبة أخرى مع الإشارة إلى أنّ ديوان شعره جمعه الأخ الأستاذ الأديب محمد رضا القاموسي، في خمسة آلاف بيت تقريباً حيث أعدّه رسالة تخرّج من كلية الفقه في حينه، وقد اهتم به بعد التخرّج، وكتب عن أدب الشيخ دراسة واسعة رائعةوسيجد القارئ الديوان في اجزاء الموسوعة.

(٢) من مقال للشيخ محمد مهدي الاصفي بعنوان (الشيخ محمدرضا المظفر من رموز الاصلاح في مدرسة النجف الأشرف) منشور في جريدة الشهادة العدد(٢٢٤-صفحة ١٣) بتاريخ ٢٩/ ايلول / ١٩٨٧المصادف الثلاثاء ٥/ صفر ١٤٠٨ وهومستل من كتاب الشيخ الآصفي مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها.

وقد طرق في شعره صوراً متعدّدة من آفاق الأدب، وفي طليعتها، شعره في آل البيت عليهم السلام، وله في الرثاء، وأدب المناسبات، والغزل، والاخوانيّات، كما أنّ له مقطوعات تنمّ عن رقّته، وعذوبة منطقه، كان ينظمها على البديهة والارتجال، وفيها يلمس القارئ النكتة البارعة والبراعة في تصوير الأدب بأسلوب ساخر معبّر.

ولو قدّر للقارئ أن يقف بتأمل عند مقالاته ونثره، لأدرك ما كان يمتلكه المظفّر من مقدرة عجيبة في التعبير عن المباحث المعقّدة بأسلوب قصصي جذّاب، حسبك ما تقرأ له في كتابه السقيفة، وكتاب العقائد، وأمّا أحلام اليقظة – الذي هو دراسة لفلسفة صدر المتألّهين، المشهور بملاّ صدرا الشيرازي، صاحب الأسفار – فإنّه أبدع فيما حكاه في هذه الدراسة الفلسفية بأسلوب قصصي، وحوار أدبي، وهذا ما يدلّ على عمق قابليّاته وفهمه للمسائل الفلسفيّة.

الندوات

شارك الشيخ المظفر بندوات النجف وكانت له مساهمات أدبية وعلمية وفكرية مع صفوة من الاعلام بمناسبات عديدة أشار اليها مؤرخوه، ومن تلك الندوات التي كان يحضرها ويشارك فيها، الندوة التي تنعقد في دار شيخ الأدب في عصره الشيخ جواد الشبيبي والذي يرتبط معه برابطة المصاهرة والقربى، وفي مرة منها عقدت الندوة بحضور المشايخ المظفريين [1] والسبب لإنعقادها أن الشبيبي كتب عن لسان سبطه أحمد ابن الشيخ محمد حسن المظفر إلى أبيه وأعمامه و جلسة أدبيّة:

وللشبيبي حلبات لا تعد، فقد كان طيلة حياته يموج الأدب ويستفز القرايح بشتى المناسبات والدوافع، وطبيعي أنّ الحلبات لها لون مستقل يختلف عن سائر أوقات النظم، ففيه تتزاحم النفوس وتتنافس أرواح الشعراء الذين لا يبتعد عنهم الزهو غالباً ، وبالحلبات تستطيع أن تدرس لون الشاعر وميوله ومدى قابليته التي يحتفظ بها ، وشاعرنا أبو الرضا عرفته ممّا سبقه كيف خلق الأجواء التي ولدت روح الكآبة في عصره وكيف دفع بأشخاص حاول ترك الشعر أكثرهم فانبروا إلى مجاراته ولكن أنّى لهم وكان السبب لا يجاد هذه الحلبة أنّه كتب عن لسان سبطه أحمد بن الحجّة، الشيخ محمّد حسن المظفر وكان عنده ببغداد إلى أبيه وأعمامه ضمنها تقريضاً مستظرفاً وتعريضاً مستملحاً بالشاعر الشيخ إبراهيم أطميش – وله كذلك صلة الرحم – إذ كان معروفاً بخروجه عن الوزن في بعض أبيات قصائده فقال:

فخرت بأعمامي وطلت بأخوالي فزاحمت في الأفلاك كوكبها العالي

---

(١) قد اخترت اثباتها لاجتماع الشيخ المظفر مع اخوته فهي تمثل البيئة الأدبية والأسرية، وتوقفنا على لون من الادب الرقيق كان له صيته وتعاطيه في ماضي تاريخنا القريب.

عـلى أنّ لي نفساً عصامية لها ... عقول كهول وهي في سن أطفال
وأدركـت مجد السابقين بعزمتي ... (وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي)
وسارت بمستن الكواكب همتي ... وما وقفت إلّا على النجم آمالي
وقلت لعين الشمس ما أنا بارح ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
سمت كلماتي الساحرات ذوي النهى ... سمو حباب الخمر حالا على حال
قفا أثـري المـريـخ حـين سبقته ... وقد مسكت كف الثريا بأذيالي
ولو وزنـوا بي يذبلا خف وزنه ... وقنطاره ما قيس وزنـاً بمثقالي
وأقوالي لي الأمثال لم يك سيرها ... لغايتها إلّا إلى جنـب أفعـالي
تقدمت فيها تالياً فضل والدي ... ومن عجب صرت المقدم والتالي
وفصلت فيه عقد مدحي مجملاً ... فأغربت في تفصيل عقدي وإجمالي
سـلام عـلى آل المـظـفـر إنّهـم ... إذا جدّ جد القوم في شرف آلي
عليهم تحـيـاتي تـروح وتغتدي ... وفيهم وإلّا لا يطيب مقـالي[1]

فأجابه والد أحمد الحجّة المظفر[2] وذلك في ٢٦ رمضان ١٣٥٢هـ بقوله:

سهرت الليالي في أمـان وآمـال ... فإنّ الأماني بعدكم رأس أموالي
وكم جبت لين البين أقطع جوه ... بـسـيـارة للفكر تحـمـل أثـقـالي
أقول لعين الشمس لا تبزغي به ... فقد سار بي فكري على برق آمالي
تبشرني يا شمس أن سوف نلتقي ... وأحظى برؤياكوكب الشرف العالي
وأنت إذا وافيت واستتر الدجى ... وأنجمه من يخبر الندب عن حالي
وإنّي لا أرضى لـضـوئـك منة ... إذا بزغت شمس العلى فوق أطلالي
بـغـرتهـا نـور الجـلالـة سـاطـع ... بها يهتدي الساري إلى المفخر العالي

(١) كذا جاء بالأصل.
(٢) آية الله الشيخ محمد حسن المظفر.

أضاءت على أفق الكمال مطلة وجرّت بروض الفضل فاضل أذيال
وألقت سناها في خمائل للعلى فزانت بلاد الشرق في الحسب الغالي
وبدر الهدى أنواره يستفيدها لأنبائه من نورها الساطع الحالي
جلا اليوم ذكراها لنفس تفيدها نفائس فخر لا نفائس أموال
وهب أنّني حملت بعدك صبوة فذكراك لي عون على فك أغلالي[1]
وإنّ لإبراهيم بعدك منة علي فلولا قربه لست بالسالي
إذا ماس في ابراده من فكاهة أزال الهنا بلبال همي من بالي
فهل للتهاني مثله غير أنّه بافلاسه قد كنت أضرب أمثالي
تخلى عن الهم الذي يستفزه سوى أنّه ما بين أنياب أغوال
وإن عربدت في صدره زاعبية تخال بها في شنه الحشف البالي
ودام مع الأيّام عيداً لأهلها كما دمتم للعيد طائر اقبال

وقد وقف على هاتيك الأبيات الشيخ عبد الحسين الحلّي فأحب المشاركة في الجواب فقال مخاطباً (الشيخ جواد):

ذكرتك مرتاحاً وما كنت بالسالي ليالي أصفيك الهوى ناعم البال
سلوت إذا نفسي التي قد حملتها لتفدى بها إن قل أهلي أو مالي
علي عزيز أن أراني مجانباً تعلة أحشائي بحلي وترحالي
تحاميته لا قالياً منه خلة تشين ولكن خشية القيل والقال
أبا جعفر هيجت للشعر صبوتي فاعملها من بعد هجر وإهمال
أعدت لقلبي في قريضك نشوة فكان كماء المزن شيب بجريال
ولولا بحور منه طابت تعلتي لأجدبت حتّى من نطاف وأوشال

(١) يعبر عن شوقه لولده احمد لانه في بيت جده الشبيبي ببغداد.

زففنا (لإبراهيم) منك تحية كما تنتحي فيها لمندك أطلال
فتى لم تزل آماله ملء قلبه ثقالاً ولكن كيسه أبداً خال
ترى منه شيخاً في الندّي موقراً وتحت إزاريه رعونة أطفال
إذا لمسته عرسه وجدت به (لدى وكرها العناب والحشف البالي)
له الذال والميم الثقيلان من فتى يجمع بين الحاء والميم والدال

وقال الشيخ محمّد حسين المظفر وقد جعل خطابه لابن أخيه أحمد:

بجدك فاسعد وأحظ منه بصحبة تطلبها من مثله جد أمثالي
وأمسكه أمساك الشحيح فأنّه تمسك فيه وافر الفضل والمال
وعش راغداً في ظلّه وأسع طالباً لفضل أب واستعل بالعم والخال
وخالي أما تسألن عنه دائماً محافل أهل الفضل تنبئك عن خالي
وأمّا خلا صدر الندي من أمره يحليه في عليا ه فهو به حال
ويمزج بالضحك السعال ولم تكن تميز منه بين ضحك واسعال[1]
يخرخش منه الصدر عنه سعاله فيحسب مالاً عنده طالب المال
وتشغل كفيه السكارة دائماً تدخن والتسبيح بالحشف البالي
فصاحته تعي اللبيب وقد كفى لها معجز من نثرها نظم أمثالي
فينثر نظم القول شعراً ومنطقاً وانظم نثر الشعر منه بأقوالي
فإن لم تجد في الشعر منّي فصاحة فلا عجب قد شابهت حاله حالي

وقال الشيخ محمّد رضا المظفر وقد جعل خطابه أيضاً لابن أخيه، ولمّا كان معروفاً بالسمرة القويّة تعرض لذلك في أبياته هذه:

أثرت فدم يا راحة الروح بالبال وما كنت عن هذا الهوى هادئ البال

(١) كذا بالأصل.

وذكرتني خالاً تمنيت مسكه به استأثرت من دوننا شمة الخال
أحج الدجى للصبح فيك مغالطاً جفوني أنّ الليل (كعبة آمالي)
وأوهمت حسّي والنجوم طوالع ببيض مزايا من علاك وأفعال
وجمعت من دمعي غديراً مراعيا خيال (سواد العين) يبدو بإقبالي
وألزمت كفي الحشى مشفقاً على (سويداء قلبي) من لظى قلبي الصالي
ومسكك قد أفنيت شعري بوزنه وثق أنّني ما جئت في عشر مثقال
جميعك خال يفضح المسك نفحةً وقد بالغ الضلال في نقطة الخال
لتحيي حياة المترفين منعماً برأفة أعمام وعطفة أخوال
وما أملي إلّا لتعلو همة (تزاحم في الأفلاك كوكبها العالي)
وما كان ظنّي أن تقول فترتمي (وفيهم وإلّا لا يطيب مقالي)[1]

وزاد الشيخ عبد الحسين الحلي على ما تقدم فقال وخاطب الحجة المظفر طالباً منه إرسالها إلى الشيخ جواد وقد تعرض فيها إلى الشطر الخارج عن الوزن وانتاش الاطيمشي:

أفي الحقّ تعلو في الزمان الأباطيل ويوضع مفضال ويرفع مفضول
ويصمت هاد لم يجد مصغياً له وتنطق أن يصغى إليها الأباطيل
وتغدو بحور الشعر وهي كوامل نواقص منها كامل الضرب مبتول
لعمري ما القرآن أنزل آمراً بذاك ولم تنطق بهذا الأناجيل
ولا فاه من عدنان فيه مفوه ولا قاله من يعرب أبداً قيل
ألا أهزج مديداً للطويل وهنه سريعاً ففي الأهزاج للشعر تسهيل

(١) هذا الشطر تراه خارجاً عن الوزن وهو من أبيات الشيخ جواد وهو أجلّ قدراً من أن يخفى عليه ذلك، ولكنّه أراد التعريض بالشيخ إبراهيم أطيمش الذي عرف بخروج بعض أبياته عن الوزن كما سبق.

بـلا سبب أوتـاد أبـيـاتـه غدت ... فأصبح سامي عرشه وهو مثلول
أهل يرتقِ أو يهبط الشعر في الورى ... فتغدو فعولاً أو مفاعاً مفاعيل
ولم يرتقي من ليس يرقى بطبعه ... لطار بإبراهيم نحو السما (غول)
له الله من شيخ قضى جلّ عمره ... وما اختلفت فيه ومنه الأقاويل
تحمل مـن كـد الـزمـان وكيده ... من الهم ما لا يحمل الدب والفيل
قصير الخطا إن يمش يكب كأنه ... بلحيته من رسغ رجليه مشكول
فصيح عروضي سوى أن شعره ... وإن قل لا عرض لديه ولا طول
تخـيرتـه لـلـهـزل يـا جـد جـده ... خليلاً وقد تقنى الهجان المهازيل
(أبا أحمد) أنت المفضل في الورى ... إذا قلّ أهل الفضل أو عزّ تفضيل
تحـمـل لـبـغـداد تحـيـة وامـق ... لـزفـرتـه يـمـتـار دجلتها النيل
لخير أخ إن كـان متبول وصله ... لـدي فقلبي مـغـرم فيه متبول
كنزت لـه مـن بـين أهـل مـودتي ... ولاءً به قلبي غـدا وهـو مأهول
وداد كـدّر المـزن صـاف يضمه ... فـؤاد كـمـرآة الغريبة مصقول
(أبا جعفر) حسبي من الودّ أنّه ... بما بين قلبينا مدى الدهر موصول
ألا لا تخـل إنّي بشعري مـاذق ... بودي وبعض الشعر زور وتخييل
ولا تحسب الهجر الذي هو كائن ... بـرغـمـي تحـويـراً فـما هـو تحوير
ولكنّني عـن كـلّ شيء يفيدني ... بما ليس شيئاً في الإفـادة مشغول
ودم وادعـاً في ظلّ عيش منعم ... لـك الـعـز بـرد والمـهـابـة إكليل
يعود عليك العيد في كلّ حجة ... وفطرك مردود وصومك مقبول

وكتب الشيخ جواد جواباً عمّا سبق عن لسان سبطه أحمد:

والـدي أشـأم الـركـاب وأعـرق ... بـمـزايـاك وهـي أذكـى وأعـبـق

نشر بغداد عاطر من شذاها وبها عطرت مدينة جلق
غرّب الناقلون عنها الهدايا ولها طالب الهداية شرق
فاز منك اللاجي بأمن ومن والمداجي فيما يحاول أخفق
خلق قد فطرت طبعاً عليها لا كمن ضلّ دأبه يتخلق
بلباب الفضل اختصصت وكم من قايل في قشوره يتشدق
قيد الناس بالذي ترتئيه إن قول التفضيل فيك لمطلق
وباجماع أمة الفضل أضحى لك سرّ من الحيا ليس يخرق

***

يا قبيلي ولا أرى من قبيل لعلاكم سار على سنن الحق
جُدتم وادي الغري فأغدق وطلعتم به نجوماً فأشرق
وهززتم أقلامكم فنظمتم لؤلؤاً في طروسكم يتنسق
فلو أنّ الزمان أصبح جيداً لرأى أنّه بكم يتطوق
أو غدا مفرقاً لكنتم عليه يا أكاليل عزه تاج مفرق
مظهر من بواطن الجود فيهم لجفان على الظواهر تفهق
طبق الكون جودهم وكفاهم إنّ عندي يداً لذاك (المطبق)

***

قلت للشيق الذي يتصابى للغواني وللجمال المعشق
قم فطالع جبين عمّي حسين ولآيات مصحف الفضل فاشتق
إنّ هذا معنى الجمال ولا عش- -ق لقلب بغيره يتعلق
هو فلك النجاة لي وكفاني إن لي خلف جريه جري زورق
أنت دربتني فجليت سبقاً إنّ مهراً دربته كيف يلحق

****

لم أكن خارجاً عن البحر خوفاً ... أن تخف الأمواج فيّ فأغرق
غير أنّي ذكرت للخال عهداً ... حين قد فكّ فكّه وتمنطق
شاعر ظنّ والمظنّة إثم ... إنّ في نفسه شعور الفرزدق
واحد يملؤ الفراغ ولكن ... هو ثان في العصر لابن المذلق
لو يناجي قارون لوث أزار ... لسرى داؤه إليه فأملق
يا خليلي أرى بردك نفساً ... كبرت أن تداس ذلاً وتسحق
نفس حر وأحسن الحسن فيها ... إنّها من خزائن العزّ ترزق
عظمت همّة فما العود منها ... بسوى مزنة الحميّة أورق
ان لبست الضيق الجديد قميصا ... طالما ضيق القميص لينشق
لا تخل إن ذا الغمام جهام ... ربّما خالف الجهام فاودق
فترقب رتق الغنى عنك حتّى ... يأذن الله في غناك فيفتق

***

طار صيت الرضا وللنجم حلق ... وتعالى فقال يا حاسدي الحق
طاير الزور للحضيض هويا ... لست تعلو بباطل طائر الحق
فجناح الحديد أثقل من أن ... فيه وكر النسر السماوي يطرق
ولفكر الرضا معارج فضل ... راح فيها لمجده يتسلق
فطنة غاضت النيازك حتّى ... طفقت في شرارها تتحرق
حسد البدر شعلة من ذكاها ... فغدا يستسر منها ويمحق
يا جديد الأسلوب وهو حمي ... عفت من أجلها الشراب المعتق
رقصت حولها القلوب ارتياحاً ... ولها الحفل في المحاشد صفق

عاطنيها يا عم أنقى وأصفى من رحيق الطلى المصفى المصفق

وكتب أيضاً الشيخ جواد إلى الشيخ عبد الحسين الحلّي بقوله:

حننت حنين الفاقدات الثواكل لذكراك والذكرى أثارت بلابلي
وطارحت في الدوح العنادل باكيا فأبكيت فيه ساجعات العنادل
أطالت معي إعوالها لا هديلها فطال لدينا النوح من دون طائل
ذكرت لها فجر الفرات وطيبه وعصراً تقضى بين تلك الخمائل
فكادت مع الألفاظ تلفظ نفسها وتخرج من بين الكلى والحواصل
فكيف بها لو أنّني ذاكر لها مساقط ذاك الدر من سحر بابل
فطوراً ترينا منه نفحة عاطر وطوراً يرينا منه حلية عاطل
يذيب ثمين الدر خمراً لشارب ويسبك خير القول تبراً لآمل
فيا لك سحراً من تفنن مبدع يحير أرباب النهى والفضائل
خليط الصبا من لأمرئ متباعد على دجلة ذات الرياحين نازل
تزاحفه أمواجه بسلاسل وما عدّ يوما عن غزاة السلاسل
يرى الشاطئ الأدنى فيذكر معهداً تولى حميدا بين تلك المنازل
أراني لو استبدلت غيرك لي أخاً لعمر العلى استبدلت حقّا بباطل
إذا أنا جاوزت الحدود من الوفا فلا جاوزت جيدي حدود المناصل

وكتب الحجّة الحسن المظفر مجيباً عن القافية المتقدمة وجعل الخطاب لولده فقال:

طرب القلب في هواك وصفق وبذكراك طار شوقاً وحلق
وللقياك كم حننت غراما فعلى قلبي الشجيّ ترفق
أنت علمتني الشجى يوم كنّا نتعاطى الهوى شراباً مصفق
لا تخلني من بعد بعدك أصحو كيف يصحو أخ الشراب المعتق

سار فيك الركب المجد وقلبي إثـركـم عـاثـر لـيـقـفـو ويلحق
هـو لـولا الأســى لمـا سبقته ربـة الـنـار وهـو أذكـى وأسبق
فـانـتـظـره لـنـظـرة يقتضيها فهو عـن نيل مـا يحـاول أخفق
فلعمري يا منية النفس ما أن بـسـواكـم قلبي المـشـوق تعلق
خـذ لتلك الـديـار مهجة صب مـا صبا نحو غيركم أو تعشق
أو فخذ عن لسان شوقي سلاماً لإمـــام بـفـضـلـه بـت مـوثـق
قـيـدتـنـي قـدمـاً أيـاديـه بيضا بعد ما كنت من يد الجود مطلق
فـاز منه الـورى ببيض مزايا صـيرتهـا الـعـلى كـتـاج بمفرق
هو فلك الندى فلا يخش عاف أن تهـب الـريـاح يـومـاً فيغرق
عـم مـعـروفـه الـعـبـاد كـما عـمّ ضـيـاه وجـه الـبـلاد فـاشرق
مـلأ الـكـون في لـبـاب مـزايـا هي أذكى في الدهر نشراً وأعبق
قلت للواجد الحسود رويـداً لست تـشـأوشـأوالجـواد وتلحق
واحـــد مـا لـه مـثـيـل وثـان في المـعـاني وفي الـبـيـان المنسق
مـلـك يـمـلـك الـرقـاب نـداه ليس من جود كفّه الناس تعتق
دام لـلـنّـاس مـلـجـأ وغـيـاثـاً مـا هـمـا جـوده بـنـاد فـأودق
فـاتـبـع إثـره عـلى سـنـن الحق إذا قـال لـلـعـلى أحمـد الحق

وقال الشيخ محمّد رضا المظفر معلقاً على أبيات الحلّي الأخيرة وبنفس الروي والقافية وقد خاطب فيه ابن أخيه أحمد:

فؤادي على حبّ الحقيقة مجبول وما الورد إلّا بالشذا الغض مأهول
يقولون شطر من قريضك نافج بحضنيه غالت من مفاعيله الغول
وصـدقـهـم إنّ الحقيقة ناصع سناها ولا يخفي الحقيقة تأويل

ولكنّني قدمت عـذرك صادقاً وما كان ظنّي أن تطول المفاعيل
وخيلت بالخال الكريم تأسياً خرجت وكم يبدي الحقيقة تخييل
أخا لك لم تحفل بخالك وهو من عرفت وقد غالى بتقريضه (الغول)
وأكـثـر فيه الـواصـفـون وإنّـني لأكـثـر ظـنّـي أنّـه الـسـر مجهول
ومن رام قرص الشمس فحصا تعذرت على ناظريه من سناها التفاصيل
وأعجب شيء ما أرى وهو كادح بخفيه لا يلوي به القال والقيل
يقول أنـا فـوق الـوسـادة شاعر وفي الصبح لا معنىً لدي ولا قيل
وهددهم إنّ الحديد وإن صدى سيبديه هذا طرقه وهو مصقول
أيا بن أخي قالوا أسود تزاءرت فديتك إنّ المـاء لـلآل منحول
شيوخ تـنـادت للنزال ومـا لنا وجلبتها والطعن للسيف تطفيل
وقـد يطبع التبر المـذاب لحاجة وينزل مـاء المـزن لـلأرض تهليل

وكتب الشيخ جواد عن لسان سبطه لأبيه قوله:

أبي لـو أمـلأ الـدنـيـا ثـنـاءا لمـا أضـحـت لـتربـيـتي جـزاءا
كـفـاني أن لي بـسـنـاك رشـداً وحسبي أن ملكت بك السناءا
تـنـازل عـن مـسـايـرتي الـثـريـا فتحسب أن تجـاوزت الـسـماءا
ولـو وجـد الهـلال إلـيـك مثلي انـتـمـاء مـا تـعـداك انـتـماءا
وعنك رويـت أخـلاقـاً حساناً حـيـاءك والـرزانـة والحـيـاءا
تـوارى المـشـتري عـنّـي حياء وقـابـلـت الـسـمـاك فـمـا تـراءى
وتـرت الـقـوس مـرتـمـيـا لمجد أصـبـت بـه الـزعـامـة والـعـلاءا
إذا مـا فـاتـنـي لـلـقـاك فـرض ولم أسـتـوف واجـبـه أداءا
فـإنّي سـوف أخلص فيه سعيي وأجـهـد كـي أجـيء بـه قـضـاءا

وكتب الشيخ جواد أيضاً إلى الشيخ عبد الحسين الحلّي جواباً عن لاميته الأخيرة بقوله:

ميلوا إلى الوصل يا أهل الوفا ميلوا فالقطع منكم بدا والحبل موصول
لا تخجلوا من تجافيكم فقد عرفت جباهكم أن أيدينا مناديل
فطالما مسحت صدراً به درن فعاد وهو بكف الصفح مصقول
لا ولاالذي شاء أن يبقي غريمكم مستعطفاً يتقاضى وهو ممطول
إنّا على عهدنا الماضي فليس لنا عنه وإن حالت الأيّام تحويل
خلتم خلا القلب منكم يا أحبته وفيكم ربعه المعمور مأهول
قوموا انظروا هل[1] تراءى في سجنجله لغيركم يا مثال الصدق تمثيل
زنوا ليبذر حبّ الحب صبكم في ربوة القلب أو في صاعكم كيلوا

***

يا مصدري غرر الأحكام سافرة إنّ الخيال الذي خلتم لتخييل
تدلل صار منكم وهو برهنة كما تشاء مغازيكم وتدليل
تقولوا أو فقولوا ما بدا لكم حسبي من الذكر هاتيك الأقاويل
يا من يردّ علي الباب أطرقه عليه ردك محبوب ومقبول
وناقد القول ملفوظاً لمهزلة ما هكذا توسم النيب المهازيل
ومرسل السحر يعييني مطالعة موضوعه وهو في أذني محمول
حللت معدنه نقداً ولا عجب فالنقد للذهب الابريز تحليل
وللعروض الذي قطعته سبب من المهازل مصنوع ومجعول
قوضته فتراءى ماله وتد ترثي له فاعلات أو مفاعيل

(١) هكذا ورد وهوغير مفهوم.

أهل الفرات أهل يرضى سديركم ... العا في الرسوم به أن يقرن النيل
تحير الفكر هل كانت زوراقه ... أجرى وأثبت أم تلك الأساطيل
وفي الضفاف بيوت قيل ساكنها ... للركب حطوا إلى التعريس أو قيلوا
عرب لهم في عشايا الجدب ضيقة ... بالضيف ترحيب ملهوف وتأهيل
كم ضل مضطرما ما أخروا لقرى ... خوف المدى الحمر مرسون ومعقول
في كلّ يوم لهم عيد وعادتهم ... أن تنحر الخيل والكوم المراسيل
آه على القصر شرقياً حييت به ... والوقت في هجمات الأنس مقتول
وللكروم وراء القصر مثمرة ... عقص الجعود وللأعشاب ترجيل
والورق تهدل في الأغصان ساجعة ... وللعناقيد في الأوراق تهديل
لم يجل فيه قذى عيني من سهري ... إلّا أغن غضيض الطرف مكحول
وفتية كسيوف الهند جوهرها ... على المضا قبل طبع القين مجبول
لا تمسك المال أيديهم لجودهم ... إلّا كما تمسك الماء الغرابيل
الحاصلون على علم وحظهم ... من ضيعة الفضل مبسوط ومحصول
كم نثرة من نسيج الفكر محكمة ... منهم بها لاح تصدير وتذييل
إن فاكهوا فرزين الحلم تحمله ... أخلاقهم وهو باللذات مشمول
أصولهم مثبتات أن دوحهم ... له من المجد تفريع وتأصيل
صافيتهم ويمين الدهر تمسط لي ... وساعدي بنشاط العمر مفتول
غذاء روحي غدوا والنفس ليس لها ... إلّا الفكاهة مشروب ومأكول
مباني الجسر[1] ناجيني على بعد ... فالقلب عندك رهن الحب متبول
هل السواقي على عهدي مناصلها ... فبعضها مغمد والبعض موصول

(١) يقصد جسر ناحية الكوفة.

وهل عرايس ذاك النحل مرسلة على ترائبها تلك العثاكيل
أحبابنا بالحمى إن ضن وابله عليكم فركام الدمع مبذول

***

لجيرة النجف الأعلى بجانحتي مغنىً كما يتمنى القلب منزول
آراؤهم لا السيوف البيض قام بها لله في الأرض تكبير وتهليل
أعلت منار الهدى في كلّ مملكة هذي العمائم لا تلك الأكاليل
تطاول السمر صهب في أناملهم نصيبها الطول إذ حظ الظبا الطول
يستعرض العقل روضاً من مهارقها عليه ينبت معقول ومنقول
بيوت علم عليها أينما ضربت ستر من العفة البيضاء مسدول
إن حاججوك فشمس الصحو حجتهم أو جاولوك فلا نكس ولا ميل
لو طال طول المدى تفصيل ناعتهم لم تبلغ الزند هاتيك التفاصيل
إذا رأى الخصم محجوجاً أدلتهم صريحة ما بها لبس وتأويل
يظلّ من تحتها يرنو فتوهمه بزاتهم تلك أم طير أبابيل
فخراً أدلاء من تاهت بصيرته فأنتم في دياجيها قناديل
يراكم الله أرواحاً مقدسة من معدن اللطف والباقي تماثيل
دافعتم عن سنا القرآن فالتجأت ثوراتهم لسناه والأناجيل
سمعاً خليط شبابي ما لعاطفتي مهما تغيرت تغيير وتبديل
كم عللتني بك الأيام تجمعني وعلتي أصلها هذي التعاليل
وواعدتني أن تصفوا مواردها وما مواعيدها إلّا الأباطيل
قل للألى نفروا بالجهل صيدهم أين الشباك استقلت والأحابيل
لم يغن عنكم فتيلاً طول مكركم مات الخداع وفي النزع الأضاليل

لا فجركم صادق[١] حتّى تقوم له من رقـدة الليل أحـرار بهاليل
ولا ضحاكم لـه نـور فنعرفه لكنه غـشـوة فيها الأبـاطـيـل[٢]

(١) يعرض بكتابي ضحى الإسلام وفجره لأحمد أمين.
(٢) علي الخاقاني، شعراء الغري ٢ : ٣٧٣-٣٨٥.

القسم الرابع:

ذكرى المظفر

١. كلمات الرثاء والتأبين

جامعة النجف صنو جامعة القرويين [١]

الشيخ محمد رضا الشبيبي

رئيس المجمع العلمي العراقي

حضرات الشيوخ والسادة الاجلاء

قال عز من قائل ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[٢] (صدق الله العلي العظيم).

لا نبالغ إذا قلنا ان الفقيد (تغمده الله بالرحمة)كان مصداقاً لمفهوم هذه الآية الكريمة وان سيرته الطاهرة لتشهد بأنه ممن اوتوا تلك المنزلة التي يقترن فيها العلم الواسع بالايمان الراسخ، وهذه المنزلة هي المقصودة في الآية الكريمة ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [٣].

كان رحمه الله ممن أوتوا ذلك النصيب الموفور حيث اقترن لديه العرفان بالايمان وبالعاطفة الروحية، ولا يخفى أن المربي الصالح والراعي الرفيق هو الذي يجمع بين هاتين الخصلتين، وقد عني فقيدنا بشؤون التربية العامة عناية بالغة مارسها على نهجين:

أحدهما تربية النشئ في المدارس والمعاهد التي أسسها ورسم خططها ومناهجها.

والآخر تعليم الراشدين بعد تربية الناشئين، وذلك بالمواظبة على تدريس علوم الشريعة الإسلامية، حيث كان له مجلس درس او بحث يختلف اليه جماعة من طلاب

---

(١) الكلمة التأبينية التي القيت بمناسبة أربعين الفقيد الشيخ المظفر عضو المجمع العلمي العراقي في الحفلة التي أقيمت في النجف من قبل جمعية منتدى النشر بتاريخ ٢٧/ ٣/ ١٩٦٣.

(٢) المجادلة:١١.

(٣) فصلت: ٤١ .

العلوم الدينية.

ولد رحمه الله بالنجف ودرس في معاهدها، وفي مقدمة اساتذته شقيقه العلامة الكبير الراحل الشيخ محمد حسن المظفر، هذا ولم تفت فقيدنا رحمه الله الملكة القدسية ملكة الاستنباط، ورد الفروع الى أصولها وذلك في مقتبل عمره حيث حصل على أكثر من اجازة علمية أجاز له بها جماعة من كبار العلماء، وقد أنصب بعد ذلك على التأليف واخرج عدة تصانيف راجت رواجاً حسناً من أشهرها كتاب المنطق في ثلاثة اجزاء وكتاب اصول الفقه في اربعة اجزاء انجز منها ثلاثة، هذا وله بحوث نشرت في جملة من الصحف والمجلات، عالج فيها عدداً من الموضوعات الاجتماعية والعلمية والدينية، وله محاضرات في مناسبات شتى القاها في العراق وغير العراق من البلدان التي زارها او دعي الى زيارتها، منها محاضرة القيت في مهرجان (كراجي) الذي أقيم في باكستان بمناسبة مرور اربعة عشر قرناً على ميلاد الامام علي عليه السلام ومحاضرة القاها في مهرجان (جامعة القرويين) بمدينة فاس سنة ١٩٦٠ قارن فيها بين المناهج المتبعة في جامعة النجف وجامعة القرويين بمدينة فاس.

وفق الفقيد في هذه المحاضرة التي استمع اليها جمهرة ممن دعوا الى ذلك المهرجان، وكان على جانب من عمق التفكير وسداد الرأي حيث قوبل بحثه بمزيد من التقدير والاستحسان، وقد استهله بملاحظات لطيفة عن القطيعة، ثم خلص من ذلك الى ان جامعة النجف صنو جامعة القرويين في قدم عهدها، اذ تأسست اول قاعدة لها – أي لجامعة القرويين – في القرن الثاني للهجرة، وقد ذهب في هذا البحث الى أن جامعة النجف لا تختلف عن سائر الجامعات الإسلامية القديمة في مناهج دراستها للفنون العربية والعلوم الإسلامية، وذلك من حيث كونها دراسة خصوصية حرة لادراسة صفية مقيدة، كما لاحظ أن الحرية ملفة للطالب في اختيار المدرس والكتاب، هذا هو

رأي الشيخ في المقارنة بين جامعة النجف وجامعة القرويين وانهما صنوان في التاريخ والمنشأ ووضع المنهج، والواقع ان جامعة الكوفة ولا يوجد فرق بعيد بين النجف والكوفة، ولاتفصل بينهما مسافة يمتد بها، هي أقدم من جامعة القرويين.

وما منبر الكوفة الذي ألقيت من فوقه خطب الامام علي عليه السلام – وهي خطب طافحة بالعلم والفقه والحكمة وأصول الدين وأحكام الشريعة – وما جامع الكوفة الذي شهد أحكام الإمام في الاشتراع كما شهد أقضيته في الواقعات المعضلة، نقول ما كان ذلك المنبر إلّا جامعة كبرى فما وازتها في القدم جامعة اسلامية.

ولولا جامعة المدينة بعد الهجرة الشريفة اليها، ولولا جامعة الكوفة وأختها جامعة (البصرة) لما نشأت الجامعات الإسلامية التي عولت عليها ورجعت اليها بعد ذلك، ومنها جامعة القرويين وجامعة القيروان وجامعة الزيتونة وجامعة الأزهر وجامعة بغداد حتى جامعة قرطبة، فعلى جامعة الكوفة والبصرة تحولت الجامعات الإسلامية في مآخذها من علوم الإسلام وفنون العربية نحوها وصرفها ولغتها، ولا حاجة بنا للتنويه بمذهب الكوفيين وأئمته واعلامه في هذه العجالة، ولنا أن نقول ان جامعة الكوفة هي الأصل وباقي الجامعات فروع.

يقول الشيخ رحمه الله في بحثه هذا الذي القاه في مهرجان القرويين: «لقد تقدمت بنماذج من الكتب التي تدرس وتقرأ في جامعة النجف أضعها بين يدي السادة العلماء في جامعة القرويين ليطلعوا عليها ولتعكس لديهم المراحل التطورية لدراسة العلوم الشرعية» ويقول أيضاً: «وسأحمل معي بعض الكتب التي تدرس في جامعة القرويين لاضعها بين ايدي العلماء من المشرفين على جامعة النجف كوسيلة من أهم وسائل التعاون بين الجامعتين، وارجو ان نجد في هذه الانواع من الكتب مجالا للالتقاء تقتضيه وجهات التشابه بينهما ووحدة الهدف في نشر الثقافة الاسلامية في أوسع مجالاتها»، وقد ختم هذا

البحث بقوله:

«وحسبنا أن نسجل لجامعة القرويين وأخواتها من الجامعات الإسلامية فضلها في الحفاظ على لغة القرآن الكريم وآدابه وعلومه وذلك بعد أن اجتازت البلاد الإسلامية مراحل خطيرة مظلمة كادت تقضي على الإسلام واللغة العربية»، هذا بعض ما قاله في رحلته الى المغرب ننقله عن كلمته التي ألقاها في مهرجان فاس، ومعنى هذا ان رحلته لم تكن رحلة عادية بسيطة وانما كانت رحلة مصممة رسم اهدافها وغاياتها قبل القيام بها بمدة.

هذا وهناك ناحية أخرى من سيرته رحمه الله لها خطورتها من حيث النشاط الاجتماعي العملي فكانت له بالإضافة الى ما تقدم، تلك اللفتة البارعة لناحية الاصلاح من المعارف والفنون الحديثة اذ كان ينظر الى مناهج الدراسة في المدارس القديمة نظرة فحص وانتقاد، فهو يرى ان مرحلة الدراسة الابتدائية والثانوية وما بعدهما مضنيةشاقة يضيع فيهاكثير من الطلاب اعمارهم، وقد يتقفون فيها عن السير لا يلحقون بالطليعة المجدة فخلص من ذلك الى ضرورة فتح مدارس حديثة منظمة هي مدارس منتدى النشر وذلك وفق مناهج يتلافى فيها كثير من النواقص التي يتشكى منها، ولا يعلم الا الله مبلغ العناء والجهد الذي يتطلبه فتح مثل هذه المدارس والمعاهد في مثل الظروف التي يجتازها محيط النجف خاصة والبلاد الإسلامية عامة في ذلك الحين.

هكذا تيسر لجمعية منتدى النشر ان تنشئ كلية للفقه لتخرج طلاباً لهم الاستعداد الكافي لحضور حلقات دروس يلقيها كبار الاساتذة بالإضافة الى القيام بواجب الدعوة الى مزايا الدين الإسلامي وتبليغ مبادئه من على منابرهم او بواسطة استخدام اقلامهم في البحث والكتابة.

انتخب الفقيد عضواً عاملا في المجمع العلمي العراقي وذلك في شهر آب من سنة

١٩٦٣ وكان يواظب على حضور جلسات المجمع على ماكان يعانيه من المرض العضال الذي توفي فيه.

هذا ولا يخامرنا أدنى شك بان هذه الجهود المضنيةالمثمرة كانت من جملة العوامل التي أنهكت قواه، واثرت في صحته العامة، والذي نعلمه انه كان لديه مخطط آخر لانجاز غير تلك الاعمال الاجتماعية والعلمية ولكن المنية عاجلته، ولا حيلة لنا في قضاء الله تعالى وقدره، وبذلك فقدنا رجلاً فذاً من أفذاذ الرجال في علمه وعمله واخلاصه ونشاطه، تغمده الله برحمته والحقه بالشهداء والصديقين وحسن اولئك رفيقا.

فقيد النجف الأشرف [١]

الشيخ محمد جواد مغنية

حجة الإسلام الشيخ محمد رضا المظفر يصح تعريفه بكلمة واحدة، ويمكن التعريف به في كتاب، أما الكلمة فهي: أنه فقيد النجف الأشرف، وكفى.. أي أن النجف بكبارها وصغارها تشعر بفقده تماما كما تشعر الاسرة و العائلة بالخسارة والفراغ حين تفقد ركنا من أركانها، وعمادا من كيانها، أما سبب هذا الشعور، وهذا الاحساس فيتلخص أيضا بكلمة واحدة، وهي أن النجف تعرف – قبل غيرها – أن هذا الرجل كان يمثل الدين بحق وجدارة.

ومعنى يمثل الدين، ورجل الدين أنه رجل العلم و العمل، رجل الرحمة والحنان، والحب والسلام، والضمير والوجدان، رجل الاخاء والصفاء، والصبر والتسامح، والصدق والصراحة، والزهد والعدل.. لا رجل المادة والمنفعة، والحقد والكراهية، والتملق والرياء..

إن رجل الدين، أو العالم الديني، مهما شئت فعبر، لن يكون ابدا صغير النفس وحقيرها لان الدين كبير وعظيم، ومن هنا جاء تسامح أهله وحماته الكبار.. وأستطيع القول بلا تحفظ أن الذين يتمنون للناس الويلات والعثرات، وتصفر وجوههم، وتتجعد من الحقد، والرغبة في الانتقام ولا ينامون الا على دبابيس الكراهية، ومسامير الخبث، أستطيع القول: ان هؤلاء بعيدون كل البعد عن الدين الصحيح، والإيمان الخالص، بل وعن الإدراك، وتقدير الأمور بموازينها.. ان الذي يتسامح في أشيائه الخاصة يفقد انتصارا صغيراً وحقيراً، ولكنه يربح الانتصار الكبير، وهو مرضاة الله، وثقة الناس،

(١) نشرت في كتاب من ذا وذاك.للشيخ مغنية .

وقد تجلت هذه الحقيقة في سيرة الشيخ المظفر.

وقال اتباع ماكيافلي: يجب أن يشتهر الإنسان باسم الطيب المتسامح، لأن الاشتهار بذلك مفيد له جدا من الوجهة المادية.. ولكن عليه في الوقت نفسه أن يكون في واقعه قاسيا فتاكا، وذئبا مخادعا، لأن الناس كذلك في واقعهم، فاذا لم يكن مثلهم كان من الخاسرين..

وإذا كانت هذه النظرية واضحة الفساد فإن عليها عمل الأصحاب الا الذين زهدوا في التطبيل والتزمير، وهم معروفون بأشخاصهم وأسمائهم، ومنهم الشيخ المظفر الذي شعر بالمسؤولية، وتحملها، ثم أداها باخلاص.

لقد شعر بوجوب العمل على التطور والتقدم، فأقدم عليه بجرأة، وعمل له بأمانة، وتحمل ثقله بمغامرة، وصارع في الميدان ببطولة، حتى انتصر وعبر جميع متاهات الخطر.

وهنا يكمن سر عظمته التي تميز بها عن الذين لا ينطقون، حتى بكلمة «نعم، أو لا» قبل أن يضمنوا الأرباح العاجلة الزائلة.

محمد جواد مغنية

في ذكراك يا أبا محمّد

الدكتور عبد الرزاق محي الدين
عضو جمعيّة الكتاب والمؤلفين العراقيين

في ذكراك الأربعينيّة يا أبا محمّد تقف النجف حزينة خاشعة تشيد بذكرى نشأتك الطاهرة وفنائك النقي الحي وكهولتك الصالحة المدركة المبصرة.

في ذكراك الأربعينيّة يا أبا محمّد يقف أخوانك دامعين خاشعين يستعرضون صفاءك ووفاءك وأخاءك كيف كنت تجمعهم على ود وتفرقهم على وعد.

في ذكراك الأربعينيّة يا أبا محمّد يلتفت طلابك وأبناؤك يستعرضون آثارك فيهم ويستنطقون اعمالهم لهم ويستعيدون عن ظهر قلب ما رويت وما رأيت وما قرضت وما حررت، ما استصوبت وما خطأت، وما جرحت وما وثقت فإذا كلّ نبض في قلوبهم، من فيض وجدانك، وكلّ اشراقة على عقولهم من نور عرفانك، وكلّ جرس على ألسنتهم صدى للسانك.

في ذكراك الأربعينيّة يا أبا محمّد تشخص رسائلك وكتبك ومراجعاتك ومناظراتك ومحابرك وأقلامك لتشهد الله والناس على أنّها كانت مسطرة لوجه العلم محررة لوجه الحقّ، مبرئة من سفسطة الباطل، منزهة عن الغرض المتحامل.

في ذكراك الأربعينيّة يا أبا محمّد تقف الأربعون التي سلختها من جهدك وجهادك تحمل على كاهلها المتعب المكدود أوقاراً من جلائل الأعمال، وحقائب من شوامخ الآمال تتقدم بين يديك إلى ساحة الله في مطلع وفادتك عليه ونزولك في رحابه لتقوي رصيد حسابك وتكون عنوان كتابك، ولتوطأ مهاد رحمته ولتزين لك قصور جنته، ولتكون زادك وذخيرتك يوم لا ينفع مال ولا بنون.

اللهمّ بارك أعماله في الآخرة كما باركتها في الدنيا وأكتب لها البقاء من بعده فإنّها لك وأنت الحي الذي لا يموت، وخلد سيرته في نفوس أخوانه وطلابه حتّى يستقيموا بطريقته ويسيروا على نهج سيرته.

اللهمّ وفّق الأمنة على مدرسته وكليته للحفاظ على ما أبقى، والإشادة على ما أسى ومني ومن جمعيّة الكتاب والمؤلفين لهم أبلغ العزاء وكريم المواساة.

عبد الرزاق محيي الدين

وزير الدولة لشؤون الوحدة

كلمة الأسرة

الشيخ محمود المظفر

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ۝ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون﴾[١].

يا أبانا:

لئن عزت حياتك فلقد هدت وفاتك، ولئن كان بك أديم الحياة رضياً زكياً، فلقد كان بعدك جدبياً عسيباً... تركنا عيوناً عبرى وقلوباً حرّى.

وعزاؤنا الذي نتبرد عنده ونركن إليه أنّه قضاء الله وحكمه الماضي فينا وفيك، وأنّك عشت مجاهداً وجاهدت في الله طائعاً، وإنّ الجذوة التي أوقدتها ستظل متقدة تنير الدرب للسالكين.. ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[٢].

فنم يا أبانا قرير العين، ها هم الأخوان من عارفي فضلك ومقدري جهادك أكثر منّا ادراكاً لما نعلم وألماً بما نحس... فشكراً لهم وألف شكر على شعورهم الغامر ولطفهم الكريم... وإنّ حضورهم هذا الحفل الحاشد وتجشمهم عناء السفر ومشقة الطريق من أطراف العراق وخارجه ليعطينا دليلاً آخر على أنّ الخلود للعاملين المجاهدين الصادقين ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣].

وشكراً إلى العلماء الأعلام وطليعة الفكر والمعرفة ممّن ساهم نظماً أو نثراً في هذا

---

(١) البقرة: ١٥٦ .

(٢) الأحزاب: ٢٣.

(٣) العنكبوت: ٦٩ .

الحفل التأبيني الحاشد أو في الحفل التأبيني الآخر الذي أقيم في لبنان من قبل علماء الدين في صور، أو في الحفلة التأبينيّة التي عقدها المجمع العلمي العراقي في بغداد، أو في غير ذلك من المحافل التأبينيّة ومجالس الفاتحة اللاتي أقيمت في العراق وغيره من بلادنا الإسلاميّة والعربيّة.

وبعد فهل لنا أن نشكر جمعيتنا جمعيّة منتدى النشر وأعضائها وأساتذتها وطلاب كليّة الفقه وأخواننا من النجفيين الألباب الذين ساهموا في إعداد هذا الحفل.. لا أجدني موفياً حقهم إن شكرتهم... فليس بمستساغ أن يشكر الإنسان بنفسه، والجمعية وكليتها بعد ذلك هما من الفقيد وإليه وإنّا ثمرة من ثمارها وغرس من نبعهما.

وأخيراً نتقدم بخالص شكرنا لأخينا العلاّمة السيّد محمّد كلانتر وأخيه في العطاء والتضحية الحاج محمّد تقي اتفاق مشيد هذه الجامعة، بماعينا لنا من إقامة هذا الحفل بهذا المكان المعمور بالعلم والعمل الصالح.

سائلين المولى أن يلهم الجميع الصبر ويسلك بهم سبيل الرشاد.

محمود المظفر

كلمة جماعة العلماء

الشيخ المظفر[١]

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد وآله الطاهرين.. وإنّا لله وإليه راجعون.

كان فقيدنا الغالي تغمده الله برحمته الواسعة علماً كبيراً من أعلام الفكر الإسلامي العالي، وأستاذاً لامعاً من أساتذة الجيل الإسلامي الناهض، ورائداً حرّاً من روّاد الاصلاح الديني في مختلف مجالاته علميّة واجتماعيّة.

فقد عرف رحمه الله تعالى بأصالة الرأي وبعد النظرة، وعمق الفكرة، وجودة البحث ومتانته، ودقّة التعبير وانسجامه، في روعة بيان واشراقية أسلوب، وجمال عرض.

كما عرف بالصبر والمثابرة الكبيرين في مجالي العلم والعمل إلى جانب ما كان يتحلى به من خلق إسلامي رفيع قلّ أن يوجد في غير أمثاله من ذوي القلوب التي عرفت الله تعالى فعشقته، ورأت اللذة في الألم في سبيله والعزّة في الخضوع له، والكرامة في نيل رضاه تعالى وتقدس... فأدركت في ضوء ذلك أنّ الحياة كفاح في سبيل المبدأ وجهاد من أجل خير الأمّة، ودعوة إلى الإسلام وإلى تطبيقه في الحياة؛ من أجل أن يعيش المسلمون في ظلال العدالة الاجتماعيّة الإسلاميّة فينعموا بالخير والكرامة في الدنيا؛ ويحصلوا على الثواب الدائم في الآخرة.

ويلمس الجميع جوانب من حياة فقيدنا الغالي التي نذرها للصالح العام وبخاصة في خدمة الحوزة العلميّة في النجف الأشرف، بما قدّمه من مؤلفات ذات قيمة علميّة

(١) أشير إلى أن هذه الكلمة بقلم المرحوم الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي وقد عرضت على رئيس الجماعة الإمام الشيخ مرتضى آل ياسين فأقرها. (م.خ)

كبيرة، تتجلى في منهجيّة التأليف وأسلوب العرض والإحاطة بالمادة وفي مماشاتها للمستوى الدراسي في مرحلته التي وضعت له، أمثال كتاب «المنطق» وكتاب «أصول الفقه» وكتاب «عقائد الشيعة»، فقد أصبحت هذه المؤلفات الثلاثة من الكتب التي تدرس في الحوزة العلميّة النجفيّة في الاتجاه الموصل ما بين مرحلة دراسة المقدمات، ومرحلة دراسة السطوح، وتلمس أيضاً فيمن خرجه من تلامذة بحثه الخارج فقهاً وأصولاً وفلسفة، حيث يعدون في طليعة الخريجين من تلامذة أمثاله من لداته في البحث والتدريس.

وفي تمثيله النجف الأشرف في احتفال جامعة القرويين في المغرب، حيث بعث صوت النجف الأشرف هناك وحمل تراثها الرسالي في الفقه وأصوله والتفسير والحديث وأمثالها إلى إخواننا من أعلام الفكر الإسلامي هناك؛ بغية أن يتفاعل هذان الجانبان العظيمان من حضارتنا الإسلاميّة العتيدة، فتعرفت النجف الأشرف على القرويين عن طريقه﵀ لأوّل مرّة بعد أن رفعت تلك الحواجز التي وضعتها سدوداً شامخة عوامل التفرقة من استعماريّة وغيرها... وتعرفت جامعة القرويين على جامعة النجف الأشرف ولأوّل مرّة كذلك.

وفي وقوفه﵀ بالرعيل الأوّل من مجاهدي النجف الأشرف، الذابين عن قدسيّة الإسلام وكرامته في صد هجوم وعاديات الكفر والالحاد، التي منيت بها البلاد الإسلاميّة، وبخاصة بلادنا العراق يوم انبثقت هيئة «جماعة العلماء» لتأخذ على عاتقها مهمة الدفاع عن بيضة الإسلام وعن حوزة المسلمين فإنّنا لا ننساه يوم كان عضواً في هذه الجماعة حيث رأيناه العين الساهرة والقلب النابض، والفكر الواعي والامكانيّات الموهوبة، توقف جميعها لخدمة المبدأ الإسلامي المقدس وللدفاع عن حوزة المسلمين وكرامتهم وللاجهاز على قوى الكفر والالحاد، التي طغت في البلاد فأكثرت فيها

الفساد.

وفي قيامه بتأسيس (كليّة الفقه) التي استهدفت من ورائها تزويد الطالب المسلم بما ينبغي أن يتوفر عليه من وسائل وأساليب حديثة في أدوار قيامه بالدعوة الإسلاميّة حسبما تفرضها متطلبات الحياة الاجتماعيّة القائمة في مجال الخطابة والكتابة والتعليم وأمثالها... ولأن تكون دراستها محل الحلقة المفقودة في المراحل الدراسيّة في جامعة النجف، بين مرحلة دراسة المقدمات ودراسة البحث الخارج، ليتوفر الطالب المسلم على أهم الخبرات العلميّة والاجتماعيّة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمادّة دراسته العلميّة وبمسؤولية قيامه برسالته الإسلاميّة في الدعوة والتبليغ وحمل التراث الإسلامي إلى الأجيال المقبلة لتواصل مسيرة الدعوة الإسلاميّة أشواطها الناجحة من أجل تحكيم الإسلام في الحياة.

وقد رأينا من أهداف الكلية التي استطاع أن يحققهارحمه الله ما قام به رجال الطليعة الإسلاميّة الواعون من خرّيجيها، بأقلامهم ومنابرهم المجاهدة من الجهاد الفعال في نشر الفكرة الإسلاميّة وتعميمها، وفي تبليغ أحكام وتعاليم الإسلام إلى الأمّة، وفق ما تتطلبه مستلزمات التبليغ والدعوة في هذا العصر.

وشيء آخر ربّما كانت له أهميته الكبرى، هو إسهام كليّة الفقه الجعفري إلى مجال الدراسة الجامعيّة... والجميع يعلمون أنّ الفقه الجعفري أضخم ثروة تشريعيّة احتوى على نتاج الفكر الإسلامي العالي في هذا الجانب منه....

ورأينا في أمثالها من جوانب حياته الأخرى في مختلف مواقفه المشرّفة وأعماله الكبيرة – رحمه الله تعالى – وإنّنا إذ نؤبنه الآن نؤبن فيه العلم والجهاد، ونؤبن فيه الشخصية الإسلاميّة التي عرفت كيف تؤدي رسالتها على أفضل وجه، وكيف تقوم بأعباء الدعوة خير قيام.

فتغمده الله برحمته الواسعة، وألهمنا الصبر والسلوان، وأحسن لنا العزاء بمصابه... إنّه ولي الرحمة ومنه المثوبة.

جماعة العلماء في النجف الأشرف

كيف التقى المظفر وشلتوت

الشيخ عبد المقصود شلتوت
الأستاذ في كليّة الشريعة بجامعة الأزهر
وفي معهد الدراسات الإسلاميّة العليا ببغداد

من حقّ الأخوة الإسلاميّة علينا ومن حقّ الرحم الإسلاميّة والرحم العلميّة بيننا أن نشارككم في هذا الاجتماع الحاشد، ومن حقّ الفقيد العظيم علينا... من حقّه على علماء الإسلام في الجمهوريّة العربيّة المتحدة، ومن حقّه على علماء كليّة الشريعة في جامعة الأزهر، ومن حقّه على كليّة الشريعة في جامعة بغداد، ومن حقّه على معهد الدراسات الإسلاميّة العليا الذي ينعم بتلاميذه.. من حقّه علينا جميعاً أن نشارككم في هذا الحفل.

أيّها الأخوة:

إنّ الفقه الإسلامي هو تراث المسلمين جميعاً وهو ملك المسلمين جميعاً، وهو بجميع مذاهبه ضرورة اجتماعيّة للمسلمين جميعاً، والقوامون على هذا الفقه ثروة بشريّة لهذه الأمّة فيجب أن نعتز بهذه الثروة ويجب أن نحافظ عليها.

أيّها الأخوة:

لقد رزء العالم الإسلامي في هذا العام بصدمات ثلاث.. روع العالم الإسلامي في أمناء عهده، وروّع العالم الإسلامي في خلفائه الإسلاميّين، وروع العالم الإسلامي في حملة رسالته.. فكانت الصدمة الأولى بالفقيد الخالصي، وكانت الصدمة الثانية بفقيدنا شلتوت، وكانت الصدمة الثالثة بفقيدنا المظفر الذي نجتمع اليوم لذكراه.

أيّها الأخوة: لقد ترك فقيدنا العظيم المظفر فراغاً هائلاً في حياتنا الفكرية والإسلاميّة،فلقد كان رحمه الله عميق الإيمان، فقيه العقل، صوفي النفس، رباني الروح، دافق

العاطفة، دائب العمل، لقد امتاز ﷺ بهذه الصفات وهي أسلحة المصلحين في كلّ زمان وفي كلّ مكان.

امتاز بعمق إيمانه وصدق إخلاصه لشريعة الله، وكان لعمق إيمانه وصدق اخلاصه سلطان قوي على روحه وعلى جسمه، وطأ أكناف عقله وروحه وحواسه وعواطفه للاستجابة لمقتضى هذا الإيمان وسخر مواهبه للاستجابة لمستلزماته، ففي سبيله عاش، وفي سبيله مات.

وقد امتاز ﷺ بعقل زكي نقي استطاع به أن يدرك حكم الشريعة وأن يدرك وسائلها وغاياتها، واستطاع به أن يغوص في أعماق الفقه الإسلامي فيعيش في ماضيه باحثاً ومحققاً، ويعيش في حاضره مفرعاً ومطبقاً، واستطاع أن ينعطف على مصادر هذا الفقه في الكتاب والسنّة، فجلى غامضها وبين منهجها وحلّ مشكلها متحرراً في ذلك من جمود العصبية المقيتة ومن التقليد المنحرف، لا ينشد كلّ ما يرى إلّا الحقيقة العلميّة.

وكان ﷺ دافق العاطفة، فلقد امتاز بعاطفة دافقة كانت مصدر نشاطه وكانت أغنى عوامل طاقاته، كما كانت منبع وسائل هممه استطاع بها أو استطاعت هي أن تدفعه إلى طاقات كبيرة في البحث وفي النظر والتأليف، في الخطابة وفي الاصلاح والبناء والتطوير.

كما امتاز ﷺ بالوعي الدقيق العميق فأدرك حاضر هذه الأمّة وماضيها وأدرك سنن الله الكونيّة فيها، وأدرك هوايات الله في الناس ووعى الرسالة الإسلاميّة المحمّديّة.

وكان دائب العمل فساهم في ميادين الفكر الإسلامي بنشاطه وأضاف إلى بنائه الشامخ في العقائد والفقه لُبنات مشرقة بددت غياهب العصبيات وعمايات الجهالات التي نسجها قصور العقول وحاكها انحراف المنحرفين.

هذا هو الإمام المظفر أيّها السادة.

ولقد التقى في هذه الأفكار وفي هذه النزعات مع إمامنا الراحل الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت... التقيا في الحياة والتقيا في الممات، فكانت كليّة الفقه هنا في النجف من إنشاء الإمام المظفر ومن عمله وكان إصلاح كليّة الشريعة في القاهرة من عمل إمامنا الراحل، والتقت الكليتان... التقتا في دراسة الفقه المقارن لتمسح بيدها الإسلاميّة الكبرى ما نسجته العصبيات وما نسجته الجهالات مع ثروتنا الفقهيّة التي لا تملك بأي حال من الأحوال أن ننحي عنها مذهباً أو نبعد رأياً، فهي نابتة من تراثنا ومنبثقة من كتابنا ومستوحاة من سنّة نبيّنا.

أيّها الأخوة المسلمون:

إنّ علماء النجف وعلماء بغداد وعلماء القاهرة كلّهم على طريق واحد، وإن اختلفت مواضع أقدامهم على هذا الطريق، فهم جميعاً يحملون رسالة واحدة ويجتمعون حول غاية واحدة... كلّهم جميعاً يجمعهم كتاب واحد وسنّة واحدة وقبلة واحدة ونبي واحد ودرب واحد.

أيّها الأخوة المسلمون:

لهذا عمل المظفر علماً فعمل وآمن فجاهد واجتهد فأصاب، وقال فصدق، بهذا آمن ولهذا عاش، وفي سبيله كافح، وعلى صعيده صبر وصابر حتّى فاضت روحه إلى ربها طاهرة مطهرة، فاضت محمديّة راضية مرضيّة ظافرة مظفرة، فسلام عليه في الأوّلين وسلام عليه في الآخرين وسلام عليه يوم يبعث حيّاً.

عبد المقصود شلتوت

خواطر

يا أبا محمّد، قد يقتحمك عالم في الأصول ليضع مقارنة بين ما حملته من آراء للشيخ محمّد الحسين، وصاحب الكفاية، والشيخ الأنصاري، وما توصلت إليه من تقارب بين وجهات النظر المتباعدة، ويتم التصالح بينها في خاتمة المطاف، ثمّ يضعك هذا العالم في مكان لائق يتناسب ومكانتك في هذا المجال.

وقد يقتحمك متخصص بمنطق أرسطو ويتابعك في طرح الموضوعات وما فيها من دقة للقضايا المتعددة والأشكال الموصلة للنتائج، أيقول بعدها كلمة تقويم تكون من خلالها ذا مقدرة واسعة في هذا المضمار؟

وقد يقف حيالك أديب يتأمل دفء الكلمة ودقة التصوير فيما يدور بين (حمام الكوخ، وهزار القصر) في قصيدتك الطويلة ثمّ يعافها معجباً أو ناقداً.

وقد يدخل معك آخر حرم (السقيفة) ليسمع ما كان يدور بين القادة الأوائل حول الخطط للمرحلة الأولى والمراحل التي تليها بشيء من الذكاء ثمّ يخرج منها ليتحدث عنك بما لمسته من تلك المشاهد بدقة في التحليل وبموضوعيّة المتتبع النزيه، ثمّ الوقوف على ما أهمله الآخرون حيث تكون منه نقطة البداية، وفي يديك (الكتف والدواة).

كلّ ذلك قد يتحقق ولكننا في هذه اللحظة بحاجة إلى من يسايرك ولو لفترة ليتعرف على ما كنت تحمله من هموم ومعاناة وما ترسمه من خطوات لهذا الجيل الذي يتعثر وهو في وضح النهار.

الدخول في بابك المقفل أمر في غاية الصعوبة، لا يتم إلّا بمسايرتك أو قراءة (مذكراتك) التي ترسم فيها خطواتك طيلة حياتك المرهقة، المذكرات تلك التي لم يكتب مثلها رجل دين سوى الشيخ محمّد رضا آل كاشف الغطاء.

من سايرك يا أبا محمّد، ولو لفترة قصيرة وأنت ترقى منصة الدرس لتتحدث عن (المثل العليا) عند ابن سينا، يجد فيك العالم الفيلسوف المدرك، فكلّما أخذت جانباً بالتحليل كبرت وكبرت لدى طلابك، وغمرهم شعور مزيج بين الدهشة والاعجاب أثناء الدرس وبعده.

وحين تتحدث عن (واجب الوجود) في عام آخر وأنت تقرأ نصّاً للإمام علي عليه السلام في ذات الموضوع فكأنّك قد سمعته منه ونقلته بأمانة، النص: «**داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء وخارج عن الأشياء لا كخروج شيء من شيء**» أو «**ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج**».

وحين يكون هذا محيّراً في البداية، يكون جليّاً بعد عرضه بما ينسجم وفكر المتلقي، وأنّه سبحانه لا ينفصل عن الموجود، كما لا يستغني ذلك الموجود عنه، فلا استقلالية إذن للمخلوق عن الخالق، وهو كما جاء في أدعية أهل البيت عليهم السلام: «**والخلق كلّه قائم بك**» ومن خلال ذلك العرض المبسط تتضح نظرية «**لا جبر ولا تفويض وإنّما هو أمر بين أمرين**» على ما فيها من دقّة قد تكون حائلا دون مرحلة الكشف.

وبعد لحظة فقد نجد الطالب المدرك يبتعد بلا إرادة عن عالم المادة المكثف إلى عالم روحي مرهف يربطه ربطاً وثيقاً بمسالك الغيوب إلى الالتصاق بالمطلق وتكون قولة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ذات بعد آخر: «**يا علي ما عرف الله إلّا أنا وأنت**» إلى آخر الحديث.

وينتهي الدرس وقد يبتعد عنك الكثير لهيبتك، وقد يقترب منك الكثير لما يحمله قلبك من رقّة، فالطالب أنت أستاذه العالم الذي يهابك خوف الزلة وأنت والده الذي يتلمس منه جرعة الحنان وأنت صديقه حين لا يكون بينكما حائل إلّا دخان لفافتك المهشمة، تصغي له وتستأنس بما يبديه.

قلت لك مرّة وأنت تذكر الرضي صاحب شرح الكافية في موضوع (المعنى الحرفي)

وتقول: وقد نسب للرضي، قلت لك أما كان الأجدر أن تمد يدك لكتابه الذي لا يبعد عنك أكثر من ذراع ليتناسب ذلك مع الدرس الأكاديمي في العصر الحديث ؟ قلت: أحسنت، وتطرق، ثمّ تقول: ولكن ما ضرّ الطالب حين يعود بنفسه ليرى النص الكامل في ذلك المصدر، وهذا ما يبعث على التحرّي والمتابعة، وتسكت، وأسكت، وأنا أتأرجح بين الرفض والقبول، وبعدها تكرر... أحسنت.

يا أبا محمّد من قرأ ما كتبته يوميّاً في (مذكراتك) يقترب من داخلك، يعرف أنّك واضع هدف، وأنّك تتحدث عمّا يرضيك، وعمّا يغضبك، وما تراه في يومك وما تتوقعه من الزمن الآتي.

كنت تريد جيلاً مشبعاً بالإيمان، يتفقه وفق ضوابط محددة يحمل العلم وينقله بأمانة ويبتعد عن دنس المادة المذلة (الحقّ) (الحقوق) والتي خصصت لفقراء المسلمين الذين أصابهم العجز، كما ابتعدت أنت حين كنت محاسباً في محل تتقاضى منه أجراً من الحلال لتسد به رمقك، كنت ترفض كذلك الكثرة من رجال الدين التي يكون الدرهم غايتها عند فتح الكتاب وعند مرحلة الإرشاد، وحتّى في مراسيم العبادة، فهي لا تعرف إلّا الجشع وكلّما اقتربت منها ابتعدت عن واقع الدين.

ثمّ تضيف في مذكراتك، وقد تكون هذه الكثرة في يوم من الأيام موضة العصر، حتّى لا تقع عينك إلّا على الأسود والأبيض شعاراً على الجماجم المتحجرة ولكنّي أخبرك أنّ مثل هذا لم يقع حتّى الآن والحمد لله.

وحين أردت أن يكون المنبر طريقاً موصلة إلى الهدف ومدرسة تتحمل أداء الرسالة لتنقذ جيلاً لا يعرف من أمر دينه إلّا الدمع الذي تذرفه عيناه وإلّا الحسرة التي تأكل أضلاعه، ولكنّك لم تستطع أن تنقل خطوتك الثانية بين (العصا السحرية) أمام قدميك وضجة الغوغاء التي تتعالى دون رويّة وبقي المنبر كما هو بلا صوت، وبقيت العصا في

وسط الطريق حتّى الآن وضاعت الأمانة.

دمت يا أبا محمّد حيّاً في حلقات الدرس حتّى هذا اليوم فيما قدمته من نتاج مميّز ومن أعلام وضعت أقدامهم على الطريق ليكونوا قادة أفذاذاً وفي الطليعة الحجّة (السيّد محمّد تقي الحكيم) نتمنى له الشفاء العاجل ليعود شاخصاً أمام الركب والسلام.

النجف الأشرف

صالح الظالمي

دراسات في شخصيته العلمية

الشيخ محمّد رضا المظفر مجدّداً

الأستاذ الاول المتمرس
الدكتور محمّد حسين علي الصغير

في الخامس من شعبان عام ١٣٢٢هـ وُلد ذلك النور المتألّق الشيخ محمّد رضا بن الشيخ محمّد بن الشيخ عبد الله المظفر في النجف الأشرف، واكتحلت عيناه بهذا السنا الوضّاء، ليجد نفسه يتيماً لم ير أباه ولم يره، فقد ولد بعد وفاته بخمسة شهور، وكفله أخوه الكبير الشيخ عبد النبي (ت: ١٣٣٧هـ).

وبعد وفاة الأب والكفيل نشأ في رعاية أخيه الفقيه الجليل المتبحر الشيخ محمّد حسن المظفر رحمه الله (ت: ١٣٧٥هـ).

ووليد النجف في الأسر العلميّة يستقبل استقبالاً خاصّاً، فهو وريث الآباء في المجد الديني، وهو حليف العلم في المنظور التربوي، لا يطمح في صباه بأكثر من أن يعتمر العمة السوداء إن كان علويّاً، أو العمة البيضاء، إن لم يكن كذلك، ليسلك حينئذ سلوك أجداده، وينخرط في سلك الحوزة العلمية طالباً، ليصبح بعد هذا مشتغلاً ففاضلاً فعالماً فمجتهداً، وهكذا كان الأمر للأستاذ المجدد الشيخ محمّد رضا المظفر، فقد اعتمر العمة في ميعة صباه، وقد اشتغل فيما بعد ليبلغ مرحلة الاجتهاد في أوّل كهولته.

كتب جزءاً من سيرته الذاتيّة بقلمه فقال:

«ابتدأت في دراسة علم النحو سنة ١٣٣٥هـ، فقرأت (الأجرومية) على الطريقة المألوفة بين الناس، ولعدم رغبتي في الدرس في ذلك الحين كنت لم أحفظها حفظاً كالعادة، وهكذا بقيت على التهاون في الاشتغال في قراءتي لباقي كتب النحو، ولمّا انتقلت إلى المنطق فتحت عيني للدرس، فكثر جدّي في التحصيل، وتداركت ما فات منّي في

علم النحو، ولكن كان اشتغالي على غير تحقيق وتدقيق، حتّى حضرت المطول (في علم البلاغة) على الأستاذ الشيخ محمّد طه الكرمي الحويزي (ت: ١٣٨٨هـ) وجملة من علم الأصول، فأفدت منه فائدة كليّة، وتعلمت منه كيف يتوصل إلى التنقيب عن المسائل العلمية بما كان يتوسع فيه من بسط المسائل وتحقيقها، وفي خلال ذلك تتلمذت عليه في الشعر فكان له عليَّ المنّة الكبرى في تعلم النظم، بعد ذلك حضرت علمي الأصول والفقه على أخي الشيخ محمّد حسن، وحضرت على جملة من الأساتذة الكبار كالشيخ آغا ضياء الدين العراقي والشيخ محمّد حسين الأصفهاني.

وفي خلال اشتغالي في العلوم الدينيّة تعلمت جملة من العلوم كالعروض والحساب والهندسة والجبر وشيئاً من الهيئة، وألّفت كتاباً في علم العروض سنة ١٣٤٣هـ على الأسلوب الحديث، ولي كتابات كثيرة في كثير من العلوم لم تزل مبعثرة، وأكثرها في الأصول»[1].

كان هذا ما أفاضه قلم الشيخ المظفر عن حياته الدراسيّة في طور الشباب، وقد أكمل مسيرته العلميّة في الدرس العالي لدى الأستاذين العراقي والأصفهاني حتّى عاد من المبرزين في علم الأصول.

وقد استقل بعد هذين العلمين بتدريس الأصول، وتخصص بتدريس «فرائد الأصول» المعروف بكتاب «الرسائل» للأستاذ الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري (ت: ١٢٨١هـ) وكان ذلك في المدرسة العلميّة للمرجع السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (ت: ١٣٣٨هـ) الواقعة إلى اليوم في الفرع الثالث بين تقاطع شارع الرسول وسوق الحويش في النجف، ففي الطابق الأوّل من هذه المدرسة إيوانان للتدريس، أشغل الأستاذ المظفر أحدهما لتدريس فرائد الأصول، وأشغل الثاني السيّد عبد الكريم السيّد

(١) ظ: علي الخاقاني، شعراء الغري ٨ : ٤٥٢.

علي المدني لتدريس الفقه الإسلامي[١].

وما زال هذان الإيوانان عامرين بالتدريس منذ سنة ١٣٣٢هـ إلى هذه اللحظة من عام ١٤١٧هـ أي قبل خمسة وثمانين عاماً حتّى اليوم، حديث يشغل الإيوان الأوّل في التدريس العالمي الخارج الأستاذ الشيخ محمّد إسحاق الفياض، ويشغل الثاني الأستاذ الشيخ الأنواري لبحث الخارج.

ثمّ انصرف الأستاذ المظفر عن هذا المنهج بعض الشيء ليتفرغ للاصلاح المنهجي والتجديد الدراسي للحوزة العلميّة في النجف الأشرف، ويطبع بصماته الخيرة على المناخ العام في مسيرة النجف الثقافية والاصلاحية والخطابية والجامعية، ذلك عند تألق نجمه، وسيرورة اسمه في دعاة الاصلاح لا في النجف فحسب بل في العراق عامّة.

ولو عدت إلى الأستاذ المظفر في مقتبل شبابه لرأيته شاعراً في بيئة النجف الأدبيّة، يشارك في مهرجاناتها، ويحيي حفلاتها التي تقتصر على المناسبات الدينيّة، وندوات الزواج، ومحافل التأبين، ولم يشأ الانخراج في هذا الملحظ إلّا لماماً، ولم يعرض نفسه فيه إلّا لواذاً، وعمد إلى صب أفكاره في قالب جديد في النجف، وهو المشاركة في المناسبات الكبيرة، والأحتفالات المتميزة، والمحافل الثقافية، بخطبه الارتجالية المؤثرة التي جمعت إلى أصالة البيان عمق التفكير وموضوعية الأهداف، وهو أوّل خطيب رأته عيني مرتجلاً في مسجد الهندي، والمجمع الثقافي لمنتدى النشر، ولدى استقبال وفود البلاد العربية والإسلامية التي تؤم النجف في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، بل في نهايات النصف الأوّل منه، وكان لهذا المنهج صدى إعتزاز وإكبار في النجف إذ لم يعرف الارتجال إلّا للأساتذة، المصريين آنذاك، وإلّا لجملة من الثائرين لدى ثورة النجف

(١) حدّثني بذلك الشيخ محمّد صادق (ت١٣٢٤هـ) نجل الآية الكبرى الشيخ باقر القاموسي المولود (١٣٢٩هـ) وكان أحد تلامذة المظفر في هذا الدرس، وما زال حيّاً يرزق إلى اليوم.

ضد الإنكليز، وثورة العشرين في حدود ضيّقة لا تعدو الإعلام الثوري دون الآراء النيّرة الهادفة، وكان المظفر بهذا ثانياً للإمام كاشف الغطاء المعروف بخطبه العصماء في الأزمان.

هذا الاتجاه لدى الأستاذ المظفر عرف به بين الناس بأنّه من ذوي النبوغ المبكر ذاتياً، ومن ذوي الفكر الأصلاحي موضوعياً، فخطبه الارتجاليّة تتسم بالعمق والأصالة حيناً، وبالصراحة اللاذعة في هذا المناخ المحافظ حيناً آخر، وبنداء الشباب الديني إلى التزود بالثقافة الرسالية الواعية بينهما.

تلك سمة المعالم في حياة الشيخ المظفر بدأت تترعرع وتسمو وتستقر لتمثل إنساناً ثائرالتفكير، وقاد العواطف، إنساني النزعة، حرّ الضمير، عميق التأثر في الأحداث الفعلية، بعيد النظر في الأحداث المستقبلية، وهو بعد في عنفوان الشباب ومقتبل الحيوية، إذ لم يتجاوز في هذا الدور الأربعين من عمره القصير إلّا قليلاً.

وكان المناخ الاجتماعي في النجف الأشرف يتأقلم تبعاً للمناخ الثقافي، فبرز فيه قبل المظفر وإلى جنب المظفر في تجديده وإصلاحه كلّ من: محمّد رضا الشبيبي في ثقافته ووطنيته، وعلي الشرقي في أدبه وعبقريته، ومحمّد مهدي الجواهري في نبوغه وشاعريته، ومحمد باقر الشبيبي في حسّه وثوريته، وسعد صالح جريو في جرأته وإخلاصه، ورضا الهندي في فحولته وسلامته، ومحمد طاهر الشيخ راضي في وعيه وموسوعيته، وأحمد الصافي النجفي في شاعريته وعزلته، وعبد الحميد السماوي في فحولته وسعة أفقه، ومهدي الحجار في تربيته ورعايته، وجعفر الخليلي في ريادته وصحافته، ويوسف رجيب في مقالاته وأدبياته، ومحمد علي اليعقوبي في ظرفه وقصائده، وعبد المهدي مطر في فضيلته وروائعه، وصالح الجعفري في نشاطه وحيويته، وعبد الرزاق محي الدين في رقّته وغزله، وصالح بحر العلوم في إستنفاره وصرخاته، ومحمّد تقي الحكيم في دقّته

واتزانه، ومحمّد الطفيلي في تقواه وتطلعاته، وعبد الحسين الحلّي في علمه وموسوعيّته، ومحمّد جمال الهاشمي في أدبه وأريحيته، ومحمود الحبوبي في فكره وجديّته، وعبد الغني الخضري في مرحه ودعابته، وعلي الصغير في شعره ومعارفه، وعبد المنعم الفرطوسي في ورعه وروائعه، وكوكبة من الجيل الطالع لحقّهم بالاتجاهات نفسها[1].

هذا الجمع المتكامل في مواهبه العالية كان مدار الحياة الاجتماعيّة والأدبية في النجف الأشرف، ولم يكن المظفر وحده ضحية الإصلاح فيما قدمه، فلم أمثاله وهناك أقرانه، ممّن قدم الكثير وقنع بالقليل، وهذه الصفوة من الرياديين مدين لها الأفق النجفي المديد فيما تمتع به من روح عصرية، وأدب رفيع، وحياة فكرية حافلة بأصناف العطاء.

أمّا مظاهر المناخ العلمي في النجف الأشرف، فلا أستطيع إلقاء الضوء الكاشف عليه في هذه العجالة إلّا استئناساً.

فالنجف قبلة العلماء، وحاضرة العالم الإسلامي، وقد احتضنت المرجعيّة العليا منذ عهد الشيخ الأكبر أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي حينما هبط النجف وحتّى يومك هذا.

وكان عصر المظفر يزخر بأساطين العلماء، وفطاحل الدين، وقد عاصر منهم الميرزا النائيني صاحب المدرسة المتطورة في الأصول، وضياء الدين العراقي والمحقق الأصفهاني مجدداً علم الأصول في زمانهما، والسيّد أبي الحسن، والشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، والشيخ محمّد رضا آل ياسين، والسيّد محسن الطباطبائي الحكيم، والسيّد عبد الهادي الشيرازي، والسيّد محمود الشاهرودي، والشيخ حسين الحلّي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، وأستاذ الفقهاء والمجتهدين سيّدنا الأستاذ الخوئي تغمد

(١) للمزيد من التفصيل في هذا الملحظ: انظر بحثنا الموسوم: (مقدّمة في الشعر النجفي المعاصر) إتحاد الأدباء والكتاب / النجف / ١٩٩٢ م.

الله الجميع برحمته الواسعة.

هذا الحشد الهائل من فحول العلماء الأعلام، وهذا التركيب الريادي لأبرز المراجع في النجف الأشرف، يسترعي ذهنية الدارس المتحرر إلى الاستزادة من هذا النمير الفيّاض، وإلزام النفس بالجد والغذاء العقلي، وإستكناه لذة الورع والتقوى، وإستيطان الزهد بمباهج الحياة.

والسلوك الرياضي الصارم في مجاهدة النفس يمثل أرقى صيغة الامتداد الأفقي للتحصيل العلمي الواقعي في حاضرة النجف الأشرف، فهو يستقطب مناخ الحياة الأخرى في ظلاله الوريفة، فلا علم بلا تقى، ولا تقوى بلا عمل، ولا عمل بلا هدف، ولا هدف إلّا رضوان الله، لذلك كان الاستمرار التأريخي لهذه المدرسة الواعية مقترناً بهذه الحقيقة الصعبة، ولولا ذلك لخبا هذا السراج الهادي للحوزة العلميّة، وتعثر سراها، وقصر أمدها، عبر الإنقراض التاريخي السحيق، فلا تجد لها عيناً ولا أثراً في سجل الجامعات الجديرة بالخلود الأكاديمي.

الدرس الحوزوي في النجف نسيج وحده، فهو يجمع إلى جنب التقويم اللساني في النحو والعربية، التقويم الجناني في التقوى والخلق الرفيع، وهو يستوعب البعد البياني في المنطق والبلاغة والحديث كما يستوعب النقاء الروحي في السيرة والإتكال على الله تعالى، وهو يبحث العمق الدلالي للقرآن والفقه والأصول ومصادر التشريع في الوقت الذي يؤكد فيه الالتزام بجوهر تلك المعارف الإلهيّة الفذّة.

ولا يكتفى من الطالب في حوزة النجف أن يمرّ بهذه الوسائل الثقافيّة المكثّفة مروراً عابراً، فإنّه لو فعل ذلك لأفرز من حضيرة الإشتغال، وحسب على السواد العام، بل يفترض فيه سبر أغوارها، ومتابعة مستجداتها، حتّى يظفر بالجديد، ولا يظفر بالجديد حتّى يستقرئ الكثير، فإذا وفق لذلك كان مظنة للابتكار، واتّسع ميدانه

للنظريات الصعبة، يضيف شيئاً لم يكن، ويستحدث شيئاً لم يزل، وبذلك يغذي نفسه وعقله بحصيلتين:

حصيلة روحيّة رقيقة، وحصيلة علمية رصينة.

وأستاذنا المظفر حينما يدرس دراسة فاحصة، فإنّه يخضع لمقاييس هذه المدرسة المتميزة، وينصاع بعطائه لمعطيات هذه المفاهيم الخلاّقة، وتبرز إيجابياته في ضوء هذا الزخم الدقيق؛ وقد قُدّر للرجل أن يفوز بالنصيب الأوفى من هذه المؤهّلات في التقوى والعلم والعمل والمتابعة والاستقراء الحثيث، فكان نموذجاً لهذه الظاهرة الفريدة النجف الأشرف في درسها العالي.

وظاهرة أخرى في حياة المظفر، هي اعتداده بقدراته العلميّة اعتداداً ملحوظاً، فما روى لنا شيئاً في المنطق عمّا أفاده من أساتيذ، ولا أكب على تعليل رأي جديد لغيره في الأصول إلّا يسيراً، وهذا يعني اعتماده الذاتي على ملكاته النفسيّة المتأصلة، ولا امتداده العلمي من سواه، فلم نعلم له أساتيذ إلّا الحويزي في المقدمات، وإلّا المحقق والعراقي في الأصول، وإلّا الاستنارة بآراء الخوئي في الدراسات العليا، نعم كان له أقران توثقت صلته بهم طيلة نصف قرن من الزمان أبرزهم الميرزا حسن البوجنردي، والسيّد محمد كلانتر، يباحثهما الفلسفة والمنطق والأصول مباحثة الزميل للزميل.

نخلص من هذا أنّ المظفر كان قد استلهم عبقريته فيما كتب في المنطق والأصول، وفيما درس من الهيئة والفلسفة وفيما أتقن من الهندسة والجبر والعروض، ولم يكن عالة على سواه، وإن كان لأحد تأثير على منهجه العلمي فهو الأستاذ المحقق محمّد حسين الأصفهاني ليس غيره.

وتلك ظاهرة فريدة تستدعي دقّة الملاحظة لديه، وبعد النظر، وجودة القريحة بداهة.

وكما أفاد الشيخ المظفر من المناخ الأدبي جيّدة ومختارة، ومن الصرح العلمي أصالته ورسوخه، فقد أفاد من حركة التأليف الموسوعي الذي امتازت به النجف، فقد تابع الإمام كاشف الغطاء في الدين والإسلام، والآيات البيّنات، والمثل العليا في الإسلام لا في يحمدون، والأرض والتربة الحسينيّة، وأصل الشيعة وأصولها، وواكب آغا بزرك الطهراني في ذريعته ونقبائه، وعبد الحسين الأميني في غديره وشهداء الفضيلة، وعباس القمّي في الكنى والألقاب وسفينة البحار، ومحمّد السماوي في تدقيقه وصبره الطويل وجمعه وتدوينه، ومحمد صادق بحر العلوم في تحقيقاته وقضائه الشرعي، ومحمد علي اليعقوبي في بابلياته وتعليقاته الفيّاضة، وعبد الرزاق الموسوي المقرم في تأليفه ومجموعاته الفائقة، وجعفر الخليلي في قصصه وكتبه والعتبات المقدسة، وجعفر محبوبة في ماضي النجف وحاضرها... وأمثالهم.

وكانت هذه المتابعة متابعة من يضيف ويترجم ويعبر ويبتكر، وكان ثمرها أنّ سير المظفر للناس أحلام اليقظة، وعقائد الإماميّة، والسقيفة، والمنطق، وأصول الفقه، وشارك في تحقيق تذكرة الفقهاء للعلاّمة الحلّي، وجامع السعادات للشيخ النراقي عدا إفاضاته الأخرى في الفلسفة والرياضيات والإلهيات.

وكما سيّر الأستاذ المظفر هذه الكتب فقد سيّر عشرات البحوث والمقالات في كلّ من المجلاّت والصحف والدوريات الصادرة في النجف مثل الهاتف والغري والبيان والاعتدال والدليل والبذرة والنجف وسواها.

ولم يكن درب المظفر مفروشاً بباقات الورد، فهو يشقّ طريقه بمرارة ولوعة، إذ لم يكن بدعاً من الناس، ولا هو بمعزل عن مشكلات عصره، فهو من المآسي بصميمها، وهو من التناقضات في مناخها الهادر شظف من العيش المدقع كان سمة للبيئة، وحياة من الفقر الكافر تضرب بأطنابها بين البيوت، ومخلفات من الجور والاضطهاد تنخر في

بنية الكائن النجفي، وتضارب الآراء بين القديم المنعزل والحديث المشرئب قائم على قدم وساق، فهناك النضال السياسي السلبي والإيجابي، وهناك الجهر بقوارص الكلام ولواذع اليأس، وهناك دعاة التجديد ورموز الجمود الثقافي بين مدّ وجزر، وهناك الجيل المتمرد على الأعراف، يقابله الجيل المحافظ على التقاليد، وهناك النزعة إلى المسلك الوظيفي فراراً من العوز والجوع، وهناك الصبر المضني على الفاقة والحاجة، والكل بعد هذا في معركة إجتماعية وفكريّة وإقتصادية لا أوّل لها ولا آخر.

في مثل هذه البيئة الصاخبة تلألأ نجم محمّد رضا المظفر لامعاً، وبدأ سلوكه متزناً، يتجه مع دعاة الإصلاح في عنف وإصرار، ويتروح بين رجال الحفاظ والوقار في دعة واضطراب، لا يستطيع الجهر بكلّ ما يحمل، ولا يكتم إلّا القليل من كلّ ما يريد، حتّى اصطدم بالواقع المرير، فأمّا الإنزواء والقوقعة على الذات، وأمّا الإصحار بصراحة واطمئنان، وكان الخيار الثاني قدره في الحياة فانصاع إلى قدره بكلّ ما يخبئ في طياته من الجهد والعناء والنضال العريض.

الإنسان المفكر لا يدرس وحده ظاهرة اجتماعية قد لا تتكرر، ولا يقيم بمنأى عن مجتمعه جزءاً منفصلاً، بل على العكس من ذلك، فهو وليد من أمشاجه، وهو علّة لأسباب متعددة، وهو نتيجة لمقدمة تلك الأسباب، وكان مقدمة لما تلا مسيرته من أحداث صاخبة، جعلته في عداد الأفذاذ في نظر جيله والأجيال اللاحقة تستلهم فيه روح المثابرة والإخلاص ناظرين ثمنهما الباهض، وعطاءهما الثر، والثمن قد يؤدي بحياة الإنسان، والعطاء قد لا يعدو أن لا يكون معلماً بارزاً في عثرات الطريق يهدي سواء السبيل.

اسمحوا لي بشيء من الدقّة في التعبير الحقيقي عن هذا الرجل الذي أدركته جيداً، وتمثلت حياته جيداً، نشأ الأستاذ المظفر في بيت متواضع اتّسع لأخوته الأربعة

وأهاليهم، مساحته لا تعدو خمسين متراً مربعاً في محلة البارق من النجف الأشرف، تربيته الدينيّة أمر مفروغ عنه، وسلوكه الروحي العفيف قائم بالضرورة، عانى ألواناً من الفقر لا توصف، وكابد صنوفاً من الحرمان لا تطاق، شأن المصلحين الأمناء، وكان هذا شعاره ودثاره، حتّى حين أصبح من أبرز شخصيات الأمّة العربية سمعة ومنزلة واشتهاراً، فقد كان يمسك السجل الحسابي لأحد التجار المعروفين في النجف بمرتب ضئيل يسد به الرمق، وحينما أصبح عميداً لكلية الفقه استمر الحرمان ضيفاً ملازماً له، فقد كان مرتبه الشهري لا يتجاوز خمسة عشر ديناراً عراقياً، وإن وقع على الثلاثين أو الأكثر، فذاك تبرع للكلية الفتية الأهلية التي لا تنهض وارداتها بمصروفاتها، ولكنّه متجمل جدّاً في ملبسه وهيئته، باسم الثغر، منفتح الأسارير، مغتبط النفس بما يقدمه لأبناء العراق من جليل الأعمال العلميّة والثقافية والتربوية، تمازجه فتلمس طيبته ونقاءه في أوّل جلسة، وتتعرف إلى عبقريته النادرة فتحس ريادته لقومه عند أوّل وهلة، يهزه الحديث الهادف، وتأسره الكلمة الصادقة، كان إذا صادفني في الطريق ينشد: (لو كنت من مازن...) يشير إلى ما ضمنته في قصيدة لي أبان المد الأحمر في العراق:

لو كنت من مازن لم تستبح أبلي بنو اللقيطة من أتباع لينينا
لكنّ قومي وإن كانوا ذوي عدد لا يدرؤون شيوعيّاً وصهيونا

وكان يستمع إليّ بإنصات غريب، وأستمع إليه بشوق عجيب، أحسبه ساهياً وهو في دوامة من التفكير، وأظنّه واجماً وهو في ذروة التأمل، تخاله فرحاً وهو في غاية الألم، وتعتقده مضطرباً وهو في قمّة الاطمئنان، وتراه هادئاً وهو في مرجل الحماس، وتعده ثائراً وهو في ذروة الهدوء... يفكر، ويخطط، ويحاول، ويتحدى، ينظر بعيداً، ويحتجّ واثقاً، ويقول متحدثاً: في توجيه أخروي، أو تقويم دنيوي.

تعرض للهجمات فشقّها ألق الجبين، وكابد الآلام وتجرعها طلق المحيا، وعاش

الأزمات فتلقاها ثبت الجنان، ما أنحنى فكراً، ولا ذلّ نفساً، ولا استسلم يداً، وهو من التواضع في قمته ومن الحلم في منعته، ومن الأخلاق الكريمة في ألمع مظاهرها، ومن الزهد والتقشف في أوجهها، يحترم الكبير، ويحنو على الصغير، ويجلّ أهل الدين، ويعظم حملة الفكر، ويشجع النشء، ويحتضن الجيل، حتّى تظنه صديقك وهو الأب الروحي، وتخاله زميلك وهو الأستاذ الجليل، وقد كثر محبوه لهذا، وكثر شانئوه لهذا أيضاً.

وكان لابدّ لهذا المنحى من التفكير أن يلد شيئاً جديداً، أو أن يتمخض عن عمل جديد يرتفع بالأحداث إلى مستوى المسؤولية الصاعدة، فكانت فكرة تأسيس جمعية الرابطة العلمية الأدبية عام ١٣٥١هـ.

وكان الكيان الإداري للجمعية على النحو الآتي:

١ – الشيخ محمد جواد الحجامي عميداً.

٢ – الشيخ محمد رضا المظفر سكرتيراً.

٣ – السيّد يوسف الحكيم عضواً إدارياً.

٤ – السيّد موسى بحر العلوم عضواً إدارياً.

٥ – الشيخ علي ثامر عضواً إدارياً.

٦ – الشيخ هادي حموزي عضواً إدارياً.

٧ – السيّد هادي فيّاض عضواً إدارياً.

وانتسب للجمعية طائفة من خيرة المثقفين في النجف، وعيّن لها مجلس أعلى للرقابة الجديّة الصارمة، ومن أبرز علماء النجف ومراجع التقليد العام، يشرف على شؤونها ويوحي بالتسديد الرشيد لأعضائها.

وكان هذا المجلس الشريف يتألف من:

١ – الآية الكبرى الشيخ محمّد رضا آل ياسين.

٢ – الإمام السيّد محسن الطباطبائي الحكيم.

٣ – آية الله الشيخ محمّد حسن المظفر.

ولمّا كانت هذه الهيئة تحمل مسؤولية المرجعيّة العليا للمسلمين في العالم، فقد كان وقتها ثميناً لا يتّسع لأكثر من النصح الكريم، فقد تشكلت بمباركتها لجنة أخرى تشرف على الشؤون عن قرب برئاسة حجّة الإسلام السيّد محمّد سعيد الحكيم.

وقبل ستّين عاماً من الزمان أنتخب الأستاذ المظفر عميداً لمنتدى النشر، ففي عام ١٣٥٧هـ تجدد الإنتخاب وكان ذلك، وفي هذا العام قيّض الله تعالى للمظفر مثقفاً عصرياً من سنخ تركيبه في المزاج والتفكير والتجديد والإصلاح، فكان سكرتيراً للجمعية طيلة حياة المظفر، وعميداً لها بعده، وهو أستاذنا الجليل السيّد محمّد تقي الحكيم عضو المجمع العلمي العراقي، وعضو المجمع اللغوي في القاهرة، وعضو المجمع العلمي السوري، وعضو المجمع العلمي الأردني، فكانا فرسي رهان في الاستباق إلى الخيرات، وهنا تبدأ مرحلة جديدة من حياة المظفر القصيرة تتسم بالمخاطر والمتاعب، وتزخر بحركة الإصلاح البنّاءة.

والحقّ أنّ منتدى النشر مدينة لهذا الرجل العملاق في كيانها وتماسكها واستمراريتها وغذائها العلمي، فقد بذل في سبيل إنعاشها وقته وحياته، وأوقف لها شخصيته وأتعابه، فكانت همّه الأكبر الذي لا يهدأ، وشغله الشاغل الذي لا يستقر، قاوم بها حركة الجمود، وبحث فيها وسائل التعبير، وكانت نيّته صادقة بذلك، وسيرته مرتبطة بالملكوت الأعلى فيما يحاول، ويجدد، ويعتقد، ويرتضي، بدافع من الواجب الشرعي الملقى على عاتقه، وبهاجس من استمرارية الباعث الديني الذي يرى ضرورة التطوير في أسلوبه وتقاليده وعائديته من عمله على النحو الآتي في محاولة التجديد:

١ – تأسيس المجمع الثقافي.

٢ – إصلاح المنبر الحسيني.

٣ – تأسيس كليّة منتدى النشر.

أ – وكان المجمع الثقافي لمنتدى النشر محفلاً خصباً للفكر الجديد، وموئلاً فتياً للجيل الجديد، بدأ نشاطه في المحاضرات الثقافية، والندوات التخصصية، يتبارى فيه المثقفون والعلماء بصيغ لم تكن مألوفة في النجف الأشرف آنذاك، بحث المواضيع التخصصية وطرح القضايا المعاصرة، وأدار الحوار والمناقشة على صعيد من التفهم والإدراك الجيدين حاضر فيه أدباء النجف، وأعضاء المنتدى، وقادة الفكر في العراق، وقد استمعت فيه شخصياً إلى الأستاذ المظفر، وهو يلقي محاضرة فلسفية في واجب الوجود، كما استمعت لعلاّمة العراق الشيخ محمّد رضا الشبيبي، يتحدث عن مؤرخ العراق ابن الفوطي في بناية المنتدى الجديدة آنذاك الملاصقة للصحن الشريف من جهة باب السوق الكبير، وكانت محاضرة الشبيبي فخمة العبارة، مشرقة الألفاظ، واضحة الديباجة، جمع لها جمع غفير من الشباب النجفي وعلماء الدين وأساتذة الفن، وقد ألقاها ببساطته المعهودة دون تكلف وكان ذلك عام ١٩٥٧ م.

وكان الفهم القاصر في سن الصبا يحول بيننا وبين متابعة برنامج المجمع الثقافي، فقد نحضر ولا نفهم شيئاً من المحاضرة إلّا أنّ الأسماء اللامعة تجذبنا لذلك، ففي محاضرة الأستاذ المظفر واجب الوجود التي ألقاها عام ١٩٥٦ م لم نفهم شيئاً ذا بال منها، ولم نعرف إلّا حفظ هذا البيت:

إنّ الوجود عندنا أصيل دليل من خالفنا عليل

ولا تسل عن معنى أصيل، ولا دليل، ولا عليل فما كنّا لندرك ذلك كلّ الإدراك ونحن في سنّ مبكرة إلّا أنّنا كنّا نجد لذّة عظيمة حينما يرحب بنا المظفر والحكيم، ونعد

ذلك من مفاخرنا، وكانت الألقاب تستهوينا، والأسماء تغرينا على سماع ما نفهم وما لا نفهم.

ب - وكان المنبر الحسيني الشريف، لا يخضع في خطبائه إلى تنظيم دقيق، ولا يألف أولئك توجيهاً إصلاحياً جذرياً، فعمد المظفر ورفاقه في النضال، وفي طليعتهم الشيخ محمد نجل شيخ الشريعة إلى إيجاد صيغة متطورة تتبنى الفكر الإسلامي العتيد، والروايات المسندة الصحيحة، دون الأساطير والاسرائيليات، والأسلوبية الحديثة بإعداد جيل من الخطباء ينهض بالمسؤولية الخطابية، ويصور أبعاد الثورة الحسينية بإطار يتفق مع أهدافها الإسلامية العليا، ويستخلص آثارها الإنسانية السائرة.

وفتح لذلك في منتدى النشر فصل دراسي كان من المتحمسين له من الخطباء: السيّد جواد شبّر، والشيخ جواد قسام، والشيخ مسلم الجابري، والدكتور الشيخ أحمد الوائلي.

وكان الأستاذ جعفر الخليلي قد تبنى هذا الموضوع في جريدة الراعي والهاتف، ودعا إلى تثقيف الخطباء، وتطوير المنبر الخطابي بوسائل المعرفة المتعددة، وصيانته من الأسفاف، وكان قد استحصل على تأييد الإمام كاشف الغطاء الشيخ محمّد حسين في التمهيد لذلك.

وقوبلت هذه الحركة بثورة مضادة هائجة كادت أن تطيح بمنتدى النشر وأعضائها، وكان شيخ الخطباء الشيخ محمد علي اليعقوبي قد تبنى معارضة هذه الخطّة لا لعدم إيمانه بضرورة إصلاح المنبر، بل لأنّ الخطة صادرة عن جمعية منتدى النشر، وهو عميد جمعية الرابطة، والتنافس قائم بين الرابطة منذ التأسيس[1]، وبالرغم من هذا كلّه وما جرى على المظفر بهذا السبب أكثر من هذا كلّه، فقد كانت هذه الحركة تؤتي أملها ولو إلى حين،

(١) ظ: للتفصيل / جعفر الخليلي / كيف عرفت الشيخ محمد علي اليعقوبي / بحث في مجلة الإيمان النجفية / العدد الخاص باليعقوبي / ١٩٦٦ م.

وكان حصيلتها جملة من مثقفي الخطباء النابهين.

ج – وعمد الأستاذ المظفر وجماعته إلى محاولة جريئة في التجديد، وهي إصلاح مسيرة الدراسة العلمية، فتأسست كليّة منتدى النشر، والغاية منها الحفاظ على منتسبي الحوزة العلمية من الفرار إلى المسلك الوظيفي وإيواء رجال الدين من العرب في ظلّ من الاستقرار النفسي، وهي تجمع بين النهج القديم، وإضافة شيء من العلوم الحديثة، وإخضاع طلابها للإمتحان الشهري والسنوي، والتقويم العلمي والتربوي، وصاحب ذلك إجراء مرتب شهري لأعضاء المنتدى والطلاب بسعي من الأستاذ المظفر يدفعه المرجع الديني الأعلى آنذاك السيّد أبو الحسن الموسوي، وكانت مجلة البذرة النجفية التي أصدرتها منتدى النشر تغذي هذه الأفكار الإصلاحية في موضوعاتها الخصبة، بيد أنّ هذا كلّه كان مثار جدل ونزاع مريرين في الوسط العلمي في النجف بين مؤيد ومفند وحياد، إلّا أنّ المفندين كانوا من الكثرة بحيث تعرقل المشروع بحدود كثيرة.

وفي عام ١٩٥٨ م أجيز المنتدى بفتح كليّة الفقه في النجف إجازة رسميّة، وأنتخب الأستاذ المظفر عميداً لها فانتقى للتدريس فيها من أساتذة الحوزة العلميّة: السيّد محمّد تقي الحكيم، الشيخ محمّد تقي الايرواني، الشيخ علي سماكة الحلّي، الشيخ عبد المهدي مطر، الشيخ هادي حموزي، الشيخ محمّد مهدي شمس الدين، والشيخ كاظم شمشاد الهندي.. وأضرابهم أضيف لهؤلاء عدد من أساتذة الجامعات العراقية كان من بينهم الدكتور عبد الرزّاق محي الدين، والدكتور حاتم الكعبي، والدكتور أحمد حسن الرحيم، والدكتور قيس النوري، والدكتور عباس الوهاب وأمثالهم.

واستمرت مسيرة هذه الكلية أكثر من ثلاثين عاماً في عطاء علمي فريد استوعب الشريعة الإسلاميّة واللّغة العربية في تخصصهما الجامعي، وكان الهدف الأوّل لهذه المؤسسة إعداد علماء متخصصين في علوم الإسلام، والفقه الشرعي متساوقاً مع قفزات

الزمن في النهوض والترقي.

رافق هذا المشروع الضخم وهو بإدارة رجل حديدي واحد هو الأستاذ المظفر، ومن استجاب له من الصفوة الخيرة البناءة، أقول: رافق ذلك إصدار مجلة النجف باسم طلاب كلية الفقه، والتي تطورت فيما بعد إلى المجلة العلميّة لكليّة الفقه في عمادة الأستاذ عدنان البكاء، فقد استمرت هذه المجلة الضخمة في الصدور ثلاث سنوات، في ثلاث مجلدات، وهي حافلة بأروع البحوث والتي يخضع نشرها للتقويم العلمي.

ولم يكن الفكر الإصلاحي والتجديد التراثي الأصيل في هذا الملحظ بالذات لدى الأستاذ المظفر وليد صدفة، وتفكير ساعة، وإنّما كان عصارة دراسة مستفيضة لتطور الزمن، ودراسة مستفيضة أيضاً لنظم الدراسات العلمية في الجامعات العالمية مناهج ومباحث ومقررات، أضاف لذلك كلّه تجاربه العالية، وجند طاقاته وخبراته تجنيداً تلقائياً لم يجبر عليه، فنهض بما نهض واثقاً، وعمد إلى ما عمد إليه مطمئناً، وما شاء ليعمل بمفرده لهذا، وإن خطط بمفرده لهذا، فمرحلة التخطيط شيء، ومرحلة التنفيذ شيء آخر، فانضم إليه جملة من الرجال العاملين يشدون أزره، ويرقبون مسيرته، ويواكبون فقهه ودرايته، وتشكلت لذلك كوكبة صالحة من رائدي التجديد لوجه الله تعالى، وهم يتأطرون بالعزم الذي لا يلين، أعطوا الكثير الباقي، وتمتعوابالقليل الفاني، وهذا سبيل ما هو أصيل ومبتكر، عطاء بلا حدود، وتضحية دون مقابل، حتّى عاد ذلك مدرسة عملاقة يشار إليها بالبنان، وتبلور ذلك منهجاً يضطلع بأعبائه المصلحون في كلّ جيل، رائده مالحق، وهدفهم الصالح العام.

وهكذا كان دور المظفر، ورفاق المظفر، وتلامذة المظفر دوراً كبيراً في الجهد العلمي المتميز بأصالة التجديد، ولغة الحداثة، ومواكبة الزمن، وعمق التأليف.

ألّف الأستاذ المظفر للكليّة كتابين جليلين اشتملا على علم القدماء وتجديد

المحدّثين، وهما المنطق في ثلاثة أجزاء، وأصول الفقه في ثلاثة أجزاء، وهما يدرسان في الحوزة العلمية إلى يومك هذا.

وألّف السيّد محمّد تقي الايرواني للكليّة والحوزة العلميّة الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة في عشرين مجلداً وهو مظنة الاجتهاد، وسبيل المجتهدين للاستنباط[1].

وحقّق الشيخ محمّد رضا آل كاشف الغطاء: حقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضي (ت: ٤٠٦هـ).

وألّف الشيخ عبد المهدي مطر للكليّة دراسات في قواعد اللغة العربيّة في أربعة أجزاء.

وألّف الشيخ محمّد مهدي شمس الدين للكليّة: محاضرات في التاريخ الإسلامي بمراحله الثلاث.

وألّف الدكتور مصطفى جمال الدين للكليّة: الإيقاع في الشعر العربي.

وألّف الدكتور محمود البستاني للكليّة: في النظريّة النقديّة.

وألّف الدكتور حازم سليمان الحلّي للكليّة: العروض وعلم القافية.

وألّف الشيخ أحمد البهادلي للكليّة: محاضرات في العقيدة الإسلاميّة، ومحاضرات في أصول الفقه للمراحل كافّة.

وألّف كاتب هذه السطور محمّد حسين علي الصغير أحد عشر كتاباً منهجياً للكليّة، خمسة منها على شكل محاضرات ما زالت مطبوعة على الآلة الكاتبة هي:

١ - تمهيد في الأدب الجاهلي.

٢ - الأدب في العصر الإسلامي.

---

(١) الحدائق الناظرة، تأليف العالم الموسوعي المتبحر الشيخ يوسف البحراني.

٣ – الأدب في العصر الأموي.

٤ – تفسير آيات الأحكام.

٥ – الفقه المقارن.

وستّة كتب طبعت هي:

١ – المبادئ العامّة لتفسير القرآن الكريم / ١٩٨٣ م.

٢ – تأريخ القرآن / ١٩٨٣ م.

٣ – المستشرقون والدراسات الإسلاميّة / ١٩٨٣ م.

٤ – أصول البيان العربي / رؤية بلاغية معاصرة / ١٩٨٦ م.

٥ – نظرية النقد العربي في ثلاثة محاور متطورة / ١٩٨٩ م.

٦ – علم المعاني بين الأصل النحوي والمورث البلاغي / ١٩٨٩ م.

كانت هذه المؤلفات متساوقة مع حركة التجديد التي أرادها المظفر، نهض بها إلى جنبه زملاؤه وخرّيجو مدرسته على سواء.

****

وفي السادس عشر من رمضان ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤ م انطفأت تلك الشعلة الوضّاءة، وتوفي الأستاذ محمّد رضا المظفر، وهو باق في قلوب الأصفياء حيّاً لا ينسى.

فيا أيّها الفكر السائر مع الشمس، يهدي المضلّين السبيل، ويا أيّها القلب النابض بالنقاء، يهب الأمّة شريان الحياة، ما زلت سراجاً هادياً، وبرحت سفراً خالداً.

فتحت لك النجف صدرها فأسست وخطبت وألّفت.

وحبتك بغداد عضوية مجمعها العلمي فكتبت وحققت وأنجزت.

واستضافتك المغرب لتتحدث في جامعة القرويين فأسمعت وأبنت وأعربت.

واستماحتك دور النشر لطبع مؤلفاتك فأذنت وباركت وأغنيت.

واختارك الله لجوار أمير المؤمنين فلبيت وقد أديت ما عليك، وبقي ما علينا، وإنّا على خطاك لسائرون.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [1] صدق الله العلي العظيم.

النجف الأشرف

الدكتور محمّد حسين علي الصغير

(١) الفجر :٢٧ .

الشيخ المظفر عالماً ورساليّاً

سماحة الأستاذ السيّد عدنان البكاء
عميد كليّة الفقه سابقاً

ليس سهلاً على من عرف المعاني الدقيقة التي تشكل ملامح الرجل الرسالي شخصية، وتاريخاً وعرف في الشيخ المظفر رحمه الله – عن معايشة – مصداقاً حقيقياً له – كما هو بالنسبة لي – أن يعطي عنه صورة قلمية مطابقة مهما حاول، فتلك المعاني بطبيعتها خارج حدود التأشير، إنّك قد تحسّها، وتلمس آثارها في نفسك، وفي الخارج ولكنك لا تستطيع أن تعطي صورتها ووجوه الدلالة فيها للآخرين.

إنّها نسيج من مجموعة مقومات شخصيته، وتاريخه ككل، نفساً وعقلاً وعلماً ووعياً ونمط تفكير، وحركة ومساراً.

وهي كذلك مجمل أخلاقه النفسية، والعملية التي مثلها سلوكه وتعامله في النظرة، والكلمة والموقف في ما يرى منها، أو غير مهم من الشؤون الخاصة، والعامة، مثلما مثلها الدرس والمنهج والمناقشة والمؤلف.

وليس شرطاً أن يترك الرجل الرسالي آثاراً مادية ذات أرقام وحجوم كما قد يتصور البعض، فذلك رهين الامكانيات التي قد تحددها الظروف الموضوعية.. وإنّما بحسبه: أن يعطي من نفسه مثلاً، ويجسد بها قدوة، وأن يختط منهجاً في السلوك والفكر والعمل.

أقول: ذلك كقاعدة للنوع لا لشخص شيخنا – أعلى الله مقامه – فهو ممّن يملك الشواهد على رساليته في هذه وتلك.. إلّا أن أرجع الأولى – في ما يبرز عليها من ملامح رسالية – إلى الثانية، فهي انعكاس وامتداد، وثمرة لها، فليس من الممكن أن نتصور أثراً رسالياً من غير شخصية رسالية.

ومن الشواهد على ذلك: أنّنا نجد أمثلة وقدوات من الأنبياء والأئمّة والعلماء دون أن يتركوا آثاراً منظورة، عدا بصماتهم في الأفكار والضمائر.

في الوقت الذي يموت فيه كثيرون من ذوي الآثار ذات الحجوم والأعداد، حتّى وهم أحياء في دنيا الناس.

وحين نلتمس شاهداً من التاريخ المتصل بشيخنا﵀، ومحاولاته في الاصلاح والتجديد، نذكر أنّ أعلاماً كباراً لا يقلون عنه في امتداد القامات أدباً وعلماً ومكانة، قد شاركوا الرؤية والعمل في مرحلة أو أخرى، إلّا أنّ أحداً – ومع الثناء الجميل عليهم جميعاً – لا يكاد يذكرهم معه، أو بعده في العملية الرسالية، ومستوى العطاء باستثناء من واكبه فكراً ومنهجاً وسلوكاً كأستاذنا العلاّمة الحجّة السيّد محمّد تقي الحكيم – حفظه الله –، ومع ذلك، ورغم أنّه جاوز في ما أعطى من آثار علمية مادّة ومنهجاً، وأسلوباً، حدود المؤسسة والحوزة في النجف إلى العالم العربي والإسلامي لكن الموضوعية تقتضي أن أقول: بأنّه وبالنسبة لتاريخ مؤسسات (جمعية منتدى النشر) ومحاولات الاصلاح في داخلها يأتي بعده بخاصة من حيث الاصرار، والقدرة على المواجهة، لذلك لم يطل وقوفه في موقعه من الساحة – لدى اشتداد الزحام – بعد رحيل الشيخ﵀، وآثر ترك أعباء القيادة الإدارية لغيره.

وإذا كان ذلك يعبر عن سمو وزهد يعلوان على المنافسة – من جهة – وعن توجه – غير مفتعل – نحو البحث من جهة أخرى، فإنّ انسحابه أعطى – دون شك – من الناحية العمليّة مردوداً سلبياً، في المضمون العلمي والرسالي لهذه المؤسسات ومن داخلها قبل أن يكون من خارجها.

وبذلك يبرز لنا ما كان يمثله شيخنا المظفر﵀ من دور حين كان يحمل اللواء، ويتقدم به بثبات، ورؤية، لا يتأثران بالمعوقات والأنواء على كثرة ما واجه منها.

فما هو السر يا ترى في ذلك، وهذا؟، إلّا ما أشرت إليه من المقومات الأخرى الفريدة اللامنظورة في شخصيته رضوان الله عليه.

وإذا كان كذلك، فهل يمكننا أن نرى هذه المقومات، ولو من بعيد ؟ وكيف ؟

يبدو لي أنّ لا مناص لنا من أن نستعرض بإيجاز في سبيل ذلك بعض بدايات هذا الرجل التاريخي العظيم في ما مثل وفكر وعمل، وأن نتتبع مسيرته، وما فيها من منعطفات وإضاءات، فلعلّ تأشيرة هنا، وأخرى هناك، تعطي ما يقرب لنا معرفة ذلك.

ولادته ونشأته ودراسته الأوليّة

ولد شيخنا الحجّة المظفر رحمه الله عام ١٣٢٢هـ يتيماً، فقد توفي والده العلاّمة الجليل الشيخ محمّد الذي كان فقيهاً ومؤلفاً، قبل أن يولد بخمسة أشهر، فنشأ في ظلّ أخيه الأكبر الشيخ عبد النبي رحمه الله فكان كما قال عنه مكان الأب بالنسبة له، رعاية وحناناً حتّى توفاه الله في سنة ١٣٣٧هـ، فكفله وقام على توجيهه وتعليمه بعده أخوه العلم الفقيه الشيخ محمّد حسن قدس الله نفسه صاحب (دلائل الصدق) المشهور، وكان لهذا الأخ في نفس وحياة ومسار شيخنا رحمه الله – كما تعكس ذلك مذكراته – أثر عميق أمتدّ إلى كلّ الأبعاد التي تشكل منها تاريخه.

إنخرط شيخنا رحمه الله في الحوزة العلمية سنة ١٣٣٥هـ وهو ما يزال في الثالثة عشرة من عمره فبرزت لديه – بما كان يملك من مؤهلات فطرية موروثة تعززت بالرعاية الواعية من قبل أخيه الجليل – قدّس الله نفسه – أمارات النبوغ والتفوق والفضل، وهو ما يزال في المراحل الأولى، لا في استيعاب المقررات الدراسية فقط بل في التحقيق والبحث أيضاً ثمّ في محاولة تجاوز المنهج الحوزوي – الذي كان وما يزال يعاني نقصاً – بدراسة الحساب والجبر والهندسة، وشيء من علم الهيئة (الفلك) والفيزياء، وما كان ذلك ليكون وهو

خارج المقررات الدراسيّة للحوزة – إلّا بوعي متقدم، وطموح يجاوز الحدود العادية، لقد كان مدركاً للمتغيرات في العالم، متحسساً، ما يلزم الرسالي – لمواكبتها – من تجديد وإضافة، لا في مضمون الرسالة – بل في المنهج والطرح – واللغة والأسلوب، وبدأ بنفسه وهو ما تميز به كما يدلل تأريخه كلّه وكان من مؤشرات نبوغه في هذه المرحلة أن يبدأ محاولاته في التأليف في سن مبكرة نسبياً، ففي سنة ١٣٤٣هـ وهو ما يزال في الحادية والعشرين من العمر، ألّف كتاباً في العروض، وكتب – كما قال – بحوثاً أخرى مختلفة.

أنهى دراسته الأولية (مقررات السطوح) وهي حافلة وكبيرة باتقان، وكان من أبرز أساتذته وأبقاهم في ذاكرته فيها بعد أخيه وأستاذه الأوّل الفقيه الباحث الشيخ محمّد حسن، العلاّمة الجليل الشيخ محمّد طه الحويزي الذي كان بالإضافة إلى كونه أستاذاً مرموقاً، أديباً وشاعراً منظوراً.

الدراسات العليا

لا يوجد ما يستدل به – بصورة مباشرة – على تأريخ التحاق شيخنا المظفر (بالدراسات العليا) أو ما يسمى في مصطلح الحوزة العلميّة[1] (بحوث الخارج)، لكن الخاقاني ذكر ترجمة للشيخ كتبها بخطّه في ما قال – قبل أكثر من عشرين عاماً – وبما أنّ الجزء الثامن من شعراء الغري الذي يضم ترجمة الشيخ قد طبع سنة ١٣٧٥هـ ١٩٥٥ م تكون هذه الترجمة قد كتبت قبل سنة ١٣٥٥هـ أو ١٩٣٥م وفيها يقول الشيخ: حضرت على جملة من الأساتذة الكبار – غير أخيه وأستاذه الأوّل الفقيه الشيخ محمّد حسن – ومن هؤلاء الشيخ آغا ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد حسين

(١) لأنّه خارج المقررات الدراسيّة، فالأستاذ فيها في الأصول أو الفقه حر في كيفية تناوله للموضوعات التي يمارس فيها عملية البحث والاستدلال واختيار الرأي، وقد يجعل كتاباً يختاره ركيزة ويجري مع مسائله بالصورة التي أشرنا إليها، وقد لا يختار.

الأصفهاني، يقول الشيخ: (والأخير إلى الآن أحضر بحثه) وكلمة (إلى الآن) التي كتبت قبل سنة ١٣٥٥هـ أي سنة ١٩٣٥ م:

تعني أنّ الشيخ﵀، قد حضر هذه الدراسات قبل هذا التاريخ بزمن طويل، وتعني أنّه قد انقطع قبله عن غير أستاذه الشيخ الأصفهاني﵀.

وقد ذكر في بعض المصادر أنّه حضر – بحث الشيخ النائيني﵀ – المتوفى سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٦ م وفي التعبير عنه بشيخنا لدى ذكر آرائه في كتابه (أصول الفقه) ما يشعر بذلك.

ورغم إفادته من جميع أساتذته إلّا أنّ أخاه الشيخ محمّد حسن في المراحل الأوليّة وأستاذه الشيخ محمّد حسين الأصفهاني في الدراسات العليا، هما الأكثر أثراً في نفسه وسلوكه ومنهجه وفكره، ويبدو الثاني خاصّة، حاضرا في وجدانه وآرائه بصورة أكثر عمقاً لا لأنّه كان أديباً بارعاً في العربية شعراً ونثراً – بما لا يكاد يصل إليه إلّا القلّة من أبنائها – كما يبدو في منظومتيه (تحفة الحكيم) في المنطق والفلسفة (والتي كتب الشيخ المظفر مقدمتها – لدى طبعها لأوّل مرّة سنة ١٣٧٨هـ ١٩٥٩ م)، ثمّ (الأنوار القدسيّة) في مدح الرسولﷺ وأهل بيته الطاهرين، ولا لأنّه قد لازمه – كما مرّ عليك – مدّة أطول ممّا هي لدى الآخرين، بل لأنّه كان معجباً به – بعمق – سلوكاً وفخراً ومنهجاً، ولأنّ دراسته عليه لم تقتصر على الفقه والأصول فقط، بل تعدتهما إلى الفلسفة والعرفان، فقد كان هذا الشيخ من كبار – إن لم يكن أكبر – من عرف بهما في وقته، ولا ينفرد شيخنا المظفر﵀باعطاء هذه المكانة لأستاذه في الجوانب المشار إليها، بل يكاد يكون ذلك موضع اتفاق لدى كلّ من اتصل به، وتتلمذ عليه إلّا أنّ شيخنا﵀ كان من أكثرهم استيعاباً لتوجهه وآرائه في الأصول والفلسفة خاصّة، وأكثرهم انطباعاً بسلوكه الأخلاقي مع خصوصية، وأصالة، وكان يصفه (بالعظيم) لدى ذكره وهو (يحاضرنا)

في الأصول أو الفلسفة، وعلى منهجه بوب كتابه: أصول الفقه، وانتصر في كثير من الموضوعات لآرائه محاولاً تجليتها والتدليل على صحتها:

ففي ص٧ من الجزء الأوّل ط٣، وهو يقسم مباحث علم الأصول إلى أربعة أقسام ويدخل في كلّ قسم موضوعاته الخاصة: ١ – مباحث الألفاظ، ٢ – المباحث العقليّة، ٣ – مباحث الحجّة، ٤ – مباحث الأصول العمليّة، وخاتمة تبحث في (تعارض الأدلة).

قال في الهامش: (هذا التقسيم حديث تنبه له شيخنا العظيم الشيخ محمد حسين الأصفهانيﷺ المتوفى سنة ١٣٦١هـ، أفاده في دورة بحثه الأخيرة، وهو التقسيم الصحيح الذي يجمع مسائل علم الأصول، ويدخل كلّ مسألة في بابها، فمثلاً، مبحث المشتق كان يعد من المقدمات وينبغي أن يعد من مباحث الألفاظ (وذكر سبب ذلك لدى بحثه له) ومقدمة الواجب ومسألة الإجزاء، ونحوهما كانت تعد من مباحث الألفاظ، وهي من بحث الملازمات العقلية وهكذا (وبيّن أيضاً سبب ذلك لدى بحث كلّ مسألة خالفت المنهج السابق).

ولا نعرف ما إذا كان شيخناﷺ قد استمر بالحضور لدى أستاذه هذا حتّى وفاته سنة ١٣٦١هـ، أم انقطع عنه واستقل قبل ذلك، إلّا أنّ المؤكد أنّه لم يحضر على أستاذ آخر بعد ذلك فهو بدءاً من هذا التاريخ وربّما قبله قد استقل، وأجيز (بالاجتهاد المطلق).

نتاجه الأدبي والعلمي

١ – نتاجه الأدبي (الشعر):

يبدو أنّ لشيخناﷺ في شبابه والمراحل الأوليّة من دراسته توجهاً ملحوظاً نحو الأدب وما يتصل به شعراً ونثراً، وهو أمر متوقع من أمثاله، بحكم المنهج الدراسي – الذي يعطى في هذه المراحل للغة وآدابها ما تستحقه من الأهمية كمقدمة لفهم الكتاب

والسنّة – ثمّ بحكم المحيط الثقافي والأدبي المتميز والمعروف في مدينة النجف الأشرف وخصوصية الحس والذوق التي تميز بها شيخنا﵀ بدءاً، وقد ترجم له كشاعر عدد ممّن كتب في الأدب والشعر وأرّخ لهما، ومن هؤلاء الأستاذ عبد الكريم الدجيلي في شعراء النجف، والسيّد محمّد جمال الهاشمي في الأدب الجديد، والشيخ علي الخاقاني في شعراء الغري وغيرهم، وذكر الأخير أنّ الشيخ﵀ (نظم الشعر مبكراً، وعرفته الأندية الأدبية شاعراً له وزنه بين أخدانه، وأنّه نظم أكثر من ألفي بيت لم يحتفظ بأكثرها)[1].

وليس من شأني هنا الوقوف على تجربته الشعريّة، وموقع نتاجه قياساً إلى فترته وتجارب أمثاله، ممّن لم يعطوا للشعر – وهو ليس غاية في نظرهم – أكثر من كونه تزجية لأوقات الفراغ، وتعبيراً يطلبه ويشجع عليه الوسط الأجنبي في مناسبة أو أخرى – لذلك فقد انصرف عنه في العقدين الأخيرين من عمره، ويبدو لي: أنّ النظرة الأولى – في ما تيسر الوقوف عليه – من شعره، أنّه من حيث المضمون لا يعدو أن يكون مرآة لثقافته الأدبية ورؤياه وعقيدته الفلسفية والدينيّة وفي بعضه محاكاة لشعراء المهجر، لا تستثنى من ذلك حتّى المناسبة الخاصّة (كالزواج) مثلاً، وفي قصيدته التي ألقاها في زواج أخيه الشيخ محمّد علي وعنوانها (لك يا نفس) مثل لذلك، فمن قوله فيها:

لـــك يـــا نـــفـــس مـقـام ... فـيـه كـم تـاهـت عـقـول
أنـــــت فـــضـــل الله ... والـكـلّ – بـما ظـنّ – فضول
لـســت أدري غـــيرأنّي ... بـــك يـــا نـــفـــس جـهـول
فـاسـمـحـي لي أن أقـو ... ل الحـقّ فـيـك واسـمـعـي لي
أنـــت كـنـز كـشـفـه لـلـنـاس ... فـــــوق المـســتـحـيـل
أنـــت لا يحـويـك أيـن ... لا ولا في الـــدهـــر آن

(١) الخاقاني، شعراء الغري م٨: ص٤٥٢– ٤٥٤.

لست أدري ولكم يقصر عن نفسي البيان
كيف يحويك من الحس زمان ومكان
غير أنّي قاطع فيك مثال لمثولي
وأنا منك وأنّك من مقامي ومقيلي

ويقول في مدح الإمام محمّد الجواد عليه السلام والقصيدة من جيّد شعره، نذكر منها الأبيات التالية:

أوقدوا لي من نور حبّي مصباحا فقد أظلمت بي الطرقات
ظلمات هذي الحياة ولا مصباح إلّا ما أوقدته الهداة
عنصر في الوجود كوّنه الله فكانت بنوره النيّرات
مثل النور والزجاجة والمصباح أنتم، وأنتم المشكاة
أنتم باب حطّة من أتاه كان أدنى الجزاء فيه النجاة
وكفى مفخراً بغير ولاكم لا يتمّ الصيام والصلوات

إلى أن يقول:

بالإمام الجواد منكم تمسك ت وحسبي من قدسه النفحات
حدُ قلّد الإمامة فانقادت لعلياء حكمه الحادثات
ابن سبع ويا بروحي قد قام إماماً تجلى به الظلمات
هو نور من قبل أن تتجلى بسنا الحقّ هذه الكائنات
واصطفاه الإله للخلق قواما فقامت لفضله المعجزات

وقد أخرج لنا الشيخ العلم القدوة الشيخ صادق آل الشيخ باقر القاموسي – أطال الله بقاءه – في مولد الإمام الحسين عليه السلام من شعبان سنة ١٤١٨هـ قصيدة من ٣٣ بيتاً، كان قد ألقاها الشيخ المظفر رحمه الله في بيت الشيخ القاموسي سنة ١٣٥٢هـ، وحبّذ أن نقرأها

اللّيلة إحياء لذكراه ومنها:

بـشراي أنّي في ولاك متيم تـقـتـادني الـسـرّاء والـضرّاء

ويقول:

بـالمدح تكتسب الأنـام ترفّعا وعـلاه منـه عـلى الـثـنـاء ثـناء
فـرقـا تحـاميـت اقـتـحـام ثنائه ومـن الثناء عـلى العظيم هجاء
فـالجـد ذاك الجـد والأب ذلك الـنـبـأ الـعـظـيـم وأمّـه الـزهـراء
بـأسره الـعـالي الجـلي تـقـاصره عـن كـنـهـه الأفـكـار والآراء
في الأرض في الآفاق أنت وفي السما في الشمس في البدر المنير ضياء
سرّ الـنـبـوة والإمـامـة جمعا فـيـه فـمـاذا يـمـكـر الـبـعـداء

أسلوبه الكتابي

ليس – في ما بين يدي – لشيخنا نثر أدبي فني مستقل عمّا عالجه من موضوعات علميّة وفلسفيّة وتأريخيّة، لكنّنا لا نعدم فيها شاهداً على قدرة متميزة تؤدي الأفكار مهما كان موضوعها، ومهما كانت دقّتها وبأكثر من عبارة أحياناً، وتجري العبارات في قلمه فصيحة بليغة، وبانطلاق ويسر لا يسهل على غير من يمتلك ناصية البيان من الأدباء وأهل اللغة.

ولعلّ في خواطره التي نشرها في (الهاتف) و(النجف) تحت عنوان (اسمعني) خاصّة وفي كتابيه (السقيفة) و(أحلام اليقظة) مثلاً يمكن أن نستجلي من خلاله قدراته الكتابية وأسلوبه المميز متانة وسهولة.

ورغم أنّ الجانب الأدبي – شعراً ونثراً – لدي ولدى الكثيرين من أمثالي – ليس ممّا ينظر إليه مستقلاً من تاريخ الشيخ وتراثه وإنجازاته العلمية والعملية، ولا هو في

الحساب عندهم في تقويمه، إلّا أنّه لابدّ من الإشارة إليه، لتفسير ما تميز به من إمكانية تقديم المعاني العلمية والفلسفيّة الدقيقة بوضوح لا يتأتى إلّا للقلّة من أصحاب القدرات الأصيلة في إمتلاك المعنى والمبنى معاً.

ثمّ التفسير ذوقه اللغوي في فهم دلالة النصوص العربية الواردة في الكتاب أو عن الرسول صلى الله عليه وآله والمعصومين من أهل بتيه عليهم السلام حين تأصيل دليل وتعضيد رأي منسجماً مع قواعد اللغة من جهة ومع الوجهة الصحيحة للدليل دون تكلف من جهة أخرى.

ومن أمثلة ذلك – وهي كثيرة – مناقشته لرأي الشيخ الأعظم الأنصاري رحمه الله ومن تقدمه وتأخر عنه – باستثناء صاحب الكفاية – في التفرق في إجراء الاستصحاب بين الشكّ في المقتضي (ويعنون به هنا الشكّ في قابلية المستصحب للبقاء والاستمرار أصلاً) وبين الشكّ في الرافع: أي طرو الرافع عليه بعد فرض ثبوته وقابليته للبقاء، حيث آجروا الاستصحاب في الثاني دون الأوّل.

أمّا صاحب الكفاية وبطريقة أخرى من الاستدلال والشيخ المظفر رحمهما الله كما سترى في مناقشته فيريان إجراءه مطلقاً – أي لدى الشكّ في المقتضي والشكّ في الرافع، ودليل الرأيين معاً هو ما ورد عن الأئمّة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام من قولهم: «**إنّ الشكّ لا ينقض باليقين**» و«**لا ينقض اليقين بالشكّ**».

فكيف كان ذلك ؟

يقول الشيخ الأنصاري رحمه الله مستدلاً على الرأي الأوّل: (إنّ حقيقة النقض هو رفع الهيئة الاتصاليّة كما في نقض الحبل، والأقرب إليه –على تقدير– مجازيته هو رفع الأمر الثابت)[1] إلى أن قال: «فيختص بما من شأنه الاستمرار».

---

(١) يقصد أنّه لا يراد من النقض معناه الحقيقي في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام لأنّ المفروض في مواردها طرو الشكّ في استمرار المتيقن، فتعين أن يكون إسناد النقض على سبيل المجاز،

وعليه فلا يشمل اليقين المنهي عن نقضه بالشكّ في الأخبار: اليقين إذا تعلق بأمر ليس من شأنه الاستمرار أو المشكوك استمراره.

وقد ناقش الشيخ المظفر﵀ ما ذكره الشيخ الأنصاري﵀ بمناقشات نوردها كما هي بطولها مع اختصار في بعضها ليتبين لنا أسلوبه في العرض والمناقشة والاستدلال على الرأي: ومن خلال ذلك ذوقه الأدبي وعلمه باللغة، على أن نأخذ في حسابنا الغاية التعليمية التي فرضت عليه التبسيط والتكرار أحياناً قال﵀: (وقد وقعت فيه عدّة مناقشات نذكر أهمها ونذكر ما عندنا ليتضح مقصده ويتجلى الحقّ إن شاء الله:

أوّلاً: إنّ النقض يقابل الابرام وهو – كما فسّروه في اللّغة – إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء أو حبل أو نحو ذلك، وعليه فإنّ تفسيره من الشيخ برفع الهيئة الاتصاليّة ليس واضحاً بل ليس صحيحاً، إذ إنّ مقابل الانفصال، فيكون معنى النقض حينئذ إنفصال المتصل، وهو بعيد جدّاً عن معنى نقض العهد والعقد.

وقال: إنّه ليس من البعيد أن يريد الشيخ – يعني الأنصاري – من الاتصال ما يقابل الانحلال وإن كان ذلك على نحو المسامحة منه في التعبير، لا ما يقابل الانفصال فلا إشكال.

ثانياً: إنّ صحة استدلال الشيخ الأنصاري﵀ على التفصيل يتوقف على التصرف في اليقين بإرادة المتيقن منه، كما نبّه عليه نفسه، لأنّه لو كان النقض مستنداً إلى نفس اليقين كما هو ظاهر التعبير فإنّ اليقين بنفسه مبرم ومحكم، فيصحّ إسناد النقض إليه ولو لم يكن لمتعلقه في ذاته استعداد للبقاء.

ولمّا كان لاستعماله مجازاً معنيان:

١ أن يراد من النقض مطلق رفع اليد عن الشيء وترك العمل به.

٢ أن يراد منه رفع الأمر الثابت.

وهذا المعنى هو الأقرب إلى المعين الحقيقي فهو الظاهر من إسناد النقض.

قال﵀: ولكن لا يصح إرادة المتيقن من اليقين على وجه يكون الاسناد اللفظي إلى نفس المتيقن؛ لأنّه إنّما يصح ذلك إذا كان على نحو المجاز في الكلمة أو على نحو حذف المضاف، وكلا الوجهين بعيدان كلّ البعد، إذ لا علاقة بين اليقين والمتيقن حتّى يصحّ استعمال أحدهما مكان الآخر، على نحو المجاز في الكلمة بل ينبغي أن يعد ذلك من الأغلاط، وأمّا تقدير المضاف بأن نقدر متعلق اليقين أو نحو ذلك فإنّ تقدير المحذوف يحتاج إلى قرينة لفظيّة مفقودة، قال﵀: ومن أجل هذا استظهر المحقّق الاخوند عموم الأخبار لموردي الشكّ في المقتضي والرافع لأنّ النقض إذا كان مسنداً إلى نفس اليقين فلا يحتاج في صحّة اسناد النقض إليه إلى فرض أن يكون المتيقن ممّا له استعداد للبقاء.

ثمّ يعتذر الشيخ﵀ عن ايراد ما قيل من أساتذته في ذلك، والتعقيب عليه الخروج عن حدود الرسالة قال: (فالجدير بنا أن نكتفي بذكر خلاصة ما نراه من الحقّ في المسألة).

ويرى أن يقدم قبل بيان ما يختاره من رأي، مقدمات هي:

١ – أنّه لا شكّ في أنّ النقض المنهي عنه مسند إلى اليقين في لفظ الأخبار، وظاهرها أنّ وثاقة اليقين من جهة ما هو يقين هي المقتضية للتمسك به، وعدم نقضه في قبال الشكّ الذي هو عين الوهن والتزلزل، لا سيّما مع التعبير في بعضها بقوله﵀: (لا ينبغي) والتعليل في البعض الآخر بوجود اليقين المشعر بعليته للحكم، كما سبق بيانه في قوله﵀: (فإنّه على يقين من وضوئه) ولا سيّما مع مقابلة اليقين بالشكّ.

ورفض بما مرّ من مناقشة حمل اليقين على المتيقن.

قال﵀: (ولذا استبعد شيخنا المحقق النائيني﵀ أن يريد الشيخ الأعظم من المجاز المجاز في الكلمة، وهو استبعاد في محله، وأبعد منه إرادة حذف المضاف).

٢ – أنّه من المسلم به عند الجميع الذي لا شكّ فيه أيضاً أنّ النهي عن نقض اليقين في الأخبار ليس على حقيقته، والسرّ واضح، لأنّ اليقين حسب الفرض منتقض

فعلاً بالشكّ فلا يقع تحت اختيار المكلف فلا يصح النهي عنه.

وحينئذ فلا معنى للنهي عنه إلّا أن يراد به عدم الاعتناء بالشكّ عملاً، والبناء عليه كأنّه لم يكن لغرض ترتيب أحكام اليقين عند الشكّ.

ويتساءل بعد ذلك عن الوجه الذي يصح أن يكون التعبير بحرمة نقض اليقين تعبيراً عن ذلك المعنى، ويورد أربعة إفتراضات يرفض ثلاثة منها مختاراً الرابع، وهو أن يكون النهي عن نقض اليقين كناية عن لزوم العمل بالمتيقن وإجراء أحكامه، لأنّ ذلك لازم معناه، باعتبار أنّ اليقين بالشيء مقتض للعمل به، فحلّه يلازم رفع اليد عن ذلك الشيء أو حكمه، إذ لا يبقى حينئذ ما يقتضي العمل به، فالنهي عن حلّه يلزمه النهي عن ترك مقتضاه، أعني النهي عن ترك العمل بمتعلقه، ويرى (أنّ هذا الوجه – أعني الاستعمال الكنائي أقرب الوجوه، وأولاها، وفيه من البلاغة في البيان ما ليس في غيره – كما أنّ فيه المحافظة على ظهور الأخبار وسياقها في إسناد النقض إلى نفس اليقين، وقد استظهرنا منها كما تقدم في المقدمة الأولى أنّ وثاقة اليقين بما هو يقين هي المقتضية للتمسك به، وفي الكناية – كما هو المعروف – بيان للمراد مع إقامة للدليل عليه، فإنّ المراد الاستعمالي هنا الذي هو حرمة نقض اليقين بالشكّ يكون كالدليل، والمستند للمراد الجدي المقصود الأصلي في البيان، والمراد الجدي هو لزوم العمل على وفق المتيقن بلسان النهي عن نقض اليقين).

ثالثاً: بعد ما تقدم ينبغي أن نسأل عن المراد من النقض في الأخبار، هل المراد النقض الحقيقي، أو النقض العملي، المعروف أنّ إرادة النقض الحقيقي محال فلابدّ أن يراد النقض العملي، لأنّ نقض اليقين كما تقدم ليس تحت اختيار المكلف فلا يصحّ النهي عنه وعلى هذا بنى الشيخ الأعظم وصاحب الكفاية وغيرهما.

قال رحمه الله: وأرجو ملاحظة ذلك لصلته بالغرض الذي سقنا هذا النص لأجله –:

(ولكن التدقيق في المسألة يعطي غير هذا، فإنّما يلزم هذا المحذور لو كان النهي عن نقض اليقين مراداً جديّاً، أمّا على ما ذكرناه من أنّه على وجه الكناية فإنّه – كما ذكرنا – يكون مراداً استعمالياً فقط) ولا محذور في كون المراد الاستعمالي – في الكناية محالاً أو كاذباً في نفسه، إنّما المحذور إذا كان المراد الجدي المكنى عنه كذلك.

وعليه فحمل النقض على معناه الحقيقي أولى ما دام أنّ ذلك يصح بلا محذور، وانتهى إلى الخلاصة فقال:

«وخلاصة ما توصلنا إليه هو: إنّ الحقّ إنّ النقض مسند إلى نفس اليقين بلا مجاز في الكلمة، ولا في الاسناد، ولا على حذف مضاف، ولكن النهي عنه جعل عنواناً على سبيل الكناية عن لازم معناه، وهو لزوم الأخذ المتيقن في ثاني الحال بترتيب آثاره الشرعيّة عليه، وهذا المكنّى عنه عبارة أخرى عن الحكم ببقاء المتيقن.

وإذا كان النهي عن نقض اليقين من باب الكناية فلا يستدعي ذلك أن نفرض في متعلقه استعداد البقاء ليتحقق النقض لأنّه متحقق بدون ذلك.

قال: «وعليه فمقتضى الأخبار حجيّة الاستصحاب في موردي الشكّ في المقتضي والرافع معا»[1] وله آراء كثيرة أخرى يمكن أن تساق للاستشهاد بها على هذا الجانب خاصّة.

نتاجه العلمي (مؤلفاته وبحوثه ومقالاته)

ذكرنا أنّ شيخنا الحجّة المظفر ﷺ بدأ التأليف وكتابة البحوث في سن مبكرة، وقد عالج في كتاباته موضوعات مختلفة، فلسفيّة ومنطقيّة وعقائديّة وتاريخيّة، عدا كتاباته في الأصول والفقه والتفسير، وكان بعض ذلك في مؤلفات مستقلة معروفة، وبعض ذلك

(١) المظفر، أصول الفقه ج٣: ص٣١٥، ص٣٢١ ط٣، باختصار قليل.

مقدمات لكتب أو بحوث ومقالات نشرت في المجلات، لذلك فإنّ لشيخنا قدّس الله نفسه – رغم ما أخذته مؤسسات جمعية منتدى النشر إدارة وتخطيطاً وتدريساً من وقته – تراثاً كبيراً نسبياً لم يطبع بعضه حتّى الآن، وممّا استطعنا تسجيله منه التالي:

١ – السقيفة: (بحث تأريخي عقائدي، طبع عدّة مرّات).

٢ – عقائد الإماميّة: (طبع عدّة مرّات).

٣ – على هامش السقيفة: (إجابة على ما أثاره البحث الأوّل من تساؤلات) طبع.

٤ – المنطق في ثلاثة أجزاء، طبع عدّة مرّات.

٥ – أصول الفقه: في أربعة أجزاء، كتب في الرابع – وهو في الأصول العمليّة – الاستصحاب فقط، وهو ما عُثر عليه بعد أن وافاه الأجل (طبع أكثر من مرّة).

٦ – أحلام اليقظة: (في الفلسفة) نشر بعضه في مجلات (الهاتف والعرفان والدليل والفكر).

٧ – ابن سينا (دراسة في فلسفته) نشر بعضه في مجلّة (البذرة).

٨ – صدر المتألهين (سيرته وفلسفته) نشر في مقدمة كتاب (الأسفار الأربعة).

٩ – المثل الأفلاطونية: (نشر في مجلة البذرة).

١٠ – الشيخ الطوسي: (نشر ملخصه في مجلة النجف).

١١ – الشيخ صاحب الجواهر: (نشر في مقدمة كتاب «جواهر الكلام»).

١٢ – الشيخ النراقي وعلم الأخلاق (نشر في مقدمة جامع السعادات).

١٣ – دراسة عن أستاذه الشيخ محمّد حسين الأصفهاني رحمه الله نشرت في مقدمة حاشيته على المكاسب.

١٤ – دراسة أخرى لشيخه الأصفهاني أيضاً مع تقديم لمنظومته الفلسفيّة المعروفة

(تحفة الحكيم) المطبوعة.

١٥ – بحث حول (اللاجبر واللاتفويض) نشر كإجابة لسائل في مجلة النجف.

١٦ – محاضرات في الفلسفة: (طبع في مجلة النجف، ثمّ طبع ككتاب أخيراً).

١٧ – محاضرات في التفسير: (علمت أنّ بعض الأفاضل من أسرته يعده للنشر).

١٨ – تعليق على رسائل الشيخ الأنصاري رحمه الله (مخطوط).

١٩ – معجزة الإمام في علمه (بحث موسّع أُلقي في مهرجان أقيم في باكستان سنة ١٩٥٧ م في مولد الإمام علي عليه السلام) نشر في مجلة النجف ومجلة الرضوان الباكستانيّة).

٢٠ – بين النجف وجامعة القرويين: (بحث أُلقي في المغرب في المؤتمر الذي أقيم هناك سنة ١٩٦٠ م وشارك فيه الشيخ رحمه الله ونشر في عدّة مجلات).

٢١ – اسمعني: (خواطر) نشر أكثرها في مجلة الهاتف والنجف.

٢٢ – ديوان شعر: (جمعه وأعده للنشر السيّد محمّد رضا القاموسي).

٢٣ – مقدمات لكتب ورسائل منها: تاريخ الكوفة للبراقي، ومالك الأشتر للسيّد محمّد تقي الحكيم، والمختار الثقفي للشيخ أحمد الدجيلي، وصور من الحياة لضياء سعيد، وتاريخ الديوانية والأزرية وتخيمسها للكاظمي.

٢٤ – مذكرات: (مخطوط).

٢٥ – آراء صريحة: (مخطوط).

٢٦ – رسالة في الدفاع عن صدر الدين الشيرازي رحمه الله ورد ما وُجّه إليّه من تهم نشرها السيّد حسن الأمين في ترجمة الشيرازي من أعيان الشيعة لوالده العلاّمة الحجّة السيّد محسن الأمين.

٢٧ – مقالات ورسائل ونقود متفرقة نشر أكثرها في مجلات متفرقة: الهاتف

والنجف والدليل والعرفان اللبنانية والاعتدال والبيان والهدى والكحلاء ومجلة المجمع العلمي العراقي والمرشد والنهج اللبنانيّة والرسالة القاهرية والرضوان الباكستانيّة[1].

ورغم أنّ كلّ ما كتبه شيخنا رحمه الله متميز مادّة ومنهجاً وأسلوباً في أي موضوع، وأن في أكثر ما كتبه آراء أصيلة وهامة، فإنّي أشير هنا إلى ما كتبه خاصّة كمنهج لكلية منتدى النشر سلف كليّة الفقه، أو لهذه الأخيرة في الموضوعات المختلفة، لا لتميزها في ما أشرت إليه فقط، وإنّما لأنّه كتبها بدافع تعليمي ورسالي، فهي لا تعبر عن مستواه وإنّما بالصورة التي يفرضها مستوى الطالب في هذه المرحلة أو تلك.

ولأنّ ذلك كان منه بوعي للحاجة التي يفرضها الواقع، ولأنّه كان مخلصاً في ذلك لربّه ولرسالته، فقد تقبلها الله سبحانه وكتب لها من التوفيق وراء انتشارها، وما أعطيت من تقويم علمي متميز ما فرضت فيه نفسها – والحمد لله – على منهج الحوزة العلميّة في (العقائد) و(المنطق) و(الأصـول)، وليس ذلك سهلاً لأكثر من سبب لدى من عرف الاعتبارات التي تحكم الحوزة.

كتابه (أصول الفقه) كمثل

لا مجال للوقوف عند كتبه ومؤلفاته لبيان قيمتها مادّة ومنهجاً وأسلوباً وإبراز ما ورد فيها أو في ما قُدّم به لبعض الكتب الكبيرة من آراء وملاحظات هامّة، ولذلك فبحسبنا أن نقف وقفة قصيرة عند كتابه أصول الفقه.

كتب شيخنا هذا الكتاب سنة ١٣٧٦هـ ١٩٥٧ م، وكتب في الصفحة الثانية من طبعته الأولى: (وضع هذا الكتاب لتبسيط أصول هذا الفن للمبتدئين ليعينهم على

(١) اعتمدنا في نشر هذه الدراسات على الكراس الذي وُزّع في الندوة الفكرية التي أقامها إتحاد الأدباء والكتاب العراقيين بالاشتراك مع مركز دراسات جامعة الكوفة وأسرة الفقيد، إحياء لذكراه.

الدخول في بحره العميق عندما يبلغون درجة المراهقين[١]، وهو الحلقة المفقودة بين كتاب معالم الأصول، وبين كفاية الأصول، يجمع بين سهولة العبارة، والاختصار، وبين إنتقاء الآراء الحديثة التي تطور إليها هذا الفن).

وقُدّم القسم الأوّل منه (مباحث الألفاظ) إلى الأستاذ الأكبر السيّد الخوئي ﵀ ربّما لتحسسه برغبته ﵀ في تأليف مثله، وارتياحه أن تكون هذه الرغبة قد تحققت بقلمه، فكتب السيّد ﵀ له تقويماً نشرت صورته في الطبعة الأولى – التي نشرها القصير – سنة ١٣٧٨هـ ١٩٥٩ م وطبعت بالمطبعة العلميّة في النجف.

وممّا جاء فيه وهو يتحدث عن الدور التجديدي للشيخ الأنصاري ﵀ في تطوير علم أصول الفقه وتكامله قال: (فاجتهد في تنقيحه وتحريره حتّى أصبح خلوا من المباحث التي كانت تأخذ بالطالب يمنة ويسرة دون أن تتفرع عليها أيّة ثمرة فقهيّة، واستبدل بتلك المباحث مباني وأسساً رصينة كانت قبله على جانب من النقص أو الإهمال؛ ولذلك أخذت آراؤه محوراً للأبحاث العالية).

قال ﵀: (ومع ذلك فإنّ الكتب الأصوليّة التي نسخ كثير من مسائلها، وأقوالها هي التي بقيت يدرسها الطالب المبتدئ والمتوسط حتّى اليوم، ولذلك فإنّ الطالب حينما يصل إلى الدرس العالي يجد أنّه لا علاقة بين ما تعلمه وما يتعلمه الآن.

وكنت منذ زمن بعيد أرغب في أنّ يؤلف كتاب في هذا العلم تلائم أبحاثه الأبحاث العالية، ويعمم تدريسه على طلاب العلوم الدينيّة، حتّى قدّم لي العلاّمة الحجّة الشيخ محمّد رضا المظفر – دامت تأييداته – ما رتبه من المباحث الأصوليّة في القسم الأوّل من كتابه (مبادئ علم الأصول) ترتيباً جميلاً، فألفيته – بحمد الله – وافياً بالمقصود، وجامعاً

(١) المراهقة: مرحلة ما قبل البلوغ في الحيوان ،استعيرت هنا لمن شارف الإجتهاد من طلاب العلم.

للموجز من القواعد والأصول التي تدور عليها رحى الأبحاث في عصرنا الحاضر.

فجدير بطالب العلم أن يدرس هذا الكتاب ليتهيأ بذلك للانتفاع بالدراسات العليا) ودعا رحمه الله البارئ سبحانه أن يوفقه لانجاز القسم الثاني منه.

وأتمّ الشيخ رحمه الله القسم الثاني من الكتاب بحمد الله باستثناء الأصول العمليّة – التي هي الجزء الرابع – فلم يعثر بعد وفاته في مسودات الكتاب إلّا على (الاستصحاب).

لقد توسّع الشيخ رحمه الله في بعض مباحث القسم الثاني قليلاً بحكم المرحلة، وحكم الموضوع نفسه، ورغم أن أسلوبه في التبسيط لم يختلف، وظلّ حريصاً على أن يختار أدقّ الآراء وأحدثها، فإنّه كان يقف في مواضع كثيرة ليقدم إضافة تمثل رأيه الخاص.

استقلاله في الرأي

لقد كانت شخصيته بارزة في دقّة ملاحظاته وقوّة مناقشاته، وهو يقابل الشيخ الأنصاري مرّة، والشيخ صاحب الكفاية أخرى، والشيخ النائيني والأصفهاني ثالثة، أو المجموع أحياناً ليعطي ما يراه بعدها من رأي باعتداد وثقة وأصالة.

ولقد أشرت إلى مواضع عديدة أثناء تدريسي له أكثر من مرّة إنتظار تقديمها حين تتاح الفرصة، وفاء للشيخ رحمه الله، ولا مجال هنا إلّا للإشارة المجملة، وبحدود المثال، فاقرأ إن شئت ما كتبه في الإجماع، والدليل العقلي وفي حجيّة الظواهر، وحجيّة سيرة المتشرعة والشهرة الفتوائية، تجد في ذلك أمثلة واضحة لتميزه في العرض والمناقشة والاستدلال والرأي.

ومن مميزاته حين يحاول تجلية ما ينتهى إليه من رأي في هذه المسألة أو تلك، أن يتتبع البداية التاريخية والأساس لنشأة المسألة ثمّ ما انتهت إليه بعدئذ لتقتنع معه أنّ الخلاف الحاد فيها أحياناً يفقد القاعدة موضوعاً كما هو في مسألتي دليلي الاجماع والعقل (إقرأ

من ط٣ من ص٩٧ – ص١٣٤).

ويحلل أحياناً النفسية الاجتماعيّة، وما يعطيه مرور الزمن من علاقة بالآراء أو العادات بحيث تأخذ طابعاً تقديسياً دونما أساس كما في سيرة المتشرعة.

أو يحلل نفسيّة الفرد وموقفه من آراء مشهورة بين البارزين من أهل الاختصاص، فهو يتهيب من أن يتجاوزها حتّى لو سمح الدليل بذلك كما في الشهرة الفتوائية.

أو يكتشف الخدعة التي يعطيها تعدد العناوين المعبرة عن واقع قضية واحدة تعددت مواردها، فعبروا عنها بعبارة أخذت خصوصية المورد، كحديثه في حجيّة الظهور، وما يتصل بالأصول اللفظيّة أو الوجوديّة التي يرجع إليها البعض لتعيين وضع الألفاظ أو ظهوراتها، كأصالة عدم الاشتراك، وأصالة الحقيقة، وأصالة العموم، وأصالة الاطلاق، وأصالة عدم القرينة، وأصالة الظهور، فقد رأى الشيخ الأعظم الأنصاري رجوعها إلى أصالة عدم القرينة بمعنى أنّ أصالة الحقيقة ترجع إلى أصالة عدم قرينة المجاز، وأصالة العموم ترجع إلى أصالة عدم قرينة المخصص وهكذا بينما رأى الشيخ صاحب الكفاية رجوعها إلى أصالة الظهور.

أمّا شيخنا المظفر رحمه الله فيرى: (إنّ الحقّ لا كما أفاده الشيخ الأنصاري ولا كما أفاده صاحب الكفاية رحمهما الله، فإنّه ليس هناك لدى العقلاء أصل غير أصالة الظهور، يصح أن يقال له أصالة عدم القرينة فضلاً عن أن يكون هو المرجع لأصالة الظهور أو تكون أصالة الظهور هي المرجع له.

ويرى أنّ بناء العقلاء في أصالة الظهور على إلغاء احتمال الخلاف وإعتبار الظاهر حجّة.

وأنّ هذه الاصالات لا أصل لها ولا دليل على اعتبارها وراء الدليل على اعتبار الظاهر، فتصبح في موردها تبعيراً عن حجيّة الظهور وإلغاء الخلاف لا غير.

وفي الإشكال على الاستدلال ببناء العقلاء على الاستصحاب: بأنّ بناء العقلاء بنفسه ليس حجّة، فيحتاج إلى إمضاء من الشارع، رأى الشيخ المظفر﵀: أنّ بناء العقلاء بنفسه كاشف عن رضا الشارع إذا لم يثبت ردعه عنه، فلا نحتاج إلى دليل في الامضاء غير ذلك.

وهكذا تبدو لنا شخصية شيخنا﵀ واستقلاله في الرأي ماثلاً في كلّ موضوع تناوله في الكتاب.

دوره الريادي في جمعيّة منتدى النشر ومؤسساتها

رأى شيخنا﵀ ومجموعة من طليعة الحوزة وعياً وفضلاً، أنّ الفكر الحضاري المادي الغريب وما يتصل به من رؤية، وخلق، يظلل باستمرار – عبر المذياع والتلفزة والمسرح والفلم السينمائي والصحافة – كلّ بيت من بيوت المسلمين، ويؤثر فيهم وفي أسرهم من جانب أو آخر شاؤوا ذلك أم أبوا.

يضاف إلى ذلك نشاط البعثات التبشيريّة تحت واجهة مختلفة، وبوسائل متطورة، وهي بعثات يدعمها الاستعمار في طول البلاد الإسلاميّة وعرضها، ولا تأخذ المناهج الموضوعة للمدارس الرسميّة آنذاك في حسابها مواجهة ذلك، والتصدّي له بل هي قد تسهم في إدخال الكثير من توجهات الحضارة الماديّة ومفاهيمها.

ومقابل ذلك، فإنّ واقع المؤسسات الإسلاميّة يبدو مختلفاً عن مدى المقابلة، لا من حيث الكم والكيف فقط، بل حتّى في مستوى الوعي للواقع الحضاري، وما حدث فيه من تيارات فلسفيّة ونظم ومسارات جديدة نحتاج معها لكي نقف على مستوى المواجهة ضمن مداها إلى تغيير كبير في المناهج والوسائل والأساليب لا في إعداد الطلبة والمرشدين الدينيين بل في كيفية الحوار والتصدي والمقابلة.

إنّ الحوزة العلميّة في النجف الأشرف كمثال – وهي من أعرق هذه المؤسسات تأريخاً وأعظمها عطاء ممّا يجعلها منظورة – كما هو المفروض – في هذا الجانب، تعتمد حتّى الآن في كلّ شيء على المبادرات والدوافع الفردية.

إنّ من يدخل فيها من الطلاب يعتمد دافعه وجهده الذاتي وكفالته الذاتيّة لحاضره ومستقبله فيها بدءاً وانتهاء، لا من الناحية الاقتصاديّة فقط بل من الناحية العلميّة أيضاً.

فلا أحد يسأل من وكم دخل فيها هذا العام أو ذاك ؟ ولا من وكم خرج منها ؟ ولا كم قطع أولئك وهؤلاء من المراحل ؟ ولا ما ينبغي أن يعملوا.

ومن الفضول أن نسأل ما إذا كان أحد يفكر في شأن المسلمين في العالم وحاجتهم إلى المرشد الديني في هذه البقعة البعيدة أو تلك في آسيا وأفريقيا فضلاً عن غيرهم، فإنّ اللامسؤولية في تلك تتصل باللامسؤولية في هذه بل هي تتفرع عنها.

وليست هناك – لنفس السبب – جهة تعنى بالتحقيق والنشر، وإصدار المجلات العلميّة، وإقامة الندوات الثقافية، فإذا كان شيء من ذلك فهو أيضاً بمبادرة فردية، وجهد فردي.

إنّ دور من يصل إلى المرجعية في الحوزة –مهما اتسع ظلّه، وعظمت إمكانياته– لا يتعدى الإجابة على الاستفتاءات الشرعيّة، وإلقاء الدروس على طلاب الدراسات العليا في الفقه والأصول وتقديم المساعدات المالية التي لا تفي بحاجة الطالب منفرداً فضلاً عن أن يكون ذا أسرة.

حتّى الوكلاء في المدن ليسوا باختيار ومبادرة من المرجع في الكثير الغالب، بل من الوكيل نفسه بحكم إنتمائه لتلك المدينة أو من المتحسسين للحاجة من الناس فيها وما يشبه ذلك.

والأمر لا يقف عند ذلك، بل إنّ الدراسة في الحوزة – في مثل ما أشرنا إليه من

واقعها – تعتمد نظام المقرر، لا نظام المراحل، ومع أنّ لهذا النظام حسناته، فهو لدى الجادين من طلاب العلم يؤدي – دون شك – إلى إتقان واستيعاب قد لا يتيسران في نظام المراحل بحكم التحديد الزمني المفروض في المرحلة، إلّا أنّ هذا النظام – مع فقدان الضوابط وغياب المراقبة بدءاً وإنتهاء – كما هو في الحوزة العلميّة – مع ما في المنهج من نقص أساساً، يؤدي إلى ضياع وهدر زمني قد يكونان من الفداحة بحيث يصادران الغاية.

وهو ما جعل الكفاءات التي تبرز في الحوزة العلمية في النجف قليلة، فهي رهينة الحافز الذي يعطيه للطالب وعيه وإيمانه، وليس شيئاً آخر.

وإذا كان من الممكن أن يتكفل لنا هذا النظام: إيجاد أفراد شامخين من الأساتذة والباحثين والمجتهدين الكبار – بحكم أنّ هذه الدرجات بطبيعتها لا يمكن أن تحصل إلّا لدى من تتوفر لديه مع الدافع الذاتي والإيماني – قابليات متميزة، وجدية، ورغبة في البحث... فإنّه – ومع غضّ النظر عن الهدر الزمني الذي أشرنا إليه – لا يمكن أن يوفر لنا نظام المقرر من المستويات المتوسطة – (ما قبل المرحلة الاجتهاد) – ما يفي بالحاجة.

إنّ مستوى ما قبل هذه المرحلة من الطلبة ممّن أنهى الدراسة الأوليّة: هو ما يحتاجه المجتمع لسدّ مكان المرجع الثانوي والكاتب والمؤلف والخطيب والمبشر والمدرس الذي يمكن أن يتولى بكفاءة التدريس في المراحل الثانوية والأوليّة الجامعيّة.

وبأدنى ملاحظة – يبدو لنا بوضوح – أنّ الكفاءات في هذه المرحلة لا تتناسب مع الحاجة، وبصورة تدعو إلى الأسف بل لا تتناسب مع حجم الحوزة، ونفقاتها، والزمن الذي قضاه طلاب هذه المرحلة داخلها، ولا مع مستوى الآمال التي تعلقها الأمّة عليها... وهو ما يقوم دليلاً على ما أشرنا إليه.

لقد فسح هذا الوضع – بملابساته الأخرى – المجال واسعاً ليصاف المرتزقة

وأشباه الأميين داخل الحوزة: أهل الفضل والعلم فيها، بل أن يطغوا في مثل هذا الواقع بصورة محزنة وخانقة.

ومن السهل والأمر على مثل ما صورناه أن يحتلوا مكانة الوكيل والمرجع الثانوي والخطيب، وتلك مأساة يدفع ثمنها الدين والمجتمع معاً، ويتصاعد هباؤها الأسود في أفق الحوزة ليعطي عنها إنطباعاً مظلماً.

لذلك، كان لابدّ من معالجة ذلك بأناة، وعلميّة، وطبقاً لخطّة مدروسة، ولمّا كان لا يملك أحد في الحوزة بطبيعة بنائها، وتوزع مراكز القيادة فيها: كلمة: (لا) بالنسبة لهذا الأمر أو ذاك، ولا حتّى من هو في مركز المرجعيّة فيها حين ينفرد بذلك دون الآخرين من المراجع، ولمّا كان أيضاً ممّا لا يتوقع أن يجتمع المراجع على رأي في ذلك – بحكم اختلاف وجهات النظر – فإنّ الحل أن تقوم مؤسسات علميّة وثقافيّة بديلة تجاوز الحوزة دون انفصال عنها من حيث الغاية ولا اتصال من حيث الإدارة والنظام والمنهج والوسيلة.

فهذه هي التي يمكن أن تقوم بهذا الدور – ضمن هذا الظرف – دون معارضة مؤثرة ولا مزاحمة من آخرين.

وهكذا كان، وقامت جمعيّة منتدى النشر سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥ م بعد أن وضع نظامها الأساس الذي يحدد أغراضها ووسائلها إليها إبتداء.. وكان الشيخ المظفر -بحكم السن لا الفضل- سكرتيراً لها حتّى إذا كان العام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٧ م انتخب رئيساً وظلّ في هذا المنصب حتّى وفاته في ١٦ رمضان سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤ م.

لقد ضمّت الجمعيّة عدداً من أبرز عناصر الحوزة علماً ووعياً وديناً وأدباً، وحاولت جاهدة بقيادة شيخنا المظفر رحمه الله أن تقوم بأوجه مختلفة من النشاط العلمي والثقافي، فإلى جنب المجمع الثقافي الذي كان يقوم بتحقيق ونشر الكتب التراثية[1] وإقامة

(١) صدر له من ذلك حقائق التأويل للشريف الرضي (رضي الله عنه) والنص والاجتهاد للسيّد

المواسم الثقافية، كانت هناك كليّة منتدى النشر سلف كليّة الفقه ومدرستها الابتدائية، والثانوية، ومجلتها (البذرة).

والعدّة والعدد الذي انضم للجمعيّة من المنظورين مكانة وعلماً، اعضاء أو مؤازرين أوفي اللجنة المشرفة أو لجنة المجمع الثقافي أو أساتذة في الكليّة، وللنجاح الذي حققته في الميادين التي أرادتها رأت أنّ بامكانها أن تتقدم خطوة أخرى فتصلح الوضع اللامسؤول في إعداد الخطيب الحسيني الذي امتلك تأريخياً القاعدة الجماهيريّة الأوسع داخل الأمّة، وأصبح – بحكم ذلك– القناة الأهم لنشر الثقافة الدينيّة والتأريخيّة، وذلك بإنشاء كليّة للخطباء.

ولمّا كان ذلك – كما حسب البعض – ينتهي مستقبلاً، وبصورة مفروضة، إلى حصر المؤهلين للخطابة بخريجي هذه الكلية، فقد عارضوها واستطاعوا أن يثيروا العامة بصورة أو بأخرى من التشويه لهدفها العلمي والاصلاحي، والتشكيك بنوايا القائمين عليه، وقامت عاصفة هوجاء تحدت حدود المعقول حتّى كادت أن تطيح بمشروع الجمعيّة ككل، لولا عناية الله وثبات الشيخ رحمه الله وزملائه[1] وإصرارهم بإيمان وشجاعة على مواصلة المسيرة، وممّن سجل له دور بارز وملحوظ في هذه المواجهة خاصّة العلاّمة الشيخ محمّد الشريعة مدير الجمعية آنذاك.

ولهذا المشروع وما واجهه الشيخ المظفر رحمه الله وإخوانه العاملون بسببه، يشير الدكتور

عبد الحسين شرف الدين ط١ بتقديم السيّد محمّد تقي الحكيم.

(١) حدّثني آية الله السيّد محمّد علي الحكيم حفظه الله في الأيام الأولى من رمضان ١٤١٨هـ وأنا أعيد كتابة هذا البحث من مسوداته: إنّ شيخنا المظفر رحمه الله لم يحاصر من الجهات المؤشر إليها فقط، بل من أوليائه حرصاً عليه وعلى مكانته، قال: فجاءني يوماً وبيده ظرف مغلق، وطلب إلي أن أكلف الإمام الفقيه السيّد محسن الحيكم أن يستخير له الله سبحانه على الترك، وبالقرآن الكريم وأن يتفضل بتسجيل الآية التي ستكون إجابة لاستخارته، وعندها فليفتح الظرف، قال: وحين استخار السيّد وسجلت الآية وكانت ناهية، فتح الظرف فإذا هي آية مماثلة ظهرت للشيخ لدى استخارته.

الشاعر مصطفى جمال الدين – أحد خرّيجي الدورة الأولى سنة ١٩٦١ – ١٩٦٢م لكليّة الفقه، والأستاذ فيها بعدئذ – في مرثيته للشيخ المظفر﵀ فيقول:

والمنبر الحرّ إذ حاولت تصلحه ... ممّا به فأثار الشكّ مفسده
قد كان من يبس الأعواد جاثمه ... فجئت بالخضل الزاهي تورده
وكدت لولا ضمور في قوائمه ... وجاثم من وراء الستر يقعده
إن تستثير له الأجيال صاعدة ... بشامخ يتحدى الجهل معهده
وأنت من فوقه روح تطوف به ... ومقلة من وراء الغيب ترشده

ولا نريد أن نؤشر إلى الأرقام التي تمخض عنها عمل الشيخ﵀وإخوانه[1]، في ما أعطاه توجهه وخطّه أو ما أعطته مؤسسات منتدى النشر وأبناؤه من خرّيجي مدارسها، أساتذة وكتّاباً ومؤلّفين، ينتشرون في مدارس القطر وجامعاته، وبعض مدارس وجامعات الدول الإسلاميّة عربيّة وغير عربيّة فذلك معروف وإنّما بحسبنا أن ننبه أنّ ما بدأ به الشيخ﵀ بوعي قبل أكثر من ستّين عاماً من دعوة لتنظيم الدراسة الحوزوية، وفرض الضوابط اللازمة لها، قد انتهى الآن القائمون عليها إلى تبنيه والإيمان بضرورته بل بدأت الخطوات الأولى لتطبيقه.

إنّ امتحان الطالب الحوزوي شهرياً، أو سنوياً – ضمن مراحل محددة – لكشف جديّة إنتمائه للحوزة، وجعل ذلك شرطاً للمساعدة المالية من قبل المراجع لم يكن

(١) تأثر برأي الشيخ﵀ في ما يجب أن يكون عليه الخطيب وتقدير ما يؤدي إليه التسيب من آثار ثقافية ودينية سلبية، كاتب هذه السطور كتب شيئاً يتصل بذلك في إفتتاحية العدد الثالث من السنة الأولى من مجلة رسالة الإسلام التي تصدرها كلية أصول الدين (الملغاة) سنة ١٩٦٥، وما جاء تحت عنوان (قال وقلت) في العدد الثاني من السنة الثانية ١٩٦٦ توقيع (ع ع ب).
وهناك أبيات في نفس المضمون أجاب بها صديقه فضيلة الأستاذ الشاعر الشيخ جميل حيدر ونشرها بعضهم، وعبّر عن نفس المعنى في المقابلة التي أجرتها معه صحيفة المواقف البحرينيّة سنة ١٩٨٧.

مستساغاً، لدرجة أنّي رأيت رجلاً فاضلاً يؤلف كتاباً لاثبات عدم جواز ذلك بعناوين ثانوية، ذكر عدداً منها، إنكاراً على المرجع الكبير السيّد البروجردي﵀ حين فرض سنة ١٩٥٨ م، لكن الكتاب وما فيه لم ير، لا لأنّ مقابلة أمثال السيّد البروجردي، وفرض الضوابط بالقدر الذي يكون حافزاً لطالب العلم للمواظبة على الدرس والجديّة في استيعابه وبالتالي تحقيق أهداف الحوزة: أمر من لاضرورة بحيث لا يمكن التسامح به في حال.

مؤشرات رسالية شيخنا المظفر﵀ في سلوكه وعمله

إنني أعتقد: أنّه رغم جوانب التأشير المعروفة والتي تحدّثنا عن الشيء منها: إلى مكانة شيخنا وأستاذنا الكبير الحجّة المظفر – رضوان الله عليه – علمية وعملية، فإنّها قطعاً – أعني مكانته – أعظم من كلّ ما يمكن أن يرى في هذه الجوانب كلّها على أنّها رفيعة شامخة، لا من جهة أن ما فكر به واعتمل في نفسه وخطط له، وحوله مساراً وغاية لم يجد مجالاً ليبرز؛ لما حفت من صعاب من جهة؛ ولأنّه ودّع الدنيا مبروراً وقصارى ما بلغته مشاريعه – كما أراد أن تكون – مرحلته الأولى من جهة ثانية، بل لأنّ نفس إختياره لهذا المسار أصلاً – مع غضّ النظر عن كلّ شيء – يتضمن لدى من عرف مكانة الشيخ العلمية من ناحية وبناء الحوزة وأعرافها التاريخية من ناحية أخرى تأشيراً هاماً أعظم ممّا هو المعروف لمكانته كرائد ورسالي.

لقد كان من حقّ شيخنا، وهو من عرّفنا مكانته العلميّة أن يكون في مستقبله المنظور مرجعاً أو أحد المراجع البارزين للحوزة، وللمسلمين من الإماميّة بصورة عامّة، فلا أحد يناقش أنّ بعض من تسنم هذا المقام لم يكن ليجوزه في شيء لو شاء، وسلك صراطه، بل ثمّة أكثر من دليل على أنّه يجاوز البعض في سعة أفق، وعمق معرفة وأصالة رأي.

نقل لي العلاّمة الحجّة السيّد محمّد كلانتر، وقد كنت أكتب هذا البحث، ونحن نتحدث عنه أنّه سمع الفقيه والفيلسوف المعروف السيّد حسن البجنوردي﵀ يقول عنه: أنّه لم ير له نظيراً لا في العرب ولا في العجم.

ولكنّ شيخنا﵀ هو من رفض أن يقف في ساحة المرجعيّة، لا لأنّه لا يرى أن يكون ضمن مجال فيه ما يجاوز الحاجة آنذاك، ولا لأنّه لا ينسجم بطبيعته وعفويته في السلوك مع إشتراطات المرجعيّة كما أصلتها أعراف الحوزة، وتقاليدها، بل لأنّ وعي الشيخ﵀ لعصره بخصوصياته الفكريّة والحضاريّة من جهة ومعرفته بواقع الحوزة وطالب العلم في داخلها – كما صورناه لك – من جهة أخرى، فرض عليه مثل هذا الاختيار مع ما فيه من تضحية ومصاعب، وأيّة عظمة أكبر من أن يرى المرء مثله رسالة فيستجيب لها على حساب راحته ورفاهيته ومكانته الدينيّة والاجتماعيّة طبقاً للقيم السائدة والمنظورة بحساب الناس في مجتمعه، لا بحساب الحقّ.

لقد واكب شيخنا﵀ بدءاً في رؤياه وفي عمله عدد من المعروفين بالعلم والفضل كالسيّد يوسف الحكيم والسيّد محمّد علي الحكيم والسيّد موسى بحر العلوم والشيخ عبد الحسين الحلّي، والشيخ عبد الحسين الرشتي والشيخ محمّد جواد الحجامي وآخرون، لكنّهم تخلّوا واحداً بعد الآخر، وتركوا الشيخ مع قلّة من إخوانه الذين صمدوا معه حتّى النهاية، فما هو السبب في ذلك؟

إنّ أيّة إنعطافة عن المسار التأريخي للحوزوي لا في المضمون والغاية بل حتّى في الأسلوب والوسيلة ستواجه بدءاً باستيعاب وبغير استيعاب بالتشكيك، وسيتحول بعناوين ثانوية – إن لم يكن للعناوين الأوّليّة مجال – إلى قضية تستوجب الانكار... ولا أحد من الناحية الشخصية يجب أن يكون محل تأثير أو حرب في حقّ أو باطل.

ثمّ إنّ ترك المسار الحوزوي حتّى دون ذلك كلّه بالنسبة لأصحاب المواقع المتقدمة

– ما وراء المراجع – يعني التخلّي عن الغاية التي لا يبلغها أحد – بحكم اشتراطاتها الواقعية – خارج هذا المسار... وهي المرجعيّة.

إنّ المرجعيّة العلميّة والافتائيّة في الحوزة لا تحصل إلّا عبر عمليّة ترشيح، وبروز طبيعي تدريجي عبر التفاعل مع الأقران والطلبة، ومن خلال المعايشة العلميّة بمستوياتها العالية، وذلك لا يحصل إلّا بالتدريس لطلبة الدراسات العليا أو (الخارج) أو بالتأليف والكتابة على هذا المستوى حتّى تنتزع شهادة اجماعية بالمكانة العلميّة المتميزة لصاحبها بما فيها شهادة المراجع الأسبق طبقة أو تأريخاً، وحين يختار شيخنا العظيم أعلى الله مقامه أن يكتب استجابة للرسالة التي رآها ما دون هذا المستوى أو ما دون مستواه أي بالصورة التي تحددها حاجة الطلبة في الدراسة الجامعيّة الأوليّة، فيختصر معرضاً عمّا لا يراه أساسياً من الأفكار والمناقشات مسقطاً ما أقحم من مصطلحات غريبة، أصبحت مع الزمن كما لو كانت لغة للعلم نفسه، فيتبسط وربّما كرّر بعبارة أو أخرى بغية الايضاح.

وحين يختار أن يوجه، ويدرس هذا المستوى من الطلبة في مؤسسات الجمعيّة، وحتّى يخرج على اشتراطات المسلك الحوزوي فيقبل أن يكون عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي الذي انتخب فيه سنة ١٩٦٣م، وأن يساهم في جلساته ودراساته، وأن يشارك في المؤتمرات والمهرجانات العلميّة والدينيّة داخل القطر وخارجه، ويتفاعل مع الأحداث والمتغيّرات على الساحة السياسيّة، فيعطي – في ما يتصل بالرسالة سلباً وإيجاباً – رأيه مشجعاً أو محتجاً.

فإنّه – دون شكّ – سيخسر في المقابل المرجعيّة، لكنّه سيربح الرسالة، وهذا ما كان.

وكان إيمان الشيخ رحمه الله بخطه، ورسالة مؤسساته عظيماً[1] وكان عمله فيها يبلغ

(١) كنت قد سعدت برفقته في العودة من زيارة الحسين (عليه السلام) من كربلاء إلى النجف فحدّثني رحمه الله

درجة التضحية لا بما أشرنا إليه فقط، بل بما هو أبعد من ذلك.

فكان لا يبالي أن يدخل فيدرس بعض فصول المدرسة المتوسطة أو الإعدادية، حين يراها شاغرة ويعامل الطلبة بحنان، وينزل في الدرس لما هو مستواهم، وذلك ما لا يقبله إلّا خلق رسالي لم ير نفسه ولا مكانته بإزاء ما آمن به من دور تربوي وتعليمي.

ومثل ذلك، وفي الوقت الذي هو مشغول فيه بالكتابة والتأليف والتدريس على مستوى الخارج: أن يعمل الليل والنهار، فيقوم بوظيفة رئيس الجمعية وعميد الكليّة والسكرتير وكاتب الطابعة، وربّما أمسك سجل الصادر والوارد، ثمّ يوقع على أحد عشر ديناراً ويكمل دخله بعمل خارجي يمارسه في البيت.

خلق الرسالي العارف

إنّ خلق الزهادة والتواضع والقناعة وكرم النفس ودماثة الخلق والحب لأخوانه وطلبته، والبساطة في السلوك يصحبه بعد في النظر وقوّة في الشخصية وحدية في المبادئ وشجاعة في الاختيار والتوجه، شأن الرساليين، وذلك ثمرة عرفانه وأثره

عمّا لاقاه في تأسيس الجمعية ومؤسساتها وعن آلامه وآماله واستكثرت وأنا أصغر طلابه في الدورة الأولى من كليّة الفقه أن يخصني بهذا الشرف، واستدعاني لبيته صباحاً ليسجلني بيده الكريمة عضواً في الجمعية وعمل لي هوية العضوية، وحين أنهيت السنة التحضيرية للماجستير في معهد الدراسات العليا بغداد عام ١٩٦٧ وكنت معاراً لجمعية الصندوق الخيري الإسلامي لهذا الغرض اتصل بي أستاذي الحجّة السيّد محمّد تقي الحكيم حفظه الله ليبيّن لي أنّ مكاني هو النجف، وحدّثني الأستاذ الشاكري: أنّ الشيخ كان يوصيه كثيراً بي وأبدى استعداده لتحمل ماتعطيه لي جمعية الصندوق الخيري الإسلامي من مرتب وعدد، وعينت سنة ١٩٦٨ مدرساً بشهادة عالميّة صادرة عن آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين حسب نظام الكليّة آنذاك.

قلت وأنا أتذكر ذلك: هل كان الشيخ ﵀ يرى أنّ أصغر طلابه هذا سيكون يوماً أوّل وآخر عميد لها بين طلابها ورغم أنّه تولاها وهي كليّة رسميّة تابعة للجامعة المستنصرية، لمدى عقد وبجامعة الكوفة بعدها، فقد كان الشيخ قدوته ومؤشر خطّه في الرؤية والتعامل والهدف.

النفسي والعملي فيه أنّه في ذلك يقف على خط أصحاب الرسالات من الأنبياء والأئمّة والأولياء عظيماً أغنته عظمة نفسه عن الكبر الزائف والادّعاء الفارغ.

وفاته وأصداؤها

لبى نداء ربّه ليلة (١٦ رمضان سنة ١٣٨٣هـ) المصادف(٣١ / ١ / ١٩٦٤م)، فطويت صفحة نفس مطمئنة كادحة إلى ربّها كدحاً فبكاه المحراب والقلم والكتاب والمدرسة وسبل الدعوة إلى الله.

كان صورة مجسّدة لقيم الإسلام وأخلاقه نفسيّاً وعمليّاً، ومثالاً للعالم العامل بعلمه وللرسالي الذي حدد ضمن الواقع الموضوعي السبل والوسائل الكفيلة بنشر هذه الرسالة، وترسيخ مفاهيمها وقيمها، ومضى فيها على بصيرة دون تلكؤ.

كان لنعيه – الذي بثّته الإذاعة العراقيّة – فعل صاعق لدى إخوانه وطلبته، أقعد القائم وأقام القاعد وذلك ما يندر أن يكون نظيره لأحد.

وإذا كان هناك من المفقودين – من تعمّ بهم المصيبة، وتتساوى في وقعها – لدى القريب والبعيد بدواعي وعي الصلة الكيانيّة العامة التي تتجاوز أحياناً الصلة الشخصيّة، فالشيخ لا شكّ أحد هؤلاء.

وعبر من شارك في ذكراه الأربعينية عن تقويمهم له، وعواطفهم إزاءه، فكانت متمازجة كما لو كانت تصدر عن شخص واحد رغم ما بينهم في حسابات القرب والبعد عن الناس من ذوق.

جاء في كلمة جماعة العلماء في النجف: (عرف بالصبر والمثابرة الكبيرين في مجالي العلم والعمل إلى جانب ما كان يتحلى به من خلق إسلامي رفيع، قل أن يوجد في غير أمثاله من ذوي القلوب التي عرفت الله تعالى فعشقته ورأت اللذة والألم في سبيله العزّة، وفي الخضوع له كرامة).

وفي كلمة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية: (كان من أعز أمانيه أن يلتقي المسلمون على مبدأ التفاهم والمودة والأخوة في الله، وأن ينزعوا لباس العصبيات المذهبية، ويرتدوا رداء المنصفين الطالبين للحق المذعنين للحجّة، النازلين على حكم الله من أي طريق وصل إليهم، لذلك كان من السابقين الأوّلين في إعتناق فكرة التقريب).

وجاء في كلمة الشيخ محمّد رضا الشبيبي قوله: (إنّ سيرته الطاهرة لتشهد بأنّه كان ذا إيمان راسخ إقترن فيه العرفان بالعاطفة الروحيّة، ولا يخفى أنّ المربّي الصالح والراعي الرفيق، هو الذي يجمع بين هاتين الخصلتين).

وجاء في كلمة الدكتور عبد العزيز الدوري قوله: (لقد كان مثال العالم العامل استطاع برأيه ونشاطه ودماثة خلقه أن يكون مع الطليعة العاملة من علماء هذا البلد، الأمين في النهضة العلميّة).

وفي كلمة الشيخ عبد المقصود شلتوت احد كبار علماء الأزهر قوله: (كان رحمه الله عميق الإيمان فقيه العقل صوفي النفس، ربّاني الروح، دافق العاطفة، دائب العمل).

وفي كلمة الشيخ محمّد الشريعة: (كثير حسّاده، قليل خصماؤه، أمين إذا استشير، لا يقتحم بنفسه في أمور لا تهمه، ولا يتراجع عمّا ابتدأ به، لم يعمل شيئاً بدافع الظهور، بل كان تلبية لوحي ضميره).

وللشعراء في ذلك ديوان يخضل بالمآثر وبالدموع.

أمّا كاتب هذه السطور فقد ناجاه حزيناً وهو يغيب في طيفه، وذكرياته معه بقوله:

يا شيخي الأجل الحبيب.

على امتداد المسار، ونهاية مطاف هذا العمر سأرجع – كلّما تذكرت – كلّ ومضة معرفة، ومدى إبصار، وكلّ ما ألتمسه في داخلي من حبّ لله، ولحججه عليهم السلام وللعمل في سبيله، وكلّ خلق خير أوفق إليه، وأنطبع به نفسياً وعمليّاً، سأرجعه إليك.

إلى البداية معك إلى توجيهاتك، وإيماءاتك، وبصماتك بفكرك ونفسك وخلقك صلّى الله عليك.

النجف الأشرف

عدنان السيّد علي البكاء

نجفيات الشيخ محمّد رضا المظفر

الأستاذ الدكتور حسين عيسى الحكيم

ركّز العلاّمة الكبير سماحة الشيخ محمّد رضا المظفر في كتبه وبحوثه ودراساته على مدينة النجف الأشرف متناولاً مدرستها العلميّة ورجال فكرها ومؤسساتها الثقافية، وهو في كلّ ذلك كان مؤرخاً معاصراً في زمانية الأحداث ومكانيتها، الأمر الذي جعله قادراً على التشخيص، وملمّاً بدقائق الأمور التي مرّت بها مدينة النجف، لذا أصبحت كتاباته مصدراً أصيلاً لمن يريد الكتابة عن النجف وصلاتها الفكريّة والاجتماعيّة سواء على الصعيد المحلّي أم على الصعيد الخارجي في فترة التاريخ الحديث، والتاريخ المعاصر، وتبرز نجفيّات الشيخ المظفر في المحاور الآتية:

١ – مدرسة النجف وأعلامها.

٢ – الحركة الإصلاحية وأسسها.

٣ – النهضة الثقافية ومؤسساتها.

وكانت «مدرسة النجف» موضع اهتمام الشيخ المظفر، فأولاها اهتماماً بالغاً، وكان بحثه المعنون «جامعة النجف في جامعة القرويين» عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠ م، قد أعطى فيه صورة واضحة لواقع النجف العلمي وما أنجبته من أعلام الفكر والمعرفة، في الوقت الذي لا يساعد موقعها الجغرافي على ذلك العطاء العلمي الكبير الذي قدّمته مدينة النجف الأشرف خلال أكثر من عشرة قرون فيقول: «تقع النجف في صحراء مرتفعة قاحلة محرقة لا ماء فيها ولا كلاء إلّا ما كانوا يستنبطونه من ماء أجاج في آبار عميقة الغور»[١].

(١) المظفر: (جامعة النجف في جامعة القرويين) ص٨.

ولكن مجتمع النجف قد قاوم هذه الطبيعة القاسية، وآثر جوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، والدفن حول مرقده الشريف، واقتباس علومه وأفكاره ومعارفه، وقد أشار الشيخ المظفر إلى هذه الحقائق عند حديثه عن الشيخ أبي جعفر الطوسي المتوفى عام ٤٦٠هـ بقوله: «إنّه المؤسس لجامعة النجف ومركزها، فإنّ الذي يبدو أنّ النجف قبل أن ينتقل إليها لم تكن إلّا مزاراً ومدفناً، وحول القبر جماعة من المجاورين لا عمل لهم إلّا خدمة الزوار والقاصدين»[١]، وكان الشيخ المظفر مصيباً في رأيه عند عد الشيخ الطوسي مؤسساً لمدرسة النجف، ومنظماً للدراسة العلميّة فيها، كما يوضح ذلك كتابه «الأمالي» لأنّ هذا الكتاب يعدّ من أعلى مراتب التعليم وكيفيته أن يملي «الشيخ» أو العالم في مجلس أو عدّة مجالس تعقد له في الجامع أو المدرسة على طلبة العلم ما توصل إليه في بحوثه وتحرياته فكتب عنه[٢].

ولكنّنا لن نوافق الشيخ المظفر في رأيه القائل: أنّ مدينة النجف الأشرف لم تكن قبيل الشيخ الطوسي مدرسة علميّة سوى كونها مدفناً ومزاراً، فإنّ المصادر تشير إلى وجود حركة علميّة في مدينة النجف تعود إلى نهاية القرن الثالث الهجري، أي قبيل ورود الشيخ الطوسي إلى النجف بأكثر من قرن ونصف، ولمّا حطّ الشيخ الطوسي رحاله في النجف عام ٤٤٨هـ، التف حوله رجال العلم، ممّا ساعده على ارساء قواعد المدرسة النجفية المنظمة، وأنّ بعض الباحثين من يجعل مدرسة النجف امتداداً لمدرسة الكوفة بعد بروز القبر العلوي الشريف في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، ومنذ هذا التاريخ هاجر بعض أعلام الكوفة إلى النجف وجاوروا المرقد الشريف، وقد أخذ بهذا الرأي الشيخ علي الشرقي بقوله: فامتدت المدرسة من الكوفة إلى النجف، وفي القرن

(١) المظفر: (الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي مؤسس جامعة النجف) مجلة النجف ص٢، العدد السادس والسابع، السنة الثانية ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨ م.

(٢) ناجي معروف: علماء النظاميات ص٢٣٩.

الثاني للهجرة بدأت العمار والتشييد لمدرسة النجف، فانتقلت المدرسة من الكوفة إليها، وبقيت الكوفة تصبّ في بحر النجف إلى القرن الثامن للهجرة، وعند ذلك استوعبت النجف كلّ ما كان في الكوفة[١]، ويبدو أنّ الشيخ المظفر قد عدل عن رأيه، وأخذ بالرأي القائل بوجود حركة علميّة في مدينة النجف الأشرف قبيل وصول الشيخ الطوسي إليها بقوله: «الكوفة كانت مركزاً علميّاً مشهوداً في تلك القرون يقرب إلينا أنّ النجف لم تعدم في مجاوريها من يشتغل في العلوم الإسلاميّة يومئذ ولم نعدم الشواهد التاريخيّة على ذلك مثل الإجازات التي صدرت من مدينة النجف في ذلك العهد»[٢].

وقد ذكر الشيخ أبو العباس النجاشي المتوفى عام ٤٥٠هـ في كتابه «الرجال» عند ترجمته للحسين بن أحمد بن المغيرة البوشنجي: أنّه كان ثقة فيما يرويه، له كتاب (عمل السلطان) أجازنا بروايته أبو عبدالله بن الخمري الصالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سنة أربع مائة[٣]، ولمّا زار السلطان عضد الدولة البويهي مدينة النجف الأشرف عام ٣٧١هـ، فرّق خمس مائة ألف درهم على المجاورين للمرقد العلوي الشريف، وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم[٤]، وأنّ وجود الفقهاء في هذه الفترة، وصدور الإجازات العلميّة في القرن الرابع الهجري له دلالة على وجود المدرسة النجفية قبيل وصول الشيخ الطوسي إلى مدينة النجف، والأمر الذي يدعم هذا الرأي أنّ أسرة آل طحال، وأسرة آل سدرة، وأسرة آل شهريار، كانت من أسر العلم المعروفة في مدينة النجف الأشرف في هذه الفترة، وقد تولت أسرة آل شهريار مفاتيح الروضة

(١) الشرقي: الأحلام: ص٤٢.
(٢) المظفر: جامعة النجف الأشرف في جامعة القرويين: ص٨.
(٣) النجاشي: الرجال: ص٥٤.
(٤) ابن طاووس: فرحة الغري: ص١١٤.

الحيدريّة واستقلت بالخازنيّة[١].

وقد عاصر بعض أعلام النجف السفراء الأربعة في عصر الغيبة الصغرى، وعاصر آخرون الشيخين الجليلين أبا جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى عام ٣٢٩هـ، وأباجعفر محمّد بن علي الصدوق المتوفى عام ٣٨١هـ، ومن أبرز هؤلاء الأعلام السيّد شريف الدين محمّد المعروف بابن سدرة المتوفى عام ٣٠٨هـ، والشيخ أحمد بن عبدالله الغروي[٢].

وقد أكّد الشيخ المظفر على أنّ الشيخ أبا جعفر الطوسي قد وضع القواعد الدراسية المنظمة لمدرسة النجف، وقد وصفه بالعظيم وشيخ الطائفة، فيقول: هو صاحب الموسوعات والمؤلفات الخالدة في الحديث والتفسير والفقه وغيرها، إنّ هذا الرجل من عظماء التاريخ فيما ألّف وأسّس[٣]، وقد تناول الشيخ المظفر أسلوب الدراسة في مدينة النجف بقوله: إنّها دراسة خصوصية لا صفية، وكذلك في اختيار الكتب، وما تزال جارية على الأسلوب القديم وأنّ غاية الطالب الديني القصوى أن يبلغ هذا الدرجة العليا (الاجتهاد) التي لا ينالها إلّا ذو حظٍّ عظيم[٤]، وقد أوجز الشيخ المظفر مراحل الدراسة الدينيّة في مدرسة النجف بما يلي:

المرحلة الأولى:

خصّصت المرحلة الأولى لدراسة المقدّمات، فيتناول الطالب فيها مقدّمات النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق والمتون الفقهيّة، وقد أوضح الشيخ المظفر خصائص هذه المرحلة من الدراسة الحوزويّة في النجف بقوله: «ونوعية الدراسة في هذه المرحلة

(١) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٢: ٤٢٢.
(٢) م. ن ٢: ٤٠٤، البراقي: تاريخ الكوفة: ص٢١٨.
(٣) المظفر: جامعة النجف في جامعة القرويين: ص٩.
(٤) م. ن: ص١٠.

فرديّة على الأكثر وربّما اشترك فيها أكثر من طالب واحد، فيشكلون حلقة صغيرة، وللطالب الحريّة في اختيار المدرّس بل الكتاب وليس عليه رقيب إلّا نفسه أو ولي أمره»[١].

المرحلة الثانية:

لقد خُصّصت هذه المرحلة الدراسية في الحوزة العلميّة لدراسة السطوح، فيتناول الطالب فيها دراسة متن الكتب الموضوعة في الفقه الاستدلالي وأصول الفقه، وقد أشار الشيخ المظفر إلى خصائص هذه المرحلة: «ويتبع فيها محاكمة الآراء ومناقشتها بحريّة كاملة فيقول: «إنّ الحريّة مطلقة للطالب في اختيار الكتاب والمدرّس والكتب التي يرجع إليها للمطالعة»[٢]، وإذا انتهى طالب العلم في هذه المرحلة، وأتقن مفرداتها الدراسيّة اقترب من درجة «الاجتهاد» فيطلق عليه لفظ «المراهق».

المرحلة الثالثة:

تدعى المرحلة الأخيرة من الدراسة الحوزويّة النجفيّة بالبحث الخارج، وتلزم الطالب حضور مجالس ودروس كبار المجتهدين من الفقهاء والأصوليين وبها يبلغ الطالب درجة الاجتهاد.

وقد أشار الشيخ محمّد رضا المظفر إلى هذه المرحلة من الدراسة بقوله: «تكون هذه المرحلة عادة فيها دورات يتولاّها كبار المجتهدين، ويبتدئ المدرّس منهم في دورة أصوليّة أو فقهيّة يلقيها بشكل محاضرات يوميّة فيشرح المسألة شرحاً وافياً بعرض الأقوال ومناقشة الآراء فيها»، وصف الشيخ المظفر أهمية هذه الدورات بقوله: «عمق

(١) م. ن ص١١.
(٢) م. ن ص١١.

البحث ودقّته وسعة أفقه والحريّة الكاملة في نقد الآراء ومناقشتها»[١].

وكان العلاّمة الشيخ المظفر قد تعرض إلى المرجعيّة الدينيّة العليا في مدينة النجف الأشرف بدءاً من القرن الثالث عشر الهجري وحتّى عصره فيقول: «حيث ألقت المرجعيّة العامّة للتقليد عصا ترحالها في النجف وذلك بنبوغ المجتهدين الكبيرين السيّد محمّد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء»[٢]، فقد كشف عن جانب من حياة الشيخ الأكبر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ) وموقفه من الصراع العسكري بين العثمانيين والفرس بقوله: «في أخريات أيام الشيخ جعفر كاشف الغطاء، إذ سافر إلى إيران بقصد إطلاق سراح أسرى جيوش الحكومة العثمانية، بعد موقعة حربية سنة ١٢٢١ توغلت فيها إلى حدود إيران ففشل الجيش العثماني وأسر أكثره، فاستطاع الشيخ كاشف الغطاء ان يقنع شاه إيران فتح علي شاه وابنه مرزا محمّد علي قائد الجبهة بالعفو عن الأسرى وإرجاعهم إلى حكومتهم بعد أن فشلت كلّ الوسائط التي استعملتها الحكومة العثمانيّة» وأشار إلى جهود الشيخ موسى نجل الشيخ كاشف الغطاء (ت ١٢٤١هـ) في إنهاء القتال بين الدولتين حتّى أنّه سمي «مصلح الدولتين» وأطلق عليه الشيخ المظفر لفظ «العظيم»[٣]، ومن خلال سيرة الشيخ كاشف الغطاء تحدث الشيخ المظفر عن بناء سور النجف لصد الهجمات الوهابية وتدريب شباب النجف على حمل السلاح لحماية مدينتهم، وقد قتل الشيخ محمّد حسين شقيق صاحب الجواهر خطأ أثناء التدريب العسكري حتّى أصبح «حمل السلاح» والتدريب عليه فرضاً دينيّاً للدفاع، حتّى ألّف السيّد الجليل صاحب مفتاح الكرامة السيّد جواد العاملي المتوفى عام ١٢٢٦هـ رسالة في وجوب الذبّ عن النجف، وهو أحد تلامذة كاشف الغطاء المبرزين وأستاذ

(١) المظفر: جامعة النجف الأشرف في جامعة القرويين: ص١٣.

(٢) م. ن: ص٩.

(٣) المظفر: ترجمة الشيخ صاحب الجواهر: ص (ر).

صاحب الجواهر.

وأشار الشيخ محمّد رضا المظفر إلى بروز جماعتي الشمرت والزكرت في مدينة النجف الأشرف في هذه الفترة، وإلى إكمال بناء السور عام ١٢٢٦هـ بأموال الصدر الأعظم نظام الدولة جد أسرة آل نظام الدولة النجفيّة، فصارت النجف بسببه قلعة حصينة لا تستطيع أي قوّة في ذلك العصر أن تقتحمها، وبسببه استطاعت أن تقاوم الجيوش البريطانيّة أكثر من شهرفي حصار النجف المعروف سنة ١٣٣٦هـ[١].

وقدّم الشيخ المظفر دراسة مستفيضة عن حياة الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب «جواهر الكلام» المتوفى عام ١٢٦٦هـ، ففي عهده ازدادت الهجرة إلى مدينة النجف من أهل العلم زيادة ملحوظة، وانصرف أهل العلم إلى التحصيل والجد والدرس والتدريس والتأليف، فلذلك كان نشاط الحركة العلميّة في ذلك العهد إلى القمّة، وإلى جانب ذلك نشطت الحركة الأدبيّة نشاطاً لم تعهده البلاد الإسلاميّة بعد القرن الخامس الهجري[٢].

وعقد الشيخ المظفر دراسة لكتاب «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» للشيخ محمّد حسن النجفي، وبين أهمية الكتاب بقوله: «والسر في هذا الاقبال على الكتاب يرجع إلى أنّه كتاب لم يؤلف مثله في سعته وإحاطته بأقوال العلماء وأدلتهم ومناقشتها مع بعد نظر وتحقيق»[٣]، وقال أيضاً: «وهو كتاب كامل في أبواب الفقه كلّها جامع لجميع كتبه، وأنّه احتوى على كثير من التفرعات الفقهيّة النادرة بما قد لا تجده في غيره من الموسوعات الأخرى، فهو جامع لأمهات المسائل وفروعها»، وذكر الشيخ المظفر أربعين عالماً وفقيهاً من تلاميذ صاحب الجواهر ثمّ قال: «وكان درس الشيخ

(١) المصدر السابق.

(٢) م. ن.

(٣) م. ن: ص (س).

بالخصوص ملتقى النوابغ والمجتهدين من الطلاب، فتخرج على يديه جماعة كبيرة من أعلام الفقه انتشر أكثرهم في البلاد»[١]، ولذلك أصبح عصره مزدهراً بكبار الفقهاء وفطاحل العلماء من أساتذته وأقرانه وتلاميذه ما لم يشهد أي عصر مضى[٢].

وقد تطرق الشيخ المظفر إلى مرجعية صاحب الجواهر وأهليته لها بقوله: «وقد انتهت إليه الرئاسة العامّة والمرجعيّة في التقليد باستحقاق، فنهض بها خير ما ينهض به المجاهدون العاملون وتفرد بها لا يشاركه مقارن ولا يزاحمه معارض في النجف وخارجها مع وفرة العلماء الكبار في عصره»[٣].

وقد أصبح الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ) خلفاً للشيخ صاحب الجواهر، فهو وإن لم يكن معدوداً من تلاميذه وإنّما كان يحضر درسه في أواخر أيامه تيمّناً لا حضور التلميذ المستفيد، هكذا عبّر الشيخ المظفر عن صلة الشيخ الأنصاري بالشيخ صاحب الجواهر[٤].

وكان تقييمه للشيخ الأنصاري نابعاً من تفهم تام لعقليته ومكانته الفكرية فيقول: إنّه حبر الأمّة وإمام المحققين الذي أنسى الأوّلين والآخرين، إذ تجدد على يديه الفقه وأصوله التجدد الأخير، وخطا بهما شوطاً بعيداً قلب فيه المفاهيم العلميّة رأساً على عقب[٥].

وانتقل بعد ذلك الشيخ المظفر إلى دراسة مدرسة النجف في القرن الرابع الهجري، ووصف مرجعيّة الإمام السيّد حسن الشيرازي المتوفى عام ١٣١٢هـ بالقول: «فصار

(١) المصدر السابق.
(٢) م. ن: ص (ذ).
(٣) م. ن: ص (أ).
(٤) م. ن .
(٥) م. ن: ص (ذ).

الزعيم الديني له من الشأن ما يفوق به الملوك والأمراء»[١].

وقد جاء تقويم الشيخ المظفر، للإمام السيّد الشيرازي دقيقاً، فقد أشارت بعض المصادر إلى أنّ الأموال التي كانت تجبى إلى الإمام الشيرازي من أقصى الصين وما وراء النهر، فكان ينفقها في وجوهها[٢].

ولمّا حلّ الغلاء والقحط في مدينة النجف الأشرف في بعض المواسم انبرى الإمام الشيرازي لتخفيف الضائقة عن الناس، فعيّن لكلّ طرف من أطراف النجف – الواقعة داخل سورها الأخير – وكلّ فئة من سكّانها أناساً يوزعون الحبوب على المحتاجين، واستمر في ذلك حتّى حلّ موسم الحصاد الجديد، وارتفعت الشدّة عن الناس[٣].

وكانت «مشكلة التنباك» من أخطر المشكلات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة التي عاصرها الإمام الشيرازي، وادى دوراً حاسماً في حلّها، عند اصداره فتوى بتحريم شرب التتن والتنباك[٤]، ولمّا شعر الشاه ناصر الدين القاجاري بخطورة الموقف، وتعاظم الأزمة، اضطر إلى إلغاء الامتياز الذي أعطاه للشركات الإنكليزيّة[٥].

ويقول الشيخ محمّد جواد مغنية: أنّ مدير الشركة البريطاني سأل كم يملك هذا السيّد من الجيوش والأساطيل؟ فقيل له: لا يملك شيئاً، فقال: إنّ هذا لا يمكن مقاومته[٦].

وأنّما أوردنـاه من نصوص يسيرة من حياة الإمام السيّد حسن الشيرازي فهي

(١) المظفر: آراء صريحة، ورقة ٢٥.
(٢) الأمين: أعيان الشيعة ٢٣: ٢٦٦.
(٣) الوردي: لمحات اجتماعية ٣: ٨٨.
(٤) م. ن ٣/ ٩٣، الأمين: أعيان الشيعة ٢٣: ٢٧٥- ٢٧٦.
(٥) حرز الدين: معارف الرجال ٢: ٢٣٥.
(٦) مغنية: مع علماء النجف الأشرف: ص١٠٩.

مطابقة تماماً مع رأي الشيخ المظفر بالإمام الشيرازي «له من الشأن ما يفوق به الملوك والأمراء».

وقد كشف الشيخ محمّد رضا المظفر في «آرائه الصريحة» عن تقويمه الدقيق لبعض مراجع الدين في النجف الأشرف، وكان ذلك جريئاً وصريحاً، ولم تأخذه في الحقّ لومة لائم، فهو عند حديثه عن الإمام الميرزا محمّد حسين النائيني المتوفى عام ١٣٥٥هـ قال: أنّه أوثق العلماء عند أهل العلم وأهل الورع والتقوى، ومن الناحية العلميّة هو الأوّل الذي لا يخطر بذهن أحد مساواته بغيره[١].

وهذا الرأي مطابق بتمامه وكماله مع المصادر التي تناولت الإمام النائيني، فهو صاحب الآراء السديدة في علمي القفه والأصول، وفي الحكمة والفلسفة[٢]، ويقول السيّد محسن الأمين: «وكانت حوزته العلميّة كبيرة وبحثه من أكبر مجالس البحث في النجف الأشرف»[٣].

وبما أنّ الشيخ النائيني أحد تلاميذ الشيخ الأنصاري، فهو بذلك يعد امتداداً لأفكاره الإصلاحيّة وآرائه العلميّة، وقد أشار الشيخ المظفر إلى ذلك بقوله: «وفي الحقيقة كان الميرزا النائيني يعد فاتحاً مظفراً ومجدداً موصلاً لما انقطع أو كاد من المنهج البحثي للشيخ الأنصاري وهو وتلاميذه يعتزون بهذه الصلة والوصلة العلميّة بالشيخ الأنصاري»[٤].

وقد نافسه في المرجعيّة الدينيّة الإمام السيّد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني، المتوفى عام١٣٦٥هـ، الذي قال عنه الشيخ المظفر: «كان كثير من أهل العلم يشكون في

(١) المظفر: آراء صريحة، ورقة ٢٤.
(٢) شمس الدين: حديث الجامعة النجفيّة: ص٣٣.
(٣) الأمين: أعيان الشيعة ٤٤: ٢٨٥.
(٤) المظفر: ترجمة صاحب الجواهر: ص (د).

اجتهاده»[١].

ولم نجد من بين أهل العلم في النجف الأشرف صريحاً في رأيه ودقيقاً في تقويمه عند الموازنة بين الإمامين النائيني والأصفهاني مثل ما وجدناه عند الشيخ المظفر رحمه الله، وأنّ العامة من الناس بها حاجة إلى مثل هذه الواقعية عند تقليد الأعلم من المراجع في حالة وجود أكثر من مرجع كبير، وقد تدخل المصالح الشخصية والمنافع المادية في إعلاء شأن، وانخفاض منزلة، وكان الأولى بذوي الخبرة من رجال العلم ابداء الرأي الصريح في الأعلم والأورع والأعدل بالمرجع الديني الأعلى.

وكانت للشيخ محمد رضا المظفر مع فقهاء النجف الأشرف وأدبائها وكتابها مواقف نقدية تتناسب مع مقامهم العلمي والأدبي والاجتماعي، فكان قد وصف الشيخ جواد بن الشيخ علي الجواهري، المتوفى عام ١٣٥٥هـ بالزعيم الموهوب للنجف[٢].

انطلاقاً من مواقفه الوطنية في ثورة العشرين المديدة واحتلاله موقعاً متميزاً في المجتمع النجفي، يقول الشيخ محمّد حرز الدين: إنّه استطاع أن يهيمن على رؤساء النجف ورجال السياسة وبعض المسؤولين الروحانيين في النجف[٣]، ويقول السيّد محمّد علي كمال الدين: إنّه الرجل الغيور على مصلحة النجف[٤]، وقد رثاه الشيخ المظفر بقصيدة عبّر فيها عن موقعه الديني ومكانته الاجتماعيّة منها[٥]:

أتـاج العـلى في أيّ در تفاخر ... وهيهات بعد البحر تصفو الجواهر
وفي أي عين ينظر الشعب رشده ... وهل بعد فصل الرأس يسلم ناظر

(١) المظفر: آراء صريحة، ورقة ٢٤.
(٢) م. ن.
(٣) حرز الدين: معارف الرجال ١: ٢٠٠.
(٤) كمال الدين: معلومات ومشاهدات: ص٣٦.
(٥) المظفر: الديوان، ورقة ٩٨.

ومـن أي تستقيم حياته وفي غير قلب لا تقوم البصائر
فواهف قَومي من خطوب ممضة تـعـج بهـا قـبـل الخـطـيـب المنابر
ويا لهف نفسي من حديث إذا جرى جرت من دم قبل الدموع الضمائر
حديث ولكن من شجون حروفه تكلمن فيه بـالـدمـوع النواظر
بمن يرفع الرأس (الغري) ورأسه طـوتـه عـلـى رغـم المـعـالي المـقـادر

ويبدو أنّ صلة الشيخ محمّد رضا المظفر بالشيخ جواد الجواهري كانت وثيقة وعميقة، فقد أشار إليه في كتابه المخطوط «آراء صريحة» ورثاه بقصيدة أثبتها في ديوانه المخطوط وكتب عنه بحثاً نشره في مجلة «المصباح» النجفيّة، في الجزء الخامس من المجلد الثاني للسنة الأولى ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦ م.

وتبرز انفعالات الشيخ المظفر بشعره ونثره في رثاء الأعلام النجفيين الذين يرتبط معهم بروابط علميّة وأدبيّة واجتماعية، ومن هؤلاء الشيخ طاهر بن الشيخ عبد علي الحجامي، المتوفى عام ١٣٥٧هـ الذي رثاه بقصيدة منها[1].

جفّ الغدير فلا زرع ولا ثمر والـربـع أقـوى فـلا عـين ولا أثر
محـافـل كـن بـالإيـمان حافلة من سامها غير أنّ الحـقّ منتحر
وكـم مجـالـس عـلـم زانهـاأدب مضت ولم يبق إلّا ذكرها العطر
وكم بيوت بـإذن الله قد رفعت وكان من دونها العيوف والقمر
قضى الردى أن يبوح الدهر شرته فـيـهـا فـيـخـبـو زنـاد كـلـه شرر
أرض (الغري) اندبي حظّاً بلغت به من رفعة العلم ما انقادت له الغير
لا تطمئني لـشيء طـاب ظاهره فالماء بصفو ولكن تحته الكدر
مضت شيوخك وهي الأسد يوم علا وما انتفعنا بمن من بعدهم زاروا

(١) المظفر: الديوان، ورقة ١٠١.

قدكنت عاصمة الإسلام وانعكست تلك القضية لولا الذكر والصور
في كلّ يوم هلال منك منكسف ضياؤه وظلام الحزن معتكر
مضى وكلّ فؤاد بعده ألم منّا وكلّ محب خلفه نظر
مضى فلاحت نقيات مآثره إنّ الكواكب خلف الشمس تنتشر

ولم يغفل الشيخ في نشره منتديات النجف ومجالسها الأدبية ومناظراتها الفكرية، فقد تركت في نفسه أثراً بعيد الغور، وطالما تأسف لفقدان بعض أحبته الذين كانوا نجوم تلك المجالس العامرة وقد أفصح عن ذلك في قصيدته التي أنشدها في زفاف المشايخ مجيد ومحمد كاظم الشيخ راضي، ومحمد جواد الشيخ صالح الشيخ راضي عام ١٣٤٧هـ منها[١].

سر على اليمن ياشباب الغري تتهادى على الصراط السوي
سر على اليمن حاملاً راية الش- -عرلتمثيل دوره الذهبي
خل عن ذكر زينب وسليمى وطلول من عهد (هي بن بي)
سر على اليمن فالزمان حري بفتى بالهدى القويم حري
لا تغرنّك الزخارف وما كلّ جديد في العصر بالمرضي

وفي عقد قران زميله في جمعية منتدى النشر الشيخ جواد قسام، أنشد موشحة على طريقة المساجلة بين حمام الكوخ وهزار القصر الأمر الذي يدل على يقظته وحسّه المرهف منها[٢]:

تضاحكت آفاقنا الضاحية فلاطفتها خطرات النسيم
والحمد لله على العافية حتّى الربا تزهو بثغر بسيم

(١) المظفر: الديوان، ورقة ١٤٣.
(٢) الآصفي: مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحيّة فيها: ص٧٠-٧١.

****

وابتهج الروض بالوانه فانفتقت تضحك أوراده
ودجلة فاض بطغيانه فاستبشرت بالنور بغداده
وغرّد الطير بالحانه فانفلتت تصفق أولاده
لكن بكسر الكوخ في ناحية حمام كوخ في الظلام البهيم
يصرخ في أصواته العالية والطير يلهو بالهنا والنعيم

وكان الشيخ المظفر قد رثى بعض أعلام النجف الأشرف بكلمات نابعة من احساساته العميقة، وإفصاح عن مواقعهم العلميّة والاجتماعية كالشيخ عبد الحسين مطر، والشيخ محمّد جواد مطر، والسيّد جعفر ربيع، وتصدى للدراسة والتمحيص لبعض المؤلفات النجفيّة كبحثه المعنون «على هامش كتاب ماضي النجف وحاضرها»[١] للشيخ جعفر محبوبة، وكتاب «اليوميات» للأستاذ جعفر الخليلي[٢]، وكتب الشيخ المظفر حاشية على «خيارات» كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري، وقام بتحقيق كتاب «جامع السعادات» للشيخ النراقي، وكتاب «تحفة الحكيم» للشيخ محمّد حسين الأصفهاني، الذي كان أستاذه الأوّل الذي شهد له بالاجتهاد[٣]، وقد سار الشيخ المظفر على آراء أستاذه الشيخ محمّد حسين الأصفهاني، وجرى على منهاجه في كتابه «أصول الفقه»[٤] وكان الشيخ المظفر قد تتلمذ على أعلام النجف الأشرف وحصل على إجازات علميّة في الفقه والأصول والفلسفة من بعضهم، وأبرز شيوخه هم[٥]:

(١) مجلة المصباح، الجزء الأوّل، المجلد الثاني، السنة الأولى ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥ م.
(٢) مجلة المصباح، الجزء السادس، المجلد الثاني، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦ م.
(٣) الآصفي: مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها: ص٧٤.
(٤) الآصفي: مدرسة النجف وتطور الحركة الأصلاحية فيها: ص٦٣.
(٥) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٣/ ق ١ / ٣٧٤، الخاقاني: شعراء الغري ٨: ٤٥٢.

١ – الشيخ عبد النبي المظفر.

٢ – الشيخ محمّد حسن المظفر.

٣ – الميرزا حسين النائيني.

٤ – الشيخ محمّد حسين الأصفهاني.

٥ – الشيخ محمّد طه الحويزي.

٦ – الشيخ ضياء الدين العراقي.

٧ – السيّد عبد الهادي الشيرازي.

وقد توسم هؤلاء الأعلام بالشيخ محمّد رضا المظفر النبوغ على حداثة سنّه[١]، ويقول الأستاذ الخليلي: كان الشيخ المظفر يجلس مع الشيخ عباس الشيخ مشكور والسيّد جعفر الكيشوان لتحضير الأرواح، وأخذ يقرأ الكتب التي تتحدث عن هذا الموضوع، وقد ساقته إلى التعمق والتغلغل في دراسة الإلهيّات والتصوف ودراسة فلسفة الملاّ صدرا وتفهم أسفاره فيما بعد، ولعلّ هذه الميول هي التي جعلته يبحث عن الأسس والأصول الإسلاميّة[٢].

أمّا المحور الثاني من هذه الدراسة، الذي أولاه الشيخ محمّد رضا المظفر اهتماماً بالغاً هو النهوض بالمدرسة النجفيّة وتطوير الحركة الإصلاحيّة في مناهجها الدراسيّة وأساليب نظمها، فقد انصبت اهتماماته للإصلاح من جهة وبالنهوض من جهة أخرى، وغرضه وصول المدرسة النجفيّة إلى المستوى العالمي، فقد خطط لإصلاح المنبر الحسيني كيما يؤدي وظيفته الإرشادية وفق أسس علميّة رصينة، ولكن هذه الدعوة قد لقيت معارضة شديدة، وكادت الفتنة تقع بين صفوف المجتمع النجفي، وقد أوضح الشيخ

(١) حرز الدين: معارف الرجال ٢: ٢٤٧.

(٢) الخليلي: هكذا عرفتهم ٢: ١٨ – ١٩.

المظفر أبعادها بقوله: «الإختلاف على تحريم بعض الشعائر الحسينيّة فحدثت فئتان، فئة سُمّيت (الأموية) وعلى رأسها كان السيّد أبو الحسن تأييداً لرأي السيّد محسن الأمين في الشام، وفئة سُمّيت (الحسينيّة) كان يمثلها من العلماء ميرزا حسين النائيني، والشيخ عبدالله المامقاني، والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء وأمثالهم من العلماء تأييداً لرأي الشيخ عبد الحسين صادق بجبل عامل، والفتنة كانت على أشدّها بين الفئتين، وألفت لذلك عدّة مؤلفات ثائرة صاخبة»[1].

وقد مضى الشيخ المظفر وصحبه من أعضاءجمعية منتدى النشر في المشروع الإصلاحي ففي عام ١٣٦٣هـ تأسست كليّة «الوعظ والإرشاد» وكانت تستهدف تهذيب الخطباء وتنزيه المنبر الحسيني الموضوعة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وألّفت لجنة لهذا الغرض برئاسة الخطيب الكبير الشيخ محمّد علي قسام وعضوية كلّ من:

١ – السيّد جواد شبّر.

٢ – السيّد حسن الشخص.

٣ – السيّد حسن اليعسوبي.

٤ – السيّد عبد الأمير الأعرجي.

٥ – الشيخ عبد الرضا شريف.

٦ – السيّد عبد الحسين الحجار.

٧ – الشيخ عبد الهادي الأسدي.

٨ – الشيخ محمّد جواد قسام.

---

(١) المظفر: آراء صريحة ورقة ٣٧.

٩ – الشيخ محمد سعيد مانع.

١٠ – الشيخ مسلم الجابري.

وكان الشيخ محمّد الشريعة أحد أعضاء جمعيّة منتدى النشر من أكثر الأعضاء إيماناً بهذه الفكرة الإصلاحيّة وأجرئهم في الصرخة لإعداد خطباء تتوفر فيهم شروط الخطابة[١]، وقد عهدت لهذه اللجنة وضع المناهج السليمة وقد تمّ فعلًا فتح الصف التجريبي، ولكن لم يمض شهر واحد على فتح هذا الصف حتّى ثارت الثائرة، وألصقت التهم الباطلة ضدّ اللجنة المشرفة، فما كان من الشيخ المظفر وزملائه إلّا الإسراع على إلغاء المشروع، ولكن هذه الأنتكاسة لم تثن الشيخ المظفر في المضي بإنجاز مشاريعه الإصلاحية بنفس مطمئنة، شديدة الإيمان في تنفيذ مشاريع جمعية منتدى النشر التي أقدم على تأسيسها عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥ م مع نخبة من أعلام الفكر والعلم في النجف وهم:

١ – الشيخ عبد الهادي حموزي.

٢ – الشيخ جواد قسام.

٣ – السيّد محمّد علي الحكيم.

٤ – السيّد يوسف الحكيم.

٥ – السيّد موسى بحر العلوم.

٦ – السيّد هادي فيّاض.

وفي الإنتخابات التي جرت في الجمعية عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦ م تولى الشيخ محمّد رضا المظفر وظيفة «الكاتب العام» في الجمعية، وفي عام ١٩٣٨ م أصبح «معتمد الجمعيّة»

---

(١) الخليلي: هكذا عرفتهم ١: ٢٤٥.

وعند ذلك وضع خطّة لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينيّة أو كليّة للاجتهاد، يدرس فيها الفقه الاستدلالي والتفسير وعلم الأصول والفلسفة وكان يسانده في مشروعه هذا علمان كبيران هما[١]:

١ – الشيخ عبد الحسين الحلّي.

٢ – الشيخ عبد الحسين الرشتي.

وأخذت منتدى النشر تسير في خطواتها الاصلاحيّة بصورة هادئة، بعيدة عن الإثارة والإستفزاز، ففي عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩ م تشكلت لجنة الخطابة من الأعلام:

١ – الشيخ محمّد رضا المظفر.

٢ – السيّد هادي فيّاض.

٣ – الشيخ محمّد الشيخ راضي.

٤ – الشيخ عبد الرضا صادق.

وبقي الشيخ المظفر يتابع أعمال الجمعية ومؤسساتها الثقافية الأخرى بصفته «المعتمد العام» لها في دوراتها الانتخابية المتعاقبة حتّى وفاته رحمه الله عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

وكان الشيخ المظفر في فترة رئاسته لجمعية منتدى النشر يخطط لتأسيس «كليّة الفقه»، وفتح فروعاً للجمعيّة في الكاظمية والبصرة والحلّة وكربلاء، وفتح المدارس الابتدائيّة والثانوية في النجف وغيرها من المدن على وفق الخط الاصلاحي الذي تبنته الجمعيّة وذلك لتلافي النقص الحاصل في المدرسة النجفيّة، والسعي لتعميم الثقافة الإسلامية بوساطة النشر والتأليف وغيرهما من الطرق المشروعة الصحيحة[٢]، وقد أوضح التقرير العام للجمعيّة الذي أعدّه الأستاذ السيّد محمّد تقي الحكيم عام

(١) الآصفي: مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها: ص١٢٧.

(٢) الدليل الرسمي لعام ١٩٣٦: ص٨٣١.

١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤ م أهداف الجمعية ومشاريعها العلميّة والثقافية[١].

وقد أعدت جمعيّة منتدى النشر مشاريع علميّة نقلت فيها واقع النجف إلى مستوى أرحب وأسهم فيها أعلام حوزويون وجامعيون، وتألفت لجان علمية عديدة لإدارة هذه المشاريع وهي:

١ - لجنة المجمع الثقافي والديني.

٢ - لجنة الوعظ والخطابة.

٣ - لجنة تآخي الطلاب.

وكانت لجنة المجمع الثقافي والديني منذ تأسيسها عام ١٣٦٣هـ قد أخذت على عاتقها رفع المستوى العلمي والثقافي عن طريق النشر وإلقاء المحاضرات، وقد تولى رئاستها الشيخ محمّد حسين المظفر، وعضوية كلّ من: السيّد محمّد جمال الهاشمي، والشيخ محمّد صادق القاموسي، والشيخ محمّد سعيد مانع[٢]، وأخذت هذه اللجنة تعقد الاجتماعات الأسبوعيّة فتلقى فيها المحاضرات العلميّة والثقافية والفكريّة ومنها انبثقت أربع أسر علميّة هي:

١ - أسرة التحقيق والنقد.

٢ - أسرة الأدب.

٣ - أسرة المكتبة.

٤ - أسرة النشر.

ومنذ عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩ م انتظمت أعمال المجمع الثقافي والديني، وقد شارك

(١) الحكيم: التقرير العام لجمعية منتدى النشر بعد حلّها: ص٧ ٩.

(٢) جريدة الهاتف، العدد (٣٦٩) السنة العاشرة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤ م.

في أعماله هذه الشيخ محمّد رضا المظفر، والسيّد محمّد تقي الحكيم، والسيّد محمّد جمال الهاشمي، والسيّد عبد الحسين الحجار، والشيخ عبدالله السبيتي، والسيّد جواد شبر[١]، وأقام هذا المجمع مهرجاناً فكريّاً كبيراً بعنوان «أسبوع الإمام» وقد خُصّص لاستشهاد الإمام علي عليه السلام، وكان مهرجاناً منقطع النظير[٢].

أمّا لجنة «الوعظ والخطابة» فقد أشرنا إلى أهدافها ومؤسسيها، وكان غرضها تهذيب ناشئة الخطباء وتثقيفهم، وقد فتح صف خاص لهؤلاء لتدريس الفقه وعلوم العربية وأصول الدين وعلم الحديث، وكان من ثمار هذه اللجنة من الخطباء العصريّين الشيخ أحمد الوائلي، والسيّد جواد شبر[٣].

وأمّا لجنة «تآخي الطلاب» فقد تألفت من الطلبة النابهين في كلية منتدى النشر، وبإشراف أساتذة الكلية والجامعة، وكان هدفها مراقبة النشاط العلمي والثقافي للطلاب، وبثّ الروح العلميّة في نفوسهم، وقد أصدرت هذه اللجنة نشرة مدرسيّة أطلق عليها اسم «البذرة»، ولعلّ أبرز أعمال جمعيّة منتدى النشر ولجانها الثقافية والعلميّة تحقيق العملين الكبيرين وهما:

١ – كليّة منتدى النشر.

٢ – كليّة الفقه.

عدّ تأسيس كليّة منتدى النشر خطوة كبيرة في تاريخ النجف العلمي، لأنّها جمعت بين الدراسة الحوزويّة النجفيّة، والدراسة الجامعيّة الحديثة، ويقول الشيخ علي الشرقي: «وأنّي لأتشوف في صفوف مدرسة منتدى النشر بعض الطلائع المبشرة بإنقلاب المنهج

(١) مجلّة البذرة، العدد السادس، السنة الثانية، والعدد السابع، السنة الثالثة.

(٢) الآصفي: مدرسة النجف وتطورالحركة الإصلاحية فيها: ص١٣٥.

(٣) الخليلي: هكذا عرفتهم ١: ٢٤٥.

ووضع الأساس الرصين للنهضة الأدبية اللائقة بالنجف وتأريخها»[١].

وأشار الشيخ محمّد رضا المظفر إلى أهمية هذه الكلية وأبعادها المستقبلية بالقول: «رأينا أنّ الوقت مناسب لفتح المدرسة وتطبيق النظام على الدراسة الدينيّة، فنهضنا نهضة واحدة، وإذا الناس معنا أكثرهم حتّى جماعة من العلماء الأعلام فأدخلوا أولادهم، وإذا المدرسة تضم (١٥٠ طالباً دينيّاً) في ثلاثة صفوف أكثرهم من بيوتات النجف العلميّة الشهيرة»[٢] وكان الصف الأوّل في كليّة منتدى النشر قد فتح عام ١٩٣٨ م، وقد خصص لدراسة علوم اللغة العربية والمعارف الدينية[٣]، وأصبح لطلاب الكليّة نشاط ثقافي في ليلة الخميس من كلّ أسبوع بتوجيه من أستاذ الكلية، إذ يلقي أحد الطلبة بحثاً علمياً ومن ثمّ تبدأ مناقشته[٤].

ومن الجدير بالذكر أنّ الشيخ محمّد رضا المظفر على الرغم من رعايته لكليّة منتدى النشر، وتحمسه الكبير في ابرازها، كان قد أعدّ داره مكاناً لتدريس الفقه والأصول والفلسفة والمنطق، ويحضر حلقته الدراسيّة جماعة من طلاب العلم لدراسة الأسفار الأربعة في الفلسفة، وكان قد استرسل في ميدان الفلسفة حتّى استمكن من علمها، لذا تطغى الروح الفلسفيّة على أسلوبه مهما كانت نوعيّة الكتابة[٥].

وقد مهدت «كليّة منتدى النشر» إلى تخطيط جامعي أوسع، وضع أسسه الشيخ محمّد رضا المظفر، وكانت بداياته الأولى «كليّة الفقه» التي تأسست عام ١٩٥٨ م، وقد

---

(١) الشرقي: الأحلام: ص٤٨.

(٢) المظفر: (منتدى النشر) بحث في مجلة العرفان، الجزء الثامن والتاسع، المجلد (٢٩) لسنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م.

(٣) مجلة الأعتدال، العدد العاشر، السنة الرابعة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨ م.

(٤) مجلة البذرة، العدد الأوّل، السنة الثانية ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩ م.

(٥) الناهي: دراسات أدبيّة ١: ١٢٩.

أوضح الشيخ المظفر أهدافها بقوله:

«لتخريج طلاب لهم الاستعداد الكافي لحضور مجالس دروس كبار المجتهدين بالإضافة إلى القيام بواجب الدعوة إلى الدين الإسلامي وتبليغ مبادئه بمنابرهم وأقلامهم»[١]، وقد أراد أن تكون جمعيّة منتدى النشر ومؤسساتها الجامعيّة والثقافيّة منابر لايصال صوت النجف الأشرف إلى العالم، وقد أشارت الرسالة التي بعثها الشيخ علي الشرقي إلى الشيخ محمّد رضا المظفر في ٢٥/ ٨/ ١٩٥٥ إلى هذه الحقيقة بقوله: إنّ منتدى النشر هي «أزهر العراق» وقد أقمت أركانه معتمداً على الباعثين المجددين[٢].

وقد اعترفت وزارة المعارف العراقية بكلية الفقه، وعدّت شهادتها عالية على نحو الكليّات العراقيّة الإنسانيّة التي تمنح شهادة «البكالوريوس» في الشريعة الإسلاميّة واللغة العربيّة، وقد تولى الشيخ المظفر عمادة كليّة الفقه حتّى وفاته عام ١٩٦٤ م، إضافة إلى رئاسته لجمعية منتدى النشر، وقد كانت مؤهلات الشيخ المظفر العلميّة الواسعة قد أوصلته إلى عضوية المجمع العلمي العراقي عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م[٣].

وقد مثّل مدرسة النجف في المؤتمرات العالميّة، فحضر الاحتفال الدولي الكبير الذي عقد في الباكستان بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على مولد الإمام علي عليه السلام عام ١٩٥٧ م، واحتفالات جامعة القرويين في مدينة فاس المغربيّة عام ١٩٦٠م، وأجرى حواراً مع الدكتور أحمد أمين ودعا فيه إلى إقامة مؤتمر إسلامي للتقريب بين المذاهب، وقد نشر الحوار على صفحات مجلة الرسالة المصريّة[٤].

وكان الشيخ المظفر في لقاءاته الشخصية وبحوثه العلميّة يبرز دور النجف العلمي

(١) المظفر: جامعة النجف في جامعة القرويين: ص١٢.
(٢) أحتفظ بهذه الرسالة الخطيّة في خزانة كتبي.
(٣) الآصفي: مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحيّة فيها: ص٧٤.
(٤) الخاقاني: شعراء الغري ٨: ٤٧٨.

ورسالتها الإسلامية العالميّة، ففي برقيته التي رفعها للمسؤولين المصريين عام ١٩٥٦م، مستنكراً العدوان الثلاثي الآثم على مصر الشقيقة كانت باسم «محافل النجف الأشرف» وقد جاء فيها: «محافل النجف الأشرف تعج صارخة إليه تعالى بدعائها لإنقاذ مصر المسلمة وتبتهل إليه أن يأخذ بناصركم ويرفع لواءكم والقلوب تقطر دماً من الإعتداء الصارخ الذي تقوم به وحشية أعداء الإسلام والإنسانيّة، والمسلمون في جميع البلاد يد واحدة في شدّ أزركم»[١].

وكان الشيخ المظفر على الصعيد المحلي يمثل النجف وأعلامها ومؤسساتها العلميّة والثقافية، فهو في أثناء المدّ الشعوبي الشيوعي الذي اجتاح العراق بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ م، انبرى مع جمع من الأعلام إلى تأسيس «جماعة العلماء» في محاولة لإيقاف التيار الالحادي، ونشر الكتب وإقامة الاحتفالات الإسلاميّة لتوعية الناس إلى أهمية الإسلام ومبادئه السامية، وكان الشيخ المظفر قد أحتج مع علماء النجف على تشريع قانون الأحوال الشخصية الذي اصطدمت بنوده مع تعاليم الدين الإسلامي ونصوص القرآن الكريم، وقد أعدّ تقريراً مفصلاً باسم «كليّة الفقه» رفعه للجهات الحكوميّة المسؤولة، شرح فيه أوجه الاختلاف بين مواد قانون الأحوال الشخصية والدستور الإسلامي[٢].

وكان الشيخ محمّد رضا المظفر قد تناول في كتبه وبحوثه ودراساته مختلف فروع المعرفة، ولكنّه خصص جزءاً منها لمدينة النجف الأشرف، وقد نشر بعض بحوثه في جريدة «الهاتف» للأستاذ جعفر الخليلي، وفي مجلة «النجف» للسيّد هادي فيّاض، ومجلة «المصباح» للسيّد محمّد صالح بحر العلوم، ومجلة «الدليل» للشيخ هادي الأسدي، ومجلة

(١) الآصفي: مدرسة النجف: ص٨٨.

(٢) الآصفي: مدرسة النجف: ص٩٢.

«الحضارة» للشيخ محمّد حسن الصوري، عدا بحوثه الأخرى التي نشرها في المجلات العراقية والعربية، وكانت صحف النجف ومجلاتها قد احتلت القسم الأكبر من تراث الشيخ محمّد رضا المظفر، وكانت له مع الدكتور مصطفى جواد «حوارية» حول كلمة «فوضى» نشرت على صفحات جريدة الهاتف[١]، وكان من رأي الشيخ المظفر أنّه لا يجوز دخول الألف واللام على كلمة «فوضى» بينما يرى الدكتور مصطفى جواد جواز ذلك، وقد استلزم هذا الموضوع الأخذ والرد على صفحات جريدة الهاتف، وبعد مناقشات طويلة، طلب الشيخ المظفر من الدكتور مصطفى جواد أن يأتيه بالنصوص والدلائل التي قبلت دخول الألف واللام على «فوضى» فأجابه الدكتور مصطفى جواد بما مضمونه أنّه إنّما يرى الجواز فبمقتضى ما يستطيعه اجتهاداً، وهنا استراح الشيخ المظفر وقال: لِمَ لَمْ تقل يا سيّدي أنّك ترى هذا الرأي بداعي الاجتهاد لأوفر لنفسي مشقة الأخذ والرد منذ الساعة الأولى[٢].

وهكذا كان العلاّمة الراحل الشيخ محمّد رضا المظفر نجفيّاً في كتاباته وآرائه ومناظراته فهو يصوّر خصائص المدرسة النجفيّة بدقّة، ويبرز معالمها الفكريّة على جميع الأصعدة، وقد أشاد أعلام الفقه واللغة والتاريخ والفلسفة بفكره وعلومه في الحفلة الأربعينيّة الكبرى التي أقيمت في جامعة النجف الدينيّة التي شارك فيها أساتذة جامعة بغداد، وسفير المغرب، وممثل دار التقريب الإسلاميّة في القاهرة، وجمع من أدباء وشعراء النجف وبغداد وبيروت[٣]، وحينما يقيم أتحاد الأدباء والكتاب في النجف هذه الحفلة الاستذكارية يوم ٤/ ٤/ ١٩٩٧ تثميناً وتكريماً لجهود ابن النجف ومحيي آثارها وتراثها العلاّمة الكبير الشيخ محمّد رضا المظفر رحمه الله تعالى وأسكنه الفسيح من جنّاته.

(١) جريدة الهاتف، العدد (٢٨١) السنة السابعة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١ م.

(٢) الآصفي: مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها: ص٧٥.

(٣) مجلة الإيمان، العددان الخامس والسادس، السنة الأولى ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤ م.

مصادر البحث ومراجعه:

أوّلاً: المخطوط

الشرقي: الشيخ علي

١ – رسالة خطيّة من الشيخ علي الشرقي إلى الشيخ محمّد رضا المظفر، في خزانة كتبي.

المظفر: الشيخ محمّد رضا

٢ – آراء صريحة، مخطوطة مصورة في خزانة كتبي.

٣ – ديوان المظفر، مخطوط في مكتبة الشيخ عبد الحسن الغراوي.

ثانياً: المطبوعات

الآصفي: محمّد مهدي

٤ – مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحيّة فيها، مطبعة النعمان / النجف الأشرف.

الأمين: السيّد محسن العاملي (ت ١٣٧١هـ)

٥ – أعيان الشيعة، مطابع الاتقان والانصاف / بيروت ومطابع ابن زيدون والترقي / دمشق

البراقي: حسين أحمد النجفي (ت ١٣٢٢هـ)

٦ – تاريخ الكوفة، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م.

حرز الدين: الشيخ محمد

٧ – معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء / مطبعة الآداب / النجف ١٣٨٣هـ

/ ١٩٦٤ م.

الحكيم: السيّد محمّد تقي

٨ – التقرير العام لجمعية منتدى النشر بعد حلها / مطبعة النجف ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥ م.

الخاقاني: علي

٩ – شعراء الغري أو النجفيات، المطبعة الحيدرية / النجف ١٣٧٣ – ١٣٧٦هـ / ١٩٥٤ – ١٩٥٦م.

الخليلي: جعفر

١٠ – هكذا عرفتهم، مطبعة الزهراء والتعارف / بغداد ١٩٦٣ – ١٩٦٨م.

الشرقي: الشيخ علي

١١ – الأحلام، شركة الطبع والنشر الأهلية / بغداد / الطبعة الأولى ١٩٦٣.

شمس الدين: الشيخ محمّد رضا

١٢ – حديث الجامعة النجفيّة، المطبعة العلميّة / النجف الأشرف ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣ م.

ابن طاووس: غياث الدين عبد الكريم (٦٩٣هـ)

١٣ – فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف، المطبعة الحيدريّة / النجف، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ.

كمال الدين: السيّد محمّد علي.

١٤ – معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ م.

محبوبة: الشيخ جعفرالشيخ باقر (ت ١٣٧٧هـ)

١٥ – ماضي النجف وحاضرها، مطبعة الآداب / النجف الأشرف، الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨ م.

المظفر: الشيخ محمد رضا

١٦ – جامعة النجف في جامعة القرويين، مطبعة الآداب / النجف الأشرف ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ م.

مغنية: الشيخ محمّد جواد

١٧ – مع علماء النجف الأشرف، مطبعة غنم / بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٠ م المملكة العراقية.

١٨ – دليل المملكة العراقيّة ١٩٣٥ – ١٩٣٦، مطبعة الأمين / بغداد ١٩٣٥

ناجي معروف: (الدكتور)

١٩ – علماء النظاميّات ومدارس المشرق الإسلامي، مطبعة الإرشاد / بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ م.

النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٤٥٠هـ)

٢٠ – الرجال، مطبعة مصطفوي.

الناهي: غال

٢١ – دراسات أدبية، مطبعة دار النشر والتأليف / النجف ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٠ م.

الوردي: الدكتور علي

٢٢ – لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطابع الإرشاد والشعب والأديب والمعارف / بغداد ١٩٦٩ – ١٩٧٦ م.

ثالثاً: البحوث والمقالات

المظفر: الشيخ محمّد رضا

٢٣ – (الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي مؤسس جامعة النجف)، مجلة النجف الأعداد (٤، ٥، ٦، ٧)، السنة الثانية ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

٢٤ – (على هامش كتاب ماضي النجف وحاضرها)، مجلة المصباح، الجزء الأوّل / المجلد الثاني، السنة الأولى ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥ م.

٢٥ – (منتدى النشر) مجلة العرفان، الجزء الثامن والتاسع، المجلد (٢٩) لسنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠ م.

٢٦ – (اليوميات) مجلة المصباح، المجلد الثاني ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦ م.

ذكريات المظفر في جامعة القرويين

بقلم الدكتور عبد الهادي التازي
سفير المغرب ببغداد

وبعد، فقد وصلني كتاب منكم كريم... يحمل الدعوة للاسهام في رثاء سماحة الأخ الشيخ محمّد رضا المظفر... وهي دعوة بارّة إلى عمل بار، من أجل مجاهد بار، في أرض البررة.

لقد عرفته فعلاً هناك في أرض المغرب، كان لقاء لأوّل مرّة، وتعلمون أنّ المرء يحتفظ في أوّل حديثه إلى المرء بذكريات لا تنسى... لأنّ الحديث الأوّل هو كلّ شيء... وقديماً قالوا: «تكلّموا تعرفوا» وقد قدرت من أوّل يوم المغفور له... لماذا لأنّ أوّل مزيّة برزت لي فيه كانت مزيّة الصراحة النادرة، ثمّ كانت المزيّة الثانية اعتزازه بالنجف، هذا الحصن الحصين الذي يرابط على تراثنا الإسلامي هنا.

إنّ جامعة القرويين- بالنسبة إلينا نحن المغاربة على الأقل- تعتبر الكنز الوحيد والذخر العظيم، والملاذ الأكبر لكلّ حضارتنا ولكلّ ثقافتنا، ولكلّ ما قد يعزى من خير وطيب، وإنّ اشعاعها حقّاً عمّ الجبل والكوخ، وانساب في الوهاد والشعاب يطهرها من أدران الجهالة والعماية، ويخصلها من شرور الفتنة والغواية، وإنّ الذي زاد في قمية هذه الجامعة التي نسمّيها اجامعة القرويين أنّها عريقة في التاريخ، أثيلة في المجد، أصيلة في النشأة، لقد أسست في أواسط القرن الثالث الهجري، وظلّت منذ يومها الأوّل كعبة لعلماء الشرق وعلماء الأندلس، حتّى قيل: «إنّ العلم كقمح نتج بالمدينة وصفي ببغداد، وطحن بالقيروان وغربل بقرطبة وأكل بفاس» يعني بفاس حيث توجد جامعة القرويين.

وقد أخذت اسمها هذا «القرويين» من أنّ المنشئ لها أوّل الأمر كان – فيما يذكر المؤرخ ابن أبي زرع – هو السيّدة فاطمة القيروانيّة التي شاءت أن تخصص للمهاجرين من القيروان إلى مدينة فاس هذا الجامع الذي يحمل حروف القيروان ومعاني القيروان.

هذه الجامعة كلّها وهذا التاريخ كلّه... كان غير معروف أو يكاد، بين ظهراني أخواننا في النجف الأشرف... لماذا؟ لأنّ بعد الشقّة من جهة، ودأب الاستعمار على تغذية القطيعة بين الشرق والغرب من جهة ثانية، جعلتنا في المغرب محرومين من أنوار النجف، وجعلت أخواننا هنا في المشرق لا يتوفرون على المعلومات المفصّلة عن بلاد تربطهم بها أكثر من آصرة! وأوفر من خاطرة!

كنّا ننتظر من كلّ الخطباء أن يقوموا فينا مشيّدين بماضي جامعة فاس وبما حققته للإسلام والعروبة.... كأنّه لا يوجد في الدنيا غير جامعة فاس!.. لكن المغفور له الشيخ رضا المظفر انتصب ليقول لنا في صراحة نادرة: «نحن لا نعرف شيئاً عن جامعتكم... بل أنّ فينا من لم يسمع بصداها ولا باسمها!» وزاد يقول: «وما أظنّ أنّ جامعة النجف أكثر حظّاً من جامعة القرويين عندكم يا أهل المغرب».

فعلاً كنّا بعيدين عن النجف، وكان النجف بعيداً عنّا، ولهذا تصدى الشيخ رضا ليحمل حملة شعواء على القطيعة التي كانت مضروبة علينا وعليكم، وقد فضّل أن لا يقول شيئاً عن القرويين لأنّه كان لا يقنع بترديد المعلومات المبتذلة عنها، ولكنّه كان يريدها معرفة كاملة شاملة.

وقد كانت هذه التذكرة من أستاذنا تذكرة نافذة عن قلب مؤمن بما تمليه عليه صراحته وما يوحي به إيمانه، ولذلك فقد تلقّيناها، ولو أنّها كانت مرّة، تلقيناها بغاية الرضى، ولم يسعنا غير ذلك لأنّنا فعلاً كنّا يجهل بعضنا بعضاً وقد قال جلالة المغفور له محمّد الخامس في حديث له أثناء المهرجان المخصص لعيد جامعة القرويين قال: «اننا لم

نقم بالذكرى فقط من أجل التعريف بالقرويين كذلك من أجل التعريف بأخواتها في سائر أطراف البلاد الإسلاميّة، لأنّ تلك الجامعات كلّها كانت حصوناً للعلم تتبادل المشورة، وتتبادل المعرفة وتتبادل المناصرة».

لأجل ذلك فقد أبى سماحة الشيخ رضا المظفر إلّا أن يغتنم فرصة الذكرى ليعطينا نظرة صادقة ومدققة عن جامعة النجف الأشرف، كان الجمهور يستمع إليها في كثير من العناية، لأنّها دلّت على مزيته الثانية، لقد كان هو عمدة المغرب حقّاً في التعريف بهذا البدل الطيّب... وبجامعتها وبرجالها... وقد بقيت صورته ماثلة أمامي كلّما استعرضت مناهل العلم والمعرفة في العالم الإسلامي.

وقد أسعدني الله فوردت رسولاً للمغرب في العراق، وكان في أبرز ما كنت اعتزمته - وقد أعرفت - أنّ أصل رحم القربى مع أخوة من العراق عرفت فيهم مثال العلم والصيانة، والمقدرة والدراية... وقد تلقيت أوّل ما وصلت إلى بغداد رسالة من الشيخ المظفر يدعوني فيها لزيارة النجف... وقد قدر الله أن لا أزورها إلّا في لمحة عابرة ونحن نقوم بتدشين المدرسة، وافترقنا على موعد، لكنّ قضاء الله كان أقوى وكان أعظم، فعزاء لنا جميعاً... أيّها الأخ وحسبي أنني تعرفت على عنصر من عناصر الخير هنا... وأسفي أنّني تعرفت عليه في لقاء قصير، وماذا تكون هذه الدنيا إلّا لمحات عابرة... ومجازات قصيرة.

حضرة الأخ

اسمحوا لي إذا لم ألبّ رغبتكم كلّها فأنتم تعلمون مشاغلي وتكاليفي، لكن الظنّ فيكم جميل أن تغفروا لي هذا التقصير، وإلى الله المصير...

عبد الهادي التازي

المظفر ودار التقريب

كلمة دار التقريب

بين المذاهب الإسلاميّة بالقاهرة

أيّها الأخوة الأفاضل:

إنّ (دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة) لتشارككم بالروح في حفلكم هذا، الذي أقمتموه تقديراً لذكرى رجل من كبار أهل الدين والعلم، جاهد في الله حقّ الجهاد، بفكره وقلمه، وعلمه وعمله، وما كان يمثله من قدوة صالحة للشباب المؤمن، يوم كان شاباً، ومن أخوة صادقة مخلصة، لزملائه في العلم والدين، يوم كان كهلاً، حتّى رفعه الله إليه كما يرفع عباده الصالحين، راضياً مرضياً، ظافراً مظفراً، ندي الذكر، خالد الأثر، مشكوراً من الله ومن المؤمنين.

إنّ المغفور له، أخانا آية الله العلاّمة الشيخ محمّد رضا المظفر كان شعلة متوقدة في الذكاء، والعلم، والمثابرة، وكان قبساً وهّاجاً في ميادين العمل الصالح، والسعي الحميد، فيما ينفع المؤمنين، وكان من أعزّ أمانيه أن يلتقي المسلمون على مبدأ التفاهم والمودة والأخوة في الله، وأن ينزعوا لباس العصبيات المذهبية، ويرتدوا رداء المنصفين الطالبين للحق، المذعنين للحجّة، النازلين على حكم الله من أي طريق وصل إليهم، ولذلك كان من السابقين الأوّلين في اعتناق فكرة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، ومؤازرة دعوتها، والاتصال بأقطابها.

ولقد كانت حياته خيراً وبركة على المسلمين، في كلّ جانب من جوانب نشاطه وسعيه الموفق، ولا سيّما تأسيسه لجمعيّة منتدى النشر وكليّة الفقه، وتفرغه على خدمتها وتثبيت أركانها، قرابة ثلاثة عقود من عمره المبارك، ولسوف يبقى هذان الأثران الطيبان

النافعان، ما بقيت عقول تفكر، وقلوب بالإيمان تخفق، ووعي وإدراك عميق لما ينبغي أن يقوم عليه أمير المؤمنين، وما به تصلح شؤونهم.

إنّ «جماعة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة» لتعتز بكلّ جهد يبذل، في سبيل التنوير والتبصير، لأنّ الحقائق كلّما وضحت، التقت عليها العقول، والتفت حولها القلوب، وإنّها لتعلم، أنّ كثيراً من الخلافات، التي مني بها المسلمون باصطلاء نيرانها، ترجع إلى الجهل بالحقائق، أو غموضها في أذهان الناس، ومن هنا كنا دائماً نرقب بارتياح ما يقوم به الفقيد العظيم، من جهود مشكورة في تطوير الدراسات المتبعة لدى الحوزة العلميّة في النجف الأشرف، واثقين بأنّ ذلك سيعود بأطيب الثمرات في تقريب العلم، وتيسير الإدراك والفهم، وتأليف القلوب حول كلمة الحقّ.

إنّ الإسلام لم ينتصر بشيء كما انتصر بالوضوح، ولم يعز ولم تعل كلمته إلّا باعزازه للعلم، وإعلائه لكلمته، ولو كان في الإسلام غموض لران على القلوب والعقول من ذلك الغموض، سواد وظلام، ولكن الله تعالى أنزله نوراً وضياء، وبرهاناً تطمئن به القلوب: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً**﴾[1] ﴿**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَات بَيِّنَات لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾[2].

وإنّ سنّة التقريب لسنّة الإسلام: قصاراه أن يشرح ويوضح، ويضيء الطريق للسالكين، ويزيل الحجب عن أعين الناظرين، ويحمي العقول من جمود المتعصبين، ويدعو إلى الانصاف في الحكم، والتثبت قبل ابداء الرأي، والتشاور بين أهل العلم، والاجتماع على موائد المعرفة، وتذوق ألوانها حيثما تيسرت.

وإذن فمنتدى النشر من روح التقريب، لأنّه من روح الإسلام، وكلية الفقه من

(١) النساء: ١٧٤.

(٢) الحديد: ٩.

سبل التقريب، لأنّها موطن واع من مواطن دراسة نظام الإسلام للحياة، ولقد كنّا هنا نطور دراسة الفقه في كليّة الشريعة في جامعة الأزهر، وكان الفقيد يطور دراسة الفقه في كليّة الفقه بالنجف، فالتقينا -بتوفيق من الله- على هذا الأمل الموحد، وخطونا إليه أهم الخطوات، وما زال علينا جميعاً أن نخطو خطوات أخرى مباركات بإذن الله، وإنّا على الطريق لسائرون.

ولقد أدرك الفقيد العظيم ما أدركنا، من أنّ أعداء الإسلام والمسلمين، ينظرون إلى قوّتين أصيلتين، يعملون على سلبهما من أصحابهما: القوة الطبيعيّة فيما للمسلمين من ثروات وكنوز وذخائر أرضيّة، والقوة المعنوية فيما لديهم من روح أصيل، مبعثه دين الفطرة والصفاء، والحنيفية البيضاء، التي ليلها كنهارها في الوضوح والجلاء، فلا التواء فيها ينكره العقل، ولا خفاء يستريب به الفكر، ولا قصور عن مواجهة الحياة بكلّ ما يصلح لها ويصلحها، فإذا وجدناهم يحرصون على استلاب كنوزنا الطبيعيّة، وذخائرنا الأرضيّة، ليغنوا بإفقارنا، ويترفهوا على حساب بؤسنا، فلنعلم أنّهم أيضاً حريصون على أن يشغلونا بخلافاتنا عن أصول ديننا، ووحدة أمتنا، وعلى أن يزلزلونا بذلك عن مثلنا، التي فيها حصانتنا، ومنابع قوتنا.

وآية ذلك، أنّنا نراهم يدعون فيما بينهم إلى التقارب، وهم المختلفون في الدين، المتفرقون في الأصول، بينما يعملون على إثارة الأحقاد بيننا، وإحياء النعرات والعصبيات بين طوائفنا، التي تتفق في الأصول اتفاقاً واضحاً، ولا تختلف إلّا في الفروع، اختلافاً طبيعيّاً هو سنّة الله في أصحاب العقول وأرباب التفكير.

ولقد سبقناهم بحمد الله فدعونا إلى التقريب بين المسلمين منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً، ولم يكن أحد من أهل الغرب يفكر في مثله بين طوائفهم، فضلاً عن أن يعمل له، وها هم أولاء يدركون الآن أنّ التقارب والتكتل هو سرّ النجاح والتقدم،

فنراهم يدعون إلى المؤتمرات، ويحاولون التوحد بالقرارات، والنداءات، والاتفاقات، وما نحسبهم بالذين يلاقون من النجاح، ما لاقيناه نحن الذين دعونا إلى التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، ذلك بأننا ندعو إلى شيء واقعي في ديننا، يدعو إليه كتاب ربّنا، وينادي به رسولنا، وتتوحد عليه عقيدتنا، وأصول ملّتنا، أمّا هم فالخلاف بينهم أصلي جوهري لا يمكن حسمه، ولا درء آثاره، وشتّان بين الطبع والتطبع، والجمال والتجمل !

على مبدأ التقريب، ودعوة الوحدة، تلاقت قلوبنا وأفكارنا، وبهذا الإيمان والثبات، جاهدنا وجاهد معنا فقيدنا المظفر طيّب الله ثراه، وجعل الجنّة مثواه، وأحسن جزاءه مع الصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، اللهمّ لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، وأغفر لنا وله إنّك أنت الغفور الرحيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دار التقريب

بين المذاهب الإسلاميّة بالقاهرة

الشيخ المظفر ومنتدى النشر

بقلم السيّد هادي فياض
نائب رئيس منتدى النشر

لم تكن فكرة منتدى النشر في تأسيسه لتوجيه النشء الديني وتطوير دراساته وليدة ابتكاره الخاص وتلمسه حاجة النجف إلى ذلك، كلاّ بل كانت هناك عدّة محاولات من هذا النوع سبقته في تلمس هذه الحاجة والعمل عليها، فمنتدى النشر في الواقع وفي محاولته هذه لم يكن إلّا امتداداً لتلك المحاولات النجفيّة المتمثلة في شخصية بعض أعلامها الخالدين.

وكانت أولى تلك المحاولات ما قامت به جماعة من قادة النجف وزعمائها الروحانيّين، منهم الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمّد جواد الجواهري والسيّد محمّد علي بحر العلوم والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي حين دعوا لتأسيس كليّة دينيّة منظمة وعملوا على قيامها بعد استئناسهم برأي الشيخ محمّد رضا الشبيبي، كان يومها وزيراً للمعارف ورفعت مذكرة في هذا الشأن إلى وزارة المعارف وأخذت طريقها وتخطت الحواجز، ولكن لم تمض إلّا مدّة قصيرة حتّى انهالت على الوزير الرسل والرسائل بسحب المذكرة والله أعلم بما دار يومئذ بالنجف من معوقات للفكرة...

ومرّة أخرى في سنة ١٣٥١هـ بلغت المحاولات لتأسيس كليّة القمّة في المسعى وكان من دعاتها والعاملين عليها الشيخ محمد حسين المظفر والسيّد محمّد علي بحر العلوم والشيخ محمّد جواد الحجامي، وتوالت الاجتماعات بمستوى عالٍ ونظم لها محضر فوقع عليه جماعة كبيرة من العلماء والأعيان كان منهم الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء والشيخ هادي كاشف الغطاء والشيخ محمّد جواد الجواهري والشيخ عبد الكريم

الجزائري والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي والسيّد محمّد علي بحر العلوم والشيخ ميرزا مهدي الآخوند والشيخ محمّد حسين الأصفهاني والشيخ محمّد رضا آل ياسين وجماعة أخرى من أضرابهم، وكان فقيدنا العظيم هو المحرر للمقررات، وبعد عرض المشروع على المغفور له السيّد أبي الحسن الأصفهاني وموافقته عليه بعد ذلك بأيام قليلة، ثارت زوبعة عاتية من أوساط النجف قادها أولئك الذين اعتادوا أن يقفوا بوجه كلّ حركة إصلاحيّة، وبذلك أسدل الستار مرّة ثانية على حركة إصلاحيّة ثانية كانت أملاً لأبناء هذا البلد، وبعد سنتين وعلى أعقاب فشل تلك الحركة رفع الستار مرّة ثالثة عن محاولة ثالثة اشترك بالتفكير بها جماعة كان منهم شيخنا المظفر والشيخ عبدالله السبيتي برعاية المغفور له الشيخ محمّد جواد البلاغي الذي كان يرى ضرورة الاصلاح إلّا أنّه يفضل أن يكون من طريق التأليف والنشر، بينما يرى الآخرون ممّن التفوا حوله أن يكون عن طريق تطوير الدراسة وتعزيزها بالمفاهيم الحديثة ممّا جعل الحركة تموت قبل أن تنشر في أجواء النجف وبذلك تلاشت الآمال بامكان نجاح حركة من هذا القبيل، ومع ذلك فلم تطل الأيام التي مرّت على الحركة الأخيرة الفاشلة حين كان فقيدنا الخالد على رأس جماعة من الشباب المؤمن الذين لم يثنهم فشل الحركات الاصلاحيّة السابقة من أن يواصلوا اجتماعاتهم بتشكيل جمعية يعترف قانوناً بوجودها وبحقّها في العمل في حدود اختصاصها، فكان منتدى النشر في سنة ١٣٥٤هـ وكانت المادة الأولى في نظامه الأساسي كما يلي: (مقاصد المنتدى تعميم الثقافة الإسلاميّة والعلميّة بواسطة النشر والتأليف وغير ذلك من الطرق المشروعة)، وكان القصد من الاجمال في التعبير عن مقاصده الأساسيّة هو تجنب إثارة العواطف التي كان يثيرها كلّ جديد مهما كان سليماً ونافعاً، وكانت البادرة الأولى من أعمال المنتدى طبعه ونشر كتاب حقائق التأويل في متشابه التنزيل للسيّد الشريف الرضي، وكانت الثانية فتح صف الدراسة المنظمة بمستوى عال

ولم يثن عزم شيخنا المظفر اعتزال قسم كبير من مؤسسي الجمعيّة في السنة الرابعة من قيامها حينما بدا لهم ضرورة الاقتصار على التأليف والنشر فقط، بينما يرى القسم الآخر وعلى رأسهم المظفر أنّ التأليف والنشر من الأعمال الثانوية بالنسبة إلى تطوير الدراسة وتنهيجها وتهيئة شباب له المقومات العلميّة الكافية لصدّ موجة اللادينيّة التي انتشرت وقت ذاك وساعد على انتشارها الاستعمار للقضاء على سلطان الدين.

وواصل المنتدى أعماله ففتح مدرسة دينيّة منظمة ضمت قسماً ابتدائياً بارك له المغفور له السيّد أبو الحسن الأصفهاني وصرف عليها، ثمّ فتح كليّة باسم كليّة منتدى النشر استمرت ستّ سنوات وتخرّج فيها عدد من الشباب المؤمن المثقف، إلّا أنّ التدريسات فيها قد توقفت بسبب حركة اثيرت ضدّ المنتدى في سنة ١٣٦٤هـ عندما حاول فتح كليّة أخرى لخطباء المنبر الحسيني لتيسر لهم دراسة المواد العلميّة والأدبيّة بالإضافة إلى مادّة التاريخ التي كان يعتمدها أكثر الخطباء، وكادت هذه الزوبعة أن تؤدي بحياة المنتدى لولا قوة الاستمرار الكامنة في شخصية الشيخ المظفر المستمدة من إيمانه بالفكرة، واستمر هو وجماعته فكانت بعد ذلك مدرسة منتدى النشر الابتدائيّة الأهلية، وكانت متوسطة منتدى النشر وكانت ثانوية منتدى النشر التي طعّم منهاجها في هذا العام بمبادئ الفقه وأصول الفقه والمنطق والعقائد بالإضافة إلى مواد الفرع الأدبي، وكانت أخيراً وليس بآخر كليّة الفقه التي قدمت نتاجاً عرف المجتمع بنفسه وعرف كليته إلى المجتمع، فكان من خرّيجيها من مثل المرجع الديني في بعض المدن العراقيّة، وكان منهم المدرس الذي أشاع في وسط طلابه مفاهيم الإسلام ممّا جعلهم يتسابقون إلى تفهم تلك المفاهيم، وكان منهم من ضمته جامعة بغداد في قسم الماجستير لعلوم الشريعة الذي فتح هذا العام كما فتح غيره من أقسام الماجستير الأخرى بفضل جهود قيادتها الرشيدة، وسيضاف في المستقبل القريب إلى كلّ هذه الأعمال مشروع جديد هو

جامعة منتدى النشر الأهليّة، كلّ ذلك من مآثر شيخنا المظفر الذي برهن عمليّاً أنّ لا مانع جمع بين أن يكون مرجعاً دينيّاً معترفاً له بالقدسيّة ويبن أن يكون رئيس جمعيّة وعميد كليّة وعضو المجمع العلمي العراقي من دون أن تترك الصفة الأخيرة أي لمز في مقامه الديني ومن دون أن تصرفه الصفة الأولى عن متابعة خدماته الإصلاحيّة العامّة، ولا أدلّ على ذلك ممّا حدث في العراق حين اهتز لنبأ وفاته من أقصاه إلى أقصاه، وحين أعلنت النجف حدادها الذي لا تعلنه عادة إلّا لوفاة المرجع الديني الاعلى فسلام عليك أبا محمّد فقد مضيت نقي السيرة طاهر السريرة مؤتمناً على الدين ومجاهداً في سبيله، وعزّ عليّ أن يعقد هذا الحفل لتأبينك ولكنّه أمره تعالى الذي لا يسلم منه الا ذو الرسالات الخالدة، فسلام عليك وعلى هذه الوجوه الكريمة التي جاءت لتعظم في تأبينك شعائر الله التي هي من تقوى القلوب.

هادي فيّاض

جسر المظفر

جعفر الخليلي

من الحقّ أنّ نؤمن بأنّ من المصائب ما يشلّ حركة الفكر ويعقد اللسان، وقد والله حدث لي ما يشبه هذا ساعة نعى إليّ الناعي فقدينا العظيم، ولهذا السبب اعتذرت حين طلب إليّ أن ألقي كلمة بهذه المناسبة، ولكن قيل لي لأن أقف وأنا متلجج غير عارف بمواضع الكلم خير من احجامي وقيل: أنت أعرف بما ينبغي قوله في هذا الحفل بالنظر لصلتي القريبة بالفقيد فامتثلت.

يشدني أيّها السادة إلى الفقيد الراحل سببان:

(السبب الأوّل) شخصي خاص يعود إلى صداقة تمتد جذورها إلى أيام الصبا، فرحنا نقطع مراحل هذاالعمر حتّى ذرفنا إلى الشيخوخة أو كدنا، ونحن وإن كنّا مختلفين في الطريقة والمسلك، فقد كنّا متفقين في كثير من الغايات والآراء، وشدد من أزرنا الأدب فرحنا نعمل معاً في كثير من الميادين، وقد حققنا شيئاً من غاياتنا وأخفقنا في أشياء كثيرة.

وحين أصدرت جريدتي «الهاتف» كان أكثر الأصدقاء حدباً عليها ورعاية لها واهتماماً بها، وإنّ صداقة كمثل هذه لتترك أعمق الآثار في نفس الصديق.

ومع هذا فليس كلّ هذا ما كان لي مع الراحل المظفر أو ليس هذا كلّ ما يربطني بالفقيد الخالد... وإنّما كان هناك شيء أعظم من هذا بكثير... لقد كانت السيرة أيّها السادة... السيرة التي جعلت من هذا الرجل شخصاً فذّاً، كان كثير العلم واسع الصدر نقي السريرة طيب النفس... لم أجد صفة طلبها الإسلام للمؤمنين أن يكون المؤمن هشاً بشاً كما وجدتها في الشيخ المظفر... هذه السريرة هي التي حملت صديقنا العالم الشاعر

الكاتب الشيخ جلال الحنفي أن يقول عنها بأنّه كاد يجعل منه رجلاً شيعيّاً.

هذه أمور أيّها السادة لها كلّ التأثير على نفس صديق مثلي.

أمّا (السبب الثاني) فيعود إلى شيء عام... يعود إلى ملتقانا في معترك هذه الحياة ونحن عاملان للمصلحة، أو هو العامل للمصحلة كان سبباً عميقاً يتعلق بهذه الميزة، فأنا مواطن نجفي شأني شأن المواطنين النجفيين الذين يريدون الخير لهذا البلد ولسائر البلدان الأخرى، وقد وعيت أيّها السادة والنجف تنوح بطائفة كبيرة من طلاب العلم كانت تؤمها من بلاد الصين، من بلاد التيبت، ومن التركستان، ومن سواحل أفريقيّة الشرقيّة ومن جنوب آسيا... حتّى لقد قيل بأنّ معدل الطلاب لم يقل عن عشرة آلاف طالب، وحتّى لقد قيل بأنّ معدل المجتهدين أو المراهقين للاجتهاد لا يقل عن مائة مجتهد أو مراهق.

وحين دبّ الوعي أيّها السادة وأخذ منه كلّ قطر مأخذاً أو أخذ كلّ قطر ملكاته... تسرب هذا الوعي والتطور إلى النجف وتناول كثيراً من المناحي خاصّة الشعر، ففي سنة ١٩١٢ حين غرقت الباخرة «تيتانك» كان شيخ الأدباء محمّد رضا الشبيبي وكان الشاعر الشيخ علي الشرقي في مقدمة الشعراء الذين استطاعوا أن يصفوا هذه الأحاسيس لجمهرة من الرجال والنساء والأطفال وهم يصارعون الموت من تلك اللجج في المحيط الأطلنطي.

هذا الوعي قد تناول كثيراً من النواحي... أمّا طريقة التدريس وأمّا طريقة التفكير فمع كلّ أسف بقيت على حالها وجمودها.. وهنالك كما مرّ في ذكر الخطباء تحسس جمع من العلماء بالبعد الشاسع الحاصل بين هؤلاء الذين يلجون إلى الغاية من طريق ديني ضيق وبين الطفرات التي بدأ العالم يقفزها.. فحاولوا أن يقربوا بين هذه الجهات، وحاولوا أن يوجدوا الحلقة المفقودة ليؤلفوا بين القلوب وليعيدوا المارقين إلى حضرتهم، وكان

بين هؤلاء طبقة من العلماء أشار إليها الخطباء من قبل... وجاء دور القفيد الخالد فعمل لايجاد هذه الحلقة المفقودة لكي يخفف من غلواء جانب ويهيء إلى جانب آخر طريقاً واضحاً، وهنا بدأت المعركة بين الفقيد الراحل وبين ما وضع أمامه من عقبات.. وهنا لقي ما لم يعرفه إلّا الله تعالى، وفي هذا العمر المديد الذي قضاه نحو أربعين سنة وهو يجالد، وقد لقي ما لقي حتّى استطاع أن يتم هذه المؤسسة... المؤسسة التي قامت بدور الحلقة المفقودة على أكمل وجه.

وأنّي أيّها السادة أحب أن أكون من المتشبهين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فأنا كصديق الراحل المظفر لا أجد طريقاً إلا التأسي بقول الخنساء:

ولــولا كـثـرة الـبـاكـين حـولي عــلى أمــواتهــم لـقـتـلـت نفسي

وأنا كمواطن نجفي لا أستطيع التأسي إلّا من بقي بعده من هذه الزمرة الطاهرة التي رافقت الراحل ومشت في طريقه آملاً أن تمشي حتّى تتم رسالته، غفر الله للفقيد بمقدار ما أدى من خدمات للأدب والعلم والإنسانيّة وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

بغداد

جعفر الخليلي

طراز من العظمة

الشيخ محمّد الشريعة
رئيس جمعية علماء الإماميّة في باكستان

أيّها الجمع الحاشد اجتمعنا لنؤبن عظيماً متواضعاً وناهضاً هادئاً.

كان يتحمل الشدائد بابتسامة ويلاقي الصعوبة ببرودة، يمضي في رأيه ويرضي الجميع بدافع الزوابع ويشق طريقه غير متهيب كأنّه لم يشعر بشيء يزاحمه.

أعماله كانت تنبئ عن شخصيته لا هيكله اللحمي، كان مؤمناً بالدين الحنيف ولم يعتبره قنطرة للحياة المادية، فقيراً مع أهله وولده غنياً مع ضيوفه وزواره.

كثير حساده قليل خصماؤه أمين إذا أستشير لا يقتحم بنفسه في أمور لا تهمه، ولا يتراجع عمّا ابتدأ فيه لم يعمل شيئاً بدافع الظهور بل كان تلبية لوحي ضميره، إن أهدم دينك وقومك، فيجيب ويعلم.

أنا لم أرثه لأنّه ذهب ليحصد أعماله البارة، ذهب ليستريح من الأعباء التي أثقلت ظهره، ذهب لكي يبتعد عن التناقض الذي كان يقرأ في الكتب وبين ما يراه في أيدي الناس، ذهب ليمتزج بالحقيقة التي كان يتمناها، ذهب ودفع بروحه في أفق أعلى لينظر ويتبرج على ميادين الألعاب التي تجري في الأرض باسم السماء والحقيقة وكأنّي اسمع قهقهته المدويّة، ذهب ليلبي نداء ﴿**ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً**﴾.

ولكنّي أرثي أنفسنا حيث فقدناه، أرثي الجمعيّة التي فقدت زعيمها، أرثي الطلبة الذين فقدوا مرشدهم، أرثي العلم والأدب حيث فقدا أحد عشاقهما فرد خدمهما لأنفسهما لا ليستغلهما.

يا محمّد يا رشاد يا ضياء فقدتم من كان يكتنفكم بظله ويكلفكم بجهوده.

فقدتم من كان يتعب ليريحكم فقدتم من كان يتحمل عنكم متاعب الحياة، فقد تم منبعاً عذباً كنتم ترتوون منه، فقد تمّ شجرة نضرة كنتم طيورها وترقصون بين أغصانها، أولادي فقدتم شخصه لم تفقدوا اسمه، لم يترك لكم مالاً ولكنه ترك لكم ثروة من الفضيلة لا تفنى، ترك لكم الوفاء من الأخوان البررة الذين يمتون إليكم بصلة العلم والتقوى لا بصلة الدم واللحم، وتلك لا يتقرب إليها الفناء والثانية تخفيها كومة صغيرة من التراب.

يا أبا حميد... ما أعظم صبرك وأقوى جلدك ذهب فقيدنا وجدد أحزانك بالسابقين من أخوتك، أحدث خلاء لا يجبر وفراغاً لا يسد، فهل لك إلّا الصبر فصبراً صبراً أيهذا الجليل فاجمع فراخهم وأمدد عليهم ظلّك.

سادتي: الحياة الاجتماعيّة ليست كالعلوم الفلسفيّة والرياضيّة، يجلس الرجل في زاوية حجرته ويعمل فكره ويستخرج نتائج من المقدمات التي مهدها لنفسه، بل هي كالطب يجب على المعالج أن يفحص المريض ويعين داءه، فهل درستم سادتي الوضع الحاضر وما يهدد ديننا وقومنا من الأخطار؟ وهل عرفتم أعداءنا من الداخل والخارج؟ وهل جهزتم أنفسكم بالأساليب التي تكافحون هذه الأمراض الروحيّة لئلاّ تتسرب؟ ولكنّها تسربت وشملت جميع مناطقنا وجميع نفوسنا فهل اتخذتم علاجاً لهذه الأوبئة الاجتماعيّة العامّة؟

وأنا أكتفي بالتساؤل وأكتم رأيي لأنّي أخشى أن تضطربوا اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة أو ترموني بالتشاؤم واليأس، وفقدنا المظفر فقد أسس الجمعيّة لتحقيق هذه الفكرة بطريق النشر والتأليف والتعليم لا أنّ هذه الثلاثة كانت غاياته، فالرجاء من أخواني أن لا ينسوا الهدف المقدس ويقصروا همّهم على مقدمات غير موصلة ويفرضوها

نتائج فتبجحوا بها.

سادتي: التقيت بالفقيد من أعوام الصبا واكتسب كلّ منّا اعتماد الآخر، وأصبح كلّ واحد منّا يعلم أنّ صاحبه في ماذا يفكر، واشتركنا في الحياة الاجتماعيّة واظهرها المنتدى، وهذه جمل أنقلها من آخر كتاب وصل إليّ منه وأنا محتفظ به يقول: (أخي كم ذكرتك شوقاً وحنيناً وأنا في غمرة المرض الذي انتابني هذا العام حتّى بلغ بي سكرات الموت، وفي تلك الحالة لم أنسك بالخصوص وأنا الآن بعد أن تماثلت للشفاء أعود فتخطر على بالي فأحن وأحن) ولكنّي لا أقول أنا لم نختلف، فإنّي لم أكن أتحمل أناته وصبره وبطئه ولعلّه كان على حقّ فإنّ المريض المحتضر لا يعالج بالأدوية المؤثرة القويّة ولكنّه كم من فرص ثمينة فاتته أو ضيّعها.

سادتي وأخواني: المنتدى تراث المظفر تركه في أيديكم فأحسنوا العمل فيه، فإنّ جمعيتكم لا تهتم بشيء من نهب الأموال والانحراف والركون إلى من لا يحسن الركون إليه، فاحتفظوا بهذه السمعة الطيبة وذلك خير ثواب تهدونه لروح فقيدكم المقدس فيأنس به في قبره.

يا أبا محمّد: عشت نزيهاً شريفاً وذهبت عزيزاً فقيداً وخلفت آثاراً باقية صالحة تحيى بها هنا وهناك رحمك الله يا أبا محمّد.

محمّد الشريعة

لو بقي المظفر

الشيخ جلال الحنفي

من علماء بغداد

ما أعجب أمر الموت...!

فما شهدنا حقيقة أكثر منه ثبوتاً، ولا حقّاً أجلى منه وضوحاً، وما علمنا وعداً أصدق من وعده، ولا محنة أشدّ من المحنة فيه، ولا صبراً أشقّ من الصبر عليه.

فلقد صنع هذا الموت بالناس ما صنع، فلله ما جمعت الأرض من قتلاه، وما لمت من ضحاياه... ولله ما ذرفت له العيون من دمع وما احتملت به النفوس من هم، وما حصرت من جرّائه الصدور، وانشقت بسببه المرائر.. ولله ما نسقت الحياة فبدد، وما وصلت فقطع.

إنّ من دأب الناس أن تتوخى الحقيقة وتتحراها وتركض وراءها، ولكن الحقيقة التي يتقمصها الموت أبعد شيء عن هذا المعنى وأبغض شيء إلى كلّ نفس من نفوس أهل هذه الدنيا... فأيّة حقيقة هذه الحقيقة التي كان اللاشيء خيراً من شيئها وكان اليأس منها أجلب للراحة من الرجاء فيها..؟

ولقد رأينا الحقّ لا يطيب الناس عن شيء منه نفساً، ولم يكن الموت شيئاً من هذا الضرب، فأيّ حقّ هذا الحقّ الذي كان الباطل أهون خطباً من خطبه وأيسر شرّاً من شرّه؟

ولقد كان البرّ في الوعود محمدة من محامد من وعد، وكان الوفاء بالعقود مأثرة من مآثر من عقد إلّا الموت.

فإنّ الخصيصة التي امتاز بها في صدق الوعد جرت على أهل الأرض الجرائر الثقال.

ويصدق وعدها والصدق شر إذا ألقاك في الكرب العظام

فأي وعد هذا الوعد الذي كان الكذب فيه لو كذب أب من صدقه في وعده وبرّه بيمينه.

أقول هذا ولست ناحياً فيه إلى هجو الموت، فما كان لي هجوه وأنا أحد طردائه وبعض حاجاته وأغراضه.

ولكن القلب ليعجز، والعين لتدمع، والذكريات تستنبض أوتار النفوس فتستصرخ آهاتها وأنينها، وتبعث فيها الشجا بعد الشجا والأسى أثر الأسى.

وليس ثمّة من شيء يعدل النفس البشرية ضعفاً يوم تطول عليها الهموم وتصول الكرب، وكان أقسى كرب عليها كرب الموت، يصيب العزيز من أفرادها والجليل من رجالها... ولقد كان لفقد الشيخ الألمعي الفذ فقيد الإسلام والنبل والمروءة والجهاد في سبيل الله أبي محمّد المظفر أثر عميق في النفس دونه آلامه التي تشج الدماغ.

لم أر أحداً من أصحابنا لقيه إلّا كان عظيم الاعجاب به، والتلهف إلى مجالسته ومصاحبته.

ولقد كان أكيس من لقيت من رجال الدين، فما علمت في قومنا من لم يتعب شفتيه بالكلام فيما جد وفيما لم يجد، إلّا أبا محمّد رحمه الله فإنّه كان على عظم رفقه ولطف دعابته كثير الأناة والوقار والحذق والكياسة بما لا تصنع فيه ولا تخلق، ولكنّها سجيّة في نفسه عريقة غير محدثة، وخلة فيه أصيلة غير ملفقة.

ولئن كان أتعب شفتيه في شيء فلقد أتعبهما بتلك البشاشة التي كانت في الجاهلية أجمل ضروب القرى، وكانت في الإسلام من علامات الإيمان وطهارة القلوب.

وما أحسب بشاشة الشيخ المبرور فارقت شفتيه وهو مسجى في جدثه الكريم، ولا أخال الملكين يوم زاراه في قبره فألقيا ابتسامته التقليديّة ما تزال طافحة على شفتيه إعراباً

عن الرضا بأقدار الله في خلقه على أي حال شاءته مشيئة الله الحكيمة في هذا الملكوت العريض إلّا هشّاً له أطيب هشاشة وبادلاه ابتسامة بابتسامة.

كانت تردني من الشيخ المظفر رسائل تفيض بصدق التوجيه وحسن النصيحة وكان ذلك دأبه وخلقه، فما وصلتني منه رسالة ولم استمع من بين سطورها بالرأي الرشيد والموعظة الحسنة... وأنا امرؤ أنكر من نفسي قلّة الأصاخة إلى نصيحة الناصحين إلّا من وثقت بهم واطمأننت إلى رأيهم وأنست فيهم الفضل والرشد والمروءة.

وكانت المقادير قد ساقتني يوماً ما إلى الكويت فطفقت أدون ألفاظ الناس في هاتيك الديار، وعراني يومئذ من العناء الشيء الكثير، وكنت كتبت إليه رسالة أنبئه فيها بأنّي متسكع هناك على نحو ما كان يتسكع الأصمعي رحمه الله في البوادي يكتب ألفاظ الأعراب... وحدثته بعظم بلواي في ما أدركني من حرفة الأدب، وبعد أيّام يسيرة جاءتني رسالة منه حناناً ورفقاً، فوالله لقد كنت أقرؤها كلّ صباح ومساء لاستمد منها خير دروس الصبر والجلد والرضا بقضاء الله.

لقد كانت في خاطر هذا الرجل العظيم أمور وأمور غير أنّ الأجل كان القوة الوحيدة التي انفردت دون سواها من القوى في الحد من طاقته العظيمة واندفاعه البليغ، نحو تحقيق ما كان يتلجلج في صدره من مطالب وغايات كريمة بناءة، لقد كان الموت وحده هو السد المنيع الذي لم يستطع شيخنا الراحل أن يرقاه ليصنع المعجزات.

ففي مدينة كمدينتكم المجيدة لم يكن من حقّ الشباب أن يتربعوا على تركة الشيوخ الطاعنين في السن والموغلين في العلم، ولكن الأستاذ الشيخ المظفر استطاع أن يلفت إلى شخصيته انظار القوم من كلّ جانب، وينال اعجاب المشيخة من أهل الفقه جميعاً، وهو ما يزال في غلالة شبابه، وكان هذا أمراً من فلتات ما وقع في النجف... ولو بقي الشيخ حيّاً إلى أمد لآلت إليه فيما بعد – على ما يطيب لي أن أتخيل – إمامة المسلمين من

كلّ فج عميق.

ولئن قيل أن «عرفة» كلّها موقف واحد فإنّه ليصح أن يقال أن النجف كلّه كليّة واحدة فإنّ على كلّ شبر من أرضه مدرسة، وفي كلّ ركن من أركانه جامعة.

غير أنّ الشيخ المظفر رحمه الله شاء أن يأخذ هذا الأمر بعقليّة العصر، فصنع في هذا الوجه صنيعاً صفقت له أجنحة الملائكة طرباً واستبشاراً يوم أقام في النجف دعائم كليّة الفقه، وكان مثل ذلك ظاهر العصوبة لو انبرى إليه أحد غير العلاّمة المظفر، فلقد كانت الناس مطمئنة إلى أنّ العلم غزير في النجف ولم يكن الشيخ يخالفهم في شيء من هذا المعنى، ولقد وفقه الله لما طمح في تحقيقه فحققه له.

كان الشيخ رحمه الله أوّل عالم من علماء المناطقة طاب لي أن أحبه حبّاً جمّاً، وأن أجد نفسي طيعة مرتاحة إلى حدوده وأقيسته، يوم كان يأخذ بي إلى المنطق بشيء من الهوادة والرفق، يحسب ذلك ممّا يستدرجني إلى هذا العلم العجيب فيجيبه إلى نفسي، وكان هذا أمراً لم يقدر لي أن أطيعه فيه، فلست حتّى يومي هذا أفقه مسألة واحدة من مسائل المناطقة ممّا يتصل بمقدمة ونتيجة، أو يتعلق بكلّ وجزء، أو يميز بين ما جمع وما منع، أو يفصل بين حد ورسم، إلى غير هذه المصطلحات التي كنت استمرئها ما تحدث بها أبو محمّد رحمه الله ولا استمرئها ما تحدث بها غيره، فإنّ ذلك ممّا شقّ عليّ بين علوم الجادة.

وأنا أريد أن أخلص من هذا إلى الإشارة إلى المعيّة الشيخ المظفر وقوة أثره في نفسي وفرط استحقاقه لكلّ ما آثرته من ود واخلاص ووفاء.

بغداد

جلال الحنفي

مكان المظفر من النهضة

الدكتور عبد العزيز الدوري
رئيس الجامعة العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرة طَيِّبَة أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِين بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

أيّها الحفل الكريم...

يعزّ عليّ أن أقف مؤبناً عميداً لكليّة الفقه وزميلاً عاملاً موجهاً في المجمع العلمي العراقي وعلماً من الأعلام، ولئن انطفأ المصباح فإنّ نوره باق في آثاره باق في تلاميذه وصحبه، لقد تكونت قيم هذه الأمّة ورسخت مثلها وأخلاقها بتوجيه العلماء والفقهاء، وتحددت نظرتها للحياة من خلال دراساتهم وجهادهم فطبعت حضارتنا بطابع من جهودهم وبحوثهم، وحري بنا في هذه الفترة الحافلة من مجتمعنا أن نعني ببث فضائل الخلق، وبترسيخ المثل الإسلاميّة وسط هذه التيارات المضطربة.

لقد جاهد الفقيد في العلم وجاهد في وضع دعائم متينة في كليّة الفقه وفي المدارس الأخرى وفيما ألّف وكتب وحاضر في سبيل الله وفي سبيل العلم وفي سبيل الإنسانيّة.

إنّ النجف التي شاركت العواصم العلميّة منذ ألف عام وحررت بيد فقهائها موسوعات كبرى وخرجت بمدارسها وبمناهجها أعلاماً في الأدب والدين لجدير بكليتها الناشئة القويّة أن تخطو خطوات جديدة في التأليف والتحقيق وأن يبرز طلابها في الدراسات الإسلاميّة، ولكليّة الفقه صلات بجامعة بغداد نثمنها ونعتز بها وسنعمل على تدعيمها ما وسعنا ذلك اعتزازاً بالجهاد في العلم ومشاركة في سبيل العلم.

(١) ابراهيم: ٢٤-٢٥.

لقد كان فقيدنا الغالي مثال العالم العامل استطاع بدأبه ونشاطه ودماثة خلقه أن يكون مع الطليعة العاملة من علماء هذا البلد الأمين في النهضة العلميّة وفي تطوير مناهج الدراسة الدينيّة الكثير في ذلك.

فجزاه الله عن الإسلام خيراً وأسكنه فسيح جنّاته.

الدكتور عبد العزيز الدوري
رئيس جامعة بغداد
ورئيس جمعيّة الكتّاب والمؤلفين العراقيين

ذكريات شخصية عن الشيخ المظفر

الأستاذ الدكتور أحمد حسن الرحيم

مركز البحوث التربويّة والنفسيّة – جامعة بغداد

– محاضر في كليّة الفقه سابقاً –

كان العلاّمة المغفور له الشيخ محمّد رضا المظفر شخصيّة ودّية متألقة تنال الاحترام والاعجاب والتقدير بدماثة الخلق وبشاشة الطلعة وسداد الرأي وألمعية الفكر وسعة الاطلاع والدقّة في الفقه والفلسفة واللغة والأدب وغيرها.

ذكرت بعض المصادر الحديثة أنّه من قبيلة حجازيّة الأصل هي قبيلة مسروح من حرب، وكانت أسرته تسكن البصرة ثمّ سكنت النجف رغبة في مجاورة الإمام علي عليه السلام وحبّاً في طلب العلوم الإسلاميّة لا سيّما الفقه والتاريخ والفلسفة وغيرها.

وكان الشيخ المظفر محبّاً للتراث العربي الإسلامي مخلصاً في خدمته وإحيائه والاعتزاز به، أسس جمعية منتدى النشر الدينيّة في النجف سنة ١٣٥٣هـ الموافقة لسنة ١٩٣٥ م وكان عميدها الأوّل، من أنشطتها المحاضرات الدينيّة والاجتماعيّة والأدبيّة، كما أنّها طبعت بعض الكتب بأقلام أعضائها الفضلاء.

إنّ حبّ التراث العربي الإسلامي لم يقيّد اهتمام الشيخ المظفر ولم يثنه عن الاتصال بالعلوم الحديثة التي امتازت باستعمال الأسلوب العلمي في البحث كفن له اتصال ثقافي وثيق وعميق بالعلوم الطبيعية والبحوث الفلسفية الحديثة والتاريخيّة والاجتماعيّة وكان من مصادرها لديه بعض المجلات العلميّة الرصينة منها مجلة «المقتطف» المعروفة بعلميتها ومستواها الرفيع، وكان من الواضح والصريح أنّ جليس الشيخ المظفر بعد

سماع حديث قصير منه يشعر أنّه بجالس عالماً واسع الاطلاع جمع بين الثقافتين القديمة والحديثة، واختار أفضل ما فيهما، فليس في تفكيره تعصب لقديم على حديث أو تمسك بحديث ضدّ قديم، كما أنّ كلامه بعيد عن التعصب في الفقه أو الفلسفة أو النظم الاجتماعية ولكنه يتحدث بحياد العلماء وأصحاب النظرة المصيبة الواسعة المحلقة، وهذه النظرة الثاقبة والحيادية في البحث والرأي وحبّ وصل القديم بالحديث، واستعمال العلم الحديث لتنقية بعض المصادر التراثية وتخليصها ممّا دخل إليها من المزيدات والاضافات والأوهام والآراء اللاعلميّة، حثت الشيخ المظفر وأخوانه في منتدى النشر على الاتصال بالعلوم الحديثة على اختلافها، ووسيلتهم في ذلك فتح مدارس ابتدائيّة وثانويّة تدرس فيها العلوم الإسلامية والعلوم الحديثة بنظرة علميّة سليمة بعيدة عن الغلو والعنجهيّة والشطط في الفكر أو العمل، كما أن هذه أصبحت بتساهلها في القبول عدا الشروط الأساسيّة في قبول التلاميذ والطلبة جهة واسعة سليمة لطلبة المدارس الابتدائيّة والثانويّة.

أ – لقد لمس الشيخ المظفر وأخوان له أيّدوه في الرأي والعمل أنّ من الضروري فتح مدرسة أخرى على مستوى الدراسة الجامعيّة، فكثير من الطلبة في النجف وغيرها يطلبون الدراسة الجامعيّة ولكنهم عاجزون عن تحصيلها لأسباب مختلفة منها العجز المالي وعدم الاستطاعة على السفر لدخول الكليّات في بغداد.

ولعلّ هذا أهم سبب لتأسيس كليّة الفقه في النجف الأشرف التي أجيزت سنة ١٩٥٧ م بطلب من الشيخ المظفر ومن معه من أخوانه كالعلاّمة السيّد هادي فيّاض رحمه الله، وكان سنداً للمظفر ومنفذاً دؤوباً لآرائه وتوصياته، وقد تولى عمادة الكليّة بعد وفاة الشيخ المظفر بإدارة حازمة حصيفة وكان نائبه في العمادة رحمهما الله.

وقد علمت من الشيخ المظفر رحمه الله في بيان العوامل المسببة لتأسيس «كليّة الفقه»

وهي عوامل أساسية ومنطقيّة لمسها المظفر في دراسته في النجف منذ شبابه، قال أنّ الكتب المنهجيّة الدراسيّة في مدارس النجف الدينيّة كتبت بأقلام علماء أجلاء على مستوى أنداد لهم أو شبه أنداد في المستوى العلمي، كما أنّها كتبت بأسلوب عصرها من حيث التركيز والتكثيف في التعبير وقلّة الأمثلة وتصور المواقف التخيلية في المسائل الشرعيّة وغيرها ممّا يسبب تعقيداً في فهمها واختلاف وجهات النظر في تفسيرها وصعوبة الالمام بها إلّا على قلّة نادرة من الطلبة ممّن يسهرون الليالي لفهمها وينشغلون عن أعمالهم لادراك أمورها.

ب – وفي بعض الكتب المتبعة في المناهج الدراسيّة القديمة كثير من المادة الدراسية المسهبة لا يحتاج إليها الطالب ولا تمس الضرورة الدراسية إليها في هذ العصر الذي يلزم أن يتوجه فيه الطالب إلى المادة الأساسيّة لا إلى كتابات أو موضوعات استطراديّة تعسر الفهم ولا تيسره.

ج – افتقار بعض الكتب المنهجيّة المتداولة إلى المادّة العلميّة الصحيحة وإلى استعمال الأسلوب العلمي في البحث والتمحيص والاستغناء عن المعلومات التي لا يقرها العلم الحديث، وقد صار بعض رجال الدين أو المحسوبين على رجال الدين واسطة لنقل تلك المعلومات الخاطئة إلى الناس.

إنّ بعضاً من ذوي الثقافة الدينيّة ممّن يتصلون بالمجتمع ومنهم بعض خطباء المنابر الحسينيّة يذكرون على المنابر الشريفة معلومات خاطئة هي في ظنهم ممّا ورد في القرآن الكريم، من ذلك أن ينكروا أن يكون المطر من البخار المتصاعد من البحار والأنهار والمحيطات ويردون هذا القول الصحيح بقوله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّات وَحَبَّ الحَصِيدِ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّات وَحَبَّ**

الحَصِيدِ﴾[١] ويقولون أنّ الآية الكريمة تعزو نزول ماء المطر إلى قدرة الله من السماء لا إلى البخار، كما ينكرون أن يكون الكسوف والخسوف من حركة الارض والقمر لأنّ الأرض في نظرهم ثابتة ولو كانت دوارة في حركتها لأصاب الناس الدوار من حركتها ويؤيدون قولهم ببعض الآيات الكريمة منها قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً**﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿**وَأَلْقَى فِي الَارْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ**﴾[٣] ففي رأيهم وتفسيرهم أنّ هذه الآيات الكريمة تدلّ دلالة واضحة على ثبات الأرض واستقرارها وأنّ الشمس متحركة لقوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ**﴾[٤].

أمّا المحرمّات الهرائيّة التي حاربوا بها طلبة المدارس الحديثة وهم خصومهم الألدّاء، فمنها أن يطيل الرجل شعر رأسه، فقد زعموا أنّ الأنبياء سيتبرؤون يوم القيامة من الشاب أو الرجل الذي أطال شعر رأسه وسيبقى منبوذاً في ذلك اليوم العظيم، حيث يلجأ كلّ فرد إلى نبيّه للشفاعة والغفران، أمّا ذوو الشعر الطويل في هذه الدنيا فليس لهم إلّا الضياع والأسف العميق، كأنّهم لم يشاهدوا البدو إلى اليوم يطيلون شعر رؤوسهم ويجعلون منها ضفائر صغيرة.

إنّ بعضاً من قرّاء المجالس الحسينيّة في الألوية سابقاً والمحافظات حالياً كانوا يفدون إلى النجف الأشرف ويحضرون بعض المجالس الحسينيّة الموقّرة فيحفظون بعض ما يذكر فيها من الأخبار غير المحصة أو القصص الخياليّة عن الأنبياء والأولياء ثمّ يعودون إلى مدنهم وقراهم لذكرها من على المنابر في يوم وصولهم قبل أن تنسى، ومنهم

(١) ق: ٩.
(٢) الرعد: ٣.
(٣) لقمان : ١٠.
(٤) يس: ٣٨.

من يعزو ما أصاب آل البيت من ظلم وجور إلى ما كتبه الله عليهم وقدره بقضائه وقدره فيرفعون بذلك المسؤولية الأخلاقيّة والدينيّة عن المجرمين الذين ظلموا آل البيت.

إنّ حملة هذه الآراء الخاطئة قلّة بين قرّاء المجالس الحسينيّة ولكن ضررهم بليغ حتّى لو كان في كلّ مدينة فرد واحد منهم، وأنا أعلم ولا أخفي تقديري لقرّاء المجالس الحسينيّة الذين يذكرون من على المنابر الأخبار الممحصة والتفاسير الصحيحة والنظريات العلميّة السليمة، وقد شرحوا أمور الدين وحوادث التاريخ شرحاً صحيحاً وفسروها تفسيراً سليماً فأدّوا جهداً ثقافياً واسعاً وصاروا من الأقباس المضيئة التي تبدد الجهل والظلام، والذين يدرسون العلوم الصحيّة والوقائيّة يعلمون بصورة خاصّة أنّ مريضاً واحداً إن وجد يلزم أن نحتاط له وأن نأخذ وقاية دقيقة لتطويق مرضه خشية الانتشار والعدوى، لمثل هذه الرواسب القديمة وغيرها في تفكير بعض الناس في المجتمع العراقي خصوصاً في تفكير أفراد يعدون من وسائل التثقيف والتنوير، أسّس الشيخ المظفر (رحمه الله) «كليّة الفقه» في النجف الأشرف فدخلها طلبة عراقيّون وعرب وأجانب من أقطار متعددة.

ولم يكن هذا السبب العظيم هو السبب الوحيد لتأسيس الكليّة، فقد أراد بتأسيسها أن تكون نبعاً ينهل منه طلبة العلم الحديث والدراسة الفقهيّة، ولكن ليس لهم من الموارد المالية ما يفي بمتطلبات ذلك، فلمّا أنشأ كليّة الفقه في النجف ذوو المقدرة التعليميّة وإن كانوا على مستوى ضئيل لا يفي من المقدرة الماليّة، وقد أشار إلى هذا الغنم العلمي والأدبي الذي يسّره المظفر أحد الشعراء الذين رثوا الشيخ الفقيد بقصيدة جاء فيها:

رثيتك للخلق الطيب رثيتك للأمل المذهب
رثيتك للعلم يسرته فنالته كف فتى مترب

ويزيد من قيمة جهود الشيخ المظفر في محاربة الجهل وانتشار الآراء الخاطئة

والتطبيقات المضرة أنّ جماعة غير قليلة ولا ضعيفة كانت تقاوم جهوده وجهود أعوانه الاصلاحيّة والعلميّة وتتهمه بالخروج على الشؤون الدينيّة وتقاليدها الصحيحة في رأيهم، ولكنّه احتمل ذلك وعده ثمناً أو بعض الثمن لهدف سام جدير بالتضحية، وقد استمرت جهوده ومساعيه في مشروعاته طيلة حياته التي انتهت مشرقة سنة ١٣٨٤هـ وكانت قد ابتدأت في النجف الأشرف سنة ١٣٢٢هـ.

جهود الشيخ المظفر العلميّة والتربويّة

لم تكن أفكار الشيخ المظفر رحمه الله أفكاراً على المستوى النظري، فقد قرن الفكر العلمي بالتطبيق التربوي وكانت له مقدرة لغوية وتعبيريّة لتوضيح الغامض وتيسير المعقد وانتقاء الأفضل والأيسر فألف بهذا الصدد بعض الكتب الثقافيّة الأساسيّة بلغة سليمة واضحة وانتقاء سديد يدلّ على الفهم والذوق والشمول، من ذلك كتابه المعنون ب«عقائد الإماميّة» الذي صدرت طبعته الثالثة سنة ١٩٧٣ م في القاهرة وقال عن مؤلفه الناشرون المصريون أنّه أحد أعلام الإماميّة ومجتهديها اللامعين المجددين، وهو مؤلف معروف صدرت له كتب منهجية قيّمة في شتّى حقول المعرفة الإسلاميّة[1].

وفي كتاب «عقائد الإماميّة» الذي ألّفه الشيخ المظفر ليكون صورة واضحة لما يعتقده «الشيعة الإماميّة» في أصول الإسلام وفروعه دلالة على تمكن الشيخ المظفر من الإحاطة الواسعة والدقّة الضروريّة في هذا الموضوع وقد ألفه وهو بين مجتهدي الشيعة الإماميّة وأعيان علمائها فلاقى قبولاً واستحساناً.

وفي هذا الكتاب الرائع دراسة تحليليّة عميقة للصحيفة السجاديّة لا أعلم أنّ أحداً من المختصين بالفلسفة الإسلاميّة أو التراث الديني الإسلامي قد سبقه إليها، فقد

(١) الشيخ المظفر، عقائد الإماميّة، المطبعة العالميّة، القاهرة ١٩٧٣ كلمة الناشر في الغلاف الثاني من الكتاب.

استنبط الشيخ أغراض الإمام السجاد عليه السلام التي أرادها من تحرير تلك الصحيفة فكانت ستة أغراض تعبديّة إيمانيّة هي:

١ – التعريف بالله تعالى وعظمته وقدرته.

٢ – بيان فضل الله تعالى على العبد الحر وعجز العبد عن أداء حقّه تعالى.

٣ – التعريف بالثواب والعقاب والجنّة والنار.

٤ – سوق من يدعو بهذه الأدعية إلى الترفع عن مساوئ الأفعال وخسائس الصفات لتنقية ضميره وتطهير قلبه.

٥ – الايحاء إلى من يدعو بها بلزوم الترفع وعدم التذلل لغير الله.

٦ – تعليم الناس وجوب مراعاة حقوق الآخرين ومعاونتهم والشفقة عليهم والرأفة بهم والايثار فيما بينهم[١].

وقد استشهد الشيخ المظفر لكلّ غرض من هذه الأغراض باقتباس مقنع أو اقتباسين ليبين صحّة الاستنتاج أو الاستنباط ويوثق القول المذكور.

وهذا الكتاب الموجز المقنع مقسم إلى أربعة وأربعين جزءاً تتناول عقائد الشيعة الإماميّة ابتداء من المبحث الأوّل وهو عقيدتنا في النظر والمعرفة إلى الجزء أو المبحث الرابع والأربعين وهو عقيدتنا في المعاد الجسماني، والكتاب على اختصاره احتوى على أساسيّات العقيدة الإسلاميّة بأسلوب واضح واقناع عميق.

كتاب المنطق:

قال في إهدائه: إلى أعزائنا الذين وهبنا لهم زهرة حياتنا، ومن ينتظرهم الغد قدوة صالحة، إلى الشباب المتحفز.

---

(١) المظفر، الشيخ محمّد رضا، عقائد الإماميّة، المطبعة العالميّة، القاهرة، ١٩٧٣ – ص٩٨ – ١٠٢.

وهذا الاهداء يدلّ على الاهتمام العميق بتربية الشباب من وجهة دينيّة ووطنيّة لخدمة أمتهم وبلدهم، وقد نبّه إلى أنّ وطنهم ينتظرهم في غده، وهو يريد منهم أن يصبحوا بثقافتهم العلميّة والدينيّة قدوة لغيرهم من الشباب.

وفي هذا الكتاب الدراسي القيّم ظهرت بعض مزايا الشيخ المظفر والرائعة في الفكر والمادة العلميّة، ولعلّ أبرز مزايا هذا الكتاب ما يأتي:

١ – اللغة والأسلوب: وهما على درجة واضحة من السلاسة والدقّة وجمال العبارة وخلوّها من الحشو والزيادات ولا سيّما في التعاريف.

٢ – وجود الأمثلة التي توضح المقصود وتقربه إلى الفهم.

٣ – وجوب التمرينات الضروريّة لاكتساب المهارة والخبرة وترسيخ المادة العلميّة.

٤ – أظهر هذا الكتاب الاطلاع الدقيق للشيخ المظفر على العلوم الطبيعيّة والرياضيّة، من ذلك التوضيحات التي ذكرها في موضوع «القسمة» في الكتاب «مثل قوله: إذا قسّمنا الماء بالتحليل الطبيعي إلى أوكسجين وهيدروجين وعرفنا أنّ غيره من الأجسام لا ينحل إلى هذين الجزأين، فقد حصل تمييز الماء تمييزاً عرضيّاً عن غيره بهذه الخاصيّة فيكون ذلك نوعاً من المعرفة للماء نطمئن إليها».

ومن أمثلته في الهندسة قوله في التصور والتصديق وهما في المنطق غير ما هما عليه في البلاغة، قال وقد طلب أن يُرْسَم مثلث ثمّ خطان متقاطعان أحدهما عمودي والآخر أفقي وقد حدث على جانبي الخط العمودي زاويتان قائمتان ثمّ قال رحمه الله: إذا أردت أن تقارن بين الزاويتين القائمتين ومجموع زوايا المثلث فتسأل نفسك هل هما متساويتان وتشكّ في تساويهما فتحدث عندك «صورة» لنسبة التساوي بينهما وهي من التصور المجرد، فإذا برهنت على تساويهما حصلت لك حالة جديدة مغايرة للحالات السابقة، وهي ادراكك لمطابقة النسبة للواقع التي تعقلتها وأدركتها هي التي تسمى بـ(التصديق)

لأنّها ادراك يستلزم تصديق النفس وإذعانها وهي تسمية للشيء باسم لازمه الذي لا ينفك عنه.

ثمّ يضيف﵀ قوله لإجمال الموضوع والالمام به بصورة شاملة: إذن ادراك زوايا المثلث وادراك الزاويتين القائمتين وادراك نسبة التساوي كلّها «تصورات مجردة» لا يتبعها حكم وتصديق، أمّا ادراك أنّ هذا التساوي صحيح واقع مطابق للحقيقة في نفس الأمر فهو «تصديق».

وفي جمل قليلة لخّص﵀ الفصل بكامله إذ قال: إذا لاحظت ما مضى ظهر لك أنّ التصور والادراك والعلم كلّها ألفاظ لمعنى واحد وهو حضور صورة الشيء عند العقل.

«والتصديق» أيضاً تصور ولكنه تصور يستتبع الحكم وقناعة النفس وتصديقها.

ومن استشهاداته العلميّة ما ذكره في الجزء الأوّل من كتابه القيّم «أصول الفقه» عند الكلام عن القبح والحسن في مناقشته رأي المعتزلة في الموضوع نفسه، قال عن الألوان: «إنّها تحصل من انعكاسات أطياف الصور على الأجسام، ففي الظلام حيث لا ضوء ليست هناك ألوان موجودة بالفعل، بل الموجود حقيقة أجسام فيها صفات حقيقيّة هي منشأ لانعكاس الأطياف عند وقوع الضوء عليها»[1].

وقد ظهر في كتاب المنطق للشيخ المظفر أنّه﵀ متتبع لما يصدر حديثاً في اختصاصه في المنطق وهو يقرأه قراءة تمحيص وتدقيق وتقييم، ظهر ذلك من هذا التمرين الذي يوضعه في كتابه «المنطق» وهو أحد تمرينات كثيرة احتوى عليها الكتاب قال: جاء في كتاب حديث للمنطق تعريف «الفصل» بأنّه «صفة أو مجموعة صفات كليّة بها تتميز أفراد حقيقة واحدة من أفراد غيرها من الحقائق المشتركة معها في جنس واحد، انقده

(١) المظفر، أصول الفقه، مطابع دار النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧١، ١ :٣٢١.

وأذكر وجوه الخلل فيه على ضوء ما درسته في تعريف «الفصل» وشروط التعريف.

وفي تمرين آخر نقد الشيخ رحمه الله أحد المؤلفين المعاصرين وكان هذا المؤلف قد اعترض على أرسطو في ما يسمى بالمنطق «بالمحمولات»[1]، فطلب الشيخ المظفر من طلابه أن يردوا الاعتراض منطقياً وأن يظهروا صواب ما قاله أرسطو.

والمقصود «بالمحمولات في كلام الشيخ ومفردها محمول» هو الخبر في المنطق Predicate أو ما يقال عن القضية Proposition في المنطق أيضاً لشرحها وتوضحيها.

وقد كتب رحمه الله كتابه أصول الفقه في ثلاثة أجزاء وضعه للطلبة المبتدئين في هذا الاختصاص وقد عبّر في أهدافه عن روح سامية وطنيّة ودينيّة وإنسانية، قال في مقدمته: «وضع هذا الكتاب لتبسيط أصول هذا الفن للمبتدئين ليعينهم على الدخول في بحره العميق عندما يبلغون درجة المراهقة (لعلّه يقصد التوسط في طلب علم الفقه) وهو الحلقة المفقودة بين كتاب «معالم الأصول» و«كفاية الأصول» ويجمع بين سهولة العبارة والاختصار وبين انتقاء الآراء الحديثة وسهولتها»[2].

والظاهر من كلام الشيخ رحمه الله أنّ «معالم الأصول» و«كفاية الأصول» كتابان في أصول الفقه يعاني طلبة المدارس الدينيّة من أسلوبها الكثيف ومادتها الواسعة، وقد وضع الشيخ المظفر هذا الكتاب الميسر تمهيداً وتوضيحاً لهذين الكتابين وهذا همل تربوي له قيمته السامية، وفي إهداء الكتاب عبر رحمه الله عن حبّه لشباب الوطن ورغبته في تثقيفهم وتيسير العلم لهم وهم الذين وهب لهم زهرة حياته، قال في الإهداء الكريم: «إلى أعزائنا الذين وهبنا لهم زهرة حياتنا ومن ينتظرهم الغد قدوة صالحة، إلى الشباب الديني المتحفز».

---

(١) أو Predicate بالانكليزية.

(٢) المظفر، أصول الفقه، مطابع دار النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧١، المقدمة.

ومن السمات المهذبة والخلال الحميدة، إنّ الشيخ المظفر يشعر بالاحترام والتقدير لأساتذتنا القدماء الذين عملوا واجتهدوا في سبيل الله وأخوانهم في العقيدة والإنسانيّة، فكان إذا ذكر أبا الحسن محمّد بن محمّد الطوسي الفيلسوف والرياضي العربي الكبير وصفه «بالعظيم»، قال مشيراً إلى مقدرته العلميّة في علم المنطق: «القسمة من المباحث التي عني بها المناطقة في العصر الحديث وظنّ أنّها من المباحث التي تفتق عنها الفكر الغربي غير أنّ فلاسفة الإسلام سبقوا إلى التنبيه عليها، وقد ذكرها الطوسي «العظيم» في منطق التجريد لتحصيل الحدود واكتسابها وأوضحها العلاّمة «الحلّي» في شرحه «الجوهر النضيد» والمقصود بالقسمة تفصيل الموضوعات إلى أنواع وأصناف ثمّ إظهار ما بينها من تمايز، وقال أيضاً عن أحد الفقهاء الكبار الذين درس كتبهم وصفه بأنّه الشيخ «العظيم» ولعلّه الشيخ المفيد، وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى أنّ بعض طلبتنا يدرسون علوماً في كتب غربية فيظنون أنّها غربية الأصل ولم يسبقهم إليها الشرقيون، وهي شرقية في أصلها واستشهد لذلك بما كتبه نصير الدين الطوسي مؤسس الهندسة التقليديّة عن «القسمة» في المنطق، فقد فصلها وذكر أنواعها كما تقدم.

ولعلّ من الأسباب التي دفعت بعض الغربيين إلى حثّ الشباب العربي على ألاّ يدرسوا تراثهم وأن يهجروه ويتنصلوا منه، هو أن يظنّ بعض الناس أنّ ما جاء به بعض الغربيين من آراء ونظريات هي غربيّة في أصلها وهي في دافع الأمر شرقيّة أقتبسها الغربيّون، فإذا جاءت إلى قرّاء التراث من العرب ميزوها وقالوا فيها قولة أخوة يوسف عليه السلام: ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾[1]، من ذلك النظرية المعروفة بنظرية فيثاغورس في الهندسة، فقد عثر قبل عدّة سنين في «تل الحرمل» قرب بغداد على حجر بابلي عليه تمرين هندسي قال عنه الرياضيّون العراقيون الذين شاهدوا الحجر أنّ هذا

(١) يوسف: ٦٥.

التمرين لا يمكن حلّه إلّا إذا اعتمد من يحلّه النظرية المعروفة بنظرية فيثاغورس في الهندسة وهي النظرية القائلة «إن مربع وتر المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع مربعي الضلعين القائمين».

وقد غربت هذه النظرية وشرقت باسم نظرية فيثاغورس وهي لرياضي بابلي وقد اقتبسها فيثاغورس من بابل عندما كان اليونان يجوبون العراق ومصر طلباً للعلم، وقد شاهدت نسخة من حجر هذ التمرين في وزارة التربية ببغداد وعلى زواياه الحروف بالأبجدية المسمارية كما قد ذكره وصوره الأستاذ الآثاري طه باقر في كتابه القيّم: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة[1]، وقد أصاب الشيخ المظفر في ملاحظته وانتباهه إلى ما سبق به علماء الشرق ولا سيّما علماء العرب بعض العلماء الغربيين في العلوم وإلى غفلة بعض العرب عن ذلك، وهذه صورة التمرين البابلي نقلاً عن الكتاب المذكور وهي صورة تقريبيّة لصعوبة تقليد الكتابة المسماريّة.

رحم الله الشيخ المظفر لقد ترك تراثاً سخيّاً وفكراً نيّراً وعملاً يعدّ بحق من الباقيات الصالحات فله أوفر الجزاء.

(١) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (الفصل السادس عشر: العلوم الرياضية والطبيعيّة، ١٩٥٥، ص٣٤٤).

الشيخ محمّد رضا المظفر مجدد التعليم الديني[1]

الدكتور إبراهيم العاتي
رئيس قسم الدراسات العليا
للجامعة العالمية للعلوم الاسلامية- لندن

لم يحظ جانب من جوانب المجتمع بالعناية والاهتمام من قبل المصلحين والمجددين المسلمين كما حظي موضوع التعليم، فقد أدرك هؤلاء المصلحون، بعد أن إطلعوا على ما وصلت إليه الحضارة الحديثة من تقدم وتطور يتسارع يوماً بعد يوم، إنّ السبب الرئيس في تخلف المسلمين يرجع إلى تأخرهم في ميدان العلم والمعرفة.

وحينما بدأت المدارس الحديثة تؤسس منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، شخّص فيها المصلحون عيباً خطيراً، وهو أنّ هذه المدارس تعتمد مناهج تربويّة غربيّة لا تتفق مع القيم الخلقيّة والروحيّة للأمّة.

وإذا انتقلنا من المدارس إلى الجامعات نجد أنّه نشأ منذ بداية النهضة الحديثة في العالم الإسلامي جيل من الخرّيجين الجامعيين المستغربين الذين يرون أنّ سبيل النهضة هو اتباع الغرب في مسيرته الحضارية خطوة بخطوة.

لكن السائل له الحقّ في أن يتساءل: ألم تكن هنالك مدارس أو جامعات في العالم الإسلامي يتعلم فيها أبناء المسلمين بدلاً من المدارس والجامعات التي تسير على النمط الغربي؟ نقول: بلى... كانت هناك مدارس وجامعات قصارى همّها تعليم الطالب علوم اللغة وحفظ القرآن ودراسة العلوم الإسلاميّة من فقه وحديث وتفسير وعقائد

(١) مستل من كتاب آفاق التجديد الإسلامي أعلام وتيارات، بقلم د. إبراهيم العاتي، إصدار دار الهادي، بيروت ط١، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣.

وأصول وغيرها ممّا يصبّ في إطار معرفة النصّ الديني والتفقه في أبعاده وأهدافه، لكن المصلحين شخّصوا مجموعة من السلبيات التي تكتنف مسيرة التعليم الديني، يمكن تركيزها في نقطتين أساسيتين:

الأولى: أنّ مؤسساتنا التعليميّة القديمة لا تعلم شيئاً من العلوم العصرية الحديثة الرياضيّة والطبيعيّة التجريبيّة، فينشأ الطالب مقصراً في جانب مهم من المعارف العلميّة الضرورية، ولا يكاد يعرف ما يدور حوله من تطورات علميّة وحضاريّة متلاحقة، فتكونت لهذا السبب الفجوة المعروفة بين التعليم الديني والتعليم المدني أو بين ثقافة العصر وثقافة الماضي.

الثانية: وهي تلك المتعلقة بالمناهج وطرق التعليم التي لم تعد متناسبة والتطور الذي حصل في ميدان المناهج وطرق ايصال المادة العلميّة، كذلك فإنّ نظام الحوزات والحلقات المتبع في الجامعات الإسلاميّة العريقة كان يفتقر إلى الضبط والقياس والتدرج العلمي الواضح قياساً إلى الأسلوب المتبع في المدارس والجامعات الحديثة، وبما أنّ المناهج هي الوسائل لايصال المعلومات وتحصيلها أو لاكتشاف معارف جديدة، وليست هي غايات في حد ذاتها، فقد رأى هؤلاء المصلحون ضرورة الاستفادة من المناهج الحديثة بما يخدم الأهداف المتوخاة للتعليم الديني والتعليم العام.

هذه الأفكار والمشكلات كانت حاضرة في ذهن العلاّمة المجتهد الشيخ محمّد رضا المظفر مجدد التعليم الديني في جامعة النجف، وهو يباشر مشروعه الاصلاحي.

في بيوت العلم

إذا كان للبيئة والنشأة الأولى من أثر في حياة الإنسان وتكوينه الذهني والروحاني، فإنّ هذا الأثر أوضح ما يكون في حياة الشيخ محمّد رضا بن الشيخ محمّد بن عبدالله

المظفر الذي ولد في النجف الأشرف عام ١٣٢٢هـ الموافق١٩٠٣ [١]، فقد نشأ في أحضان أسرة علميّة ورثت العلم كابراً عن كابر، فأبوه الشيخ محمّد كان عالماً مجتهداً، وأخوه الأكبر الشيخ عبد النبي كان عالماً فاضلاً وإماماً للجماعة، وأخوه وأستاذه الشيخ محمّد حسن كان عالماً مجتهداً ومن مراجع التقليد المبرزين، وقد خلّف عدداً من المؤلفات القيّمة أشهرها كتاب «دلائل الصدق»، أمّا أخوه الثالث الشيخ محمّد حسين فهو عالم جليل وباحث محقق، وقد ألّف الكثير من الكتب التي طبع قسم منها ولا يزال القسم الآخر مخطوطاً[٢].

ورغم أنّ القدر القاسي رماه باليتم وهو طفل رضيع، فقد ولد الشيخ المظفر (رحمه الله) بعد وفاة والده بخمسة أشهر، فإنّه وجد في عطف أخوته الكبار ما عوّضه عن عطف الأبوة وحنانها.

وكانت بيئة النجف العلميّة الخصبة هي المجال الأوسع الذي نمى ملكات الشيخ المظفر وشحذ مواهبه، ففضلاً عن تتلمذه لأخيه الشيخ محمّد حسن تتلمذ لكبار علماء عصره كالشيخ آغا ضياء العراقي والشيخ محمّد حسين الأصفهاني الذي تأثر به كثيراً وخصوصاً في مجالي الفلسفة والأصول، ونال الشيخ بعد دراساته العالية درجة الاجتهاد، وقد شهد له بذلك أساتذته وشيوخه في التدريس.

ويبدو أنّ الشيخ كان متجهاً خلال هذا الطور من أطوار حياته ليكون مرجعاً دينيّاً، غير أنّ المشكلات التي كانت تعاني منها الحوزة العلميّة في النجف دعته إلى أن ينصرف عن تلك الفكرة ويتجه بكامل تفكيره نحو الاصلاح.

---

(١) علي الخاقاني، شعراء الغري٨: ٤٥١.

(٢) الشيخ محمّد مهدي الاصفي، مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها، ص٦١، منشورات دار النعمان (بدون تاريخ).

الحركة الاصلاحية في النجف

كان للنجف وجامعتها العلمية العريقة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين دور قيادي مركزي في العالم الإسلامي على الصعيدين العلمي والسياسي، وخصوصاً حينما آلت المرجعيّة إلى الإمام الشيخ محمّد كاظم الخراساني (١٨٣٩ - ١٩١١) الملقب بأبي الأحرار لمناهضته للاستبداد، ولعلّ ممّا تفرد به هذا الإمام العظيم هو إدارته لحلقة علميّة كبرى ضمَّت المئات من المجتهدين، بحيث أنّ أعظم مراجع الإماميّة في العصر الحديث كانوا من تلامذته أو تلامذة تلامذته.

وكذلك مشاركته الواسعة في الأحاديث السياسيّة التي كانت تعصف بالعالم الإسلامي في ذلك الحين، ممّا جعل العلماء والقادة السياسيّين التواقين إلى الحريّة يستنجدون به حينما تستبد بهم المحن لا في العراق وإيران وحسب بل في الهند وتركيا وغيرهما من البلدان[1].

وبعد وفاة الخراساني فإنّ جيلاً من الطليعة النجفيّة من رجال العلم والأدب الذين تأثروا به، قد واصلوا مسيرته في مشاركاتهم السياسيّة المناهضة للاستبداد والاستعمار معاً، وكانت لهم أدوار فاعلة فيما تلا الحرب الكونيّة الأولى من أحداث جسام مرّ بها العراق، سواء في جيش الجهاد الذي التحم مع الجيش الانكليزي المحتل في جنوب العراق عام ١٩١٦م، أو في ثورة النجف عام ١٩١٨، أو الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ التي اضطر بالانكليز إلى الغاء مشروعهم لحكم العراق عن طريق الاحتلال العسكري المباشر والقبول بقيام حكم وطني.

فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ رائد التجديد الإسلامي في العصر الحديث السيّد جمال

---

(١) علي الخاقاني، مقدمة (نهضة الحسين) للسيّد هبة الدين الشهرستاني، ص٨، طبعة كربلاء، العراق، ١٩٦٩.

الدين الحسيني الأفغاني قد درس في النجف لعدّة سنوات، وأنّ علاقاته لم تنقطع مع علمائها وهو يتنقل في بقاع العالم الإسلامي المختلفة ناشراً آراءه التجديديّة، فإنّنا نخلص إلى أنّ النجف كمركز اشعاع علمي وقيادة سياسيّة روحيّة كانت على اتصال بالعالم الخارجي وما يدور فيه من تطورات سياسيّة واجتماعيّة أو حضاريّة عامّة، ولكن بمعايير بلد خاضع للإدارة العثمانيّة التي كان يسود التخلف كلّ ولاياتها.

غير أنّ انشغال المرجعيّة الدينيّة في النجف بمواكبة الأحداث السياسيّة الخطيرة التي عصفت بالعراق وغيره من البلدان، جعلها تغفل عن مواكبة أحداث أخرى تتعلق بتطور العلوم والمناهج وطرق التعليم ونظم الدراسة وغير ذلك ممّا يمكن الاستفادة منه في تطوير نظامها التعليمي ليكون مواكباً لروح العصر وطبيعة المرحلة، وقد طبع هذا الأمر النظام التعليمي في جامعة النجف بطابع المحافظة والجمود، وجعل أمر الاصلاح غير يسير، ولمّا بدأت الطليعة الواعية من أساتذة الحوزة تشعر بالمشكلات التي تعاني منها الجامعة النجفيّة، كانت تتناقل ذلك سرّاً وفي غرف مغلقة، وقد صوّر الشيخ المظفر بداية الحركة الإصلاحيّة في مذكراته المخطوطة، فأشار إلى أنّ بعضاً من رجال الدين «كانوا يحلمون باصلاح نواقص الدراسة العلميّة في معاهد النجف الأشرف، فإنّ هذه النواقص، كفقدان نظم التربية والتدريس في الامتحانات والمواد العلميّة والأوقات والشهادات، كانت تهدد المفكرين منّا بشلل الحركة العلميّة في مستقبل الجامعة القريب أو البعيد، يوم أن اصطدمت سفينة هذه الجامعة القديمة بتيار هذا العصر الذي تركها في بحر متلاطم بالميول، ولكن في الوقت الذي كانوا يفكرون في هذا كان يعوقهم عن التقدم في العمل ذلك التفكير المؤلم»[1].

(١) الشيخ محمّد رضا المظفر، المذكرات المخطوطة، نقلًا عن الآصفي، المصدر السابق، ص١٢٢.

تأسيس جمعيّة منتدى النشر

لقد ابتدأ هذا التفكير الصامت بضرورة اصلاح النظام التعليمي في الحوزة منذ أوائل العشرينات كما يشير الشيخ المظفر في مذكراته، وكان جلّ أصحابه من شباب علماء الدين الذين تحسسوا الثغرات والنواقص الموجودة، ولكنهم تخوفوا من ردّة فعل المحافظين وأعداء التجديد غير أنّ تعرض النجف لكتب عدائية عام ١٣٤٩هـ حسّس الشعور العام بضرورة وجود جمعيّة للنشر والتأليف تتولى مهمة الردّ والدفاع ونشر التراث محقّقاً، لكن بعض دعاة الاصلاح وجد في تأسس هذه الجمعيّة فرصة سانحة لإصلاح الدراسة الدينيّة[1].

ويبدو أنّ الجمعيّة قد وضعت لها أهدافاً قريبة وأهدافاً بعيدة، أمّا القريبة فهي تأليف الكتب وتحقيقها ونشرها، وأمّا البعيدة فهي اصلاح النظام التعليمي في الحوزة تحاشياً لردود الفعل التي قد تجهز على المشروع وهو وليد، ولذا فإنّ هذه الفكرة لم تتحقق إلّا بعد سنوات من ذلك التاريخ.

ففي عام ١٩٣٥ م قدم الشيخ المظفر مع ثلّة من أصحابه العلماء طلباً إلى السلطات العراقيّة المختصة لتأسيس جمعيّة دينيّة في النجف الأشرف باسم (جمعيّة منتدى النشر)، وبعد أخذ ورد أجيزت الجمعية.

البرنامج الاصلاحي في موضع التنفيذ

كان الهدف المعلن لـ(جمعية منتدى النشر) – كما سبق وأشرنا – هو طبع ونشر كنوز التراث العربي الإسلامي الذي تزخر به مكتبات النجف بعد تحقيقها تحقيقاً علميّاً، وقد ابتدأت الجمعيّة عملها بنشر بعض النصوص التراثيّة المهمة مثل كتاب «حقائق التأويل في متشابه التنزيل» للشريف الرضي، كما نشطت في حقل التأليف، حيث اقترحت على

(١) الآصفي، المصدر نفسه، ص١١٤.

العلاّمة الشيخ محمّد جواد البلاغي تأليف تفسير مختصر للقرآن ليكون باكورة أعمالها، فاستجاب وألّف تفسير «آلاء الرحمن»، وخرج منه جزآن وطبعا، غير أنّ المنيّة عاجلته قبل اكماله.

وفي وقت مواز لهذا العمل ابتدأ الشيخ المظفر تطبيق برنامج لاصلاح التعليم عمليّاً، وكانت نظرته للعلميّة التعليميّة شاملة وكليّة، إذ لم تقتصر على التعليم الأساسي (ابتدائي، ومتوسط، وثانوي)، بل تجاوزته إلى التعليم العالي، وهو في هذا يتميز عن غيره من المصلحين الذين قصروا جهودهم على مرحلة معيّنة من مراحل التعليم واجتهدوا لاصلاحها.

التعليم الأولي والأساسي

اهتمّ الشيخ أيضاً بالتعليم الأولي والأساسي والابتدائي والمتوسط والثانوي، لذا أسس سنة ١٩٣٦ م مدرسة للعلوم الدينيّة ابتدأ بصف واحد ثمّ توسعت إلى ثلاثة صفوف واعترفت بها وزارة المعارف العراقيّة في حينه، ومع تقدم الزمن ونجاح التجربة الأولى استطاعت جمعيّة المنتدى أن تنشئ مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية في النجف تهدف من ورائها إلى تطوير الدراسة الدينيّة أسلوباً ومنهجاً، وتفاعلاً ببعض ما جد من الفكر التربوي المعاصر[١].

ولم يتقصر نشاط الشيخ على النجف وحدها، بل راح يوسع من دائرة عمله الاصلاحي لتشمل مناطق العراق المختلفة، فمنذ عام ١٩٣٧ أسست جمعية المنتدى وأدارت عدداً من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية في البصرة والحلّة وكربلاء والكاظمية والشامية، نجح بعضها وتعثر البعض الآخر لأسباب محليّة.

(١) الدكتور محمود المظفر، مقدمة الاقتصاد في الاعتقاد للشيخ الطوسي، الصفحة (ز)، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦.

بل أنّ فكرة الجمعيّة في محاربة الجهل بشتّى ألوانه دعته إلى تأسيس واقامة أوّل مركز أهلي لمحو الأميّة في العراق قبل أكثر من نصف قرن، أي في عام ١٩٤٤، ثمّ أعادت فتحه سنة ١٩٥٨ م، وفتحت مركزاً آخر ظلّ يؤدي مهمته حتّى فترة قريبة.

التعليم الجامعي: تجديد المناهج والأساليب

كان الشيخ المظفر فقيها مجدداً يستجيب لروح العصر وتطوراته العملية التعليميّة والمنهجيّة، وهذه الاستجابة تقتضي الانتقال بالدراسات الدينيّة من نظام (الحوزات) أو الحلقات المسجديّة إلى الدراسة الأكاديميّة المنظمة، وخصوصاً في الدور الأوّل من الدراسة الحوزويّة المشتملة على المقدمات والسطوح، التي تعدّ الطالب لمرحلة البحث الخارج أو الاجتهاد، حيث يكون اعتماد الطالب على نفسه غالباً، وقد وجد الشيخ أنّ طبيعة المرحلة الثانية تأبى أي تعديل في شكلها ومحتواها، ولا يمكن اخضاع هذه المراحل من الدراسة لأي تنظيم خاص، وتبقى المرحلة الأولى هي التي تعاني من النقص وتحتاج إلى التنظيم والمنهجيّة، وقد شخّص الشيخ عوامل النقص في المادة العلميّة والضعف في الأسلوب.

فبخصوص المادة العلمية التي يتناولها طالب الحوزة في المرحلة الدراسية الأولى لا تخرج عن النحو والصرف والبلاغة والمنطق والتفسير والفقه والأصول مع توسع في المادتين الأخيرتين، لكن هذه المواد رغم أهميتها لا تنهض وحدها بواجبات الطالب الرسالية من توجيه ودعوة وتثقيف، ولا يستطيع الطالب أن يقتصر على هذه المادة التي يتلقاها في هذا الدور لو أراد القيام بدوره من التوجيه والدعوة على أوسع نطاق، بل لابدّ له أن يتعرف على مناهج الفكر الحديث وبعض الدراسات البشرية وحقول من المعرفة التجريبية، هذا فضلاً عن امتلاكه الأداة البيانيّة الكافية من كتابة وخطابة للقيام بواجبه الرسالي في حقول الدعوة والتوجيه، ولو أراد طالب الحوزة أن يوفي هذه

الحقول الجديدة من الفكر حقّها من الدراسة والمعرفة فلا يتاح له بعد ذلك أن يتوسع هذا التوسع الهائل في دراسة النحو أو الصرف أو البلاغة وما يحمل في طيّاتها من أبحاث طويلة هي إلى الترف الفكري أقرب منها إلى أي شيء آخر[١].

انّ الشيخ المظفر يريد داعية أو عالم دين يعيش عصره ويلم بثقافته التي يتأثر بها سلباً أو ايجاباً، ولذا فإنّ الدروس التي يدرسها طالب الحوزة في نظام الحلقات المسجديّة التقليديّة لا تلبي احتياجات رجل الدين أو الداعية المعاصر، أضف إلى ذلك أنّ ما يدرسه الطالب يحتاج إلى تنظيم وترتيب من حيث الكيف والكم، فهناك توسع زائد في دراسة بعض المواد كالنحو والصرف والبلاغة قد يحتاج إليه المتخصص في هذه العلوم، أمّا طالب العلوم الدينيّة فهو يحتاج إلى اللغة لفهم النص الديني وبيان مراميه وأهدافه للناس، ويجب أن يعطى من هذه تلك الحاجة وإلّا انشغل بنحت العبارة وتفكيكها عن فهم محتواها ومقصودها، كما أنّ اختصار هذه المباحث المطولة قد يوفر عليه جهداً يبذله في حقول المعرفة الجديدة التي تتقدم كلّ يوم ولا يستطيع الإنسان المعاصر اللحاق بها إلّا إذا بذل جهداً غير عادي.

هذا من حيث المادة العلميّة، أمّا من حيث الأسلوب فقد لاحظ الشيخ أنّ الكتب التي يدرسها طلاب الحوزة العلميّة في النجف يطغى عليها طابع الغموض والتعقيد، ممّا يحوج الطالب إلى أن يصرف جهداً كبيراً في فهم العبارة وما يظهر عليها من غموض وتعقيد، هذا بالإضافة إلى سوء التنظيم في تنسيق الأبحاث، ولو قدر للطالب أن يصرف هذا الجهد الذي يبذله في فهم العبارة في تلقي المادة نفسها أو الاحاطة بمعارف فكريّة أخرى تهم الطالب في أداء مهمته الرسالية، لوفّر على نفسه كثيراً من الجهد وفتح أمامه

---

(١) المصدر السابق، الصفحة (خ).

أبواباً جديدة من الفكر[١].

والحقّ أنّ صعوبة الكتب الدراسيّة المقررة في الحوزات العلميّة هي ممّا عانى وما زال يعاني منه طلبة العلوم الدينيّة حتّى اليوم، لأنّها كتبت بلغة قديمة ومعقدة يعسر فهمها، وقد بذل الشيخ المظفر جهوداً كبيرة لتيسير المادّة العلميّة على الدارسين، فألّف في العلوم العقليّة «المنطق، وأصول الفقه، والفلسفة الإسلاميّة» كتباً جديدة تضم عمق المادة إلى جمال الأسلوب ووضوحه، وقد حلّت هذه الكتب محلّ الكتب والمتون القديمة، فكتابه المنطق باجزائه الثلاثة، كتبه بلغة حديثة واستفاد فيه من الرياضيات لكي يقرب قضاياه الصعبة من الافهام، وقد أصبح هذا الكتاب معتمداً للتدريس في جامعاتنا الدينيّة بدلاً من (الشمسيّة) و(حاشية الملا عبدالله) وغيرهما.

وقد سار رفاق الشيخ وتلامذته على نفس المنوال، فكتب العلاّمة السيّد محمّد تقي الحكيم كتاب «الأصول العامّة في الفقه المقارن»، وهو فتح جديد في هذا الباب، حيث قارن مذهب الإماميّة بالمذاهب الإسلاميّة الأخرى، ولم يكن مثل هذا الموضوع معتمداً للتدريس في النجف من قبل، كما كتب الشيخ محمّد تقي الايرواني في الفقه كتاباً عوضاً عن كتاب «اللمعة»، وألّف الشيخ مهدي مطر كتاباً في اللغة العربية، وكتب الدكتور السيّد مصطفى جمال الدين كتاباً في العروض[٢]، كما كتب الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي مجموعة من المؤلفات المهمة في «المنطق والفقه والأصول» و«تاريخ التشريع الإسلامي»، وهو أيضاً كتاب جديد في بابه عند الإماميّة، وكذلك في «رجال الحديث والدراية» وقد سار في تأليفه على منهج أستاذه المظفر في تبسيط المادة العلميّة، والبعد عن التعقيد، والحفاظ على ما هو جوهري، والكتابة بلغة حديثة.

(١) الآصفي، السابق، ص١٢٠، وانظر السيّد محمّد تقي الحكيم، المنتدى تاريخ وتطور، مجلة النجف، السنة الثالثة، العدد الثاني، آذار، ١٩٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٠.

طرق التدريس

لاحظ الشيخ المظفر أنّ الدراسة الفرديّة أو دراسة الحلقات المعروفة في الحوزة العلميّة في النجف وغيرها من الحوزات المنتشرة في الوسط الشيعي لها جانبان: أحدهما إيجابي والآخر سلبي.

أمّا الإيجابي فكونها تدفع الطالب إلى الشعور بالمسؤولية إزاء نفسه، وتدفعه إلى البحث والتحضير أكثر ممّا تدفعه الدراسة المنظمة التي تعتمد على الامتحان وعلى مسؤولية المدرسة دون مسؤولية الطالب نفسه، وأمّا الجانب السلبي فيتمثل في أنّ الطالب قد يقضي وقتاً طويلاً في العثور على الأستاذ الخاص، وقد لا تتوفر في الطالب الدواعي النفسيّة التي تبعثه على العمل الضروري ولا يشعر بالمسؤولية التي يشعر بها الآخرون[1].

ويمكن أن نضيف إلى ما سبق من الجوانب السلبيّة في نظام التدريس في الحوزة، انعدام شروط القبول، وغياب المقاييس والاختبارات التي تسبر قدرات الطالب وتبين مدى تقدمه، حتّى يتميز السليم من السقيم، ويعرف من جاء لأجل العلم ممّن جاء لمجرد طلب الرزق أو لأيّة أغراض أخرى، ولم يكن عدد هؤلاء قليلاً، فأصبحوا عالة على الجامعة الدينيّة وأمراً مرهقاً للطلبة الأكفاء الذين نذروا أنفسهم لمهمة علميّة جليلة.

يقول المرحوم العلاّمة الدكتور السيّد مصطفى جمال الدين الذي واكب حركة التجديد في الدراسات الدينيّة في النجف تلميذاً وأستاذاً، وهو يشير إلى تلك القضية: «كنّا نشكو من عدم وجود شروط لقبول الطالب في الجامعة الدينيّة، إذ كان بمقدور أي شخص أن يصير طالباً ويلف له عمامة ويقعد، وهذا الشيء كان مرهقاً لنا، لأنّه يفترض

(١) انظر، اللقاء المطول مع المرحوم الدكتور السيّد مصطفى جمال الدين، مجلة «النور»، ص٤٨، العدد ٦٧، ديسمبر ١٩٩٦.

أن لا يقبل في الجامعة إلّا من كانت عنده قابليّة وتهيؤ لمثل هذه الدراسة... وبالنتيجة فإنّ كثيراً من الذين دخلوا للحوزة في هذا الجيل لم تتوفر فيهم شروط القبول وأصبح وجودهم عالة على الحوزة والدراسة فيها»[١].

تأسيس الكليّات الجامعيّة

لكي يأخذ البرنامج العلمي الجديد الذي وضعه الشيخ المظفر طريقه إلى التنفيذ، فقد وضع سنة ١٩٣٦ م، أي بعد سنة واحدة من تأسيس منتدى النشر الخطة لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينيّة أو كليّة للاجتهاد بفتح الصف الأوّل الذي كان يدرس فيه أربعة علوم هي: الفقه الاستدلالي والتفسير والأصول والفلسفة على شكل محاضرات توضع بلغة سهلة، وقد تولى تدريس هذه العلوم اثنان من كبار العلماء في النجف، واعتبر الشيخ المظفر قبولهما بالتدريس دراسة منظمة من أهم الأحداث في تاريخ النجف الأشرف، ويعدّ تضحية نادرة منهما تذكر مدى الدهر بالتقدير والاعجاب بروحهما الاصلاحيّة[٢]، غير أنّ هذا المشروع قد تعطل بعد سنة من البدء به لأسباب لا يذكرها المؤسس صراحة، وإن كنّا نستطيع استقراءها من واقع الصراع الذي نشأ بين المجددين والتقليديين، والمعوقات والضغوط الكبيرة التي مارسها أعداء الإصلاح ضدّ الشيخ المظفر ورفاقه.

بعد تعطيل المشروع السابق لم تفتر همة الشيخ لأنّه كان يستفيد من تجاربه سواء في الفشل أو النجاح للسير بخطوات حثيثة إلى الأمام، فقام بخطوة أقوى وأوسع حينما أسس عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٥٧ م (كلية منتدى النشر) تدرس فيها – لمدّة أربع سنوات – العلوم العالية من الفقه والأصول، والكلام، والتفسير، والحديث، وأصول الحديث،

(١) الآصفي، المصدر السابق، ص١٢١.

(٢) الدكتور السيّد مصطفى جمال الدين، المصدر السابق، ص٥١.

والتاريخ الإسلامي، وعلم النفس وعلم الاجتماع، والحساب، والهندسة، والجغرافيا، واللغة الانكليزيّة[١].

استمرت كليّة منتدى النشر في عملها إلى أن قرر الشيخ تأسيس كليّة الفقه والتي اعترفت بها وزارة المعارف العراقيّة بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨، واعتبرت شهادتها معادلة للشهادات الجامعيّة (البكالوريوس)، وقد ضُمت في السبعينات إلى الجامعة المستنصرية في بغداد، ولعلّها قد ألغيت الآن.

أمّا العلوم التي كانت تدرس فيها فهي: الفقه الإمامي، والفقه المقارن، وأصول الفقه، والتفسير وأصوله، والحديث وأصوله (الدراية)، والتربية، وعلم النفس، والأدب وتأريخه، وعلم الاجتماع، والتاريخ الإسلامي، والفلسفة الإسلاميّة، والفلسفة الحديثة، والمنطق، والتاريخ الحديث، وأصول التدريس، والنحو والصرف، وإحدى اللغات الأجنبيّة[٢].

وواضح من قائمة المواد التي كانت تدرس في كلية الفقه أنّ حوالي نصفها من العلوم الحديثة التي لم تكن مدرجة ضمن المنهاج التقليدي للحوزة، ولا يكاد طالب العلوم الدينيّة يعرف عنها شيئاً إلّا بجهد فردي خاص، وقد وجد الشيخ المظفر أنّ الاطلاع على العلوم الاجتماعيّة ومناهجها الحديثة ضرورة لازمة للطالب لأنّها توسع من آفاقه وتربطه بالعصر ومستجداته، بل أنّ تدريس بعض المواد الرياضيّة كالحساب والهندسة وكذلك الجغرافيا في كليّة منتدى النشر السابقة، وهي كليّة دينيّة متخصصة، يعدّ خطوة جريئة لردم الهوة القائمة بين ما سمي علوم الدين وعلوم الدنيا، وتدلّ على فكر حضاري متقدم، وقد لا توجد له سابقة غير كليّة دار العلوم التي أنشأها علي باشا

(١) الشيخ محمّد رضا المظفر، منتدى النشر أعماله وآماله، ص٨ -٩، نقلًا عن أحمد القبيسي، حياة الإمام شرف الدين.

(٢) القبيسي، المصدر السابق، ص٩٧.

مبارك في مصر في القرن التاسع عشر وكانت تدرس فيها العلوم الدينيّة والأدبيّة فضلاً عن العلوم الرياضية والتجريبيّة، لكنّها استحالت فيما بعد إلى كليّة للآداب فقط.

ولكي تستفيد المعاهد الدينيّة من المناهج الحديثة علماً، فإن الشيخ قد استعان بمجموعة من أكفأ الأساتذة في الجامعات العراقية للتدريس في كليّة الفقه، كما استضاف عدداً من الأساتذة الزائرين من الجامعات المصرية لالقاء المحاضرات ليحقق ارتباط المؤسسة بالجامعات العربية، وكان لهذه الخطوة أكبر الأثر في معادلة شهادة كليّة الفقه من قبل الجامعات المصريّة، وإقبال أجيال من خرّيجي الكليّة على اكمال دراساتهم العليا في مصر وغيرها من البلدان العربية والإسلاميّة والأجنبيّة، وقد برزت منهم نخبة لها مقام الريادة في مجال الفكر والأدب والدراسات الإسلاميّة في مختلف فروعها.

ولا أجد صورة تبين مقدار جهود الشيخ المظفر وتضحياته في تأسيس كليّة الفقه، خيراً ممّا دونه أحد تلامذته، حيث يقول: «وقد بذل فقيدنا الشيخ حياته في سبيل تنمية هذه المؤسسة باخلاص وإيمان يعز مثيله في نفوس المجاهدين، فكان يقوم بتدريس الفلسفة الإسلاميّة، وإدارة الصفوف عند غياب بعض المدرسين، في سائر العلوم، وكان في الوقت نفسه يعدّ مجلدات كتابه «أصول الفقه» للتدريس في كليّة الفقه وفي حوزة النجف الأشرف باعتباره الحلقة المفقودة بين كتب معالم الأصول وكفاية الأصول، ويباشر مهام الإدارة والعمادة والتأليف، وحتّى تدوين السجلات في بعض الأحيان، وكم رأيت الشيخ وهو يقوم بتدوين سجلات الطلبة أو مراجعتها، أو طباعة بعض الرسائل بالآلة الطابعة، وحاول في الوقت نفسه أن يقوم بتبسيط الكتب الدراسية وإزالة التعقيد والغموض عنها، ليييسر للطالب المادة الدراسيّة في الدرس من غير جهد ومشقة، وليوفر على الطالب كثيراً من الجهود التي يبذلها في هذا السبيل ليصرفها في مجالات الفكر الرحبة، وحرّر لذلك كتابيه «المنطق» و«أصول الفقه» فحرر بهما هذين

العملين من غموض وتعقيد الكتب القديمة»[١].

إصلاح وضع الخطابة وتأسيس كليّة الوعظ والإرشاد

يمتلك الشيعة وسيلة مهمة للدعوة وأداة حساسة للاتصال بالجماهير ألا وهي المنبر الحسيني، لكن هذا المنبر بقي مشلولاً وعاجزاً عن أداء دوره الحقيقي في نشر الوعي الديني بين الناس وتعريفهم بحقائق الإسلام الخالدة التي لم يثر الحسين عليه السلام إلّا من أجلها، ولكي يؤدي الخطيب رسالته على الوجه الأمثل لابدّ له من الإحاطة بشؤون الفكر الإسلامي من فقه وتفسير وحديث وتاريخ وغير ذلك، ولابدّ له أيضاً أن يطّلع على آفاق الفكر الحديث وشؤون المعرفة التجريبيّة، لأنّ الخطيب داعية، ومهمة الداعية أوسع وأشمل من مهمة عالم الدين المتخصص.

ولتحقيق تلك الأهداف وضع الشيخ المظفر ضمن برنامجه الاصلاحي فكرة تأسيس معهد خاص للخطابة باسم (كليّة الوعظ والارشاد) تتيح للمتخرج «أن يعظ باسم الدين وأن يكون ذاكراً للحسين عليه السلام»، وقد ألّف لجنة خاصة لهذا الغرض عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣ م برئاسة خطيب العراق الشهير الشيخ محمّد علي قسام «وذلك على أثر التحسس العام الذي ظهر في جميع الأوساط المثقفة في العراق بضرورة تهذيب ناشئة خطباء المنبر الحسيني وتثقيفهم ثقافة عالية تليق برسالة الإمام الحسين عليه السلام[٢].

وقد باشرت اللجنة عملها بفتح صف تجريبي أوّل لدراسة الفقه والعلوم العربية وأصول الدين وأصول الحديث (علم الدراية)، ولم يمض شهر واحد على الافتتاح حتّى ثارت على تلك اللجنة زوبعة عنيفة بحجة أنّها تسعى لتحديد نوع خطابة المنبر الحسيني وتحديد أشخاص الخطباء، وأنّها تريد تقليص ذكر الحسين عليه السلام وغير ذلك من

(١) الآصفي، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٩-١٣٠.

التهم الباطلة التي كانت تكال لهذه اللجنة، في حين أنّ أعضاءها من مشاهير الخطباء وأتقيائهم الذين يحرصون كلّ الحرص على خدمة الحسين عليه السلام ومنبره، وما كان تأليفهم لتلك اللجنة إلّا بدافع الاخلاص للدعوة الحسينية لغرض تثقيف ناشئة الخطباء، وللأسف فإنّ الجهات المستفيدة من بقاء الخطابة على ما هي عليه، استطاعت تحريك العامة بتلك التهم الباطلة، وثارت في النجف عاصفة هوجاء ضد المنتدى ومشروعه ممّا اضطر المشرفين على لجنة كليّة الوعظ والارشاد إلى إلغائها تفادياً لحصول ما لا تحمد عقباه، فخسرت الجامعة العلمية في النجف مشروعاً اصلاحياً مستنيراً لو قدّر له البقاء لكان له أكبر الأثر في مسار الحركة الإسلاميّة والحفاظ على أجيال من الشبيبة الذين جذبتهم منابر أخرى تجيد لغة الخطاب المعاصر وتعالج هموم الشباب ومشكلاتهم النفسيّة والاجتماعية من منطلقاتها الايديولوجيّة الخاصّة.

آثاره العلميّة

إنّ أفذاذ الرجال لا تقاس حياتهم بطول أعمارهم بل بضخامة أعمالهم، والشيخ المظفر من هؤلاء الرجال الذين تركوا آثاراً كبيرة فيما شيّد من مؤسسات ومدارس وكليّات، وما خرّج من طلاب نشروا رسالته العلميّة الاصلاحيّة في أنحاء مختلفة من العالمين العربي والإسلامي، بل وفي الغرب أيضاً، وكذلك فيما كتب من مؤلفات أصبحت مراجع لا يستغنى عنها في المعاهد العلميّة القديمة والحديثة.

طبع للشيخ المظفر كتاب: المنطق في ثلاثة أجزاء، وأصول الفقه في جزأين، وعقائد الإماميّة، والسقيفة، وعلى هامش السقيفة، أجاب فيه على الردود التي صدرت أثر ظهور كتابه، وحاشية على خيارات مكاسب الشيخ الأنصاري، أحلام اليقظة «في الفلسفة»، فلسفة ابن سينا، ترجم حياة الشيخ الرئيس ونقد بعض آرائه ولا يزال بعض مؤلفاته مخطوطاً، مثل محاضراته في الفلسفة الإسلاميّة التي ألقاها على طلبة كليّة الفقه

في النجف، ومذكراته.

وفاته

لقد تركت الأعمال الكبيرة التي نهض الشيخ المظفر (رضي الله عنه) بتخطيطها وتنفيذها، وكذلك الضغوط النفسية التي مارسها ضدّه أعداء الاصلاح، أثرها الكبير على صحته، ولعلّها كانت السبب المباشر في وفاته المبكرة وهو لما يبلغ الستين من عمره، إذ فاجأته نوبة قلبية لم تمهله طويلاً، ففارق الحياة عام ١٩٦٣، وشيّع تشييعاً مهيباً، ودفن في مقبرة خاصّة في النجف الأشرف.

المعاصرة والمستقبليّات في مشروع المظفر

أ.م.د. عبد الأمير كاظم زاهد

المبحث الأوّل تمهيد:

المطلب الأوّل: فرضيّات البحث:

تطرح هذه الورقة مجموعة تساؤلات، نحاول الإجابة عنها، وأبرز هذه التساؤلات:

١ – هل كان للشيخ محمّد رضا المظفر مشروع ثقافي؟ وهل له من يناظره في العالم؟

٢ – ما عناصر ذلك المشروع؟

٣ – ما المساحة التي تحتلها المعاصرة، والمستقبل في هيكل ذلك المشروع؟

٤ – ما الذي حققه ذلك المشروع من الأهداف المرسومة له؟

قبل الشروع بالإجابة عن هذه التساؤلات، من خلال الانجاز العلمي للشيخ المظفر، أو من خلال سيرته ومن كتب عنه.

أوّلاً: لابدّ من إيضاح المراد بمصطلح المشروع الثقافي.

المطلب الثاني: تحديد مصطلحات البحث:

المشروع الثقافي:

يراد بالمشروع الثقافي: تخطيط لنهوض ثقافي يبدأ من حساب «إمكانيّات الوضع الثقافي السائد في أكثر من نطاق «محدد الأهميّة» ودراسة لمعوقات النهوض.

وتشخيص حاجات الحاضر والمستقبل وبرمجة التأهيل المعرفي في ضوء تلك الحاجات».

إذن المشروع الثقافي: فهم دقيق للتراث وإمكانيّاته «وضع ثقافي معيّن» وتشخيص لمعوقات النهوض، وبرمجة للفعاليّات الثقافية ضمن تنبؤات حاجات الحاضر والمستقبل.

وأغلب الظن: أنّ المراد بالمشروع الثقافي... مفهوماً وتطبيقاً أعمّ من مصطلح (التجديد) لأنّ التجديد: قد يكون جزءاً من مشروع في نطاق محدد على مستوى تنظيم فكري ما، أو مستوى برنامج تأهيل... أو غيره.

أمّا المشروع، فهو حركة فكريّة تعمّ أكثر من نطاق، رؤية تتسع لأكثر من مجال وربّما يشكل المشروع نظريّة في وجهة الثقافة أو مشكلاتها ويضم أسباباً موجبة للتفكير به، ومجموعة إجراءات مخططة وأهدافاً قريبة وبعيدة، ونتائج تطبيقيّة تستحدث ظواهر في الحاضر والمستقبل فالتجديد بناء على هذه التحديدات أخصّ في أغلب حالاته من المشروع.

أمّا المعاصرة:

فهي تشخيص لمتطلبات التطور الفكري الحالي في المعلومات والمنهج بما يتناسب مع حاجات «حاضر ذلك المشروع».

وتوظيف الإمكانيات المتاحة وما يلزم استحداثه من إمكانيات أخرى.

أمّا المستقبليات:

فهي رؤية تنبؤية لامتدادات وتطور العلاقة بين الإمكانيّات الثقافية المتاحة والحاجات المتوقع ظهورها في الوضع الحضاري لمجتمع ما، بما يغطي زمناً منظوراً.

التصور المستقبلي: هو جهد يحتسب لصيرورة ثقافية تفي بمتطلبات، ومن منظور ولا يخفى أنّ الدراسات المستقبلية تحظى حالياً بالأهمية البالغة في الجامعات المتقدمة ومراكز البحوث العالمية، وترصد تلك الدراسات حاجات المجتمع الثقافية في زمن

منظور.

المطلب الثالث: مشاريع ثقافيّة مماثلة:

في هذا البحث نتساءل:

هل بالامكان الإشارة إلى مشروعات ثقافية عرفها التاريخ الحديث ؟

ونجيب: بنعم.

ولنضرب على ذلك مثالين: لمشروعين ثقافيين في العالم العربي (ومصر بالتحديد).

أ – ففي أوربا مثلاً: طرح توما الاكويني (١٢٧٤ م)، الأستاذ في جامعة باريس مشروعاً لشرح كتب أرسطو، واهتم بالمنهج في كتابه (الخلاصة اللاهوتيّة).

وألفت النظر هنا إلى (كتاب الشيخ، عقائد الإماميّة) الذي يتوازى في الأثر مع كتاب الخلاصة اللاهوتيّة، وقد كتب الاكويني مشروعه عن التعليم، معتمداً على طرائق العقل في تحصيل العلم وانتهى مشروعه إلى أنّه:

«يجب أن يكون هدف كلّ نظام تعليمي، تعويد المتعلم أن يستخدم طاقاته الفكريّة كافّة» لا يزال من يتأثر بآرائه في فلسفة العلوم في نطاق الدراسات الأكاديميّة العالميّة.

ب – وفي عام ١٦٥٠ م طرح رينية ديكارت العالم الرياضي مشروعه في تطبيق المنطق الرياضي على الفلسفة.

ورفض الاعتماد على المنهج الاسكولائي فأقام فلسفته على الشكّ المنهجي الذي انتهى به إلى إثبات وجود الله تعالى.

«وهنا نشير إلى إهتمام الشيخ بالمنطق، بإعادة صياغة منهج للتفكير موصل إلى نتائج يقينيّة».

ولديكارت رسالة في المنهج، أحدثت أثراً كبيراً في تاريخ التربية، فقد كان مشروعه

يهدف إلى تدريب العقل على التفكير الحر المنطقي ويقول عنه مالك بن بني، المفكر الجزائري: «إنّ ديكارت هو الذي بنى للثقافة الغربيّة طريقها الموضوعي»[١].

أمّا في العالم العربي لنا أن نستشهد بالشيخ حسونة النواوي في الأزهر (١٨٩٦ م) الذي حلّل أوضاع الأزهر، وأدخل التعديلات على نظامه وفقاً لمسيرة الزمن وتطور الأوضاع واختلاف أساليب الحياة، ثمّ صدر لمشروعه قانوناً شاملاً مكوّناً من ٦٢ مادّة أعطى للأزهر فيه صفة (الجامعة الحديثة) وكان في القانون نظام للإدارة وطريقة للدراسة ونظام للقبول ونظم أخرى متفرقة.

وبالقانون: عيّن الشيخ محمّد عبده ضمن أعضاء مجلس إدارة الأزهر.

ثمّ مشروع الشيخ محمّد مصطفى المراغي:

الذي تحول مشروعه أيضاً إلى قانون عام ١٩٣٦م، فتحول الأزهر به إلى كليّات ثلاث ومعاهد إسلاميّة، وصدرت عام ١٩٣٩ لائحة البعثات العلميّة للأزهر، وبه: خرج الأزهر إلى الدنيا الواسعة.

وفي ضوء هذه التحديدات نعود للتساؤل المهم هل كان للشيخ المظفر مشروع ثقافي؟

أقول: إذا عرضنا لمجموعة من أركان «فكر المظفر» وإنجازاته يمكننا أن نعيد رصفها من جديد ليظهر لنا أنّ الشيخ كان يفكر بعمق بمشروع ثقافي ذي مفاصل مترابطة.

---

(١) ظ: مالك بن بني: مشكلة الثقافة.

المبحث الثاني: عناصر المشروع الثقافي للمظفر:

أمّا عناصر ذلك المشروع فتتكون من:

١ – دوافع المشروع، ومعوقات الوضع الثقافي النجفي في الربع الأوّل من هذا القرن، وآثارها في الهدر الزمني وهدر الجهد.

٢ – أهداف المشروع: ضمن تصورات حاجات الحاضر والمستقبل.

٣ – برنامج المشروع ويشتمل على:

أ – برنامج التأهيل «للاجتهاد».

ب – مؤسسات التأهيل.

ج – مكملات التأهيل.

٤ – نتائج المشروع – بعد التطبيق:

أ – على مستوى المتحقق الملموس فعليّاً.

ب – على مستوى الوعي التاريخي بأهمية المشروعات الثقافية.

المطلب الأوّل: الدوافع العامّة للمشروع الثقافي:

أمّا دوافع مشروع المظفر:

فإنّها تبدأ من نقطة تقييمه لدور النجف العلمي والفكري ضمن مجموعة حقائق:

الحقيقة الأولى:

فالشيخ المظفر: كان يرى أنّ النجف الأشرف مركز بيئة ثقافية فكريّة عالمية النطاق، ويراها مدينة تكون مؤسسة علميّة لها رؤية فكرية ومنهج علمي ومنظومة من المعرفيّات المصاغة بجهد مجموعة من الأجيال.

ويرى: أنّ المهمة الضخمة التي تقع على النجف:

تخريج قادة علميين يقودون الجهد المعرفي في بلدان العالم ويصوغون العقل الإسلامي ويكونون الرأي العام.

ونستطيع أن نبرهن على هذه الرؤية للشيخ المظفر من خلال نصوص عديدة سأكتفي منها بهذين النصين:

١ – جاء في ترجمته للشيخ صاحب الجواهر وهو يصف مهامه فيقول: «كان عليه أن يدير شؤون النجف والعالم الإسلامي التابع لها»[١].

ويثني عليه فيقول: «إنتهت إليه الرئاسة – كذا – وتفرد بها لا يشاركه مقارن ولا يزاحمه معارض في النجف وخارجها».

وبهذا: يجعل النجف في كفة، وخارجها كلّه في كفة.

٢ – لم يسلم الشيخ المظفر أنّ الشيخ الطوسي، قد هاجر إلى مدينة قفراء من الدرس العلمي، بل لم يسلم بانتقال الدرس الحوزوي إلى كربلاء فيقول:

«إنّ النجف بقت تنازع قوة جذب الوحيد (١٢٠٨)»، ويشيد بالسيّد بحر العلوم (١٢١٢) والشيخ جعفر الكبير (١٢٢٨) اللذين حولا الاتجاه شطر النجف[٢].

ونظائر هذه النصوص كثير تجدها في مجلة النجف، ومطالباتها للمدينة.

الحقيقة الثانية:

إنّ كتابات الشيخ عن النجف كانت تفوح عطراً عندما يتوقف إزاء حركة تجديد تحصل فيها، وتعظيم لشخوص المجددين عبر تاريخها – بدءاً من الشيخ المؤسس لعلوم الشيعة، مروراً بتجديد المحقق لترتيب أبواب الفقه في كتابه الشرائع، بل تجده إذا مرّ بالأنصاري – يصف عبقرياً وصفاً أقله أن تشم عطر شذاه من حقبته الزمنيّة

(١) المصدر السابق ١: ٣.

(٢) الجواهر ١: ٩.

(١٢٦٠هـ)، وهكذا يشير قلمه المبجل للريادات المجددة مثل أستاذه الأصفهاني فيتابعه في منهجه الجديد في الأصول.

الحقيقة الثالثة:

كان المظفر يرى أنّ النجف «خزين للفكر الإسلامي، والبحث العلمي في علومه أكثر من أي حاضرة أخرى، ويعتقد أنّ إمكانياتها العلميّة مبدعة ومتفوقة فيما تملكه من عقيدة أصيلة بمواصلة الاجتهاد في الأصول والفروع وتراث ضخم بدءاً من «روايات الأئمّة عليهم السلام ثمّ بالمدونات التأسيسيّة، ثمّ اللاحقة، ثمّ المطورة» إلى جانب عقل علمي متميز.

هكذا كان يرى النجف:

وإلى جانب ذلك: كان يرى أنّ مجموعة من المعوقات تمنع هذه الطاقات والامكانيّات من أن تحقق هدفها الذي وجدت من أجله وهذه المعوقات هي:

أ – تقاليد منشؤها العرف تمنع من التواصل مع الحاضر والمستقبل.

ب – غموض في المتن الفقهي والأصولي بل في أغلب متون الدراسة.

ج – عدم وجود مؤسسات حديثة.

د – ضيق التخصص، وفقدان البرنامج العلمي الناضج والدقيق.

وهذا يؤدي بها إلى:

١ – الهدر في الجهد والزمن.

٢ – تناقض المعطيات سواء في كم ونوع المجتهدين الذين تخرجهم المدينة أو في كم ونوع المنجز العلمي لها.

وبهذا تفقد المدينة فرصتها التاريخيّة في أن تكون «مركز العالم الإسلامي» لذلك

توجب عليه:

أن يخطط لها مشروعاً ثقافياً يستهدف إجرائيّاً ربط إمكانيّات المدينة بالأهداف الحاضرة والمستقبلية لها ببرنامج إعادة تأهيل علمي دقيق.

المطلب الثاني: البرنامج العام للمشروع الثقافي:

برنامج المشروع الثقافي للشيخ المظفر

يشتمل المشروع الثقافي للمظفر على ثلاثة اجراءات:

أ – ايجاد برنامج تأهيل المجتهدين.

ب – ايجاد مؤسسات لتطبيق البرنامج.

ج – ايجاد المكملات الملبية لضرورات الحاضر والمستقبل.

أمّا برنامج التأهيل فيتفرع إلى:

أ – ١ – إعادة صياغة المتن الدراسي.

أ – ٢ – إعادة تخطيط مراحل التأهيل.

أ – ٣ – توسيع مواد التأهيل كمّاً ونوعاً.

أمّا المؤسسات:

فلابدّ من هيكل مؤسسي ظهر في «منتدى النشر» تتفرع منه مدارس ابتدائية / إعداديّة / جامعيّة.

أمّا المكملات:

فأبرز عناصرها الملتقيات العلميّة كالمؤتمرات.

وضرورة إصدار الدوريات (كأنشط حلقة للتواصل العلمي).

وتحقيق المخطوطات، ونشر الكتب، وتنشيط الفعل الثقافي منها.

ماذا تحقق من المشروع؟

فعلى مستوى برنامج التأهيل: تمّت إعادة صياغة المتون بما يتناسب مع لغة العصر وحاجاته فقام – هو – بإعادة صياغة مادّة أصول الفقه فأسس حلقة تصلح لخريج الاعدادية، وتصلح لطالب الحوزة حلقة وسطى بين المعالم والقوانين أو بين المعالم من جهة والرسائل والكفاية من جهة أخرى، وهكذا نلحظ هذا الجهد في المنطق والفلسفة «يلاحظ ذلك في مجموعة مقالاته في (النجف) وكتابه أحلام اليقظة».

وشجّع تحقيق كتاب شرائع الإسلام، وكانت تهمه بدرجة كبيرة (مسألة إعادة صياغة المتون).

إنّك لتجده يشخص عناصر القوّة في كتاب الجواهر فيذكر أنّها «براعة البيان، وحسن التدريس، غزارة العلم، وثاقب الفكر والبحث الدؤوب في الدرس والتأليف»[١].

لذلك يقول عن المظفر أحد مترجميه.

«تمتاز كتابته بجمال التعبير وسلامة الأداء، وجدة الصياغة وروعة العرض ودقّة الفكر وعمق النظرة وجدّة المحتوى»[٢].

ثمّ يركز هذه الفكرة بقوله:

«والمدهش أنّ ذلك كلّه في مواضيع علميّة معقدة كالأصول والمنطق والفلسفة التي يعرف الجميع أنّه ممّا تعسر صياغتها بأسلوب أدبي».

وإذا توقفنا عند كتابه أحلام اليقظة تجده يحاور صدر المتألهين بإعادة صياغة الأفكار

---

(١) مقدمة الجواهر ١: ٩.

(٢) مقدمة عقائد الإماميّة.

الفلسفيّة عالية المضامين بحيث اضطر قلم يكتب عن المظفر أن يقول: «لا أبالغ إذا قلت أنّ كتابه أحلام اليقظة فتح كبير في الكتابة الفلسفيّة... فلقد حاول أن يخضع الكتابة للفلسفة والفلسفة للكتابة»[1].

ولعلّه – بإعادة المتن الأصولي والفلسفي ومتن المنطق- قد انضج بما لم ينهض به الآخرون، تاركاً الأدب والتاريخ والتفسير والحديث لغيره.

ومع ذلك ظلّت على ما هي عليه.

أمّا في مجال إعادة تخطيط مراحل التأهيل.

فإنّ للشيخ رؤية تدل على الوصول إلى مرتبة الاجتهاد عبر ثلاث مراحل.

أ – مرحلة المقدمات: وتقابل «مرحلة الدراسة الأوليّة والإعداديّة».

ب – المرحلة الوسيطة: وتقابل «المرحلة الجامعيّة».

ج – المرحلة الأخيرة: مرحلة البحث الخارج «الدراسات العليا».

وفي تقدير الباحث أنّ صورة هذه المراحل صورة هرمية تبدأ بقاعدة واسعة من المعلومات التي تتركز بالتي تليها حتّى التخصص الدقيق.

إنّ هذا التخطيط: هو بالضبط «العرف الجامعي العالمي» الذي أنقدح في ذهن الشيخ من دون أن يكون عضواً في أكاديميّة عالميّة.

وهكذا تحولت هذه المراحل إلى مؤسسات علمية تغطي كلّ مؤسسة مرحلة معيّنة ستتضح أثناء حديثنا عن فقرة المؤسسات المطبقة للمشروع.

بقيت قضيّة واحدة: وهي أنّ الشيخ اعترض على ضيق (مواد التخصص) في مدرسة النجف فخطط أن يضيف «للفقه والأصول والمنطق والكلام» العلوم العصريّة

---

(١) مقدمة عقائد الإماميّة.

المساعدة لتكوين أيتمولوجيا تأهيليّة موظفة لصالح الاجتهاد، منها إتقان لغات أجنبيّة.

وتكمل فقرة «المؤسسات العلميّة» أركان المشروع.

فقد تقدم في كانون الثاني ١٩٣٥ بطلب تأسيس جمعيّة منتدى النشر ليجعلها أمّ المؤسسات، ومن خلالها وجدت:

١ – مدارس المنتدى الابتدائيّة.

٢ – مدرسة الإعداديّة.

٣ – المدرسة العالية – قبل اجازة الكليّة.

وبذلك وقف الشيخ المظفر وقفة (دقيقة) بين نظريّة تحريم الإنخراط بالمدارس الرسميّة، وبين الموقف غير المبالي، والإنخراط في مدارس رسميّة، فاعتمد «إنشاء البديل لما هو مرفوض» كما نصّت عليه فتاوى عصره وزاوج في مناهج المدارس بين المواد العصريّة، والمواد الإسلاميّة، إنّه بهذا يحلّ مشكلة الصراع بين التعليم الديني والتعليم المدني كما كان يسمى، ولعلّ في رؤيته أن ينقل المتفوقين النابهين من كلّ مرحلة إلى التي تليها، ليحقق تعليم الصفوة أو النخبة رافضاً نظرية التعليم الجماهيري، وبذلك أصبحت الكليّة الرسميّة ضرورة لاستكمال عناصر المشروع، فوضع عام ١٩٣٧ مشروع كليّة تهيئ للاجتهاد من جهة مستثمراً إيّاها أيضاً: لتخريج مجموعة من خطباء المنبر جرياً وراء أهداف المشروع الذي تقدم في الأهداف العامة له.

في عام ١٩٥٦ أسس كليّة الفقه، وحصل على الاعتراف الأوّل بشهادتها عام ١٩٥٧، ثمّ أعيد الاعتراف بها عام ١٩٥٨ وتخرجت الدفعة الأولى في العام الدراسي ١٩٦١ – ١٩٦٢.

وبذلك: تكون المؤسسات الثقافية خطّاً متوازياً في معادلة إعادة التأهيل.

المطلب الثالث: المكملات العامة للمشروع الثقافي:

أمّا ثالث الفقرات في عناصر المشروع فهو المكملات:

– فقد بادر الشيخ إلى عقد الملتقيات العلميّة والمؤتمرات، فساهم في بعض منها كاسهامه في ملتقى الباكستان والمغرب ممثلاً للنجف ونشاطها العلمي.

– وأدرك الشيخ أنّ هذا المشروع الضخم يحتاج إلى «دوريّة» معبراً عن فعالياته فأصدر مجلة النجف، وقبلها مجلة البذرة.

فضلاً عن أنّه واصل الكتابة في مجلات أخرى خارج النجف منها مقالاته في مجلة الرضوان.

على أن يجدر التنبيه أنّ للشيخ ممارسة واطلاعاً على المجلات الصادرة في عصره، فقد كان يطلع عليها اطلاع الناقد لمضامينها والمستفيد من تقنياتها كالهلال والمقتطف.

– وثالث المكملات: أنّ المشروع يرصد جزءاً من جهده وامكانياته لتحقيق المخطوط، فقد أسهمت المنتدى بتحقيق المراسم[١] والوسيلة إلى نيل الفضيلة[٢] وشجعت تحقيق السرائر لابن إدريس[٣] والاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد[٤] وغيرها من المخطوطات.

بل: شجعت تحقيق بقية أمهات الفقه الإمامي، ولعلّ تقديم الشيخ المظفر لموسوعة الجواهر يشعر بدوره في التعجيل بهذا المشروع ودعمه يكشف عن ذلك رجاء الشيخ المظفر للقائمين على تحقيقها بما يكشف عن حرص بالغ مصاغ من نبضات قلبه إذ يقول:

---

(١) صدر بتحقيق د. محمود البستاني / ١٩٨٠.

(٢) صدر بتحقيق د. عبد العظيم البكاء / ١٩٧٩.

(٣) حققه السيّد محمّد مهدي الخرسان ولم يطبع.

(٤) حققته لجنة في منتدى النشر.

«عليهم – أي المحققين – ابرازه بحلّة جميلة تريح الطالب وتملأ نفس المطالع اطمئناناً وثقة»[١].

المطلب الرابع: نتائج تطبيق المشروع الثقافي:

هذا هو المشروع الثقافي للشيخ المظفر، وهذا بعض ما تحقق منه.

ولعلّنا: بعد عرض مفاصله في غنى عن الإشارة إلى «هواجس المعاصرة والمستقبليات فيه» فهو عملية استفادة دقيقة من الإمكانيّات المتاحة، وعلاج علمي لمعوقات النهوض وتشخيص دقيق لمتطلبات الحاضر ومحاولة جريئة لتلبيتها وتحديد تنبؤي لحاجة المستقبل وتهيؤ واستعداد لأستيفائها، لقد انتهى تطبيق هذا المشروع إلى مجموعة نتائج.

أ – إنّه تغلب على عناصر الشد إلى المتن القديم، فحقق نقلة بعرض المضمون العلمي بلغة وأسلوب معاصر ليربط بين الكتاب القديم ومقالات وتقنيات العرض المتخصص للمعلومة في الحاضر.

ب – واجه المشروع – سمة العصر – السرعة والاختزال ليحمي مستقبل النجف من أن يتأخر عن ركب الحواضر الثقافية، فسعى إلى تكثيف وتعميق برنامج التأهيل.

ج – اندفع المشروع لكي لا يكون خرّيج مدرسة النجف بعيداً عن علوم عصره المتعددة وأساليبها في النشر والتحقيق والدوريات والمؤتمرات العلميّة.

د – شكل مشروع المظفر تجربة رائدة كانت توازي تجربة اصلاح الأزهر في مصر.

هـ – خرجت الكليّة أكثر من (٣٠٠٠) حامل شهادة بكالوريوس في اللغة وعلوم الشريعة أكمل عدد كبير منهم دراساتهم العليا.

---

(١) المقدمة.

و – أنجز المشروع عدداً من الكتب الجديدة، والمحققة وأصدر أكثر من دورية.

ز – لا يزال هذا المشروع «ورقة اصلاحية قائمة» تصلح خطاباً موجهاً إلى النجف وابنائها.

المبحث الثالث:

آراء للشيخ محمّد رضا المظفر، ورصد للمعاصرة والمستقبليات في مشروعه الثقافي:

إذا كان المشروع الثقافي – تنظيراً – هو مجموعة من الآراء والمواقف إزاء قضية معيّنة، فإنّ للشيخ مجموعة من الآراء العلميّة تكون مجموعة مواقف أحاول رصد صلتها بالمشروع – وما يميزه من منظور للحاضر وتحسب للمستقبل.

وسأصنف هذه الآراء وفقاً لمحاور المشروع وهي:

١ – آراؤه في التقريب بين المذاهب الإسلاميّة.

٢ – آراؤه في التقليد – في الأصول والفروع.

٣ – آراء فنيّة في فلسفة اللغة.

٤ – آراء متفرقة.

المطلب الأوّل: فكرة التقريب بين المذاهب:

يرى أحد الباحثين المرموقين، أنّ الحوار يبن الاتجاهات الإسلاميّة في القرن الثالث الهجري كان يجري على مسرح الخلاف العقائدي، لوجود ما يتنافس مع النظام العقائدي من النظم العقائدية الموروثة عن الحضارات السابقة.

أمّا اليوم: فإنّ بؤرة الحوار متركزة في التشريع والقانون، للصدام بين التشريع الإسلامي والمناهج الأوربيّة في الاقتصاد والعلوم الاجتماعية الأخرى ويكسب خصوم

الشريعة الموقف إذا استغلوا الخلافات الفقهيّة[١] بين المذاهب ليظهروا عجز الفقه الإسلامي عن مجاراة النظم القانونيّة الوضعيّة، أدرك الشيخ هذه المشكلة فاعتنى بمهمة إعادة بناء الفقه الإسلامي بتوظيف المناهج والمفاهيم الحديثة، بإعادة بناء عقل المجتهد في ضوء ذلك وتوظيفه في عرض المفاهيم الإسلاميّة عرضاً معاصراً، فمن دون عقل جديد لا يمكن أن يقوم اجتهاد جديد.

وإزاء فكرة التصارع بين المذاهب نلحظ أنّ الشيخ يضع يده على أفضل علاج فيقول: «وإنّي لواثق أن فكرة التقريب بين المذاهب أصبحت حاجة ملحّة وهدفاً رفيعاً لكلّ مسلم غيور على الإسلام، مهما كانت نزعته المذهبيّة»[٢].

ويصرح: «أنّ مواقف الأئمّة عليهم السلام توجب تبني الدعوة إلى وحدة المسلمين» ويستدل بسيرتهم ويتوقف مليّاً عند دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام لجيوش المسلمين[٣]، ويقرر الشيخ المظفر: «ليس مهما اثبات أنّ الأئمّة عليهم السلام هم الخلفاء الشرعيّون، وأنّ اثبات ذلك لا يعيد دورة الزمن من جديد، إنّما المهم لزوم الرجوع إليهم»[٤]، إنّ هذا الموقف: ربّما يشكل سبباً في آراء كثيرة تظهر في أكثر من موضع ومنها ما ظهر في مبحث التعارض والترجيح.

فيقرر لقاعدة «الرشد في خلافهم» تفسيراً علميّاً منطقيّاً مقبولاً[٥].

ومن يطلع على حواره مع «أحمد أمين» على صفحات مجلة الرسالة يلحظ أنّه يركز

(١) الجابري: الدين والدولة: ص١٥٥.
(٢) عقائد الإماميّة: ص٢٧.
(٣) عقائد الإماميّة: ص١١٥.
(٤) ن. م.
(٥) للمظفر: أصول الفقه ٢: ٢٥٠، ظ الأصول العامة.

على ضرورة البحث والنقاش في جو طليق، وضرورة الدراسة العلميّة والبحث الحر[١].

إذا كان المظفر في الخمسينيّات يضع هذه التصورات لرصّ الصف الإسلامي وتحديد ما هو عملي وناضج وملبّي لحاجاته الحاضرة والمستقبليّة فإنّ أبعاد رؤيته تكاد تكون فريدة إذا ما قسناها مع ما هو سائد آنذاك.

المطلب الثاني: آراؤه في التقليد / في الفروع والأصول:

يعرف الجميع ما تسالم عليه عرف العلماء أنّ أصول العقيدة ممّا يجب على المسلم عقلاً قبل وجوبه شرعاً التوصل إلى إحرازه على وجه القطع، لكن المظفر يستثني منه موضوع القضاء والقدر والرجعة، حيث يرى أنّه لا يجب فيهما النظر والفحص الذاتي، ويجوز فيهما الرجوع إلى الغير لا سيّما لغير المختصين بعلوم الشريعة، لأنّها في رأيه من أدق مباحث الفلسفة لا يدرك الموقف منها إلّا الأوحدي من الناس لذلك زلت بالبحث فيها أقدام كثير من المتكلمين.

والمظفر: إذ يعرض قضية الأمر بين الأمرين، إنّما يتجاوز في ذلك تنظيرات الأشاعرة في نظريتهم المسمّاة بنظريّة الكسب.

ونلحظ في بعض آراء المظفر مرونة رائعة كما هو رأيه «في موضوع الرجعة» يقول الشيخ: «ليس القول بالرجعة من الأصول التي يجب الاعتقاد بها، والنظر فيها، والاعتقاد بها إنّما حصل للآثار الصحيحة، ولأنّها ممّا لا يمتنع عقلاً وشرعاً»[٢].

أمّا في الفروع:

فيرى المظفر أنّ الاجتهاد في الفروع هو وظيفة ثلّة من المختصين وهم الذين يجب الرجوع إليهم، لئلاّ يشقّ على الناس فرداً فرداً تحصيل الملكة لكنّه لا يرى حصر التقليد

(١) المظفر: السقيفة، وعقائد الإماميّة: ص٣٠.

(٢) المظفر: عقائد الإماميّة: ص٨٤.

بالأعلم إنّما يكفي له (جامعيّة الشرائط)، ويرى أنّه لا يجوز للناس تقليد من مات من المجتهدين انسجاماً مع خصيصة مذهب الإماميّة في الإستمرار بالاجتهاد المساير للزمن والتطور الحضاري للأمّة.

ويمنح المظفر – المجتهد الجامع للشرائط صلاحيات واسعة، فهو ليس مرجعاً في الفتيا فقط، وبمتابعة هذا الخط من الآراء، نجد أنّ للحاضر والمستقبل هاجساً واضحاً في آراء الشيخ المظفر وأنّ مجتهداً كهذا الذي يريده المظفر يلزم أن يؤهل بجهد منظم ودقيق ليلاحق متطلبات حاضرة ومستقبليّة لا سيّما إذا استندنا إلى بناء المظفر من أنّ ملاكات أحكام الشريعة مصالحة العباد في نفس أفعالهم، إذن فلابد من حكم لكلّ واقعة أو تصرف وإن انسد على المجتهد طريق علمه.

إذن لابدّ للمجتهد أن ينظر لعصره، ومن الأفضل أن يضع الحلول للمشكلات المفترضة أو المتوقعة للأجيال المتعاقبة.

المطلب الثالث: آراء فنيّة في فلسفة اللغة:

١ – اختار المظفر أوّلاً أن تكون مباحث الألفاظ من صلب مباحث أصول الفقه خلافاً لمن يراها أجنبية عنه، وفي مباحث الألفاظ يمكننا تشكيل نظريّة أصوليّة في مباحث في فلسفة اللغة منها:

أ – في نشأة اللغة: يتوسط المظفر – فيما يقرره من إجابة – بين القول بالتوقيف، والقول بالجعل، فهو يراها ملكة واستعداداً من الله للناس (قدره)، أمّا وضع الألفاظ للمعاني فهو جعل من الإنسان بتوفيق من الله.

ب – في المعنى الحرفي: إنّه ليس رابطاً فقد لا يتضمن معنى، وليس هو لفظاً له معنى مستقل كالأسماء، لأنّها – الحروف – لو كانت كذلك لاحتاجت إلى رابط – والرابط حرف – فنقع بالتسلسل، فتقدر أنّها ممّا لها معانٍ غير مستقلة بنفسها، إنّما

تستفاد معانيها في السياق، وبهذا يفسر لنا المظفر تجاور المفردات وتبادل مواقعها في تركيب الجملة العربيّة، لذلك اعتبر الوضع فيها عاماً والموضوع لها خاصاً.

ج – في الأساس لمشروعيّة المجاز: يرى المظفر أنّه أساس طبعي ذوقي، فأساس المجاز غير ثابت بقوانين علميّة كثبوت المعاني الحقيقيّة للألفاظ، فمتى استحسن الطبع معنى مناسباً للفظ إلى جنب المعنى الحقيقي قُبلَ مجازاً، وهذا لا يجري في العربية فحسب إنّما يجري في كلّ اللغات والافتراض متى صدق على «كلّ المصاديق» تحول إلى نظرية.

د – تعجّ اليوم في كتابات المغاربة نظريّة الخطاب، وبالتفتيش في أدبيات المظفر نلحظ أنّه يضع أسس نظريّة الخطاب، من خلال موافقته للخواجة نصير الدين في أنّ الإرادة علّة في الدلالة، ورجح أن التصديقيّة منها هي المقصودة لمّا سمّاه بمقدمات الحكمة...

هـ – يرى الشيخ المظفر أنّ الدلالة أعمّ من اللفظ، وأحسب أنّ ذلك إسهام مبكر في علم سيميائي مستفاد من مباحث علم الأصول، لا سيّما إذا جمعنا من نظريّة عموم الاستعمال على الحقيقة والمجاز، حيث لا يرى المظفر أنّ المرجع في صحّة الاستعمال أصالة الحقيقة، إنّما يمكن أن تكون أحدهما، وبه يتحفظ على رأي السيّد المرتضى الذي يذهب إلى أنّ الأصل في الاستعمال – عند فقد القرينة – أصالة الحقيقة مطلقاً.

و – يقرر المظفر وجود الترادف والاشتراك في اللغة، ويفسر الترادف بإحتمال تعدد الوضع للمعاني أو تعدد الواضعين، كاللهجات، بينما يفسر نشوء الاشتراك بتعدد نظر الجاهل للمعنى من لحظات متعددة.

ز – ينقل المتأخرون عن المظفر نظريته في إفادة لفظ الأمر وصيغته للوجوب إذا خلا من القرينة، ويذكرون دليله العقلي بالانبعاث والانزجار.

المطلب الرابع: آراء متفرقة:

أ – يظهر مسلك المظفر في الأصول أنّه يلتمس العذر لمن يخالفهم في أكثر من موضع.

حرصه على تقرير القاعدة القائلة: إنّ كلّ ما نقوله صحيح يحتمل الخطأ وما يتبناه خصومنا خطأ يحتمل الصحّة، نجد ذلك مثلاً في إلتماسه للعذر لصاحب الفصول في إنكاره، للملازمة بين ما حكم به العقل وما حكم به الشرع (مبحث التحسين).

ب – من الغريب أنّنا نجد أنّ الشيخ المظفر لا يرى قياس الأولويّة، ويراه من جنس فحوى الخطاب، مخالفاً في ذلك عدداً من علماء الطائفة.

ج – يرى المظفر على الرغم من المحاسن الكثيرة التي يذكرها لكتاب الجواهر، أنّه لا يخلو من لعلّ وعسى، ويرى أنّ أبرز ما يلاحظ عليه أنّه كتب كمذكرات لصاحبه، ويعتقد أنّ صاحب الجواهر لو كان له وقت لأجرى عليه إعادة نظر لايضاح عباراته وتنظيم عرض أدلّته.

ويرى الباحث أنّ مقدمة كتاب الجواهر لا تكشف أنّه قد كتب هذا التفصيل مذكرات، بل مجموعة قرائن تكشف أنّه مؤلف جامع.

ونتساءل: أليس كتاب الأصول قد كتبه الشيخ بأسلوب المحاضرات ولم يتسن له إعادة النظر به ليكون كتاباً منهجياً، وهذا هو دأب العلماء.

رحمك الله أيّها الشيخ المجدد، وجعلنا ثمرات طيبة لجدك الشريف.

الخاتمة:

في الختام:

ومن مجمل ما عرضناه ظهر لنا:

– إنّ الشيخ محمّد رضا المظفر مشروع ثقافي واضح التنظير.

– وأنّ لهذا المشروع ما يناظره في فترات معيّنة في أوربا ومصر «أبان نهضة كلّ منهما» وأنّ للمعاصرة في مشروع المظفر مساحة واسعة كما أنّ للمستقبليات – هاجساً كبيراً – ولمشروعه مجموعة من الأسباب الموجبة والدوافع العامّة، وقد أوضح البحث (برنامج) ذلك المشروع وأهدافه وما تحقق منه على الأصعدة كافة.

وإنّ النجف كحاضرة ثقافية لا تزال بحاجة إلى تطبيق مثل ذلك المشروع أوّلاً ثمّ تطويره ثقافياً، نرجو أن يوفق المخلصون من أبنائها وأبناء العراق سواء في مستوى التحصيل الأكاديمي أو الحوزة العلميّة أن يطبقوا أو يفكروا بمثل ما فكر به وطبقه العلاّمة المفكر شيخنا محمّد رضا المظفر، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مصادر البحث:

١ – الشيخ عبد الحسين المظفر: الشافي في شرح الكافي.

٢ – محمّد حسن النجفي: جواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام، تقديم: محمّد رضا المظفر.

٣ – النظام الداخلي لكليّة الفقه.

٤ – محمّد رضا المظفر: عقائد الإماميّة.

٥ – محمّد رضا المظفر: أصول الفقه.

٦ – محمّد رضا المظفر: السقيفة.

٧ – الجابري: الدين والدولة.

٨ – محمّد رضا المظفر: المنطق.

٩ – مجلة النجف: (أعداد مختلفة) تصدر عن كليّة الفقه.

١٠ – مقالات في الصحف والمجلات.

مقاربات في خطاب النهضة عند الشبيبي والمظفر

د. محمد جواد الطريحي
مركز دراسات تاريخ النجف الأشرف[١]

كلمة لابد منها

لا غرو أن مدينة النجف الأشرف تستحق اليوم التكريم بوسام الازدهار والتقدم بعد معاناتها الطويلة من الاجحاف في حقها الذي قدمته بتواصلها في التطوير وتجديد البنى الراسخة في علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية، من خلال مواكبتها لما يستجد على الساحة الفكرية في العالم، ومحاولة التلقي والإضافة النوعية والتقويم بما يرفد ذاتها من الأصالة في كيانها العلمي وتطلعات أعلامها في الحفاظ على ريادة المواقف البناءة من عطاء المبادئ الخيرة استلهاما من قدسية الجوار العلوي فكرا وروحية وأساليب ورؤى ونتائج.

ومن حيث نتلمس الخيوط الذهبية في إطار هذه المناسبة بمستوى ما تسعى إليه جامعة الكوفة في مركز دراساتها العتيد، فلا بد من تقديم وافر التقدير في تخصيص هذه الحلقة الدراسية بأعلام النجف ممن حازوا قصب السبق في اختيارهم أعضاء عاملين في المجامع العلمية بالعراق ومصر والشام والأردن وغير ذلك.

وحسبنا من هذا الاستذكار الجميل أن نفهم جيدا آلية الاختيار بمداليلها الدقيقة ذاتا وزمانا ومكانا من حيث المؤهلات الشخصية لهؤلاء الأفاضل، وبما تحكمه موازين الدرجة العلمية والإبداع في مجال التخصص بالعلوم والآداب والفنون على مختلف

(١) ألقي البحث في الحفل التكريمي الذي اقامته جامعة الكوفة (مركز دراسات الكوفة) بعنوان (مجمعيون كوفيون).

مساراتها فنكتشف حينئذ ان المقدمة إذا كانت صحيحة فإن النتيجة صحيحة حتما، لا كما يحكيه اليوم حال عالمنا المعاصر من البوار الذي حل بواقعنا العلمي والثقافي عموما أو على صعيد التخصص في علم من العلوم الإنسانية إلا ما رحم الله.

وإنها لمناسبة رائعة لأن تكرم النجف نفسها – وهي تعيش احتفاليتها عاصمة للثقافة الإسلامية – وهي قمينة بذلك لأنها حاضرة المجد العلمي في عمق التاريخ بما رفدت جامعتها على ساحة الفكر والمعرفة من أثر خالد في خطاها نحو الإصلاح والتجديد لعلوم الشريعة الإسلامية وآداب اللغة العربية والمساهمات النوعية والجادة في إطار هموم وطموحات الأمة العربية والإسلامية بمعتركها في صراع الأفكار والأحداث والرؤى بالتقويم والإضافة والتخطيط.

ولابد في الختام من الاعتراف بأن ما يطرح على بساط البحث لا يمثل إلا إثارة سريعة في أبعاد ذكرى العلمين (الشبيبي والمظفر) رحمهما الله داعيا الله تعالى بحسن التوفيق والسداد.

محمد جواد الطريحي

وجوه المشابهة في السيرة والمسيرة

إن الاحتفاء برجال المبادئ الخيرة يجسد للأمة ملامح النهوض ويؤكد الهوية العلمية للشخصيات التي أسهمت في دور الريادة في بناء الكيان المعرفي، وشاركت في رفد الأجيال بدروس العطاء والوفاء والأسوة الحسنة.

وانطلاقاً من ذلك تبرز أهمية المبادرة الرائعة لإحياء ذكرى فريدة في تاريخ النجف الأشرف بما تصطف به من معالم في واجهة المضمار الحضاري لتاريخها العريق الحافل بروائع حياة الأفذاذ من الأعلام الذين تسنّموا -بأفق عطائهم الفكري- قمة ثمار المدرسة النجفية عبر مشوارها الشامخ بأعمدة النور من أولئك المتميزين من الهداة الذين سطع بهم الأفق ونوروا الدنيا بشموع الفضيلة وقناديل العلم في لوحة خالدة تعهد مجدها مجددا أثر مجدد.

ونود الإشارة إلى أن هذه الدراسة ستقتصر على معالم التشابه في حياة كل من الشيخ الشبيبي والشيخ المظفر.

فحينما نحاول أن نستجلي حياتهما تستوقفنا حقيقة أنهما قد اجتمعا في أكثر من وحدة بالمشتركات الذاتية الشخصية والموضوعية في السيرة والمسيرة وآفاق التطلعات والطموحات، وما حاول كل منهما أن يحقق على مستوى النتائج من ثمار كان لها أثرها على الواقع المعاش أبان الزمن الماضي وفي مستقبلات الأيام التي أثبتت صحة التنبؤات والوعي المبكر بما هدفا إلى إقراره وقدما التضحيات الغالية من أجله.

وحين نقف على عتبة أوجه التشابه بين شخصيتيهما فلابد أن نلحظ ذلك في ضوء:

١. المستوى الشخصي: إن كلا منهما اسمه (الرضا) ووالدتيهما بنات عم[1] من

(١) فوالدة الشبيبي (محمد رضا) بنت العالم الأديب الشيخ مهدي بن الشيخ نعمة الطريحي (ت١٢٨٩) ووالدة المظفر بنت الفقيه الشيخ عبد الحسين الطريحي (ت١٢٩٣) وكلاهما ولدا الفقيه

أسرة علمية عريقة في النجف.

وإنهما ولدا في محلة البراق وترعرعا في نشأة دراسية تجتمع بها وحدة الأسلوب والمنهج على الطريقة التقليدية في مجال تحصيل الدراسات الدينية في الحوزة العلمية، يضاف إلى هذا الجانب التعليمي لهما أن الأداء التربوي لكليهما في الأسرة أو في حضور الدرس سواء عند الكتاتيب أو في مراحل التحصيل العلمي مكانا وزمانا وأساتذة إلى حد قريب كان لا يفرق كذلك، وإنهما بعد وفاتهما دفنا في النجف.

٢. المشابهة بينهما في النشأة الدراسية في الكتاتيب ثم في أروقة الحوزة العلمية بزمن متقارب بحدود (ستة عشر عاما)[١] ، وأنهيا مراحل الدراسة بالطريقة التقليدية، وإذا قيل عن الشبيبي أنه بعد مرحلة المقدمات أحس بالنفور وانقطع ليتجه إلى الدراسة الحرة والتفكير المجرد وقد أعرب الشبيبي في بعض خواطره بقوله:

(كنا في رهط من الشباب العراقيين وغيرهم نفكر تارة في رسم أهدافنا وطورا في الوسائل التي توصلنا إليها، ولم نكن نستهدف في الواقع إلا الحياة في ظل نظام تحترم فيه الحقوق والواجبات وتفلح في كنفه المساعي ويتيسر النهوض بالبلاد كما كان في مقدمة العقبات الشاقة التي تواجهنا دائماً استفحال الجمود).

فان المظفر يذكر عن هذه المرحلة عدم رغبته في الدرس على الطريقة المألوفة، فكان يتهاون في الاشتغال بقراءته لباقي كتب النحو التي تداركها بعد ذلك في حضوره على الشيخ محمد طه الحويزي الذي يفيد بأنه: استفاد منه فائدة كلية في التوصل إلى التنقيب عن المسائل العلمية بما كان يتوسع به في بسط المسائل وتحقيقها[٢]، وقد استمر في إكمال

المرجع الجليل الشيخ نعمة الطريحي.

(١) كانت ولادة الشبيبي عام ١٣٠٦، وولادة المظفر عام ١٣٢٢.

(٢) فيما ترجم لنفسه بخطه، علي الخاقاني، شعراء الغري ٨: ٤٥١.

دراساته الفقهية والأصولية حتى بلوغه درجة الاجتهاد، على أن الشبيبي وإن أكمل سعيه الدراسي عند أعلام عصره في علوم العربية والمنطق والفقه والأصول وصولا إلى مستوى البحث الخارج، إلا أن تفكيره الحر استهاله إلى دراسة الفلسفة والفنون والآداب والعلوم المتنوعة، كما كان له ولع بأيام شبابه بتعلم اللغات حيث يقول: (لم أجد لغة غير العربية إجادة تامة، إني أعرف طرفا من الفارسية ومن اللغات الشرقية الأخرى ومن بعض اللغات الغربية)[١].

٣.نستطيع القول أنهما تأدبا وتربيا في أحضان مجلس واحد هو مجلس شيخ الأدب وعميده الشيخ جواد الشبيبي[٢]، الذي هو ندوة جامعة وملتقى عامر بأدباء النجف وعلمائه يتطارحون فيه الشعر ويتداولون الشؤون العامة المختلفة، وتجري فيه المناظرات العلمية، فهو بهذا الاعتبار مدرسة تنفتح عليها قرائح الأبناء الشباب في تربيتهم لخوض غمار الحياة الاجتماعية وانفتاح عقولهم على ما يدور في تلك المجالس كما تتيقظ المواهب وتنشط القابليات بهذه الخبرة لتنهض بتكوين العبقرية والألمعية التي امتاز بهما الشبيبي والمظفر.

٤. أضف إلى ذلك أن مجلس الشبيبي الكبير امتد في حياة المظفر بعدئذ حين انتقل بيت الشبيبي إلى بغداد، فحل آل المظفر في بيتهم حيث عاش به أشقاء المظفر الثلاثة ونشؤوا بمكانة مرموقة كانت مضرب المثل بين الناس من حيث الخلق الرضي والصفاء والوفاء والإخلاص، وقد شق الأخ الأكبر طريقه في هذا الزحام حتى بلغ

(١) انظر علي عبد شناوة في دراسته الموسومة (الشبيبي في شبابه السياسي): ٢٥.

(٢) وصفه الشبيبي بقوله: (ولم يزل ناديه من ابهج نوادي الادب في النجف تلقى فيه المحاضرات النافعة، وتجرى فيه المناظرات المفيدة، والمذاكرات العلمية فهو مجتمع الطبقة العليا من المهرة الذين يفعل أحاديثهم في الألباب ما لا تفعل السحرة)، نبذة من سيرة المرحوم الوالد الشيخ جواد الشبيبي الورقة ٣ مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي.

درجة الاجتهاد وأصبح من أهم المراجع الدينية، وتميز الأخوة جميعا عن بقية الناس ببشرة طافحة على وجوههم وجاذبية من نوع خاص التي هي مظهر من مظاهر الوداعة والطيبة وصفاء النفس في نسج واحد، من دماثة الخلق وإشراقة الوجه وكان هؤلاء الإخوة يسكنون دارا واحدة ولدوا فيها ونشؤوا وترعرعوا في أفيائها وتزوجوا وأولدوا بها، ولم يتحولوا عن دارهم إلا بعد أن ضاقت بهم وبأولادهم إلى الانتقال الى بيوت مستقلة[١].

٥. عاش كل منهما الفترة التي أعقبت الدولة العثمانية وتطلع المجتمع الشرقي وانبهاره بالنهضة الحديثة في أوربا، وأدركا كذلك المعاناة التي كانت تعيشها الشعوب الإسلامية والعربية – ومنها العراق – من التفكك والتشرذم وتداعيات الاحتلال الأجنبي من الاستعمار الحديث، وشاهدا الاوضاع الاقتصادية للناس من الفقر والجوع والامراض الفتاكة وحالة الجهل والامية وطبيعة المؤثرات السلبية الداعية للاخفاق في التقدم على المستوى الفردي والاجتماعي، مما ولد فيهما روح النهضة والتصدي الشجاع لمشاريع اصلاحية بناءة وفق منهجية نجحت في النتائج التي انطلقت لتحقيقها، فقد كان الشبيبي رائدا من العراقيين في عصر نهوضهم الفكري والسياسي الجديد، فقد دق الناقوس في شتى الميادين الدين، اللغة، الادب، العلم، التاريخ و الاجتماع وكان يروم من ذلك تنبيه الاذهان وتهيئة لوازم النهوض ومقاومة الاستبداد، فالوعي لديه أمر لابد منه لتحقيق الهدف المنشود ويتجلى موقفه حين يقول: (إنني لا أدعي بانني صاحب رسالة بل أنا أبذل جهدي في سبيل المصلحة العامة والعمل في سبيل المصلحة العامة ليس له نهاية فهو عمل باق ما بقيت الحياة وما ترددت الأنفاس).

وعندما حدد غرضه بالإصرار على مواصلة التصدي للظلم عبر عن ذلك بقوله:

---

(١) انظر جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم ٢: ١١.

انفض غبار الذل عنك ناهضا فالصقر لما صافح الترب نهض
فدولة الجور مع الجور انقضت عنك وعصر الظلم كالظلم انقرض
مضى زمان قولك الحق به اثم وقول الاثم حق مفترض
واليوم هذا قولنا فمن نهى وهذه الفاظنا من اعترض

٦. تحقق لكل منهما دور رئيسي في المجال الاصلاحي العام، حيث برز هدف الشبيبي في الاصلاح الوطني والسياسي والاجتماعي حيثما حل موقعه بصفته وزيرا ونائبا ورئيسا لمجلس النواب أو الأعيان ثم رئيسا في المجمع العلمي وعضوا عاملا في المجامع العلمية العربية.

فالمعروف عنه بعد اكتسابه العلوم على أيدي المشاهير من أعلام عصره وتفوقه على معظم اخدانه تفوقا اكسبه شهرة وهو بعد في ريعان شبابه، فانبرى الى مواجهة مجتمعه المتلبد بالتقاليد والعادات والاساطير وبصور من التجديد والتطلع الى استعادة الحضارة العربية في دور انحلال الدولة العثمانية ثم تلاشيها، وناوأه نفر بدعوى انه النازع عن حضيرته والخارج على نواميسه جهلا منهم انه عدو لمعتقداتهم وخصم لسيرتهم، ولكنه كان قوي الشكيمة للتطلع والطموح الى مجده، والثورة التي تبعث بها اصداء الفئات المتحررة في العالم، وعانى من ابناء بلده ما عاناه الأحرار في التاريخ، فقد تصوروه خارجا على منهجهم في وقت التصارع الفكري بين القديم والجديد الذي كان على اشده، فاصبح من الاعلام الذين يحملون مشعل الحرية ومن الابطال الذين يهجمون على تلك الحضائر التي نسج فيها العنكبوت بيوته، وعلى العقول التي تحجرت حتى عادت لا تقبل أي فكرة او رأي، وسار لا يلوي على شيء سوى تحقيق أهدافه من كفاح المستعمرين والجهاد في سبيل اعلاء كلمة الحق والعدل والحرية وظل يخاصم الاقوياء مخاصمة عنيفة.

وهو شخصية تتسع أبعادها إلى آفاق معرفية متعددة فهو العالم المؤرخ البلداني الرحالة الأديب الشاعر اللغوي الوطني الاصلاحي، تمتاز سيرته بانها مشرقة معطاءة ذات تاريخ ناصع لم يلوث بدرن الالتواء مع المستعمرين وبالروح النقية والصبر على المحن والاحن المادية التي خرج منها رافع الراس لم يخضع لشيء يقلص من ظل كرامته ويخجل جاهه، فيستولي على أرض أو عقار أو استغلال المنصب للمصلحة الخاصة.

وهو شاعر غنى بشعره العالم العربي ورددته المحافل الادبية والسياسية وكررت نشره الصحف والمجلات، وقرضه الاعلام من مشاهير الشرق، والحق انه شاعر فحل قوي الديباجة جزل الالفاظ مبدع في الخواطر مرهف الحس يحمل نفسا كبيرة وروحا وثابة وقلبا مفعما بحب الدين والوطن وله لفتات قد لا يزاحمه عليها احد، واما ديوانه فكان احد العوامل التي خطت بالفكر العربي واخصبته وعاونت على بعث الادب العربي من جديد.

وقد حظي بدراسات وبحوث عن حياته ونضاله الفكري فكان الاوفر حظا اكثر مما توفر منها لأقرانه من أعلام عصره، الا ان الانصاف له ولامثاله في زمن القحط الحاضر – إلى اليوم – لم يكن بالمستوى الذي يستحقه، شأنه بذلك شأن الخيرين الذين بذلوا المهج وخاضوا اللجج وامتازوا بالتألق وسبقوا إلى تعاطي خلود الذكرى والأثر، ومحصلة دارسي حياة الشيخ الشبيبي اختصرها الاستاذ عباس محمود العقاد بقوله: كان متعدد الجوانب متسع الآفاق، واصفا له انه: دخل المجمع من أكثر من باب[1].

(١) في الكلمة الترحيبية بمناسبة انتخاب الشبيبي عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٤٨. يقول حسن الامين: كانت في الشيخ محمد رضا الشبيبي عدة صفات تحله كل واحدة منها في النفوس اكرم محل فكيف بها مجتمعة، فلابد ان يعنى به الدارسون وان تكون له في تاريخنا الادبي والعلمي والكفاحي مكانة رفيعة. انظر، الشيخ محمد رضا الشبيبي علامة العراق وشاعر العرب ونقلا عن علي عبد شناوة الشبيبي في شبابه السياسي: ٥.

واتصفت سيرته النقية بالاتزان والاستقامة لم يدنسها المال الحرام، فالشبيبي لم يكن ضعيفا امام المال بل انه جرب الحاجة مرارا في حياته ولم يتخذ من الوظيفة ومن الادب والعلم حرفة تدر عليه، ومن اجل سلامة مبادئه وتضحياته في سبيل مثله العليا عرف دائما بالوزير المستقيل، وما جعله رئاسيا في ميدان المعارضة بحيث ان المعارضين كانوا يلتفون حوله عادة.

اما صفاته الشخصية فقد كان معتدل البنية حنطي اللون مربوعا أقرب الى الطول طبيعي النظر خفيف اللحية جاد المظهر متواضعا في الهيئة يلبس قباء بلون داكن وعباءة سوداء وعلى رأسه عمامة بيضاء ليبدو متأنقا حسب مفاهيم المجتمع يومذاك، عرفه الجميع منذ شبابه وقورا متزنا بسيطا الى الحد الذي تجاوز فيه ثوابت ابناء طبقته.[1]

يقول الشبيبي: كنا في رهط من الشباب العراقيين وغيرهم نفكر تارة في رسم أهدافنا وطورا في الوسائل التي توصلنا اليها، ولم نكن نستهدف في الواقع الا الحياة في ظل نظام تحترم فيه الحقوق والواجبات وتفلح في كنفه المساعي ويتيسر النهوض بالبلاد كما كان في مقدمة العقبات الشاقة التي تواجهنا دائما استفحال الجمود وفقدان الشعور بالواجب خصوصا لدى المسؤولين وعدم اكتراثهم أو مبالاتهم بالأخطار فتضطرم النفوس وتثور الارواح المتمردة وتتضاعف الهواجس والآلام ثم تفيض بهذه الصور الشعرية كما يفيض القلب الملآن.

الشبيبي أول من فكر بالنجف بإحياء التراث الادبي وتأسيس جمعية تقوم بدراسة المخطوطات وتحقيقها وتتولى طبعها ونشرها على غرار لجنة التأليف والترجمة والنشر التي تأسست بعد ذلك في مصر، وقد باشر الشبيبي وجماعته حضور بيع الكتب بالمزاد

(١) حسب وصف أخيه محمد حسين الشبيبي في مقابلة بتاريخ ١٢ آذار ١٩٩٢. انظر عباس عبد شناوة، المصدر السابق: ٦٧.

الذي كان يجري كل اسبوع في النجف.. وقد تجمعت لدى الشبيبي طائفة كبيرة من المخطوطات والكتب القديمة التي اعتمدها فيما كتب من بحوث وما حقق من مسائل، وكان له الفضل في الاحتفاظ بعدد من النسخ المنفردة وبالنتف التاريخية عن النجف بصورة خاصة وعن تاريخ ثلة من رجالات الادب والعلم في العراق.

وهو ممن شارك في اجتماع النجف الذي ضم زعماء العراق من العلماء ورؤساء القبائل، وبعد اعتراضهم على مطاليب الحاكم الانكليزي حمل الشبيبي اول وثيقة في تاريخ العراق المعاصر ذات قيمة كبرى، وقد وقعها رجالات العراق الوطنيون تضمنت طلب الاستقلال وتحديد رغبة العراق في قيام دولته دون وصاية ولا انتداب. وقد حقق على هذا الصعيد انجازات كبيرة يشار لها بالتقدير والاحترام.

أما المظفر فكان مجاله الاصلاح في مجال دراسات الحوزة العلمية، حيث وجه عنايته الى النظر والتقويم ورسم المناهج التعليمية والتربوية ومما يشير اليه فيما يسجله عن استاذه الكمباني قوله: (وكثيرا ما كان يوحي الينا في الخلوة به من خواطره في سبيل اصلاح الحركة العلمية والمجتمع الروحي، ولم يكن يواتيه – يومئذ – ان ينهض بواحد منها حتى خسره العلم والدين عمادا لقبة الإسلام وعميدا لخزان الشريعة وخزانا للفيض الالهي).

وعندما يقف بشجاعة لإنجاز طموحاته في زمن ارتسمت فيه معالم السبات والاتهام يقول: (ان من اصعب الاشياء ان يفكر الإنسان تفكيرا حرا حتى في ابسط الامور ولو في ساعة الخلوة بنفسه، فانه حينئذ تخالجه من الآراء الموروثة من جهة ومن المخاوف والوساوس من جهة اخرى ما تجعله ينوء بحمل ثقيل لا تقوى عليه نفسه مهما عظمت وشمخت...).

وقد تجسد اهتمامه الى واقع منظور فأسس جمعية منتدى النشر والمجمع الثقافي

وكلية منتدى النشر وكلية الفقه، وكان اول المبادرين لضرورة تأسيس جامعة الكوفة ثم انه لغرض تحقيق طموحاته في العملية التربوية في ضوء ما يتبناه اسس مدارس بمراحلها المختلفة الابتدائية والمتوسطة والاعدادية، وفي ما هدف اليه في رفد الاصلاح الاجتماعي مبادرته الى تأسيس كلية الوعظ والارشاد في خطوة لإصلاح المنبر الحسيني بتخريج نخبة واعية تعي مسؤوليتها في اهمية هذا الدور الاعلامي البناء، ثم كان لمؤسسته (المنتدى) سبق المبادرة في تأسيس اول مركز اهلي لمحو الامية في العراق سنة ١٩٤٤، وفتح دورات زمنية خاصة مهمة لتنظيم الحياة العامة، مثل دورة مسك الدفاتر التجارية ودورة قسم من العلوم الرياضية واخرى لتعليم اللغات الاجنبية، ومن المهم الاشارة الى انه كان من جملة من كان يستفيد بخبرة هذه الدورات، حتى اثر عنه بانه كان لا يستلم راتبا من الحوزة العلمية بل كان يعمل بشخصه بناء على خبرته التي اكتسبها في مسك الدفاتر التجارية في بعض المحال.

وبذلك فالمظفر بإيمانه لضرورة الاصلاح والتجديد في المجتمع الروحي وما يتعلق بالمناهج الدراسية واساليبها اتخذ الخطوات الجادة لإقرار نظام تعليمي يتناسب مع المرحلة التي تعيشها الامة آنذاك فيعد مستشرفا آفاق المستقبل، ومن طليعة القادة الدينيين الذين بذلوا جل طاقتهم في سبيل المصلحة الإسلامية انطلاقا من غيرته الدينية لإصلاح مجتمعه على اسس الصلاح والتقوى، وبذلك نراه مظفرا فيما سعى اليه من خطوات ايجابية وانه عاش لدينه ولفكره الاصلاحي ولامته انتصارا لمبادئ الحق أكثر من همته واكتراثه بنفسه وأهله ومصالحه الشخصية.

من خلال ما تقدم عرضه يتضح أن ما توصل إليه الشبيبي والمظفر أنهما نهضا بمنهجية علمية أعدت لهما بعد خبرة ومران وفهم واعٍ للواقع المعاش تناولت معالجة الأمور بموضوعية وشجاعة متناهية في ظروف صعبة، وقد ساعدت تربيتهما أن يكونا

على درجة واحدة في معالجة المواقف الصعبة والاتزان في السيرة؛ لأن كلا منهما لم يتجها منذ ريعان شبابهما إلى أن يقتطعا فسحة من العمر إلى التنزه والتفسح على غرار ما يجري في أوساط مجتمعهما.

وكان كل منهما يتحلى بسرعة البديهة وبعدم المجاملة في مواقف احقاق الحق، فلم يسكت الشبيبي او المظفر عن كائن من كان إذا احس ان في كلامه ما يمس الدين او الوطنية أو يتطاول أحد على مقدسات وقيم عليا، حتى وان كان المقابل شخصا اوهيأة ذات قدرات وقابليات ضاغطة، بل كانا يتعاملان بطبع هادئ ويكتم كل منهما غيضه، ولم يعرف عنهما طيلة حياتهما ان ردا على منتقديهما في ميدان العلم شفاها أو كتابة كما لم يعرفا للتعصب معنى أيا كان شكله.

وكانا رحمهما الله مثالا للوفاء للجميع.

منهج المظفّر في دراساته وآفاق مدرسته[١]

د. محمد جواد الطريحي

حاولت في المقدّمة – عند التمهيد لأصول العقيدة – أن استشهد بما كان يتبنّاه الشيخ المظفّر قدس سره من خلاصة الفكر العقائدي الإمامي، إلّا أنّ ملاحقة الكتاب عند تحقيق نصوصه أبرزت خصائص ومميّزات تصلح لاعتبارها عناصر لمنهج الشيخ المظفّر في عرض العقائد، لذلك نحاول أن نستعرضها كما يلي:

أولاً: يتميّز اسلوب الشيخ في عرضه للأفكار العقائدية بسلاسة التعبير، وجزالة اللفظ، واستعمال الكلمات المعبّرة القريبة إلى ذهن القارئ مع مراعاة مستويات الفهم لدى المتلقّي؛ حيث يصلح اسلوبه لأن تعيه الطبقة العامّة وفي نفس الوقت يستلذّ قراءته طبقات المثقّفين والمعنيّين.

وهذه القابليّة في العرض للمفاهيم لم تأت عفو الخاطر، بل إنّ الشيخ تمتّع بها من خلال أصالته وطول باعه في دراسة آداب اللغة العربية، واستيعابه لمفرداتها، ولا يمكن بحال أن نغفل بالذكر عن مستوى الدراسات الإسلامية والعربية في طور نشأته ونبوغه المبكّر، وولعه في مقتبل عمره إلى التمعّن والإحاطة بالعلوم العربيّة، وولعه بالإحاطة بالمعارف العقليّة وإغناء عقليّته بالتراث الكلامي، ودراسة مختلف وجهات النظر في مسائل الفكر والعقيدة، خاصّة وأنّه خرّيج مدرسة أخيه الإمام الشيخ محمد حسن، الذي كان (من مشايخ التدريس، دقيق النظر، عميق التفكير والتحقيق، حسن الاسلوب في التفهيم.. وكان يحرّر المسألة بتحرير واضح يتبيّن فيه موضع الخلاف جليّاً؛ لئلاّ تلتبس الآراء من حيث تداخل بعض المصاديق ببعض، ثمّ يُبدي رأيه معتضداً بالحجّة، ذابّاً عمّا

(١) أعدت هذه الدراسة من خلال تحقيق كتاب عقائد الإمامية للشيخ المظفر ولم تنشر في حينه.

اختاره في تفنيد ما قيل أو يمكن أن يقال على خلافه، مؤيّداً بالذوق الصحيح العالي، والفطرة السليمة الحرّة، غير مأخوذ بما يستدعي اتّباع المشهور لكونه مشهوراً من دون ان تسانده الأدلّة)[1].

هذا، بالإضافة إلى تمرّسه وتجربته العلميّة في التلمذة على شيخ العلماء المحقّقين استاذه الشيخ محمد حسين الاصفهاني، الذي أضفى عليه من غزير علمه، وبصّره بالمعاني الدقيقة للمباحث الفلسفيّة، والمسائل العويصة، وهو العَلَم الفرد، الذي لا يشقّ له غبار، وتشهد بمنزلته الأفاضل من الأعلام.

ثانياً: امتاز الشيخ بطابع التجديد في التعبير والاختيار شكلاً واسلوباً ومضموناً، ولذلك فهو يمثّل – بالنسبة إلى تأريخنا العلمي المعاصر – رائداً في أسلوب النثر الفنّي الجديد، خاصّة بالنسبة لمدرسة الأدب الحديث في النجف، ولا نستطيع أن نلمّ هنا بواقع هذا الاتّجاه الجديد إلّا من خلال دراسة النصوص التي قدّمها في دراساته وبحوثه المتعدّدة في علوم الشريعة، وفي أدبه وشعره، وسائر رسائله.

أمّا في كتاب العقائد، فلم يسبق لأحد من أعلامنا الأفاضل أن كتب في هذا الموضوع

(١) آل الشيخ راضي: الحجة الكبير الشيخ محمد طاهر، مقدّمة كتاب دلائل الصدق للشيخ محمدحسن، هذا الذي (ردّ فيه على الفضل بن روزبهان في مناقشة كلاميّة في المسائل الخلافية بين الشيعة الإمامية وأهل السنّة والجماعة، وهو عديم النظير جمعاً وتحقيقاً وتأسيساً؛ يستقصي كلام الفضل ابن روزبهان نقطة نقطة، ولم يفته منه شيء أصلاً، فيرفع مبناه في أساسه وشجرته من عروقها وأفنانه من أعذاقها، فيعود ولا حبّ لحصيده، ولا عدّة لعديده، مع أدب كامل ومجاملة تامّة، لا يشذّ قلمه، مع أنّ المخاطب ابن روزبهان الذي لم يلتزم بآداب المناظرة بما ظهر في ردّه على العلاّمة الحلّي من ألوان السباب، ولو كال له بصاعه لما كان ظلماً وتعدّياً من شيخنا عليه، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ ما اعتَدَى عَلَيْكُمْ**﴾(البقرة: ١٩٤)، ولكن شيخنا أعلى الله مقامه آثر الاتّزان والرصانة، فعفا وأعرض، فإذا وقفت على ذلك عجبت من أسلوب ابن روزبهان ونزاهة شيخنا، وعلوّ مقامه، وأحسب أنّه لا يتكلّف أن يكون كذلك؛ لأنّه مجبول على ذلك ومطبوع عليه، ولم يسمع عنه مدّة عمره الشريف ما ينافي المروءة والكرامة). ص ٢٥ من المقدمة.

الخطير على طريقة شيخنا المظفّر، وطبيعته في لمّ شتات المكنونات من المسائل الاعتقاديّة مع الإلمام بإشكاليّاتها الدقيقة؛ حيث أنّ الأسلوب التقليدي كان هو الصفة الغالبة؛ لأنّ الأصل في الدراسة هو الشروح على الباب الحادي عشر، وبهذا يكون الشيخ المظفّر قد بدأ مرحلة جديدة لإثارة مباركة في تدريس العقائد والاصول الاخرى.

على أنّ البعض قد يزهد في القول، فيحاول أن يقلّل من أهميّة ما كتبه المظفّر في عقائده، إلّا أنّ الحقيقة هو الاقرار بسبقه إلى طرح هذا الاسلوب الدراسي الجديد في التعرّف على العقائد.

ثالثاً: يستطيع المعنيّون بالبحث العقائدي اعتبار كتاب عقائد الإماميّة محاولة لرسم الخطوط العريضة للنظرية العامّة في العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، بحيث أنّ الكتاب وفّر – إلى حدّ ما – فهرسة لمهمّات المسائل الاعتقادية.

إلّا أنّ هذه المهمّة التي اضطلع بها شيخنا المظفّر لم تستكمل صورتها الكاملة، بسبب أنّ الشيخ بدأها بعنوان محاضرات ألقاها، ومن ثمّ كان لانشغاله بصيانة مؤسّسته وحصانتها ممّا لحق بها – في حينه – من العنت والمواجهة العنيفة من الوسط الذي كان يقف قبال حركة الإصلاح والتجديد موقف التنديد.

ولذلك لم نفلح منه فيما يخصّ موضوع العقائد في حدود ما رسمه من منهج يتطلّبه البحث العلمي الرصين، بل كانت له عودة لمرّات عديدة حاول الشيخ من خلالها أن يستجلي واقع الفكر العقائدي عند الإماميّة في بحوثه ودراساته التي قدّمها في المجلاّت أو المؤتمرات العلميّة، مثال ذلك ما قدّمه حول فلسفة الإمام علي عليه السلام والكندي، وابن سينا، وكذلك ما أفاده في محاضراته الفلسفية، وغير ذلك ممّا يعتبر مادّة دسمة جاهزة لدراسة منهجه ورؤاه.

رابعاً: من مزايا الاطروحة العقيديّة عند الشيخ المظفّر أنّه يحاول أثناء طروحاته

الإشارة إلى بعض النكات الفقهيّة والمباحث الأصولية؛ إيماناً منه بنظرية الوحدة التشريعية لأحكام الشريعة الإسلاميّة وترابطها مع البعض، وأنّها سلسلة متراصّة الأبعاد، متقاربة المناحي في اتّجاه واحد، وأنّ النظرة إلى الشريعة لا بدّ وأن تكون في إطار هذا الأفق الذي يحقّق لها إنسانيّتها وخلود آثارها.

وأمّا الجانب الهام الذي يظهر بجلاء في أثناء تقريره لمبادئ العقيدة، فهو اهتمامه بمعالجة القضيّة الاجتماعية في أثناء الطرح العقائدي، وذلك لقناعته بأنّ محصّلة البحث تتعيّن في البناء الاجتماعي السليم الذي يحقّقه العقل المسلم بإيمانه وموقفه العقائدي؛ حيث يستشفّ من خلاله الفهم الاجتماعي للنصوص المتعلّقة برؤية الشريعة إلى نواحي الحياة المتعدّدة.

خامساً: منذ نشأة التشيّع الأولى، باعتباره أطروحة الإسلام الحقيقية، فقد واجه إثارة الشبهات حوله، ما جعل موجة التشكيك تتلوّن في كلّ عصر بطابع معيّن وبصيغ متعدّدة، حتى بلغ الحال أن استخدمت بعض الدوائر المشبوهة طبقة ممّن يمتّ إلى الشيعة انتساباً لا يبلغ حدّ الاسم !

وممّا يلاحظ – هنا – من جهاد الشيخ المظفّر هو قيامه بتقصّي الشبهات المثارة حول معتقدات الشيعة الإماميّة ونقدها بردّ مناسب يحمل مصداقيّة المبدأ، والجدوى في فهم المقصود باسلوب يحمل براعة الفهم الواعي، والحجّة الدامغة التي تحطّم هيكليّة المخاصمة، وقد أشبع لذلك طريقة استعراض الشبهة في مقوّماتها الدقيقة، ومن ثمّ الردّ عليها باسلوب يتناسب مع حجمها وعمقها، وبعد ذلك يرتّب نتيجة ما يتوصّل إليه في لغة الاستنكار والتعجّب.

سادساً: بادر رحمه الله إلى معالجة موضوع في غاية الأهميّة عند التعرّض لبحث العقائد، وهو ما يمكن أن يثار بصدد نسبة كثير من المسائل التي تنتسب إلى طوائف

وفرق نسبت إلى الإسلام أو إلى الشيعة زوراً وبهتاناً، بل ربّما أنّ البعض منها ليس له وجود، بل هو من مبتكرات أفكار الحاقدين، الذين يحاولون – بشتّى وسائلهم – تشويه صورة الإسلام أو التشيّع بشكل خاص، ولهذا فإنّ الشيخ المظفّر قام برصد هذه النسبة؛ ليفضح زيفها في كلّ مورد وردت فيه.

سابعاً: لم يكن من منهج الشيخ رحمه الله أن تتسرّب العاطفة إلى كتاباته وتسوقه إلى لغة الطائفيّة الضيّقة، ومن خلال ما يعالج من موضوعات عقائديّة تنتسب إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، فإنّه يعرضها على أنّها أطروحة إسلاميّة، وأنّها تمثّل الوجه الحقيقي الذي صدعت به الرسالة، وهو حينما يثبت ذلك، فإنّما يؤكّدها على سبيل اليقين الراسخ الذي يتولّد من خلال الولاء والحب، وما يقتضيانه من وفاء وإخلاص مبدئي، ذلك لأنّ طريقة أهل البيت عليهم السلام هي السبيل الأقوم، والنهج المستقيم، فتراه حين يقول في معرض حديثه عن طاعة الأئمّة عليهم السلام: (ولهذا نعتقد أنّ الأحكام الشرعيّة لا تستقى إلّا من نمير مائهم، ولا يصحّ أخذها إلّا منهم، ولا تفرغ ذمّة المكلّف بالرجوع إلى غيرهم، ولا يطمئنّ بينه وبين الله إلى أنه قد أدّى ما عليه من التكاليف المفروضة إلّا من طريقهم)[1].

كذلك نجده يقول: (لا يبقى للمكلّف مجال أن يتخيّر ويرجع إلى أيّ مذهب شاء، ورأي اختار، بل لا بدّ أن يفحص ويبحث حتّى تحصل له الحجّة القاطعة بينه وبين الله تعالى على تعيين مذهب خاص يتيقّن أنّه يتوصّل به إلى أحكام الله، وتفرغ به ذمّته من التكاليف المفروضة)[2].

---

(١) المظفّر: الشيخ محمد رضا، عقائد الإماميّة: ص ٩٢.

(٢) المصدر السابق ص ٩٣، على أنّ أهميّة منهج المظفّر تبدو أكثر عند قراءة كتابه «السقيفة»، حيث (وفّق في عدّة نواحٍ في نظرته لبحثه نظرة موضوعيّة خالصة لا يلمس للمؤلّف أيّة عاطفة ولا يدرك فيها أيّ تحيّز، وإذا قدّر له أن ينتهي في بحثه إلى حيث تنتهي عاطفته المذهبية، فليس ذلك إلّا لأنّ

ثامناً: وممّا يلاحظ على ما أورده الشيخ في كتابه بخصوص إثبات الصانع جلّ وعلا بأنّه لم يستوف هذا البحث على أهميّته، إلّا أنّ الحقيقة أنّه قد عالجه من خلال ما طرحه في بحوث ودراسات أخرى، وقد كان الأمل كبيراً أن يقوم رحمه الله بجمع هذا التراث الكلامي في كتاب مستقل، إلّا أنّ تناثره في مقالات لا يعني عدم انتباه الشيخ إلى أهمّية دراسته[1].

ولهذا فقد حاولت ما أمكنتني الفرصة إلى بذل الهمّة في تقصّي واستيعاب ما كتبه الشيخ في مثل هذه المباحث والإشارة إليها أو التنويه عنها، وقد يوفّق الباري في مستقبل الأيّام إلى إعادة نظم هذه الدرر الفاخرة من كلام شيخنا قدّس سرّه، خاصّة بعد أن مرّ الزمن على اعتبار ما أورده الشيخ وصفاً لكتابه العقائد بأنّه (مذكّرات أمليتها...).

تاسعاً: حاول الشيخ بمنهجه الرائع اختصار الإطناب والمناقشات المفصّلة في كتب علم الكلام والبحوث العقائدية عند الشيعة الإمامية، ومن هذا يتّضح مكانة الجهد العلمي الذي بذله الشيخ من خلال اطّلاعه على الآراء والأفكار المتطاحنة، على أنّ مهمّة تنقية هذه الآراء وتوحيدها، ومعرفة الغث والسمين منها ليس بالأمر السهل، وتبدو هذه الأهميّة بجلاء في قيام الشيخ بعد ذلك بصياغتها في اسلوبه المعهود، وطريقته في التعبير وأداء المعنى في يسر ووضوح، وهذا يدلّ على قابليّة فذّة قلّما تجتمع إلّا للصفوة القلائل من أعلام الفكر والعقيدة.

منهجه العلمي الدقيق، القائم على التماس ملابسات شتّى، ألقت كثيراً من الأضواء على هذه الحادثة التأريخيّة، بالإضافة إلى ما عرض من النصوص الواردة فيها خاصّة، ناقداً لها جميعاً نقداً دلالياً دقيقاً، مجلياً مفاهيمها على ما يقتضيه الفن، معتمداً في ذلك أصحّ الطرق الموصلة إليها، مختاراً من الأحاديث ما اتفق عليه الثقات من أئمة الحديث لدى الطائفتين المسلمتين). مقدّمة المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر للكتاب ص ١٠.

(١) كما أورد ذلك سماحة السيد محسن الخرازي في كتابه الموسوم بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإماميّة.

عاشراً: بات من الجلي جدّاً أنّ شيخنا المظفّر لم يتخلّ عن مهمّته في الإصلاح المنشود الذي كان يتوخّاه من خلال حركته المباركة، سواء في العمل المؤسّساتي، أو فيما حكاه وجدانه وضميره على صفحات ما كتب وطرح من أفكار وآراء ودراسات، ولذلك بالرغم من أنّ كتابه هذا ينحصر في الجانب العقائدي، إلّا أنّه عندما يجد الفرصة مؤاتية للحديث عن الإصلاح فإنّه يتعرّض لها، ويضعها ضمن وظائف وأهداف الكتاب، ولذلك نجده – مثلاً – يقول في حديثه عن الإسلام: (ولو طبّقت الشريعة الإسلاميّة بقوانينها في الأرض تطبيقاً كاملاً صحيحاً، لعمّ السلام بين البشر، وتمت السعادة لهم... وإذا كنّا نشاهد اليوم الحالة المزرية عند الذين يسمّون أنفسهم بالمسلمين، فلأن الدين الإسلامي – في الحقيقة – لم يطبّق بنصّه وروحه – إلى قوله – وكيف ينتظر من الدين أن ينتشل الامّة من وهدتها وهو عندها حبر على ورق، لا يُعمل بأقل القليل من تعاليمه)[1].

ثم يعرض المشكلة بقوله: (ولا شكّ أنّ أعظم ما مني به الإسلام والمسلمون هو التساهل مع أهل الجور، والتغاضي عن مساوئهم، والتعامل معهم، فضلاً عن ممالأتهم.. وما جرّ الويلات على الأمّة الإسلامية إلّا ذلك الانحراف عن جدد الصواب والحق...)[2].

(١) انظر: عقائد الإمامية، عقيدتنا في الإسلام.

(٢) المصدر السابق، عقيدتنا في التعاون مع الظالمين.

٣. المراثي الشعرية

أأبا محمد

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي

بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٩٩

ما نال من اسماعنا اصغاءا من راح بعدك في الوجود وجاءا
لم تبق في اسماعنا وعيوننا افقا لساطعة ولا اجواءا
ملكت هوانا من رؤاك ملامح عشناك فيها الصوت والاصداءا
دعنا على الذكرى نهوم بعدما عشناك في ملء العيون لقاءا
كذب الردى ماحال وجهك بالثرى بل مايزال بوعينا وضاءا
لكنه الدر الثمين وقبره كالجوهري يزيده اخفاءا
حجب الثرى منك الجبين ولمحه لكنه لم يحجب الايحاءا

***

أأبا محمد لم اصدق قبلها موتى تعيش امامنا احياءا
بعد الثلاثة من عقود ونيف مرت ووجهك يستفيق رواءا
فكأنك الحي الذي كنا على اخلاقه نتفيأ النعماءا
نفس تسامت بالمواهب جوهرا وتواضعت بك مظهرا ورداءا
وسخت على ضيق الزمان وعسره وبطيب نفس بزت الكرماءا
وتسامح حتى على اعدائه ما جرب الأحقاد والبغضاءا
ولسان عف رغم دهر فاحش لكنه لم يعرف الفحشاءا
فتخاله من عالم غير الذي نحيا به وتخالهم غرباءا
ويجيء بعض الناس معجزة كما تأتي المعاجز آية بيضاءا

***

أأبـا محـمـد هـل دريـت بـأن ما ... شـيـدتـه ورفـعـت مـنـه لـواءا
كنت المظفر في بـنـاء صروحـه ... والمـسـتراب عـزيـمـة ومـضـاءا
أيـام دربـك محـنـة وحـواجـز ... قاسيت فيه الجـهـد والـلأواءا
فزحمتها شوطا وخضت لهيبها ... جمـرا وقـمـت بحملها اعـبـاءا
حتى غرست براعما صارت إلى ... روح يـمـد الـظـل والافـيـاءا
انحى عليه الحاقدون فازعجوا ... قـرآنـه والـسـنـة الـغـراءا
واتوا على المضمون منه وافرغوا ... مـن محـتـواه وحـولـوه غـثـاءا

***

أأبـا محـمـد حـال بـعـدك افقنا ... فـخـبـا نـجـومـا واكـفـهـر سـمـاءا
وتباعدت اشواطنا فوهى بنا ... عـزم وعـادت خيلنا انـضـاءا
وتمـزقـت اهـدافـنـا وتـنـاحـرت ... مـا بينها حـتـى غـدت اشـلاءا
وهفت فصائل للتشرذم وهي في ... حـسـبـانـهـا تـغـدو بـه رؤسـاءا
وحـسـابـهـا خطأ فـان الـكـل ما ... أجـدى فكيف وقـد غـدا اجـزاءا
فـانـهـار بـيـت لم يـنـل ابـنـاؤه ... نـفـحـا ولاوجـدوا بـه آبـاءا

***

وحسبت ميراث التسيب قد مضى ... فـاذا بـه مـازال فـيـنـا الـداءا
سرنـا فلا نحن الدليل فيقتدى ... فينا ولم نـك كالقطيع سـواءا
ولـقـد اضعنا المشيتين فيا لنا ... لاسـوقـة عـدنـا ولا امـراءا
ومـن الـرزايـا ان نسير ولم تعد ... تـدري امـامـا بـالـسرى ووراءا

***

أمنابت القيصوم في صحرائنا لافارقت جذواتنا الصحراءا
أيام كنا الامنيات بافقنا فرسا أغر وصارما وخباءا
ليل مواقده النجوم ويحتسي سمارهم من مجده صهباءا
وصباحنا حمر الملاحم ننتقي من بينها أيامنا الغراءا
ويح الزمان ونحن من ملء الفضا فتحا نعود أذلة أسراءا
وتعود بعض شرائح نأسى لها في بيتنا لعدونا اجراءا
اللهم اجدى من حياة أجدبت فيها الكرامة ان نموت حياءا

***

أأبا محمد رملة ضمتك في احشائها وسقت بك الاحشاءا
وغفى بجنبك في ثراها صفوة ساروا بدربك اخوة رفقاءا
بعدت علي فصغت كل مشاعري لتكون فوق ترابكم انواءا
ورثتك كي تجلوك افقا مشمسا فرثاء مثلك لايكون رثاءا
والى ثرى ضم الرضا في عفره حبرا ونال بما يضم ثراءا
والى اب اعطى الكثير من ابنه هذي القوافي الحائرات وفاءا

***

واليك ياام الروائع ياهوى يجري بابعاد العروق دماءا
ياحلوة التلعات فضض افقها صبح وذهبها الأصيل مساءا
وجثا بها الماضي خورنق اخضرا حضن الفرات وكوفة حمراءا
وثوى ببطن رمالها الف من الأجيال ضمت سادة كبراءا
وتحضنت حمما بهامات حوت فضلا ودينا صادقا وصفاءا

هذي الشواظ من اللهيب باضلع تشكو الظما واللوعة الخرساءا
قدكان نجوى في الفؤاد فاصحرت فبعثتها لك ياهواي نداءا

رائد الفكر

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي

أكبرت أمسك أن يأسى عليه غد ولم يزل يرفد الدنيا بما يلد
و أمسك النبع ثرا في تدفقه رحب بافنائه يوفي بما يعد
وطئت من فجره جمرا فما احترقت رجل ولذ لها في الجمر مقتعد
و رضته فأحلت الجمر دالية يحلو لضاحين في أفيائها برد
وما لعنت صخورا فيه قد زرعت ليوعر الدرب و هو المهيع الجدد
بل باركتها أياد منك مخصبة حتى تبرعم فينا صخرها الصلد
وسر أما وان آدت بما حملت ان الذي هو في أحشائها ولد
فجرت للرهط شهدا اذ تفجر من حقد وكل على ينبوعه يرد
حتى انتخى الشوط مزهوا بفارسه وقام عن هبوات رائد جلد
تعثرت في مجالي الشوط سابقة في حين يرنو من الغايات مبتعد
فغبت عنا وحاشا أن تموت فما يموت فكر ولا يغتاله اللحد

****

مازلت اجحد و الأمس القريب على كفي يرعف منه العطر والشهد

و أنـت تمـلـؤني في مقلتي ألـق والسمع أنشودة والفكر معتقد
لا لن يموت نـدي منك مؤتلق بـالـنـيرات و لـلأمجـاد منعقد
اني وحـقـك لا أنـفـك تؤنسني رؤى ويـلـطـم وعـي واقـع نكد
تـراك عيني وذهني يحتويك فان مـددت كفي الى كفيك لا أجد
فكم مسحت عيوني عل خادعة من الكرى أخبرت ما ليس يعتمد
و كـم رعـيـت ظـنـونـا أن كـاذبـة نعتك يـدفـعـهـا لـلـفـريـة الحسد
لكن قـبرا على رمحين من بصري يـشـدني فـــاذا كـــل المـنـى بـدد
فـأرعـوي للنهى تجـلـوك لي أفقا رحـبـا يـشـع عـلى أبـعـاده رأد
و مـن عطائك فيه ألـف باسقة شـوامـخ في نـداهـا لـلـسـما نهد
لا يأكل الترب روحا منك خالدة بل كل ما للتراب الشلو و الجسد

******

اني لأعـذر دهـرا لم يسعك فبالـ أيـــام مـن كـل فـكـر رائـــد كبد
لخصت في عـزم عملاق مطوله وان مـعـجـزة أن تخـصر المـدد
ستون عاما ضخاما في حصائلها وان تبدى قصيرا عندها العدد
عمر كـما الـقـدر في خـير فليلته عن ألف شهر بما تعطي وما تعد
و العمر أن تصنع الأمجـاد باذخة طال المدى بعدها أم قصر الأمد
ليهن روحك أن النجم سوف على أفـكـار أبـنـائـك الأخـيـار يتقد
وأن من كل اسفاف و منعطف نحو الهبوط سينجي نهجك السدد

وليهنها أن أم الصقر قد ولدت صقرا وأن الحمى من دونه رصد
تجسدوك سلوكا خيرا و هدى وسوف تبقى بهم حيا ومن ولدوا
شددت أهدافهم بالنجم فاحتقروا ما دون ذاك فباركهم اذا صعدوا

******

يا أيها النبع ثرا في تدفقه أيام أغزر ما في دهرنا الثمد
امنت أنك ما خضت اللهيب لكي تمتد ذات ويجني الدرهم اللبد
أو يحلب الضرع في لهو وفي دعة لاهون ان قام خطب فيهم قعدوا
أو أن تتيه بألقاب وغاشية ونائل وحياة كلها رغد
لكن تمليت جيلا ألف وافدة للأجنبي على أفكاره تفد
يمشي به الصبح في رأي وينقضه عند المساء برأي كله فند
تهفو نوازعه لكن الى خدع كذوبة ما لي راوي وعدها سند
ولست أنعت جيلي أنهم فطر سقيمة أم على ما لقنوا جمدوا
وملء سمعي شهيق من جراحهم يدعو المغيث ولم تأس الجراح يد
فلو دنت قمم منا متوجة الى سفوحهم لارتد من بعدوا
ولاستراحوا الى فكر دعائمه الى السماء ودنيا الله تستند
فليس في ديننا عقم ليبعدهم وانما نحن منا العقم والأود
فرحت تعمل لا تجتر حولقة فالأمر جد وما نال المراد دد
وعشت والجو فيه ألف عاصفة ترب غرسا وينسيك العنا الجلد

حتى نـاك سجل الخالـديـن الى رهط الى غير وجه الله ما قصدوا

******

قـالـوا لـقـد عـق أمـا في تصرفه أنـى و أنـت وأم يجـمـع الـصـدد
فأنت أكرم أن تزري بمن سهروا على الرسالة من ألف وما رقدوا
الحـاضـنـين مـن الـقـرآن شرعته ومانعي الـضـاد ممـن رام يختضد
لكن رأيـت جـديـدا عـاف أولـه الجـديـد ذاب بـه فانصاع يبتعد
كـما رأيـت جـديـدا عـاف أولـه خوف التحجر فيما يدعى الجدد
فرحت تأخذ من هذين ما سلمت أصـولـه وتـدانـيـه و تجتـهـد
حتى استراشت فراخ رحت تعهدها واشتد من جنحها ما كان يرتعد
قامت تبضع منك الجهد هازلة في جيدها يتلوى حبلها المسد
وعـز أن يتـلـهـى بـابـن باقعة جهام مـا مـطـروا لكنهم رعـدوا
مهلا فـما راع قلب اللج قوقعة والشمس ما انكدرت لكنه الرمد
فـأنـت كالنجم لا يثنيه شاتمه عـن الـضـيـاء ولا مـن شـاتـم يجد
وأنت كالعود تشدو فيه ان ضربت أوتـاره النغمات البكر والـغـرد

******

يا زارعـين على الـوادي ثغورهم زهـرا تـرف بـه الآكـام و النجد
وتـائـقـين الى نـجـوى أحبتهم لو ترجم الترب للأحباب ما نشدوا
ابي و تـرب ودادي ثـم بعدهما شيخي بهذي الرمال السمر قد همدوا

مـازال يجمعني رجع الخيال بكم فألـتـقـي بـأحـبـائـي وان بـعـدوا
ليهنكم في تـراب الطهر حيدرة وذاك مـا يتمنى الـنـجـم متسد
ولتكفني لـوعـة بالقلب لاهبة أروح مـن حـرهـا بالجمر أبـترد

******

رائد الجيل

الدكتور السيد مصطفى جمال الدين

بكاكَ لو أنَّ فَيضَ الدمعِ يُسعدُهُ ... جِيلٌ تَحَرَّقْتَ، كي يَحيا بهِ غدُهُ

طافَتْ به ذكرياتٌ كنتَ ذِروتها ... وقد خلتْ منك - إذ أثقَلتَها - يَدُهُ

أيامَ كانَ العسيرَ، الوَعرَ، مَسلكُهُ ... والمُبهمَ، الشاحبَ، الرَجراجَ، مقصِدُهُ

وكان أنكدَ ما عاناهُ أنَّ يداً ... تُضمِّدُ الجُرحَ، تُدمِيهِ وتُفسِدُهُ

جِيلٌ يَعيشُ بأحلامٍ مُخادِعةٍ ... تُدنِيهِ، من قَصدِهِ حِيناً، وتُبعِدُهُ

ينامُ منها على حُلْمٍ يُهدهدُهُ ... ويستفيقُ على حُلمٍ يُسهِّدُهُ

تقْتاتُ من روحه غرثى وساوسه ... يأساً.. ويَسمَنُ من خوفٍ تردّدُهُ

حتى طلعتَ، فجسَّدتَ الرُؤى، ومشى ... في اللاحبِ السهلِ ممّا كنت تُوعِدُهُ

وما ابتدعتَ غريباً عن مَدارِجِهِ ... ولا انحرفتَ بما قد كان يَقصدُهُ

لكنّه النورُ، إذْ يَجلو الطريقَ لنا ... فإنّما هوَ يُنشِيهِ ويوجِدُهُ

***

أبا محمد، والجيلُ الذي وَرَدَتْ ... ظِماؤهُ منكَ، واستنّتكَ شُرَّدُهُ

سيوسعُ الدربَ للأجيالِ صاعدةً ... على مَدَبِّ الرجا فيما يُمهّده

أنتَ الذي كنتَ ناراً في عَزيمتِهِ ... وفيضَ نورٍ بعَينيه يُسَدِّدُهُ

وما بَرِحتَ تُنمّي روحَه حَذراً ... ألاّ يُبدِّدَها فيما يُبدِّدُهُ

حتى إذا ذُبتَ فيه رحمةً وهوىً ... وذابَ تحتَ شُواظٍ منكَ عَسجَدُهُ
سَكَبَتَهُ، مِن جديدٍ.. ثمّ قُلتَ له: ... ذا سُلَّمُ المجدِ، فانظر كيفَ تَصعَدُهُ
جيلٌ نَمَتهُ إلى دُنياكَ فِكرتُهُ ... وإنْ نَماهُ إلى الآباءِ مَولِدُهُ
أبو الفتى ليس مَن ألقى به جَسَداً ... ما أهونَ الصرحَ لولا مَنْ يُمرِّدُهُ
أبي الذي إنْ يَرُعْني مُشكلٌ وَقَفَتْ ... أفكارُهُ بين أفكاري، تُفَنِّدُهُ
وإنْ تخاذلَ عزمي في مجالَدَةٍ ... وَجدتُ عَزماً يُغذِّيه ويَرفُدُهُ
والمرءُ لولا أبٌ يُعنى بفكرتِهِ ... لكان بالحَمأِ المَسنونِ سُؤدَدُهُ

***

أبا محمد، ليلُ الهانئينَ كما ... عُوّدتَ.. ليلٌ على الإرجافِ مَوعِدُهُ
تناهَبَتْكَ غريضَ اللحم[1] سُمَّرُهُ ... وقَلّبتْكَ على الأحقادِ حُسَّدُهُ
فلم تَجِدْ فِيكَ من قولٍ تُعابُ بِهِ ... إلّا الذي رَاحَتِ الدنيا تُمجِّده:
(مُجدِّدٌ يبتني للدينِ فَلسفةً ... هُوْجاءَ، تَهدِمُ ما كُنا نُشيِّدُهُ
(حَنا على البَذرِ يُوليهِ عنايتَهُ ... وأسلمَ الحقلَ للآفاتِ تَحصِدُهُ)!!
دَعْهمْ فلَيلتُهمْ لا بدَّ واجِدَةٌ ... ضحىً يُفسِّرُ ما كانت تُعَقِّدُهُ
مَنْ مِنهمُ عاش هَمُّ الجيلِ في دَمِهِ ... يَقتَصُّ منه الذي يأتي به غدُهُ
ومّنْ رأى بابنِ سبعٍ ثِقْلَ مُشكِلَةٍ ... على ابنِ سبعينَ، أخفى وَجهَها دَدُهُ[2]
كانت لياليهُمُ بيضاً مُعطّرةً ... ما شابَ أنفاسَها إلّا تنهُّدُهُ
وليلُكَ (النابِغيُّ)[3] الفَذُّ تَقطَعُهُ: ... بكيفَ تَدفَعُ عنه ما يُهدِّدُهُ

(١) الغريض من اللحم: الطري.

(٢) الدَدُ: اللهو واللعب، يقول مَن منكم كان ثاقب البصر بحيث يرى على وجه الطفل اللاعب اللاهي مشاكله وهو رجل أو شيخ في السبعين.

(٣) النابغي: نسبة إلى النابغة الشاعر العربي الذي كان يتذمّر من طول ليله.

تُذيبُ قلبَكَ.. تَروى مِنهُ غُلّتُهُ وتَفرُشُ الجَفنَ.. يَهنا فيه مَرقَدُهُ
وأنتَ تحتَ لهيبِ الحقدِ، توسِعُهُ عفواً.. ويَوسِعُكَ التجريحَ مُوقِدُهُ
حتى انتصرتَ، وضاقَ الليلُ منكمِشاً على طَويّتِهِ، واصفرَّ أسودُهُ

***

وكان حولَ الجهادِ المُبتلى نفرٌ مِمن تولاّهُ أضناهم تَجلُّدُهُ
يستعرضونَكَ آلاماً موزَّعةً على رَعيلٍ من الآمالِ تفقُدُهُ
هنا.. على نُظمٍ أوشكتَ تُصلِحُها قلبٌ مع الزَفرةِ الحَرّى تُصَعِّدُهُ
وثَمَّ.. في الجيلِ إذ طال المَتيهُ بهِ فلم يُعِنْكَ على صبرٍ تَمرُّدُهُ..
...بَقيّةٌ مِن حنانٍ كدتَ تُطفِئهُ لولا شُموخُ ضميرٍ منكَ يُوقِدُهُ
(والمِنبرُ) الحرُّ إذْ حاوَلْتَ تُصلِحُهُ مِمّا به، فأثارَ الشكَ مُفسِدُهُ
قد كان مِن يَبسِ (الأعوادِ) جاثِمُهُ فجئتَ بالخَضِل الزاهي تُورِّدُهُ
وكدتَ - لولا ضُمورٌ في قوائمِهِ و(جاثِمٌ) مِن وَراء السترِ يُقعِدُهُ -
أنْ تستثيرَ له الأجيالَ صاعِدةٌ لشامخٍ يتحدّى الجهلَ (مَعهَدُهُ)
وأنتَ من فوقِهِ رُوحٌ تطوفُ به ومُقلةٌ مِن وراءِ الغَيبِ تُرشِدُهُ
آمنتُ أنّ طريقَ الخالدينَ، وإنْ أفضى إلى سَمرِ الأجيالِ مُوصَدُهُ
دربٌ، بغير الذي حُمِّلتَ، لا غَدَهُ نُدْني.. ولا جَمرَه المسعورَ نُخمِدُهُ

***

يا سادةَ النجفِ المَرموقِ جانِبُهُ وحاشدي الحسبِ المَوفورِ مَحتِدُهُ
ورائدي الركبِ، ما ضَلَّتْ قوافلُهُ وسالكي الدربِ، ما أعيى مُعبَّدُهُ

وحاضني العلمِ مِن ألفٍ، وما فتِئَتْ ... تجلو الظلامَ دَارِيهِ وخُرَّدُهُ
ويا مُغذِّيهِ بالفصحى، وما بَرِحَتْ ... للآنَ (تعجِمُهُ) الأخرى، و(تُهنِدُهُ)
أنتم إذا الجيلُ أظماهُ تَلهّفُهُ ... للنور، مَنهلُهُ الصافي ومَوردُهُ
وأنتمُ، إنْ يضيقُ ذرعاً بخابطةٍ ... مِن الأمور، قُصاراهُ ومَقصِدُهُ
فَحاولوا - ولكم مِن يَومِنا عِبَرٌ - ... أن لا تشذَّ مع الأهواءِ شُرَّدُهُ
وإن يكن قد قسا شِعري فمعذرةً ... إذ ربّما ضاقَ عمّا كنتُ أقْصِدُهُ
عِشتُم بعصرٍ، مضى صّحواً بأعينِكم، ... لم يَحتَجِزكم، على جَهلٍ، مُعقَّدُهُ
وجيلُنا عاشَ عصراً من سُهولتِه ... أن يَتركَ الماءَ، أو يَصفو مُبَرَّدُهُ
فإن يكن لكمُ في الجيلِ من أملٍ ... أن لا يَتيهَ، على قصدٍ، تَجدُّدُهُ
فاسقوه نورَ الهدى فيما تعوَّدَهُ ... مِن الكؤوسِ، وخَلّوا ما يُنكِّدُهُ
فقد رأينا بَياضَ الصبحِ يَألَفُهُ ... طرفُ السليمِ، ويَعشى فيه أرمَدُهُ

***

ويا لِداتِ طريقٍ كِدتُ أحسَبُها ... إذْ صوَّحَ النبعُ، أقسى ما سنَفْقُدُهُ
هبَّتْ على الوارِفِ المخضلِّ عاصفةٌ ... هوجاءُ طالَ بِغاشيها تأوُّدُهُ
وكادَ لولا جُذورٌ منه خَيِّرةٌ ... أن لا يَقَرَّ بِعَصفِ الريحِ أيَّدُهُ
(كليةُ الفقهِ) أنتم غَرسُها، وبكم ... يَمتَدُّ ظِلٌّ على الأجيال تَعقِدُهُ
مِيراثُكُم وقُصارى ما يُؤمّلُهُ ... مُورَّثٌ، أن تُزكّوا ما بَنَتْ يَدُهُ
مُدّوا بأعماركم عُمراً يُحرِّقهُ ... لكم، فيُسرِجُ هذا الليلَ مُجْهَدُهُ
وجَدّدوا ما تناهى مِن كُهولتِهِ ... فأنتم عُمرُهُ الثاني ومَولِدُهُ

النجف ٢٩/ ٣/ ١٩٦٤

لو أدركوا[1]

محمد حسين المحتصر

لو أدركوا بعدها رؤياك واعترفوا لكان ما ابطأت في شوطها النجف
و كان للركب درب غير ما بعدت به الطريق و لا هم فيه قد وقفوا
و كان حاضره من هدي سالفه ما راح يغبطه في هديه السلف
يا شيخ حسبك أجر المحسنين لهم بكل ما زاد في أتعابهم شغف

******

ماذا أحدث هل يجدي الحديث عن الـ ماضي وقد طويت في وقتها الصحف
مادام فينا الذي ما انفك لو خطرت عليه خاطرة الاصلاح يرتجف
ها أنت قد وصفوك اليوم رائدهم وحسب فضلك ما قالوا وما وصفوا
رأيت فيما رأيت الدار آهلها حتى على أتفه الأشياء يختلف
في كل منعطف رهط يكاثره رهط تحار بأي منهما تقف
غير الذي اندس في أوساطهم طمعا الوى به الجوع أو جاءت به الصدف
فرحت تبحث في صبر تكابده في كيف عن دره يستبعد الصدف

******

(١) قاعة جامعة الكوفة بتأريخ ١٤ - ٤ - ١٩٩٧م. استذكاراً لجهاد العلامة الجليل المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر.

وقـائـل لي مـــاذا أنـــت بينهم حـتـى كـأنـك في أعـمالهـم طـرف
سفينة لـك كـانـت في مرافئهم فأقلعت و تناسى الموج من جدفوا
فما يهمك ان طالوا و ان قصروا وان تعافوا مع الأيـام أو ضعفوا
أجـبـت حـسـبـي مـمـا أسـتـشـار به بأنني نحوهم مـا زلـت انعطف
و انني لست انسى أن جذرهم جذري و أن انحداري منهم شرف

******

وبعدها ولهـذي الأرض حرمتها وليس سرا لدينا اليوم يكتشف
تأريخها حلية الـتـاريـخ مـا كتب الكتاب فيه بما زادوه أو حذفوا
بوابة النصر في الإسـلام رملتها جيش ابن وقاص فيها من هنا زحفوا
ما زال رجع صهيل الخيل في أذني أكـــاد أسـمـعـه أنـــى بهـا أقـف
و أنت لو عدت للعشرين تسألها عن الدماء التي سالت و من نزفوا
لقص لـون احمـرار الرمل قصتها حتى الرمال هنا تحكي و تعترف

******

وربـما راح بعض الـنـاس يسألنا لأي أمـر هـنـا الـتـاريـخ يختلف
عـــلي ومـــــاذا بـعـد يـا قـلـمي تـريـد مني غـير المـرتـضى أصف

فقد الرضا

الشيخ محمد رضا فرج الله

وللشيخ محمد رضا فرج الله قصيدة رثاء أرسلها الى الشيخ محمد علي المظفر شقيق الشيخ الرضا وبعثها برسالة يقول:

فقد الرضا جدد لي ذكرى (الحسين) و (الحسن)
لقد نعاه السلك في انحس اوقات الزمن
أثكلتنا ويحك يا مذيع هل تدري بمن ؟؟
رزء أذاب مهجتي وألزم القلب الحزن
وابيض من عيني سوادها والفت الوسن
يامنتدى النشر الا فديت موليك المنن
غاب محمد الرضا فمن عليه يؤتمن
هل بعده من غارة نأملها فيك تشن
يحق للفضل اذا بكى عليه من شجن
اذ كان توأمنا له بل كان روحا وبدن
لتندب الاخلاق من فيه صفو معناها الحسن
فاجمل الصبر (ابا الجميل) فالدنيا محن
انت الذي طابعك التقوى بمحمود السنن
فاصبر لوقع خطبه والصبر بالخطب اقترن
خفف حزن رزئي به ان الفناء كل من
ولم تكن ذي وطنا بل انما القبر وطن

أنّى تموت

الأديب الشاعر محمد جواد الغبان[١]

أنـى تمـوت وانـت فكـر نير ... بسـناه يهـدى الـتائـه المتحير
أنـى تمـوت وانـت ذكـر خالد ... بفم الزمان وفيه تشدو الاعصر
أنـى تمـوت وذا غـراسـك يانع ... بـالـطيـبـات مـن الامـاني يثمر
أنى تمـوت وذا طريقك لاحب ... للسالكين بـنـور هـديـك مقمر
ذكـراك عـابـقـة الـشـذا فـواحـة ... تـذكـو اريجـا كـلـما تـتـكـرر
وب (مـنـتـدى الـنـشر[٢])
الأغـر صـحـائـف ... لـك بـالمحامد والمفاخر تنشر
فلكم بمغناها الكريم تفتحت ... أكـمام ورد فـاح منـها العنبر
ومشى الربيع بها يجر ذيوله ... زهـوا فـاينـع فـيـك واد مقفر
وتـدفـقـت فـيـهـا عـلـومك ثـرة ... لـلـوارديـن فقيل هـذا الكوثر
فـتـبـاركـت مـن نهـضـة فكرية ... لا ينـطـفـي منـهـا أوار يسعر
بوركت معطاء فكم لك من يد ... بـيـضـاء تـذكـر بـالـثـنـاء فتشكر

---

(١) ديوانه على مرفأ الجراح – دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة العراقية وكان قد ارسل برقية تعزية ضمنها الابيات التالية:

دمـوعـي لايجـف لهـا انـسـكـاب ... ولا عـجـب فـقـد جـل المـصـاب ؟
أحـقـا غـيـب الـقـدر الامـاني ... وغـيـب ذلـك الـبـطـل الـتراب
فـمـن يجـلـو الـغـيـاهـب والـديـاجـي ... وشـمـس الـعـلـم عـاجـلـهـا الـغـيـاب

(٢) كلية منتدى النشر واحدة من اهم منجزات الفقيد من بين اعماله الكثيرة التي تتوخى الاصلاح والتجديد في دراسة علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في النجف الاشرف وكان الشاعر واحدا من طلبتها وتخرج فيها عام ١٩٥٠.

فجرت من اجل العلا طاقاتنا فاذا الشباب مواهب تتفجر
ايام كنت تقودنا نحو المنى متأنق فيها الربيع الاخضر
سرنا جميعا تحت راية رائد يمشي بنا للخير وهو مظفر
واذا دجت آفاقنا وتجهمت يمحو دجاها منك عقل نير
خلق كريم زينته شمائل أنقى من الغيث العميم وأطهر
وخشونة في الحق كان يشوبها طبع يكاد من العذوبة يقطر
ونهار ذهنك مشرق متألق فيه دروب الخابطين تنور
واذا علينا الليل جن فاننا برحاب فكرك في الليالي نسمر
نقفو خطاك ولم نكن نعبأ بما صنع الذين تقولوا وتنكروا
حتى تحدينا الصعاب بهمة لاتنثني وبعزمة لاتقهر
ان حاربوك مجددا فبفكرهم ضيق وفي لب العقول تحجر
أو قاوموك فان كل طموحهم بمجالس الكبراء ان يتصدروا
رهط يرى ان التجدد مظهر فاذا مشى فبمشيه يتبختر
واذا يمر عليك ينفخ نفسه ولخده بين الجموع يصعر
وتراهم يتفاخرون ومالهم يوم المحامد في المحافل مفخر
وتراهم يتواضعون فان هموا وصلوا الى مايبتغون تجبروا
هم كالذباب وهل يخاف طنينهم أسد بميدان البطولة يزأر
يتراجفون اذا اتاهم مصلح أو رام تغيير النظام مفكر
حملوا معاولهم لكيما يهدموا ماكنت تبنيه لهم وتعمر
فاذا سألتهم البديل فانهم سكتوا وعن رد الجواب تحيروا
يتلونون وان لونك واحد مهما اكفهر الافق لايتغير

فكشفت زيفهم وزيف مظاهر ... خداعة ببريقهن تستروا
قد كنت ابعدهم مدى فتقدمت ... منك الخطى للمجد حين تأخروا
ان حاولوا ان يطمسوك معالما ... فالله للحق الصراح سيظهر
يا رائد الاصلاح همك ان ... ترى التفكير من قيد الجمود يحرر
ان يأخذ الرأي السديد مكانه ... ويظل في حلباتنا يتصدر
ان يدلي العقل الجريء برأيه ... حرا صريحا فهو لايتستر
ان ينشر المعروف فينا ظله ... ليزول عن وجه الحياة المنكر
وبأن يكون الحق غاية جهدنا ... مهما يطول طريقنا و يقصر
آراؤك الغراء كانت صفحة ... بيضاء كالصبح المنور تسفر
وجهودك الشماء في الاصلاح ما ... زلنا - باعجاب - لهانتذكر
و (الحوزة) ازدهرت بما اعطيتها ... من فيض روحك فوق مانتصور
فلقد اردت لها تواكب عصرها ... ويكون فيها منهج متطور
آمنت انك مصلح ومجدد ... لك من خلود الذكر حظ اوفر
والنابغون وانت فيهم غرة ... عز المثيل لها فلاتتكرر
ماج الحمى لما نعيت باهله ... فاذا الشفاه تساؤل وتحير
واذا العيون مدامع تتحدر ... واذا الصدور تنهد وتحسر
واذا اللسان يخونه نطق فلا ... يدري عن الاحزان كيف يعبر
واذا بآفاق الخيال تضيق لم ... تعرف شجون الوجد كيف تصور
حملوك فوق رؤسهم فمهلل ... - ضاقت به آفاقه - ومكبر
اوضارب كفا بكف لم يكن ... يجديه من هول المصاب تصبر
يتساءلون بلوعة وبحرقة ... وعلى الوجوه كآبة وتكدر

هل انت حقا راحل عنهم فمن ... يرعاهم لو في الطريق تحيروا
ومن الذي يجلي الغياهب عنهم ... فالليل بعدك بالاسى متعكر
كانوا ورايتك المهيبة فوقهم ... تزهو وانت لجمعهم تتصدر
واليوم بعدك قد تشتت شملهم ... فاذا التقدم بالمسير تأخر
يتلفتون فلم يروك امامهم ... لتقيل من في سيره يتعثر
آمنت ان الله خير حافظاً ... ولمن يسير على هداه سينصر
قالوا فأين الشعر ؟ هذا يومه ... فمتى نرى بركانه يتفجر
فاجبتهم شعري وكل مشاعري ... دمع غزير من فؤادي يعصر
والشعر اصدقه البكاء فدمعة ... حرى قصيد ثاكل يتحدر
ان خانني نظم القريض فذلكم ... دمعي كحبات اللآلئ ينثر
الخطب قد اعيا الشعور فكيف لي ... ان استطيع القول عما اشعر
عذرا ومثلي عند مثلك يعذر ... ان شعري عن مداك يقصر
أمجادك الشماء كيف بلوغها ؟ ... والفكر في اعتابها يتعثر
ان خانني التعبير عنها هيبة ... فعظيم مجدك عن علاك يعبر
تاريخك الألق الجبين تلألأ ... صفحاته بالعلم فهو منور
رسمت على جيد الخلود روائعا ... منه يتيه به الخلود ويفخر
في كل روض من اريجك نفحة ... وبكل سفر من جهادك اسطر
فاليك ازهار الثنا عباقة ... بيد الوفاء على ضريحك تنثر

رثاء البستاني

الدكتور محمود البستاني قصيدة مطلعها:

كلمات الرثاء سنبلة موجوعة العطر لم تنادم حقولي

لم تدمدم على بيادر انفاي على كنزها الشهي الجميل[1]

(١) لم نعثر على القصيدة واستفدنا ماأثبتناه لمطلعها من محفوظات الأخ الأريب محمد رضا القاموسي، كما أفاد بأن الأستاذ جعفر هادي هو الذي القاها نيابة عن المرحوم البستاني.

أخي المظفر

العلاّمة الشيخ عبد المهدي مطر

الموت أقصر أن يدك ويهدما حصناً بنيت من الشريعة محكما
ولانت أمنع أن يصدك مصلحاً فشل أصاب المصلحين فاعقما
شيدت ناطحة السحاب من الهدى ونصبت رأيك للمعارج سلما
وأبيت ألا أن تنير طريقها للحقّ حتّى أبصرت بعد العمى
وتبلورت بعد الجمود فأصبحت بك أرضها ترتاد من فيض السما
ولكم تناثر عقدها في أحقب حتّى طلعت فأبصرتك منظما
ورأيت معوجاً تعاصى حلّه زمناً فقد قومته فتقوما
ولقد رأيت وأنت مالك شوطها نقصاً بحلبتها فكنت متمما

******

لا أرثينك فالرثاء لميت ولأنت حي حيث كنت وأينما
كلاّ ولا أبكيك إنّ مدامعي تأبى لحي أن تسح وتسجما
أفأبكينّ لأنّ ذكرك خالد ولأنّ روحك في الجنان تنعما
أفأبكينّ لأنّ مجدك شامخ تخذ المجرّة غارباً فتسنما
لكن أشجى ما أثار بمهجتي نار تؤجج في الضلوع وأضرما
أنّي رجوت بأن أقيم لك الهنا عيداً فعدت أقيم عيدي مأتما
ورجوت دارك أن أراها مسرحا للشعر بالبشرى فعادت ميتما
ترتج أصوات الثكالى عندها من كلّ أيمة تناوح أيما
من كلّ من قد كنت أمس تحوطه أن لا يشاك بشوكة أو يصدما

يـا دار بـاني المكـرمـات تمنعي فـالـعـزّ فـوقـك لا يــزال مخيما

****

قسماً بمعناك الدقيق وكلّما حاولت حلا منه كان مطلسما
فلأنت عين في المواقف لم تزل سهرى على العلياء تحرس نوما
إن نازلتك يد الحوادث قدته جيشاً من الرأي السديد عرمرما
أوطاش حلم أخي الحجى في موقف أطلعت حلمك فاحتقرت يلملما
ولديك عزم لا تفل حدوده ما أهتز يوماً للكفاح فاحجما
وإذا اشتبكت مع الزمان ألنته لو كان من زرد الحديد تفصما
أو قيل يوماً من يذب عن الحمى عرفت طلايعه الكمي المعلما
ورأيت دنيا لو كرعت بحوضها لرويت لكن عمت فاخترت الظما
لتكون قدوة مصلحين تمتعوا بحطامها وتقاسموها اسهما
أن لا يعبوا في المشارب كرعا أن لا يكبوا في المطاعم نهما
فلأنت وحدك عالم متفرد لم تنجب الدنيا أخاً لك توأما

****

وذكرت غارة شانئيك على الحمى فاعتز باسمك من أذاهم واحتمى
إذ شئت تخلق للخطابة ألسنا فصحى وتفتح من منابرها فما
فتألبت فرقا وقد بصرتها فأبت بصائرها لها إلّا العمى
وتناهشتك فلم تنشك فارجعت ظفراً مقلمة وأنفاً مرغما
إذ حاولوا إخماد نار رشادهم كي يسلكوا في الجهل أفقاً مظلما
فوقفت كالطود الأشم فنكسوا إذ لم يروا بك للمغارة مغنما
وأريتهم في الله قدرة ماجد ظفرت كتائبه فعف تكرما

واللطف عندك إذ تدير بكأسها شهداً لمن ذاقت بكاسك علقما
يا واحد الدنيا وعز نظيره لو كان ثمّة آخر لتقدما
كن كيف شئت فأنت طوراً شمسها صحواً وطوراً أنت غيث قدهمى

****

وغداة طاغ والبغاة تنكروا للدين فاقتحموا من الدين الحمى
وتوغلوا بالمنكرات فاطلعوا أفقاً بقاسية الحوادث مرزما
فنصلت حزماً ما تكهم حده ومتى سمعت بذي الفقار تكهما
فأريتهم لما تفاقم طيشهم إنّ الشريعة عروة لن تفصما
وأريت من يقتص غيا أثرهم إنّ الحصون منيعة لن تقحما
فالدين أمنع أن يطيح دعامه باغ وإن قاد الخيول والجما
والدين طود في الصراع فلم تكن عقبى مصارعه سوى أن يهزما
فانظر مغبتهم فها هم عبرة لمقوس ولمن برى ولمن رمى
وانظر لعاقبة الغرور فيومهم شحت ميامنه عليه فاشأما
فلك البقاء إذا وللدين البقا ولها الدمار بما تجنت مغرما

****

ولقد نهضت مع اليفاع مجددا من كلّ بالية الأساس مرمما
وتعود تدعم بالنهى شرفاتها أما تكون بحاجة أن تدعما
حتّى وضعت لها ليخلد يومها حجر الأساس إلى الخلود ميمما
فغدوت تغذوها كما يغذو أب زق المعارف ساغبين وألقما
فأقمت قاعدة الشريعة محكما أركانها إذ كان حزمك أحكما
(كلية للفقه) لو أن الدنا سيف وصك حصاتها لتثلما

فطلعت بـدراً مـشرقـاً بسمائها ونـشـرت فـيـهـا لـلـهـدايـة أنجما
وكـذاك شـأن المصلحين أبـوة تـرتـاد لـطـفـاً في الـبـنـين مقسما
عظمت رزيـتـهـا بفقدك نكبة ولـعـلـما جـلّ المـصـاب ليختما

في أربعين المظفر

العلاّمة الشيخ عبد المهدي مطر

القصيدة الثانية[1]:

حنت إليك ثقيلة أعباء وتلفتت لك حومة ولواء
وتنصتت لك في الجهاد بطولة وتذكرتك بحيرة آراء
يستلهمون الرأي منك تفيضه والرأي ليس يفيضه استجداء
ورنت لربان النجاة سفينة في اللج قد عصفت بها الأنواء
لبيئتها بالنصر حين تغافلت أذن عن استنصارها صماء
وقدحت جمرتها فأشرق مجهل كانت تطبق أفقه الظلماء
فمضيت تشكرك المساعي لمعا بيضا يضيق بعدها الاحصاء
ولرب ماض لم يكن منها له إلّا القميص وآلة حدباء
ستين عاماً أو تزيد ملأتها بالمعجزات الغر فهي وضاء
جل المصاب وحسب رزؤك أنّه رزء تهون لهوله الأرزاء

****

وسقيت غرساً للشريعة فازدهت في جنب كلّ يبيسة خضراء
فشدت بلابها الهداة وغردت من كلّ فوق أراكة ورقاء
ورجتك خوف العابثين فصنتها أن لا تعيث بنهجها الأهواء
وحميتها من قانصين تقمصوا ثوب الحماة لها وهم أعداء

(١) القصيدة تنشر لأوّل مرّة، وهي مستلة من ديوانه المخطوط الذي يقوم بتحقيقه والتعليق عليه محمّد رضا القاموسي.

وكفيتها حقاً مؤونة زمرة ... لم تغن عنها منهم الضوضاء
ورأوك في قمم العلى فتصاعدوا ... فإذا المعالي قلعة ملساء
عرفوا به الحمل الثقيل فاحجموا ... والفاء يعرف ثقلها الفاً فاء
ورأوا بأن المجد درب شائك ... تدمي الحفاة طريقه العثراء
وجرت بشوطك للرهان سقيمة ... والشوط إما صحة أو داء
وتنظرتك (مسيهات) فإنّها ... غر الفعال فاخفقت (أسماء)
وقنعت في شظف الحياة وبعضهم ... (قط) بجنب طعومها (مواء)
وإذا تشقق حاسدوك بغيظهم ... فلأنّهم قبروا وهم أحياء
وردوا ولكن غيضة لم يرتووا ... منها فهم أبد الأبيد ظماء

****

أكحلت من عين الشريعة ناظرا ... قد أرمدته بعينها أقذاء
تسري ويسري الرأي خلفك فاتحا ... ولرب سار حظه الأعياء
تبني وتهدم ما تشاء فلم يجئ ... في الدهر مثلك هادم بناء
إن قلت فيك فأنت وحي منزل ... يتلى وآيتك اليد البيضاء
أو كلّ شعري عن علاك فعاذر ... أني وأنت قصيدة عصماء
وإذا الشريعة جف بعدك نبعها ... فلأنّها شجر وأنت الماء
أو أخفقت من نافخ جمراتها ... فلقد عداها القدح والايراء

****

نطحت بك السبع الشداد فعاذر ... لو قيل بعدك أنها جماء
وإذا المعارف أطلقت حلباتها ... يوماً فأنت الجبهة الغراء
من (أسرة) قد هذبت أخلاقهم ... سنن الكتاب وشرعة سمحاء

طبعت على لين الحديث فلم يكن منها اللسان اللاذع الكواء
ولدتهم حواء لكن فخرها أن لم تلد أمثالهم حواء
ومضى أخو الحسنات لم تمزج له أبداً بأية منة آلاء
أفهل رأيتم مصلحاً من قلبه رتع (الذئاب) بروضه و(الشاء)
ولطالما قرع الحديث بمثله عند اللجاج مقارع عداء
إن قال توج بالحجى برهانه فلج وحجته هدى وجلاء
ملء الفارغ إذا تسنم ذروة وفداء فيه حقيبة جوفاء

****

أأخي والرزء المصن بأنني أطلقت مدحي فيك وهو رثاء
وإذا انبرى الشعراء ألقيت العصا معهم وإن لم يحسن الإلقاء
وركضت بين الراكضين بعرجتي على أفوز وناقتي العضباء
وطفقت التمس النظير لماجد في الصدق عز لمثله النظراء
فوجدت أنّي في ضلال ارتأي أن تستوي السوداء والبيضاء
هل يستوي طهر الضمير وأنفس لعبت بها البيضاء والصفراء
ولربما اختلف المدى وتباعدت فيه الخطأ والراكضون سواء
فبجنب كلّ أخي مساع معقد وبجنب كلّ مسنة درداء

أخي[1]

السيد محمد جمال الهاشمي

أينسى الأسى قلبٌ بحبك يزخر ... ويسلو الجوى صب بذكرك يزفر
وتشغله عنك الحياة وجوّها ... بأطياب ما خلفت فيها معطر
ففي كل أفق من شعاعك لمحة ... وفي كل وجه من جمالك منظر
أراك بقلبي لا بعيني مصوّراً ... وقلبي من عيني أدق وأبصر
فلا يختفي مجلاك عني لحظة ... وكيف وإحساسي به يتمور
عشقتك عمراً لم أزل متنعماً ... به، وبه تطوى حياتي وتنشر
مضى ربع قرن من هوانا، وإنني ... إليه وإن طال المدى أتحسر
غرست به الإيمان والفضل والعلى ... وها هي تنمو في وجودي وتثمر
فروحك في روحي ومعناك في دمي ... وسرّك يبدو في كياني ويظهر
تقدّست من نور تجسم شاخصاً ... بشيخ به روح الشبيبة تصهر

***

أخي في جهاد الجهل وهي قرابة ... أحق من القربى بحبي وأجدر
مشينا معاً نطوي الطريق لغاية ... أجل من الدنيا وجوداً وأكبر
نشق إلى الجيل الجديد مسالكاً ... عليها إلى ما يقصد الدين يعبر
وتبني بوجه السيل سدّاً لعلّما ... تُرَدّ به الأمواج عنا وتدحر

(١) بمناسبة مرور عام على وفاة الحجة المجاهد الشيخ محمد رضا المظفر في رمضان ١٣٨٤هـ.

وعاهدتنا أن لا تفارق مرقباً يُوجّه منه وضعنا المتدهور
فمالك فارقت القيادة فالتوى عليك يهزّ الدهر هذا المعسكر
ولا غرو ا ما ضجّ خوفاً لأنه لكارثة فيها المبالغ يُعذر

***

أخي كيف يسلوك الفؤاد ولم يزل عليك بنيران الأسى يتسعّر
أحاول أن أنسى فتبرز منك لي مشاهد بركاني بها يتفجّر
وتظهر في وعيي من الغيب صورة محبّبة فيها جلالك مضمر
فتلهب إحساسي وتجري مدامعي فروحك ما زالت عليّ تسيطر
وما زلت أحبو في ظلال مشاعر بها صرت أوعى من لداتي وأشعر
ستبقى بروحي طاقة معنوية يصدّ بها ريب الزمان ويقهر
ستبقى بقلبي واحة عاطفية بها الحب ينمو والأحاسيس تُزهر
ستبقى لإيماني شعاعاً بهديه تباد شكوك التائهين وتحسر
ستبقى بجفني دمعة هاشمية تثار بها نار الوغى وتسعر
ستبقى معي في كل حال مرافقاً وتبقى بها الأمجاد تزهو وتفخر

***

أخي في أمان الله فالدهر ينقضي ولا ينقضي تاريخك المتبختر
بعيش به فجر الجهاد موجهاً مواكب جيل في السرى يتعثّر
فدربك للآمال أمسى معبّداً ودرسك للأجيال أمسى يقرّر

فنم في ظلال الخلد من أيمن الحمى فـذكـراك فـينـا يـقـظـة وتحـرّر

شهر رمضان ١٣٨٤هـ

قالوا ارثه

الأستاذ صادق القاموسي[١]

قالوا ارثه !! قلت هذا اليوم مولده ... والمرء ذكراه لا فوه ولا يده
يأبى له الموت ما ضحى وما ورثت ... منه العقول، وما أعطاه معهده
وما تلقته من وحي مدارسه ... وما حواه من الإيمان مسجده
إنّ الحياة حياة الذكر لا جسد ... يبلى ولا نفس ينهي ترددده
والعمر عمر الهدى يستل من عمه ... جيلاً ويمشي إلى جيل فيرشده
ما عاش كي ينقضي من يومه وطر ... وإنّما عاض كي يحيا به غده
رأى الحياة سنيناً تنقضي فمضى ... ينال منها التي تبقى تخلده
وجاد بالعمر أياماً تحدده ... واختار عمراً عطاياه تحدده
فيم الرثاء وما ماتت روائعه ... ولا خبا مجده فينا وسؤدده
ولا توارى له فكر فنندبه ... ولا تهاوى له رأي فنفقده
وهل سواه الذي جئنا نكرمه ... وهل سواه الذي جئنا نمجده

****

لا لست أرثيه مفقوداً وما برحت ... عيني تراه – كما كانت – وتشهده
معطر القلب محض العطف يطربه ... لحن إذا راح بعض منه ينشده

---

(١) أديب فاضل، شاعر من أعضاء جمعية منتدى النشر.
ألقيت في الحفل الكبير الذي أقيم في (جامعة النجف الدينية) بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته يوم ٢٧ / ٣ / ١٩٦٤ م، نشرتها في حينه جريدة البلد العراقيّة.
نشرت في مجلة النهج اللبنانيّة العدد ١١ السنة التاسعة ١٩٦٤ م العدد الخاص بالمناسبة.
ديوانه ص١٩٧ – ٢٠٤.

فيم التعجب لا صوتي ولا كلمي ... وإنّما صوته هذا أردده
سل الردى هل مشى يوماً لساحته ... مخاطراً، وهل امتدت له يده
أمنت بالموت أستاذا يحاضرنا ... عن الخلود وعمن راح ينشده
عن الذي خبر الدنيا فاقطعها ... إهابة، وارتضى روحاً تجرده
وراح يسرج قلباً يستضيء به ... من أنكروه، ومن عينيه يوقده
لم يأسَ إن فاته من عمره رفه ... وخانه عيشه حتّى منكده
مضى وقد وهب الأجيال راحته ... فكادت الناس – لولا الله – تعبده
إنّي أرى الموت يحيي الخالدين وكم ... مفكر لست تدري أين فرقده
قد عاش فينا ولكن لم نحس به ... ومذ فقدناه أحياه تفقده

****

ولست أبكيه والخمسون منجبة ... أضعافها وتظل الدهر تولده
كأنّها النبع نزر الماء تحسبه ... وإن جرى غمر الوادي مصرده
تنبه الأمل الغافي وتوقظه ... وتبرق الزمن الخابي وترعده
تبقى تقص على الأيام قصته ... وكيف قام بأمر كاد يقعده
وكيف دافع فرداً عن عقيدته ... ولم يضق بتفانيه تفرده
وكيف آثر نكراناً على طمع ... لو شاء وافاه اصفاه وأرغده
وكيف لم يثنه أنّ التي أخذت ... برأيه أمس، أضحت لا تؤيده
وكيف راح يشق الأفق مخترقا ... ظلامه ليس بالخوار أيده
يطارد الليل مغروراً بكلكله ... وقد تحداه بالظلماء سرمده
حتّى بنى الفكر جباراً مفجره ... وحطم الجهل منهاراً محشده
وروض الواحة الخضراء بفكرته ... حتّى جنى زهره من كان يقصده

****

رأى الشريعة تستجدي مبلغها ... وقد خلا من لهيب الفكر معبده
وغـيرت لغة الدنيا حضارتها ... حتّى تجاهل أمـر الدين مرشده
وأحرجت وثبات العصر موقفه ... كـأعـزل لم يجـد سـيـفـاً يجـرده
قد راح يكثر مسحاً من حمائله ... إذا لم يعنه عـلى البلوى مهنده
وصد عن ذلق أضحى يحاججه ... ولاذ في نـفـس شـاك يصعده
يـود لـو صـهـرت دنـيـا رسالته ... ثـقـافـة لمـكـان الـنـجـم تصعده
فـقـام يـوهـبـهـا عـمـراً أعـد لها ... جيلاً بكلّ الذي احتاجت يزوده
وهب يرضع بالمستوثبات هدى ... ضـمـيره وبـمـا يـمـلي يـعـمـده
وراح يفتح بـابـاً مـن هدايته ... ظلّت سنيناً حماة الجهل توصده
تعاهد الـرشـد حبا ثـم أخرجه ... زرعـا وداراه حتّى قـام يحصده

****

ولست أنعاه بل أنعى منى عكفت ... عـلى ثـراه وقـد بـاتـت تـعـدده
تـثير مـنـه الـشـجـا حينا وآونـة ... تجـر مـن أمـل واه تمـسـده
كانت على عزمه تحيا وما يئست ... مـنـه ولا صـدهـا يـومـاً تـردده
تـروح عنه وتأتيه وكـم فزعت ... إلى سـواه وكـم عـادت تـوددده
وقد تأبت شموخاً أن يراودها ... على الثبات ضعيف الرأي أبلده
هفت إليه ولما اختارها هدفاً ... تيقظت غـفـوة الأقـدار توعده
حشت له الحقد مسعوراً تعبئه ... واستعدت الجهل مخدوعا تجنده
وجلجلت تتبارى في مصافحها ... والله يعلم مـا تبغي وتقصده
أقـول للمدعي طبساً ومدنفه ... جـثـا عـلى صـدره مـوت يهـدده

أقـول ذلـك للتاريخ لا جدلا أخـوض فيـه ولا رأيـاً أفنـده
قـتـل المـريـض - وإن
أرضـــاه - عـــن عـمـد قـاس ولـكـن أقـسـاه تـعـمـده

****

آمـنـت أني مـأخـوذ عـلى فمي وإن مجتـمـعـي مـشـلـولـة يـده
وإن جـذوة أشعاري يضيق بها سمع الندى ولحني لا يهدهده
وإنّ سيـفـي ذو حـديـن أيهما سللت حـزّ في عـرقـي يقصده
وأنّـنـي وبـنـو قـومـي كمنشغل بوالد ليس يـدري كيف يسعده
أأتـقـي عنقي الـبـاغـي فـأعـذره أم أستقي عفوه الطاغي فأنقده
كـرعـت خمـرة آمـالي معتقة فطير السكر من رأسي معربده
وطفت بالكوب أزجيه فحطمه مـعـاقـري، وتـعـاطـاه مـفـنـده
لـو أنّهـا كـأسي الأولى عذرتها وربـمـا أخـطـأ المـرمـى تقصده
لكن أقتل مـا أخـشـاه أنّ يدي تسقي الربيع وكف الغير تحصده

****

يا (منتدى) لرشاد منه نأخذه و(مجـمـعـاً) لـرجـاء فـيـه نعقده
و(ملتقى) لشباب الفقه نأمنه عـلى الـرسـالـة يجيبها فتخلده
وفلتة مـن زمـان غـض ناظره عـنـا وأعـيـاه عـن بـعـد تـرصـده
وغضبة للهدى ثـارت تعيد لنا من بعد ألـف مـوات من يجدده
ونظرة من بخيل الدهر عابرة تفجرت عن حنان ليس نعهده
وغـفـوة مـن لياليه ومـا حملت أيـامـنـا أنّهـا يـومـاً سـترقـده
ظلت قـرونـاً تعاني كيد يقظته والنجم يخذلها والليل يسعده

يـذود عنها أمـانـيـه ويظمئها في حين من نبعها الفوار مورده
حتّى إذا لقحت بالفجر طلعته وحسـان للشفق المرجـو مولده
تمخضت عن سنين حرّة دلفت إلى عـقـيـم أمـانـيـنـا تـولـده
فيا سنيناً رشفنا من عصارتها ما ينعش الأمـل الظامي ويبرده
قـولي لسارقينا حتّى عواطفان وقــد تـقـلـدنـا سـيـفـاً يجـرده
مـضى زمــان تخطتنا نباهته لـغـيـرنـا وتــولانــا تـبـلـده
وراح يوم أبـاح البيت من شره نـزيـلـه وتخــلى عـنـه سـيـده

****

ويـا نـزيـلاً بـدار الخلـد يمرعه مــن الجــود تحـلـيـه ويـرغـده
ويـا خلياً فـلا الـبـلـوى تؤرقه ولا مـفـارقـة الأحــداث تجهده
حدث–فديتك–عن دار نزلت بها وأي زاد إذا جئتنا نـزوده
حدث عن الله لما جئت تشهده كـما تحـدثـت لمـا كـنـت تعـبده
حدّث فما كان أظمأنا إلى عظمة تـقـولهـا، وإلى رأي تـسـدده

****

لم تجد [١]

الأستاذ صادق القاموسي

لم تجد بعدك للفتح دليلا ... فاستعادت حلما فيك جميلا
وتشكت من كراها قصرا ... مذ رأت ان لها ليلا طويلا
يتمطى ساخرا من حلم ... زارها في موعد اللقيا عجولا
فرأت مجدك في موكبه ... ويشد الركب عزما والرعيلا
ويمد الغضب الخابي لظى ... جامحا يصهر وعيا وميولا
حانيا يمسح من اجفانها ... طائفا يهزأ بالمسعى ختولا
وبقى الضالع ومن عثرته ... ويمنيه على البطء وصولا
ينثر الفتح على الدرب سنا ... بالمنى سمحا وباليأس بخيلا
انه الحق تعالى رهجا ... وتعالى داعي الحق رسولا

***

واستفاقت والدجى معتكر ... سادر جرعلى الافق الذيولا
وعلى الرجاء صمت موحش ... .
اشرع الرعب فما هزت قنا ... وامتطى العسف فما شدت خيولا
وانبرت تبحث عنها شهب ... عهدتها ثابتات لن تزولا
علها تبصر للافق هدى ... اوترى للشفق الحر دليلا
ودهاها ان تلي الشهب التي ... أمس غطت أفقها عرضا وطولا

---

(١) نظمت عام ١٩٦٧-١٣٨٧ للذكرى السنوية الثالثة لرحيل الشيخ المظفر ولم تكتمل كما لم تقم الذكرى ولم تنشر من قبل ونقلناها من ديوان القاموسي المطبوع ٢٠٠٤ .الصفحة ٣٩١ .

وثـــبـــات بـالـسـنـا آيـتـهـا غـررا ترمي الدياجي وحجولا

لم تـنـر ضـــوءا ولم تـألـق سنا وهـي لم تـغـرب ولم تلق افـولا

أبا محمّد

الأستاذ الدكتور صالح مهدي الظالمي

تلك السنون الحاشدات مكائدا القابعات على الطريق مراصدا
يحيا بها النفر الذين يغيضهم أن تنثر الليل البهيم فراقدا
أو أن تسير مع الحياة بما لها من جدّة لتعد جيلاً صاعدا
أو أن تزيح عقائداً منخورة لتعيد من هدي الكتاب عقائدا
سدت عليك مسالكاً من غيّها إلي اتجهت وجدت ليلاً حاشدا
ومشيت لا مترددا فيما ترى حتّى وقفت على الحقيقة رائدا
جزت الطريق وما أعاقك عنفها ما دام خطوك فوقهن معاندا
وصمدت في عزّ الضحى متقحما ليل الصعاب وكان غيرك راقدا
حتّى إذا ابتدعتهنّ معاهدا وجلوتهن كما تشاء فراندا
ونسلت أجنحة الظلام فلم يعد متجهم يفتال خطوك حاقدا
سقط الألوف على مشارف هوة كانت بكثرتها تهابك واحدا

****

أنا ما نسيت أبا المحمد حقبة كنت المربي بها وكنت الوالدا
وبنوك من لمسوا عطاءك منهلاً رغم الهجيرة كان عذباً باردا
ما دار بينهم حوار ساخن في معضل إلّا وكنت الشاهدا
قد أبدعت كفاك نهجاً راشداً وبقيت حتّى الآن نهجاً راشدا
يكفيك متكأ النجوم مكانة وسواك يتخذ الظلام وسائدا
فإذا تعمد أن يعيقك رافدا متدفقاً... فجرت منه روافدا

تفنى الحياة وما أقام بناتها وتظل أفكار الهداة خوالدا

****

وقفة اليتيم على النعش

ضياء الدين الخاقاني

لم يكن للرثاء هذا الوقوف أي فكر بما حويت يطوف
لم يكن للرثاء أن يطلق القلب أحاسيس ما لهن عزوف
لم يكن للرثاء أن يورق الوجد فيرعاه خاطر مكسوف
إنها وقفة المودع والقوم على الراحل العزيز عكوف
يتبارون من يقبّل ذاك الوجه نوراً وللقلوب رفيف
إنما وقفتي عليك أبا الأحلام حلم من الخيال طفيف
وانعكاس ظننت أني أحياه وهيهات لن يعود الأليف
ومرايا من الحقيقة لم تخف عليها من الخيال صنوف
رسمت لي حقيقة الشاعر الحر إذا ما دهاه خطب مخيف
وجلت لي من الوقاء كنوزاً حجبتها عن العيون ظروف
وعلى الوحل في الهجير من الرو ضة نبع بوردة محفوف
ما تعجبت حينما لاح في الانحاء نجم من السما مقذوف

ليس مما يحير العقل في الإنسان يوم بما يضم شريف

غير أني وقفت فازدحم الفكر ولاحت على الخيال رفوف
وتحججت للكلام فلم يرض ضميري بياني المألوف

أأريـد الـرثـاء وصـفـاً أمعـنـاك تـسـامـى بـذاتـه المـوصـوف

***

ما أردت الرثاء قد نفذ السيف ولم يـوقـف الـنـزيـف نـزيـف

هاك قلبي هيهات لن يفصح القلب ولم يبق منه إلّا الوحيف

كـل هـذي الـقـلـوب كـانـت تود الصمت لوعاد قلبك المخطوف

كـل هـذي الـعـيـون تفديك بالأ بصار لـو شـح طرفك المكفوف

كيف لا يفتديك بـالـروح مـن لم يـدر لـولاك كيف تحيا الألـوف

كـيـف تـشـتـريـك بـالـنـور عين كشفت في يديك عنها السحوف

أتـرى يستبين مـن بعد عينيك طـريـقـاً تـكـنـفـتـه الحـتـوف

أنـا لم أدر قبل يومك أن الليل مـهـمـا اسـتـنـار داج مخيف

أنـا لا أستطيع أن أسلك النهج بهـول مـن الـرؤى محـفـوف

أنـا لا أستـبين دربي في الليل وبـدر انـطـلاقـه مخـسـوف

كيف أستلهم الحياة وفي الأفق ظـلام وفي الـطـريـق رجـيـف

كيف أبني المنى وفي منتهى الشوط سعير من القضاء مخوف

كـنـت للسالكين دربـك نـوراً تـتـحـدّى بـه الـظـلام الصفوف

كنت أقوى من الرجيف إذا اشتدّ تحـدّاه مـنـك قـلـب ضـعـيـف

أدرك الليل أن إعصارك الجبّار مـهـمـا اسـتـكـان فـهـو عـصـوف

فـثـنـى عـطـفـه إلى أن تحـدّاك بـسـيـف تهـاب مـنـه الـسـيـوف

***

ما أروت الرثاء قد بهت الشعر وضاع الحديث والتعريف
غير أن السماء تنطق بالوحي فيرعاه شاعر مشغوف
أو ليس النبوغ معجزة الله وصوت من السماء هتوف
أي مجد أسد من وقفات الصبر حيث استحال فيه الوقوف
كيف يحيى الطموح إن لم يسر فيه مع الطالعين رأي حصيف
والبناء الذي تسانده الأهداف يقوى على المدى وينوف
والدواعي إلى الحياة إذا لم تتبنَّ الحياة فهي طيوف
وكذاك الخلود ما رفع التاريخ إلا حلا له الموقوف
وبناة تتابعوا في زحام الساح يتبّع الحليف حليف
كيف لا يخلد الرضا وهو في القمة لم يدن من غيراه حريف
خاضها وهو في الربيع من العمر ولم يوه من قواه الخريف
والصراع العنيف قوّته الشماء ان لم يقاوم الغطريف
بات في اعين الجهاد إلى أن جرع الموت قلبه المقروف
فمضى خالداً يضيق به الموت ويشكو نواه دين حنيف
وإذا لم تر العيون معانيه فهل تنكر العبير الأنوف

***

ما أردت الرثاء لن يبلغ الأقمار مهما استطال قصر منيف

أنت فوق الرثاء مهما ارتقى الشعر وناجاك نجمه الموصوف
لن تنوش الشكوك إيمانك الصلب ولم يخف من علاك الرجيف

حسبك الباقيات تقتحم الشمس وضوحاً ليخسأ التحريف
وكفانا بأن يكون شعار الخلد فينا جهادك المعروف
كنت لا ترتضي الحياة بلا نور ولم يرض طبعك التكييف
كنت تحيا الحياة كالصبح لن يغش ضحاها دس ولا تحييف
واعتصرت الوجود من خير ما أبدع للزاحفين عقل زحوف
لم تكن تحلم العباقر فيما قمت فيه وطاب منك الدلوف
كان إخلاصك المرير للركب فلم يثن عزمك الترقيف
لم تفكّر في غير أن يصل الركب وما شوّشت هداك الرفوف
سيرى الليل بافتقادك أن الصبح من دون شمسه مقصوف
أسف العبقرية البكر أن ينقد في يوم فقدك التثقيف
وحرام على المنية أن يحرم منها يراعك التأليف

***

لم يكن للرثاء أن يقف الدمع فيسقي الربوع قلب لهيف
أنا أرثيك كيف يقتحم الإشعاع للشمس ناظر ملهوف
ودموع تحمّرت قبل أن تطفو منها على اللسان حروف
أنا أرثيك كيف يستبق الإعصار من كبلت يديه الظروف
يا أبانا وبين جنبيك قد كان يبث الحنان قلب عطوف
وابتسام قد كان يورق فينا الحلم الحلو وانعطاف رؤوف

وهبتنا الحياة بسمة عينيك وجسم من الجهاد نحيف

نم هنيئاً فلم يزل موكب الإيمان في صبحك الكريم يطوف

(التقي) الذي سيحتضن الروض وقد حان للثمار قطوف

قد تقاسمتما الجهاد حليفين فنعم المنى ونعم الحليف

سيدي هذه المسيرة تدعوك لتحيى على يديك الطيوف

نام ربّانها وقد قرب الساحل يحلو بكفك التجذيف

سيعيش الفقيد في كل خط سار فيه ركابها والضيوف

يا أبا الجيل

محمد حسين الشبيبي

ذعر الموت مذ تحدّاك جسما إنه لم يمتك ذكراً ولا اسما
صعقاً خرّ حين ألفاك طوداً مثل أمس أعلى مكاناً وأسمى
تاه رأياً وقد رأى فيك دنيا حار في كنهها وأخطأ حكما
أهي الروح من السماء تجلّت أم هي السرّ بات لغزاً معمّى؟

***

يا أبا الجيل صاعداً قم تحدّث وأفد في الحديث علماً وفهما
وخدين المجد الأثيل تفجّر طاقة تدعم الفضائل دعما
والمعالي وأنت أنت أبوها وجدت منك والداً عاش شهما
أين من فيك منطق سلسبيل ساغ نبعاً وطاب كالشهد طعما
أين لطف هو النسيم عليلا أين عطف يفيض خيراً ونعمى
لم تعود أبناءك الصمت يوماً فلماذا ارتضيته لك دوما
لو تراهم والليل أرخى سدولاً هرعوا واجمين في الليل وجما
يتقصّون بالزفير حيارى ما نعاه النعاة جمعاً ولمّا
كذّبوا سمعهم وقالوا غضاباً نبأ خادع سرى وتنمّى

كذّبوا النعي بادئ الأمر حتى حسبوه أتى خيالاً ووهما
تلك كانت عواطف الناس تروى غاليات لروح شخصك كرما
كيف خلّفتها أذن الليالي والليالي تزداد ضيماً وهضما
أوجدت المأوى الجديد مقاماً عامراً ما شكا شجوناً وغما
أم رأيت اللحد الحزين ضحوكاً صرت زهراً فيه وقد صار كما
أم تأنست من شقيقك حتى قد رأيت الثوى هنالك بسما
حسناً قد رأيته وحسيناً كان هذا ندباً وذلك ندما
فكأن الحياة عدت إليها وكأني أراك تكتم سقما
وكأني أرى نديّك يزهو بالصحاب الكرام شهماً فشهما
وتدبّ الحياة منك إليه تشبه الروح إذ تعاود جسما

***

غير أني وما عهدتك إلا ثاقب الرأي في حياتك قدما
لست أدري لم صار مغناك رمساً ضمّ فكراً حرّاً ولبّاً وحلما
والفضاء الرحيب ما كنت ترضاه مقرّاً إذ كان أضيق ضما
وإلى من تركت جيلاً جديداً صاعداً يشتكي ضياعاً ويتما
كان جيلاً يفيض حزماً عجيباً عندما كنت أنت تخلق حزما
وسرى والطريق يعلوه شوكٌ أتعب المدلجين فيه وأدمى
فرآه بنور هديك سهلاً معلماً لا يضل من سار حتما

هكذا كنت واصل الليل بالصبح اجتهاداً وتضحيات وعزما
وغريب وأنت غذّيت جيلاً بالتسامي ان كنت تقتات همّا
وجميل نكرانك الذات حتى كنت تروي الظماء منا وتظمى
والذي حار فيه عقل حصيف كيف تحوى غنى وتملك عدما

***

يا حبيب القلوب أي قلوب لم تكن بعد خطبك اليوم كلمى
لست أبكي عليك فرداً ولكن أنا أبكي جيلاً تحمّل ظلما
أنا أبكي خلقاً كريماً وأبكي أدباً زاخراً وفضلاً وعلما
أنا أبكي التقوى الصحيحة ولّت أنا أبكي الإيثار أبكيه جمّا
أنا أبكي عقيدة وجهاداً أنا أبكي الندى إذا الجدب عما
أنا أبكيه عبقرياً وأبكي المعيّا هوى من الأفق نجما
أنا أبكي الإنسان عند بني الإنس- -ان مبنى أبكيه معنىً وفهما

***

يا أبا الجيل والمصاب جسيم فجّر الحزن منه نثراً ونظما
وقصيدي كفلذة من فؤادي قد رماه الأسى فأدمى وأصمى
أتحاشى المديح إذ كنت أدري أنك الحاسم المدائح حسما
كنت حقّاً تعاف لغواً وتخشى أن يقول اللسان هجواً وذمّا
كنت من مدّ كفّه لفقير ثم يأبى أن تشبع الكفّ لثما

كنت من لم يلو جيداً لغير الله حـقّـاً ولا اسـتـكـان ولّـا
لم تكن بـالـذي استغلّ نفوذاً وتـردّى عـاراً وعـابـاً ووصـما
لم تـكـن في الحـيـاة إلّا قـنـاة كنت فيها الفتى الأنوف الأشما
لم تصعّر خـدّاً ولم تعل كـبراً وكـلا ذيـن كـان عـنـدك جرما
تـأنـف الـــذلّ أن يعيش بين الناس حتى لتحسب الذلّ إثما
أيـفـي المـدح كـلّ حقّك إن لم نـترسّـم خـطـاك رسـماً فرسما
أيُّ صرحٍ نـال الـسـماء سموّاً مثل صرح للفقه بالفقه يسمى
لم يـشـيـد مـنـه ســـواك ولـمـا شيد قاموا فحاولوا منه هدما
وتـراهـم مثل الـنـعـام اختفاء يـتّـقـون الأنـظـار جبـناً وكتما
فـإذا جـنّ ليلهم قـد يجنّون اضـطـراباً وقـد يخـافـون وهما
أخفقوا كلّهم وخابوا وقد ما قيل للريب ويك قد طشت سهما

لست أدري ماذا يريدون من ذاك اعتباطاً، أكلهم كان أعمى؟

قد أرادوا أن يستروا الشمس مـثـل الـصـغـار حـلـماً وحـلـما
لم يثوروا عليك لو كنت تهوى المال من بينهم حلالاً وحرما
أين هم، أين نشرهم، أين دور العلم جلّت قصداً وروحاً وعلما
أين منهم من كان يستطيع تحقيقاً جـريـئـاً يـشـيّـد لـلـديـن حكما
أين منهم من صاغ واقعة الطف عظات خلدها الدهر عظمى
تلك كانت أعمالك الغرّ تزهو أيــن أعـمـالهـم وقـد بـتـن دهما

وهـي حـرب لمن أراد احتراباً وهـي سلم يعز مـن رام سلما

***

أيهـا المـصـلـح الــرضي حيـاة وفتى المكرمات جلّت مسمى

وإمام الإقدام بين بني الإسلام في ذا الـزمـان عـربـاً وعـجـماً

ومنقي الأذهان من دنس الأوهام مهما يكن من الأمر مهما

فالنضار الصفي مـا كـان إلا بعد أن هـذّبـوه قـاراً وفحما

قد خبرناك رائـداً يقتل الوقت اختباراً ويعجم العود عجما

بورك الفكر صافياً منك خلاقاً وبــوركــت مـبـدعـاً مستتما

لست أدعـو إلى الحـداد فإني لم أجـد منه في الحـوادث غنما

لو يعيد الحـداد شخصك فينا للبسنا الثياب سـوداً وسحما

نـم قـريـر العينين إنّـا جميعاً رغـم أنـف الـزمـان لم نهو قسما

وعـلى اسـم يعيش دنيا سلام وعـلى نفسك الـرضـيّـة رحمى

أبتاه

عبد الزهراء محمد صالح الطائي

ويـح المنـون أمـا دعـت لي مقلة بيضاء ليست بالنوائب تصدع
في كـل حـين لـلـنـواعـي حنة وبكل عام – للشريعة – مفجع
ثكلى تئن – من الخطوب ولم تزل – في كـل نائبة تشق وتقذع

***

أبتاه مالي – بعد فقدك – مهجع ولئن صبرت ففي جفوني مدمع
وذكرت يومك –إذ عراني لوعة– فغدا فـؤادي مـن أسـى يتقطّع
قد كان روضك بالمكارم حافلاً وإذا ريـاضـك بـالمـدامـع تمـرع
وعليك في أفق البلاد طغى الأسى وبـكـل ربـع لـلـمـدامـع أصـوع
ولـديـن أحمـد بعد فقدك قرحة لم تـنـدمـل أبـــداً وبـــاب يقرع
بيد المنون فقد أفلت أبا الهدى وإذا السرى يعلو وقلبي يصدع
وتـركـت لحـدك والأحـبـة حوله أسـفـاً وفي فـمـي المـنـى تـترجّـع
«أتـعـود يـا أبـــتِ؟» فتلك محالة أفهل يعود مـن المـنـون مـودّع؟
كـلا فإنك – لا تـزال – مخلّداً فينا وفي روض الكرامة ترتع
وجهادك الجبّار في سبل الهدى في كـل نـــاد لـلـمـكـارم يـرفـع

أبتاه ذكـرك لن يـزال بمسمعي بــاق وفي شـفـتـي ظـل يـرجـع
وبمقلتي مـن الشجون علائم بانت لفقدك حـين لاح المربع
مـتـذكـراً ظـل المـظـفـر قـائـداً في كـفّـه عـلـم الهـدايـة يـرفـع

***

أبـتـاه هـذا العيد حـل ربوعنا مـن لليتامى إذ أبـوهـا يـصرع؟
وإذا بهـا حـسرى تـلـوذ بـقـادة للدين في سبل الرشاد تجمّعوا
وبكـفّـهـا عـلـم الهـدايـة عالياً «لا حـكـم إلّا لـلإلـه» سيرفع

***

أبـتـاه لم تـزل الخـطـوب بنادنا وصباً وفقدك في الصميم لأفظع
أمـن الـعـدالـة أن يـسـود مذمم مـتـشـدّق «بـعـدالـة» مـتـدرّع؟
ويخـون موطنه لأجـل عصابة للدين ما برحت تكيل وتقذع؟
حسب السراب مناهلاً ومواردا وجــرى يـؤم فـلاح قـاع باقع
اللهم عـفـواً إن كـبـوت فهذه غصص ألّـمـت فـالـفـؤاد مبضّع

أأبا محمد

هاشم محمد جمال الهاشمي

نـزلـت فـهـدّت قـمّـة الأحـلام ... دهـيـاء أصـمـت بـيضـة الإسـلام
عصفت بآمال الشباب وحطّمت ... همـماً طـغـت بـجـلالها المتسامي
الـواثـبـات إلى الجـهـاد بعزمة ... فـكـأنها أمـضى مـن الـصـمصام
غـذى المظفر روحـهـا فـإذا بها ... حمـم تـبـيـد هـيـاكـل الأوهـام
شيخ لـه عـزم الـشـبـاب وطـاقة ... روحـيّـة ضـاقـت عـلى الأجـسـام
لمس الجـراح فـراح يمسح داءه ... مـسـح الـطـبـيـب مـنـابـع الأسـقـام
تـرك المحيط وسـيره ومـشى إلى ... درب تضيق بـه خـطى الأقـوام
قـد أهـرق الخمر الـتي صبّـت له ... صرفـاً وداس الجـام بـالأقـدام
ومشى إلى سوح النضال وخلفه ... عـزمـات نـشء ثـائـر الأحـلام
مـا أرهـقـتـه الحـادثـات ولم يلن ... إيـمـانـه لـلـنـقـض والإبـرام
بـل سـار يخـترق الحـدود لغاية ... أعـيـى تـصـوّرهـا عـلى الأقـزام
حتى إذا ذهـب الـشـتـاء وجـوّه ... وبـدا الـربـيـع بـوجـهـه الـبسّـام
وتـسـامـقـت كـلـيّـة نـجـفـيـة ... شـيـعـيـة الآثـار والأحـكـام
وتسابقت زمـر الشباب لها وقد ... تركت مـهـاوي البغي والإجـرام

وسعى الزمان إليه وهو مطأطأً بالغور يمسح صفحة الآثام
وتهيّأ التاريخ لاستقباله بطلاً يدير أزمة الأيام
عصف الحمام به فطاح بموته للعلم والإيمان مجد سامي

***

أأبا محمد - لا فأنت أبٌ لنا - طرّاً وقد عدنا من الأيتام
إن غاب شخصك إن فكرك لم يزل فينا، فحقل الفكر حقل نامي
فلسوف تمضي في طريقك للهدى حتى نحقق غاية الإسلام

شراع من خلف الإعصار

عبد المجيد فرج الله

شراعُك في البحرِ البهيمِ بدا ثغرا تبسّمَ مثل الشمسِ واهبةً فجرا
وملءَ المدى الملحيِّ حامتْ نوارسٌ ظماءً حزانى ما أوت ليلةً وكرا
وليس سوى إرجافةِ الريحِ والدجى وقهقهةِ الامواج ماتألفُ البرا
سواءٌ جثومُ الليلِ أوْ طلعةُ الضحى ضريراً تغشّاه الغمامُ فما يبرا
وهذا الشراعُ الصبحُ يولدُ رائقاً فكيفَ؟ وقد شابَ الفضاءُ هناذعرا

***

شراعُكَ وضّاحُ الجبينِ استوى نضرا اليهِ عيونُ النورسِ انسربت تترى
تشايعُهُ والزقزقاتُ ندية ترفرفُ في الآفاقِ تحتضنُ البشرى
مواسمُ هذا الحبِّ تفترُّ غضةً فيُورقُ فيها الحرفُ ملحمةً كبرى
وترقى الاماني المقفلاتُ الى غدٍ تِعِجُّ به الاراء يستنهضُ الفكرا
اليس عجيباً أنْ نظلَّ بلا رؤىً تلمُّ عيون الافق تنثرُها درّا
وبينَ يدينا الوحيُ ينطِقُ بالهدى وفي نبضِنا تحيا شريعتُنا الغرا
وتسبِقُنا الأعداء، تقطِفُ نورَهُ ونحن حيارى إذ نجوعُ وإذ نعرى
وكلُّ معالينا نصوصٌ عتيقةٌ تُزاحِمُ فيها كلُّ حاشيةٍ اخرى
نخالُ مدارَ الكونِ حولَ سطورِها فياخجلَةَ الاجيالِ..ماحفِظتْ سطرا

***

شراعُك رُغمَ الموجِ يلتقِمُ البحرا بعزمٍ أبى المرسى فصار لهُ مسرى
وكلُّ عيونِ الطلِّ ظمأى لوجهِهِ وقدغَسَلَ الفِردوسُ سُحنَتَهُ السمرا

وأنفاسُكَ المِعطارُ تستاقُ ضوعَها عصافيرُ في قلبِ الجنوبِ شَدَتْ سكرى
وطلعُ النخيلِ البضُّ يُزهِرُ باسماً إذا ايقظتهُ نفحةُ النجفِ العذرا
جَمَعْتَ نَضاراتِ العراقِ حبيبةً فقد شِمْتَ فيها من أبي حَسَنٍ أثْرا
وواصلْتَ وعْرَ الشوطِ فرداً مظفراً وتابَعَكَ السارون، تستسهِلُ الوَعْرا
وقد أنبتتْ تلك الربى خطوَكُمْ بَذرا فأينعَ في أرجاءِ عالِمِنا زَهْرا

***

شِراعُكَ موصولٌ بجنّتِكَ الأُخرى اليهِ يَشُدُّ البحرَ والمهمهَ القفرا
يُسابقُ خطوَ الدهرِ، يُرسي غِراسَهُ ويُمطِرُها رِيّاً، ويجتازُهُ دهرا
ولا عجبٌ فالقلبُ في الحبِّ يَحضُنُ الـ نجومَ، وفي البغضاءِ لا يَسعُ الندا
فكيفَ وحبُّ الله يَعمُرُ قلبَكَ الـ رحيمَ، فتُصفيهِ المواهبَ والعمرا
ألا هكذا فَلْيرسِمِ النورُ ظلَّهُ ويبني كذا الإسلام قلعتَهُ الكبرى

٤. وثائق وصور

منتدى النشر

رسالة المظفر للشيخ احمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان اللبنانية:

لحضرة الاستاذ الشيخ أحمد عارف الزين المحترم

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد الاخلاص لكم ولمجلتكم التي خدمت هذه الطائفة والعروبة بأجل الخدمات التي لا تنسى مدى الدهر، وأني لأشعر بوخز في ضميري عندما اتصور تقصيرنا معها، وإذا قدمت لكم هذه الكلمة التي تجدونها للنشر فليس معنى ذاك انها من نوع خدمتها بل بالعكس، فإن لها الفضل إذا فتحت صدرها الرحب لقبولها للنشر، وعلى كل حال لكم رأيكم في نشرها أوتركها إذا وجدتم ان الجو لا يلائمها، وكنت هذه المدة اتحين الفرص لأبسط لكم مشروع (منتدى النشر) في مدرسته الدينية بعد أن لفت نظري انه لم يثر اهتمامكم مع أني اعهد بكم انكم اول من فكر ودعا لإصلاح دراسة النجف، ونحن جماعة فكرنا في هذا الاصلاح من قبل ١٥ عاماً تقريباً والأبواب كانت موصدة في وجوهنا، حتى رأينا ان نؤسس (منتدى النشر) لتحقيق هذه الغاية وأسميناه بهذا الأسم حتى لا يلفت الأنظار إلى هدفنا فنقاوم قبل ان نخطو بعض الخطوات وطبعاً تعرفون ممن المقاومة تكون.... وإذ مضى على هذا المنتدى ثلاثة أعوام وأخذ في المجتمع النجفي العلمي مركزه اللائق به، رأينا ان الوقت مناسب لفتح المدرسة وتطبيق النظام على الدراسة الدينية، فنهضنا نهضة واحدة، وإذا الناس معنا أكثرهم حتى جماعة من العلماء الأعلام فأدخلوا أولادهم، وإذا بالمدرسة تضم ١٥٠ طالباً دينياً في ثلاثة صفوف اكثرهم من بيوتات النجف العلمية الشهيرة... حلم تحقق وآمال متحطمة انتعشت وجهود سنوات اخذنا ثمرتها في سنة واحدة، ونعتقد ان كل غيور على مصلحة الطائفة والنجف إذا اطلع على نتائج وسير مشروعنا يرفع رأسه

عاليا... ثم استطعنا ان نحصل على اعتراف وزارة المعارف وكان على رأسها يومئذ معالي الشبيبي وهو شريكنا في الفكرة والتدبير بل العمل والمساعدة.

ولكن أتتصورون ان جماعتنا يتركوننا نسير في طريقنا... ؟ سل نفسك كم جربت من اعمال... فلم يكن من امرنا إلا ان راحت الاخبار السرية ووسائل أهل الفضل الذين لا يروق لهم اصلاح الفوضى بالنجف إلا إذا استغلوها لأنفسهم ولمصالحهم الذاتية... لقد اتهمونا بكل ما استطاعوه من تهمة فقلبوا ظهر المجن[1] لنا لما رأوا كيف نقدم مشروعنا في ظرف قصير تقدماً لم يحلم به أحد – إلا ان ذلك لم يوقفنا عن السير على خطتنا، فبعد ان انتهت العطلة الصيفية هذا العام بدأنا في فتح المدارس وفتحنا صفا رابعاً للناجحين من الصف الثالث، وتنتهي الدراسة عندنا للصف السادس الذي ينتهي الطالب به من حضور (دروس السطح) كما كانوا يسمونها، ويتهيأ عندئذ لحضور ابحاث المجتهدين (الخارج) – وهذا قليل من كثير مما يجب بيانه لكم، ونستمد من الله تعالى التوفيق وفي فرصة أخرى او ان اشرح هذا المشروع أكثر من ذلك ونحن ننتظر منكم كل مساعدة.

النجف الأشرف معتمد منتدى النشر

محمد رضا المظفر

وقد اثبتت المجلة في ذيل الرسالة مايلي:

(العرفان) نحن نثني على نهضتكم المباركة في كل مناسبة ونتمنى لكم التوفيق في عملكم المجيد الذي نود من صميم الفؤاد مساعدته بكل ما يمكننا.

وكذلك نثني على ما قام به العلامة الأكبر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء محبذين قيام إخواننا المهاجرين في الأرجنتين بمساعدة مشروعه ومشروع العلامة الجليل

(١) قلب له ظهر المجن: انقلب ضده بعد مودة.

السيد عبد الحسين شرف الدين فحيا الله العلماء العاملين، وجزى الله جزاء الخير وخير الجزاء اهل الغيرة والمحسنين.

نظام لجنة المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر

المادة الأولى – تسمى هذه اللجنة باسم (لجنة المجمع الثقافي الديني).

المادة الثانية – أهداف اللجنة هي بعض الأهداف التي اسس منتدى النشر من أجلها وهي رفع مستوى الثقافة وخدمة العلم والدين عن طريق النشر والتأليف والمحاضرات.

المادة الثالثة – المقترحون هم أعضاء اللجان الدائميون ولهم أن ينتخبوا –بعد موافقة مجلس ادارة المركز العام – أعضاء آخرين معهم الى حد يبلغ مجموع اللجنة خمسة عشر عضواً على أن يكون المنتخبون من أعضاء الشرف أو الأعضاء المساعدين الذين تمضي على عضويتهم ثلاث سنوات على الأقل.

المادة الرابعة – تنتخب اللجنة من بينها على رأس كل سنتين رئيساً لها ومقرراً يتولى سجلاتها ومقرراتها ومديراً لادارتها يتولى ادارة الأعمال والاحتفاظ بمختصات اللجنة من الآثاث والكتب ونحوها، ومحاسباً يكون مسؤولاً عن المصروفات والواردات و أن تختار من الأعضاء المساعدين من يتولى هذه الأعمال ونتيجة الانتخاب تعرض على مجلس ادارة المركز العام للموافقة عليها.

المادة الخامسة – للجنة أن تعتبر من تختار من قادة الفكر عضو شرف فيها.

المادة السادسة – للجنة أن تقبل كل من طلب الانتماء اليها للاشتراك في اعمالها الثقافية وكانت له أهلية علمية أو أدبية وكان من ذوي الأخلاق الفاضلة ويعتبر عند قبول انتمائه (عضواً مساعداً).

المادة السابعة – عضو الشرف والعضو المساعد كأعضاء اللجنة له الحق في

الاشتراك بالمحاضرات العامة والخاصة وفي تقديم آثاره العلمية والأدبية للنظر فيها للطبع والنشر.

المادة الثامنة – تسعى اللجنة في نشر آثار المنتدى خاصة ومؤلفات العلماء عامة وتعتني عناية خاصة بإحياء الآثـار القديمة ولها ان تتعهد في الإشراف على جميع مطبوعات المنتدى أو التزامها ان طلبت ادارة المركز العام ذلك.

المادة التاسعة – للجنة اجتماعات ثقافية بالاشتراك مع أعضاء الشرف والأعضاء المساعدين للمحاضرات والمذاكرة فيما يتجدد من الحركات الثقافية العامة والآراء والآثار العلمية والأدبية التي تعينها ادارة اللجنة.

المادة العاشرة – للجنة في كل اسبوع على الأقل اجتماع اداري يحضره الأعضاء الدائميون واعضاء ادارتها من المساعدين للنظر في أعمالها.

المادة الحادية عشرة – يجوز ان تنتخب اللجنة لجاناً مؤقتة من بينها ومن الأعضاء المساعدين تعهد اليها بعض الأعمال الثقافية.من تأليف كتاب أو تصحيح آخر او التعليق عليه أو تحرير صحيفتها ان كانت وغير ذلك.

المادة الثانية عشرة – للجنة ميزانية خاصة تدخل في ميزانية المنتدى العامة وتجتمع ماليتها التبرعات الخاصة لها ومخصصات المركز العام لها وربح مطبوعاتها.

المادة الثالثة عشرة – لصندوق المنتدى حصة في ربح مطبوعات اللجنة يتفق عليها من وقت لآخر.

المادة الرابعة عشرة – يجوز ان تقوم اللجنة بتنظيم شؤون احتفالات المنتدى العامة والخاصة.

المـادة الخامسة عشرة – من لم يحضر خمسة اجتماعات متوالية من الاجتماعات

الخاصة لغير عذر مشروع يعد مستقيلاً وكذلك من توالت اعذاره الى ثلاثة أشهر مالم يكن ذلك لسفر.

المادة السادسة عشرة – غيرواضحة .

المادة الثامنة عشرة – اذا استقال عضو اللجنة أو مات فعلى اللجنة ان تنتخب عضواً مكانه اذا كان ذلك ممكنا ويبلغ به مجلس ادارة المركز العام.

المادة التاسعة عشرة – لا يجوز للعضو نشر شيء باسم اللجنة مالم يكن حاملا اجازة كتبية بنشر نفس الموضوع

المادة العشرون – اذا انحلت اللجنة (لاقدر الله) فجميع ممتلكاتها من المال والأثاث ترجع لمركز المنتدى العام.

المادة الحادية والعشرون – تعديل هذا النظام وتبديله من حقوق اللجنة وذلك بعد موافقة ادارة المركز العام.

ملاحظة: عدلت بعض مواد هذا النظام بجلسة للجنة المنعقدة بتاريخ ١٠/ ٥/ ١٣٧٠ هجرية.

رسائل المظفر الى الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين

بخصوص إصداره رسالة الى المجمع العلمي بدمشق.

إلى المجاهد المصلح الكبير سيدنا حجة الإسلام السيد عبد الحسين شرف الدين دام ظله.

السلام عليكم ورحمة الله

غمرني فضلكم – ولا يزال – باهداء رسالتكم القيمة (الى المجمع العلمي بدمشق)[1] فتشرفت بقراءتها سفراً خالداً ودليلًا مرشداً وحجة بالغة يفئ بها طالب الحق وهي – كسائر آثاركم الجليلة التي لانفتأ نهتدي بهداها وتتخلد عليها – درة لامعة في إملاء رفوف المكتبة العربية أسلوباً وبحثاً وأصالة رأي وقوة حجة وصدق نية.

وإذا كان أولئك أمثال القائمين بإدارة المجمع العلمي ومجلته ما انفكوا يرتشفون من المنابع الآسنة الأمية وسياستها مع الإسلام فلا يركنون الى الحق تركاضاً وراء تلك الشنشنة التي نعرفها – فقد فاتهم ان تلك السياسة قد أصبحت ولا محل لها من الاعراب اليوم – وهذا الجيل من الشباب وما يليه يرون الاشياء بغير منظارهم القاتم، واني واثق ان صرختكم الموفقة سوف لا تعدم من يلبيها من هذا الجيل الذي يزن الامور بميزانها الحقيقي حياكم الله تعالى مناراً للمؤمنين ووفقنا لطاعته

محمد رضا المظفر

معتمد منتدى النشر

٢٥ / ٨ / ١٣٦٩هـ

(١) رسالة رد بها الامام شرف الدين على محمد كرد علي رئيس المجمع عندما تعرض بمفتريات على آل البيت عليهم السلام في مقال نشره في مجلة المجمع طبع في صيدا سنة ١٣٧٠.

رسالة جوابية على تعزيته بوفاة شقيقه

آية الله الشيخ محمد حسن المظفر (طاب ثراه)[1]

(١) مج آفاق نجفية ٧: ٣٩٧-٣٩٨.

قانون وزارة الدفاع

عندما نشرت الصحف عزم الحكومة على تعديل قانون الدفاع رفعت جمعية منتدى النشر الى الجهات المسؤولة هذا الكتاب ننشره و نحن نأمل أن تؤخذ هذه الملاحظات بعين الاعتبار. ((البذرة))

فخامة رئيس الوزراء

فخامة رئيس مجلس الأعيان

معالي رئيس مجلس النواب

معالي وزير الدفاع

معالي وزير المعارف

ان مدرسة (منتدى النشر) هي أول مدرسة دينية اعترف بها في العراق لغرض الفقرة (ب) من المادة (١٤) من قانون الدفاع المرقم (٤٠) لسنة ١٩٣٨م. وكانت هي التجربة الأولى للتدريس الديني بالنجف الأشرف. وقد مضى على فتح المدرسة اثنتا عشرة سنة، اكتسبت جمعية المنتدى خلالها خبرة بشؤون المدارس الدينية وعلاقاتها بقانون الدفاع وأنظمته مما أوجب أن تسجل عدة ملاحظات حول هذه الشؤون.

ولما نشرت الصحف في الآونة الاخيرة عزم الحكومة الجليلة على تعديل قانون الدفاع فقد رأت ادارة منتدى النشر أن تبسط اليكم في هذه اللائحة الملاحظات الضرورية التي تقتضيها مصلحة المدارس الدينية و البلاد. لاسيما فيما يتعلق بالمذهب الجعفري ومدارسه التي تغافل عنها القانون المذكور كما سنذكره، و قد كنا عرضنا هذه الملاحظات على أنظاركم في لائحتنا التي قدمناها لكم بتاريخ ٢٨-٩-١٣٦٦هـ. الموافق

١٦-٨-١٩٤٨م ولان نعيد اليكم تقديمها راجين أن تأخذها الجهات المختصة بعين الاعتبار.

الملاحظة الاولى

جاءت في الفقرة (ب) من المادة (١٤) من القانون المذكور من طلبة المدارس الدينية عبارة (وليس لهم مهنة اخرى). وفي تفنين هذا القيد شل للحركة العلمية من جهة والجاء لبعض الطلاب على التسكع من جهة أخرى، لأنه ليس في مثل معاهد النجف الأشرف مخصصات تعطي للطلاب خصوصا من كانوا في سن المكلفين، فإذا لم يقم بمعيشة الطالب أحد أقاربه فانه يلتجئ الى ترك العلم أو الانتهاز بما يقوم باوده ولا فسيضطر الى التسكع.

على أن هذه العبارة في القانون تعتبر طلب العلم الديني مهنة للمعيشة، وذلك من مدلول كلمة: (أخرى). وإذا صح ذلك في المدراس التابعة لمديرية الأوقاف العامة بما تؤدي لطلابها من الرواتب، فانه لا يصح في مثل مدارس النجف وكربلاء والكاظمية وهي تقوم على التبرع و المجانية من جانب المدرسين و الطلاب.

الملاحظة الثانية

وجاءت أيضا في الفقرة (ب) من المادة المذكورة عبارة: (والتي تعترف بها وزارة المعارف) وهذه العبارة – كما يظهر – قد أقحمت اقحاما وذلك من ناحيتين:

(الناحية الاولى) ان وزارة المعارف ليس في قوانينها وأنظمتها ومناهجها ذكر للمدارس الدينية ولا للدراسة الدينية، فهي – والحال هذه – غير خبيرة بهذه الشؤون. ولذلك وجدنا عند مراجعتنا لوزارة المعارف في مناسبات متعددة انها لا تدري كيف تعترف بالمدارس الدينية وعلى أي أساس يكون اعترافها.

وعلى هذا نحن نقترح أحد أمور ثلاثة: اما الغاء هذه العبارة من القانون، أو اناطة الاعتراف بجهة اخرى غير المعارف، أو تعديل قانون المعارف ووضع نظام خاص و منهج خاص للمدارس الدينية تابعين لقانون المعراف، و نحسب ان هذا الاقتراح الثالث هو أصح الاقتراحات و أنفع في المصلحة العامة، لأن الدراسة الدينية بالعراق أسبق بكثير من الدراسة الحديثة ولها تقاليدها الخاصة التي لا ينبغي تجاهلها، و كم كان لها من أثر كبير في الاحتفاظ باللغة العربية و علومها في العصور المظلمة التي مرت على العراق بل العالم العربي، على ان الحالة السياسية العالمية اليوم تدعو الدولة العراقية ألا تبقى متغافلة عن الحركة الدينية في البلاد و تأييدها.

ونحن لا نقول ذلك بدافع تشجيع الدراسة الدينية فقط، بل مصلحة البلاد العامة تدعو الى ذلك ولاسيما ان دين الدولة الرسمي هو الإسلام، ولا يكون ذلك حقيقيا وجديا ما لم تعن وزارة الثقافة في الدولة وهي وزارة المعارف بالتخصص بعلومه كما تعني بالتخصص بسائر العلوم والفنون.

(والناحية الثانية) ان المدارس الدينية الموجودة – ولاسيما في مثل النجف – كثيرة ولها كيانها الخاص من أقدم العصور الإسلامية وتقاليدها المرعية، فعدم اعتبار تلك المدراس الا باعتراف وزارة المعارف غمط لحقوق باقي المدراس التي تبقى غير معترف بها اما لعدم طلب اصحابها أو لعدم حاجتهم الى الاعـتراف، ولعل الباقية أولى من المدارس التي نشأت فنالها الاعتراف.

وإذا كان لا بعد من اعـتراف الـوزارة فالاجدى – تشجيعها لتنظر الدراسة الدينية– أن يجعل الاعتراف مخصوصا بالمدارس المنظمة التي أصبح عصرنا بحاجة ماسة اليها للمحافظة على الخلق الإسلامي الرصين وتأييد الرابطة الدينية، فيعطي لها شخصية علمية في امتحاناتها وانظمتها ومناهجها ويكتفي بامتحاناتها الخاصة، بشرط

أن تجعل خاضعة للتفتيش. واما المدارس غير المنظمة الاخرى فيكتفي بتسجيلها لدى دوائر التجنيد وتكون خاضعة لنظام الامتحانات التابع لقانون الدفاع.

الملاحظة الثالثة

وجاء في المادة (١٨) من قانون الدفاع المذكور: (أنه يعفى من الخدمة العسكرية وفقا لنظام خاص أئمة الجوامع والمساجد والمدرسون من أصحاب الجهات والعلماء والمجتهدون).

وهذه من المواقع الحساسة ذات البال التي قلنا قد غفل فيها القانون الدفاع عن المذهب الجعفري ومدارسه، لأنه من المعلوم ان أئمة الجوامع والمساجد الجعفريين وكذلك المدرسين ليسوا من أصحاب الجهات ولا يرتبطون بمديرية الاوقاف العامة في تعيينهم ولا في أية جهة أخرى، فتخصيص الائمة والمدرسين بأصحاب الجهات يستلزم حرمان هؤلاء من حكم منطوق هذه المادة بلا وجه.

ولئن اختص بالجعفريين كلمة (المجتهدون) من هذه المادة، فان الطالب الديني عادة لا يبلغ درجة الاجتهاد بدراسة ست سنوات، وعليه لو اكمل الدراسة الدينية...

الملاحظة الرابعة

منهج طلاب العلوم الدينية من المسلمين المرفق مع الوصايا بموجب كتاب وزارة الدفاع المرقم و. د. – ٤٠٣ – ١٦ – ١١٨٢ والمؤرخ ٢٧ – ٥ – ١٩٣٦م.

إن هذا المنهج المذكور (أولا) لا ينطبق على روحية الدراسة الدينية في معاهد العتاب المقدسة، لتقيده بكتب و مواضيع لا تدرس في هذه المعاهد، و هو مقتبس من روحية الدراسة القديمة في معاهد بغداد على عهد العثمانيين. (ثانيا) انه موضوع بشكل لا يلائم التطور المطلوب للدراسة الدينية في هذا العصر.

ومن الجدير أن تستشار النجف الأشرف في وضع منهج التدريس الذي يخص المدارس الدينية، و قد سبق لجماعة من علماء النجف أن طلبوا من رئاسة الوزراء وضع المنهاج الذي يتفق مع روحية الدراسة فيها، على أثر نشر المنهج المتقدم الذكر.

الملاحظة الخامسة

وهذه الملاحظة لا تختص بالمدارس الدينية لكنها تتعلق بانطباق...

في المادة ٢٢ من القانون المذكور درجات المعلمين في الجدولين الاول والثاني، فاعتبر الاخ و العم و ابن الاخت معيلا. وهذا لا يتفق مع الفقه الجعفري وهو من المواقع التي غفل فيها القانون عن المذهب الجعفري، وكثيرا ما تصطدم هذه المادة بالواقع، فعندما تعتبر دائرة التجنيد أخ الزوجة مثلا معيلا لها بحكم هذا القانون يؤخذ زوجها للخدمة، و هي عندما تراجع المحكمة الشرعية ترد دعواها لأن الفقه الجعفري لا يفرض على الأخ اعالة أخته؛ فتبقى هذه الزوجة المسكينة بغير معيل بحكم قانون الدفاع من جهة و بحكم المحكمة الشرعية من جهة أخرى.

والأمل أن تراعي الجهات المسؤولة هذه الملاحظات بعين الاهتمام ومجلس ادارة المنتدى بانتظار الاشعار بذلك.

المعتمد العام لمنتدى النشر

وقد أرسلت الجمعية صورة من هذا الكتاب لغرض الاطلاع الى كل من:
سعادة مدير الاوقاف العام
معالي نائب النجف السيد ضياء جعفر
فخامة وزير الداخلية

خطاب المظفر في حفلة وضع الحجر الأساسي لمنتدى النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على هدايته لدينه والتوفيق لمن دعا إليه من سبيله والصلاة والسلام على محمد رسوله الأعظم أمين وحيه وسيد رسله وعلى آله المنتجبين هداة الأنام وقادة الخير والصلاح.

السلام عليكم أيها السادة الكرام

أتقدّم باسم جمعية منتدى النشر مرحباً بكم وشاكراً فضلكم على إجابتكم لدعوتها في حضور هذا الاحتفال التاريخي، وعلى تجشّمكم لعناء هذا الحر القائظ، ولا شك أن هذا الفضل منكم مساهمة عملية مشكورة في وضع الحجر الأساسي لهذه البنية التي نأمل أن تشاد على أساس من التقوى والصلاح، وأخص بالشكر إخواننا الذين لم يبلغهم تأجيل موعد الاحتفال فتفضلوا بالحضور في الأسبوع الماضي إلى النجف الأشرف، وقد كنا أجّلنا موعده – كما تعلمون – وأبرقنا بذلك إلى الصحف بمناسبة مصادفته لوفاة المرحوم الحجة الشيخ راضي آل يس تغمده الله برحمته مشاطرة للأسرة الكريمة في مصابها الفادح، لما للفقيد من منزلة دينية محترمة، ولما لهذه الأسرة المحترمة (آل يس) من علاقات متأصّلة في هذه المؤسسة، لاسيما زعيمها المرحوم آية الله الشيخ محمد رضا الذي كان اليد التي لا تنسى في تأييد هذا المشروع[1]، ولا أنسى أن أذكر بالشكر أولئك الكرام الذين ساهموا بمالهم فاشتركوا في الاكتتاب، من غاب منهم ومن حضر في احتفالنا. وحقاً أن أخص بالشكر والثناء العاطر إخواني أعضاء لجنة الاكتتاب الذين جاهدوا في هذا السبيل واستفدنا كثيراً من آرائهم الصائبة رعاهم الله تعالى بعين

(١) بمناسبة ورود ذكر هذا الشيخ الجليل قدس الله نفسه الزكية في كلمة العميد هنا ننشر كلمته القيمة عن مشروع المنتدى بنصها فيما يأتي.

عنايته.

أيها الإخوان أعزكم الله

نحتفل اليوم لوضع الحجر الأساسي لبناية المنتدى لنضع فيه ما يكشف للأجيال الآتية صفحة من تاريخنا الحاضر ومن تاريخ هذا البناء لو قدّر لهم أن يعثروا على ما سنخبّئه في هذه الحفرة (وأشار إلى الحفرة المهيّئة لوضع الحجر الأساسي فيها).

أقول: نحتفل اليوم ونحن فخورون بأننا نقيم صرحاً يبقى تراثاً للأجيال الآتية. ولكن ليس الفخر أن نبني أحجاراً قائمة ونشيد بناية شامخة، فإن في المباني الشخصية والعامة ما هو أفخم وأضخم، وإنما الفخر والفضيلة – إذا تم لنا ذلك – أن نقيم صرحاً علمياً نافعاً يؤسَّس على التقوى والصلاح والنية الخالصة في خدمة الدين والعلم.

نعم، إن هذا هو المطلوب منا ومن أمثالنا، وهو المرجو نتيجة للجهود المضنية والأتعاب المتواصلة، وإلّا إذا لم نؤد هذه الغاية من عملنا فلا خير فينا ولا في عملنا ولا يكون إلا كألعوبة الأطفال أو عبث المجانين.

ويحق لنا ونحن نضع الحجر الأساسي في هذه البقعة الكريمة في جوار مرقد سيد الكونين وإمام الموحّدين علي –عليه السلام– يحق لنا أن نتفاءل بهذا الجوار لتحقيق ما نصبو وتصبون إليه من غاية دينية رفيعة، وأن نستلهم من روحه الجبّارة وإيمانه العظيم ما يشجّعنا على الأخذ بتعاليم الدين الإسلامي المقدّسة، وأن يبعث في نفوسنا روح الصدق والإخلاص والتقوى والصلاح وقوة الإيمان والتضحية.

سيدي أبا الحسن

ها نحن أولاء نحط رحالنا على بابك مستجيرين بك ولائذين بحرمك الطاهر ومستشفعين بروحانيتك وقدسيتك، لنكون قرّة عين لك في أداء ما علينا من رسالة دينية في هذا العصر الطاغي بالمادة وفساد الأخلاق، عسى أن نسير على الخطى التي

رسمتها لأمثالنا من رجال الدين في الجهاد والتضحية وخلوص النية للواحد القهّار. ونعوذ بالله أن نكون في أعمالنا واتجاهاتنا ممن يشين بلادك المطهّرة، فنسيء إلى جوارك وتخرج على مبادئك القويمة، وخير لنا ولأمتنا أن يحال بيننا وبين إكمال هذا العمل إذا كانت نتائجه تنتهي إلى غير الهدف الأعلى الذي جعلناه لمؤسستنا من السعي لإعلاء كلمة الحق والإسلام في تربية الناشئة الدينية تربية صحيحة، ونبتهل إلى الله تعالى أن يضفي علينا من ظلالك الوارف على مجاوريك ما يأخذ بناصرنا على الحق وما يقوّي في نفوسنا الإرادة وصدق العزيمة. وما يجل منا أمناء على الدين لا نخون فيه عهدك ولا نحيد عن صراطك المستقيم.

اللهم اسمع واستجب ومنك التوفيق والتسديد.

اللهم اشهد على نيّاتنا وأنت أعلم بها منا.

اللهم لا تخيّب سعينا ولا تقطع رجاءنا إنك حميد مجيد.

أيها السادة

إن اللسان ليتلكأ عن أداء كل ما يجيش به الصدر في هذا الموقف الرهيب وفي النفس من الخواطر والهواجس ما لا توفيه هذه الوقفة الخاطفة وقد طال عليكم الاحتفال، وإنما أعود فأكرّر الشكر لكم، وأتمنّى أن نرى في القريب هذه البناية قد أنشئت كاملة في ظل صاحب الجلالة ملك العراق ووصيه وولي عهده المعظمين، وإذا أريد أن أخص بالشكر أحداً فإني الآن أخص بالشكر سعادة قائمقام قضاء النجف (لطفي بك) لما له من مساع جليلة ولا شك أن ذوقه العمراني المعروف سيكون أكبر عون لنا على هذا العمل على أحسن ما يرام.

لقد أزفت الشمس أن تغرب، فمن ترون سيتقدّم من الحضور الكرام لوضع الحجر الأساسي؟

لا شك أننا ننتظر أن يتقدّم أحد العلماء الأتقياء ليتفضّل فيضع بيده الكريمة الحجر الأساسي، لنتفاءل به في تشييد البناية على أساس الصلاح والتقوى، من سترون الذي سيتفضل فيلبّي رغبتنا من علمائنا الحاضرين؟

من سترونه يكون؟

اسمحوا لي أن أتجاسر فأعيّنه إذا أبيتم تعيينه فأقول من هو الأولى بذلك من أستاذنا حجة الإسلام آية الله السيد محمود الحكيم، وكان حضوره نعمة لنا.

أرجو أن يعذرني سماحة السيد على هذه الجسارة التي اضطررت إليها فليتقدّم ونحن بخدمته إلى موضع الحجر.

إجازة المظفر إلى تلميذه عرفانيان

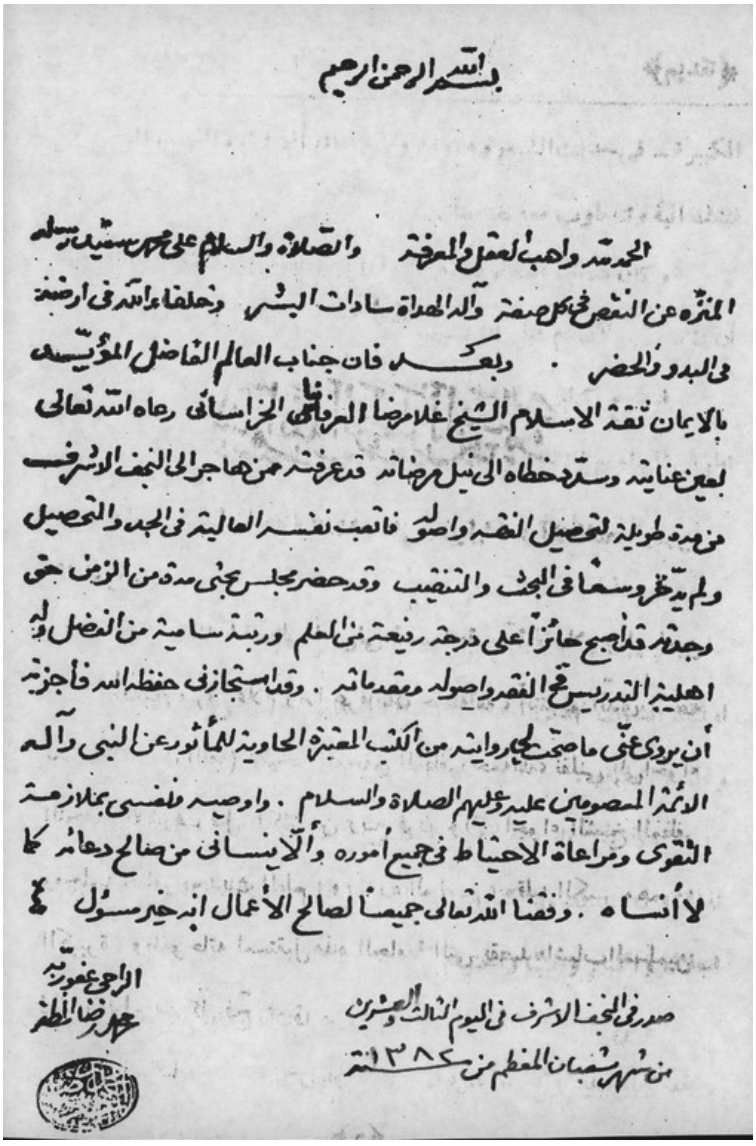

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله واهب العقل والمعرفة والصلاة والسلام على محمد سيد رسله المنزه عن النقص في كل صفة وآله الهداة سادات البشر وخلفاء الله في أرضه في البدو والحضر. وبعد فان جناب العالم الفاضل المؤيد بالايمان ثقة الاسلام الشيخ غلامرضا العرفاني الخراساني رعاه الله تعالى بعين عنايته وسدد خطاه الى نيل مرضاته قد عرفته من هاجر الى النجف الاشرف من مدة طويلة لتحصيل الفقه واصوله فاتعب نفسه العالية في الجد والتحصيل ولم يدخر وسعا في البحث والتنقيب وقد حضر مجلس بحثي مدة من الزمن حتى وجدته قد اصبح حائزا على درجة رفيعة من العلم ورتبة سامية من الفضل وله اهلية التدريس في الفقه واصوله ومقدماته. وقد استجازني حفظه الله فأجزته أن يروي عني ما صحت لي روايته من الكتب المعتبرة الحاوية لما أثر عن النبي وآله الائمة المعصومين عليه وعليهم الصلاة والسلام. واوصيه ونفسي بملازمة التقوى ومراعاة الاحتياط في جميع أموره والانسان من صالح دعائه كما لا أنساه. وفقنا الله تعالى جميعا لصالح الأعمال انه خير مسؤول

صدر في النجف الاشرف في اليوم الثالث والعشرين من شهر شعبان المعظم من سنة ١٣٨٥

الراجي عفو ربه
محمد رضا المظفر

منتدى النشر[1]

المؤسسة العلميّة الحديثة في النجف، وتضم نخبة من علماء وأدباء الشيعة الإماميّة أذكر منهم الشيخ محمّد حسين المظفر والشيخ محمّد الشريعة والشيخ محمّد رضا فرج الله والشيخ علي ثامر والسيّد محمّد جمال الهاشمي والشيخ محمّد رضا المظفر والسيّد هادي فياض والشيخ عبد الوهاب آل الشيخ راضي والسيّد محمّد تقي الحكيم والشيخ عبد المهدي مطر.

أخواني أعضاء هذا المنتدى!!

منذ عشرين سنة وأنا أفكر وأحلم أو احلم وأفكر في ضرورة مؤسسة قوامها العلم والأخلاق أو المدنيّة والدين ومصدرها النجف، تحمي النشء من الشذوذ وتحول بين الشيوخ والرجعيّة التي يتمرد معها الشباب فيستقبلون المدنيّة عارين من الدين على أيدي معلمين إنّما امتهنوا حرفة التعليم ليفسدوا الأخلاق.

ولقد عملت جهدي على تحقيق هذه الفكرة في بيروت ولكن بيروت ليست بلداً شيعيّاً، ولا مطمع للشيعي البعيد عنه في أن يعضد مؤسسة لا يطمئن إلى نموها النمو المرجو في محيط أجنبي عنه وعلى أيدي رجال لا يحملون ثقة العلماء الأعلام، أمثال الحوماني ومن نهج نهجه في النقد اللاذع والاصلاح المبني على العنت والاحراج.

عملت جهدي فلم أفلح في تحقيق هذه الفكرة واجتزأت بمؤسسة تعمل في نواحٍ أخر من حياة هذا الشعب البائس المنكود، ووجهت أفكاري شطر النجف فعمدت إلى القلم محاولاً توجيه الفكرة وتدوينها ثمّ عرضها على الحجّة الأكبر مرجع الطائفة اليوم،

(١) مستل من كتاب وحي الرافدين لمحمد علي الحوماني، الجزء الأول (الرسالة السابعة والعشرون): ٣٧٧ – ٣٩١.

ثمّ بدا لي أنّ زيارته أنجع في تحقيق هذا الأمل البكر فزممت إليه رحلي في ربيع السنة الغابرة.

ولشد ما كنت مبتهجاً إذ وصلت بغداد وزرت الكاظميّة فاجتمعت إلى أعلامها والشباب الناهض فيها، فعلمت أن هناك مؤسسة جديدة هي صلة القديم بالحديث تعنى بتهذيب النشء تهذيباً يرضى عنه الشيوخ ويعتنقه الشباب، وإنّ الحجّة الأكبر يرعاها بعينه التي لا تنام وإنّ مصدر التفكير في إنشائها هو منتدى النشر، وإنّ لها أختين في كربلاء والنجف وإن في نيّة هذا المنتدى تصميماً على تعميم هذه المؤسسات في سائر مدن العراق.

هنالك تنفست الصعداء وقلت: أحمد الله إليكم إن وفرتم عليّ عناء الخوض في هذا السبيل وكنت جد مغتبطاً بتنفيذ فكرتي على أيديكم لأنّ فيكم من المؤهلات لتحقيق هذه المشاريع أضعاف ما يتوفر لدي، لقربكم من المرجع الأكبر ولثقته البالغة فيما ترون من عمل، ولأنّكم أقرب منّي إلى الشيوخ الذين لم أكن معهم هادئ النفس حكيم الفكر والنقد في سبيل الاصلاح المنشود.

وكنت إذ دخلت النجف عالي الرأس، منشرح الصدر، مطمئناً إلى عمل يكفيني مؤونة التفكير بعد، في اصلاح هذه الطائفة التي مرّ بها ألف عام ولا تزال مفتقرة إلى يد تنشط بها من وهدة التردد، إلى المستوى الذي يجعلها إلى جنب أخواتها من طوائف المحمديين في شرق الأمّة وغربها، أفليس لها حظ من الرقي في العالم ؟؟ أوَليست على نصيب من العلم والدين يؤهلها لأن تأخذ مكانها تحت الشمس ؟؟ أفحتماً علينا أن نبقى قروناً نتكتم وننكمش على أنفسنا كأن في ديننا أو مذهبنا عوجاً لا نطمئن معه إلى الجهر بالحق والأخذ بظاهر الحياة حتّى اصبحت التقية ديناً لنا من دون الله ؟؟

وما هو هذا المذهب الذي نتمشى معه أذلاء صاغرين منبوذين متكتمين إلى يوم

القيامة ؟؟ كأنّا لسنا من حملة القرآن وعبدة الاديان، وكأنّا نصع في هياكلنا أصناماً نخضع لها ونخشع أمامها بيننا وبين أنفسنا حتّى تأوّل المتأول وتقوّل المتقول وكثرت الظنون بنا والنقمة علينا وحتّى جهلنا كلّ شعب وتنكرت لنا كلّ أمّة.

هذا السيّد باقر الكاظمي ينقل لي ما سمع من غرائب ما ينسبون للشيعة في مصر على ألسنة أعلامها، ممّا يثبت لنا أنّ القوم لم يحيطوا بشيء مما نعتصم به في ديننا منذ ألف عام، وكانت النجف وما أنتجته أدمغة علمائها منذ قرون لا يزال في عالم الغيب، وكانت شريعة جعفر بن محمّد الصادق شيخ الأئمّة لا تزال مطويّة لم يطلع على غيبها أحد، وكأنّا نعيش في جزيرة أحاط بها الماء وحجب عنها كلّ شاخص ؟؟

ألهذا خلقنا ؟؟ وعلى ذلك يجب أن تستمر حتّى تتبدل الأرض غير الأرض ؟؟ وفي يقيني أنّ شيئاً ينقم عليه واحد منصف في العالم، لا يقره لنا مذهب ولا يقوم عليه رأي، ولكن بعض الجهلة ممّن يتسترون بنا شوّهوا وجه الحياة السامية التي يشير إليها مذهبنا ويحملنا عليها ديننا.

وما لنا لا نتخذ لأنفسنا دار طباعة حديثة وصحيفة عالمية تعنى بنشر هذه المحجوبات في العالم، أقول محجوبات لأنّنا نحن حجبناها ولكن سوء الطباعة وسوء الدعاية لها حالا بينها وبين أن يتبينها علماء وأدباء الغرب والشرق، فما استطاعوا أن يتبينوها وأن يكتنهوا جوهرها، فمشوا على غرار من تقدمهم من مؤرخي العصور السابقة في عهد الظلم والتعصب والإرهاق، فنسبوا لنا البدع والضلالات، بينما يأبى دين محمد وأهل بيته الذين سنّوا لنا هذا الشرع، أن تقوم عليه بدعة أو تحيق به ضلالة.

فعليكم أيهذا النفر المجاهد اليوم تقع تبعة هذا المذهب في كلّ ما يعزى إليه، وبكم يعتصم الشرع المحمدي على لسان الإمام الصادق عليه السلام، وإليكم تُرد هذه الشبه التي وصم بها أعداء الدين دينكم، عليكم وحدكم اليوم جهاد الزمن وأبنائه في وجه ما ينالنا

من ظلم، فاعملوا فوق ما تستطيعون لاخراج هذه المخبآت وإعلانها في العالم حتّى لا ننسب إلى التكتم والتستر كأنّا جناة على الإنسانيّة نحاذر أن نظهر خشية العقاب.

نعم عليكم أيّها السادة، ومن ورائكم عالمنا الأكبر والقادة والهداة من علماء الشعب، عليكم أن تباشروا قبل كلّ شيء بناء دار فخمة تليق بهيئتكم خارج النجف القديمة وأن تشتمل على ناد رحب ومكتبة قيمة ومدرسة حديثة الطراز لندل على أنّ وجهتنا في الحياة هي الوجهة الأولى التي يطمئن إليها الفكر الإنساني الحديث.

وعليكم بعد هذا أن تنشئوا دار طباعة حديثة وتؤلفوا لجنة من خير علمائكم لدرس الكتب الإماميّة فقهيّة وأصولية، وتتخير أصلحها للدرس وأقومها للشيوع، وأحكمها لأصول الدين وفروعه، ثمّ تجددوا طبعها وتخريجها على أيدي أناس حذقوا فنّ الطباعة والتخريج الحديث.

وعليكم أن تنشئوا صحيفة تنوه بعملكم وتعلنه على الملأ الخاص والعام ثمّ تهدوا إلى المكاتب الكبرى في العالم القديم والجديد نسخاً من مطبوعاتكم وصحيفتكم ليكونوا على بينة من أمرنا، كما أصبحوا على بينات من أمور المذاهب الزائفة أمثال البهائيّة والقاديانيّة ومن إليهما من بدع الاستعمار السياسي في عصرنا هذا والذي سبقه وما سيليه.

ولقد أنيت على شيء من هذا الاقتراح في إحدى رسائل هذا الكتاب، ولكنّي أحبّ أن أقرره الآن وآخذكم به لأنّي لا أرى المسؤولية تجدي فيما إذا اختصّ بها فرد، أمّا أنتم فجماعة منظمة نعول عليها في مثل هذه النظم وتلك الخطط، وهل يقوم بالأعمال الشاقّة فيضطلع بها غير الجماعات، والجماعات التي تضم رجال الأمّة من علماء وأدباء ؟؟ وهل يتحقق مثل هذه الجماعات في غير داركم ؟؟ اللهم لا... إلّا أن تقروا بالوهن والعجز وذلك ما لا أحسبه فيكم، وفيكم الهمم التي لو أعملتموها في دكّ الجبال لكانت أضخم

من الجبال.

أي أعزائي الأعلام...

إنّ الحياة لشاقّة علينا واشقّ منها اصلاح الحي واشقّ من هذا الاصلاح توفر أسبابه من أموال ورجال، و أشقّ من هذا وذاك أن يؤلف بين رجال الاصلاح تضامن يضم القلب إلى القلب ويحيل الروح في الروح.

على أنّ من السهل أن نجد هذا التضامن بعد إحرازنا الدين ولكن ليس من السهل علينا أن نوجد الفكر الذي يكشف لنا كيفيّة هذا التضامن واستقلاله في سبيل الحياة التي عليها قامت أسس الدين ولها كنّا قبل أن نكون للدين، أفلا يكون فيكم من يدرك هذا كلّه ويعمل به ويضطلع به ؟

نعم لقد رأيت فيكم العالم الفهامة، والأديب المفكر، والشاعر الحر والحكيم المخلص، والتقي البار، وهل يتطلب العمل في الحياة رجالاً أكثر من عالم وأديب وشاعر وحكيم ؟؟ إنّكم رهط توفرت لديه العدّة الأولى التي هي العلم والاخلاص، فلم يبق لديكم إلّا العمل والاستقامة والثبات وهذه تكاد تكون وقفاً على التفكير والاخلاص، ولستم «فيما أرى» بحاجة إلى من يحملكم على الاخلاص أو يعينكم على التفكير، نعم، قد يرى الناقد البصير البعيد عنكم ما لا ترون ممّا خبر وزاول واغترب، قد يرى ما يلفتكم إليه وأنتم في معزل عنه على غير جهالة، فيكون مذكراً لا حاملاً وشريكاً لا مؤسساً.

قد يعوزكم المال العتيد لما تودون القيام به وليس بوسعكم الحصول عليه في الوقت الراهن، على أنّكم لو وضعتم نصب أعينكم ما أقترحته عليكم أيّام وجودي بين أظهركم لكان وشيكاً ان تقبضوا على هذا المكان لوكان أوشك أن تضعوا أيديكم على أركان البنيان الذي تخيلتموه ولمّا يتحقق بعد.

إنّ بضعة أيام أو أسابيع أو أشهر تشبعونها دعاية في الصحف لمشروعكم هذا، ونشرات توزع في الألوية على أعيان وعلماء الأمّة، وتأليف وفد من كبار العلماء والأدباء والخطباء يطوفون المناطق مزودين برسائل الحجّة الأكبر وأركان الدولة إلى أعلام القبائل وشيوخها، إنّ هذا الوقت القصير يعود عليكم بطائل ما فوقه طائل ثمّ يعقبه الزمن الذي تشرعون فيه بالتأسيس في النجف الجديدة.

فلا يمر بكم أكثر من عام حتّى نرى علماءنا وأدباءنا ووجهاءنا على رأس الجميع الحجّة الأكبر وعملاؤه من أقطاب الأمّة يؤمون منتداكم الفخم الذي يسع مئات من المقاعد بين يدي منبر الإمام علي عليه السلام، يستمعون إلى خطيب مفوه يتلو عليهم نظام العمل، وخطباء آخرين يعيدون إلى القلوب حنينها البالغ بترتيل آي الذكر الحكيم وجوامع الكلم من أقوال سيّد الرسالة ووصيه المرتقى في نهج بلاغته البالغ حدّ الاعجاز.

وبعد ذلك ينصرفون إلى تفقد الغرف المعدة للدراسة الحديثة والقديمة وإلى تعهدها بالعواطف السامية والخلق المحمدي في الإنسانيّة الكاملة، فيعيدون إلينا ذكرى جامعات أوروبا وأميركا التي تزخر بشباب العصر بين كاهن وطبيب وقاض ومهندس، وغير ذلك من أوتاد الأرض وأقطاب المدنيّة في الحياة والجديرة بالخلود.

ليس في ذلك ما يعجز الحكيم المفكر والرجل المؤمن وهو فيكم ومنكم أيّها السادة، وليس في عداد المستحيلات أن يعمل العالم ويصلح الحكيم، وقد كان العلم للعمل وكانت الحكمة للاصلاح، ليس ممّا يستحيل على المؤمن أن يصلح وقد وجب عليه هذا الاصلاح فكان العنصر الأوّل في تقويم إيمانه.

إنّكم في النجف، والنجف اليوم مرجع ستّين مليوناً من العالم، ومهبط وحي الالهام من هواة العلم وحماة الأخلاق، والنجف محط آمال تلك الملايين وموضع ثقتهم بالحقّ الذي ينشده المجموع البشري، على أيدي رجاله الموهوبين والنجف اليوم هي

مصدر التجديد في الدين المعبر عنه «بالاجتهاد»، وهل الاجتهاد إلّا رمز للتجديد والتطور القائم على أساس العلم الصحيح والتفكير الحر ؟؟ النجف اليوم هي البقعة التي يسكنها علم الأعلام أبو الحسن الأصفهاني الذي ينفق كلّ يوم ألف دينار في سبيل الحياة القائمة على العلم والدين.

أفكان مستحيلاً عليكم، وأنتم في هذه المدينة ومن أعلامها وبين أيديكم قبّة سيّد الأوصياء تنذركم كلّ يوم فتعيدكم بالذكرى إلى الجهاد المقدس الذي سنّه لكم باب مدينة العلم الراقد تحتها في حظيرة الخلود، وعلى رؤوسكم خليفته أبو الحسن الثاني يحمل إليكم قلوب الملايين من البشر وأموالهم لتنفق في السبيل الذي تعملون له وتقومون عليه، أفكان مستحيلاً عليكم بعد هذا كله أن تقوموا بعمل تتسع لانجازه بضعة آلاف من الدنانير وهذه الآلاف تنفق في كلّ أسبوع عندكم على عمل دون عملكم ورجال لستم دونهم في استحقاق هذا المال ؟

أنا زعيم لكم أيّها السادة في أنّ العمل الصالح يخدم نفسه ويقوم على نفسه والاستحالة فيه هي المستحيل الأوّل، وهل يوجب الله على عبده المخلص ما هو مستحيل ؟ أنا زعيم لكم بأنّ تضامنكم وإخلاصكم وثباتكم، إلى عملكم وتفكيركم هو وحده الضامن لما اقترحه عليكم، فمن الآن، من هذه الساعة التي تقرؤون فيها رسالتي، أتقدم إليكم باسم الخذلان الذي فرضه علينا الجهل والفقر والتنابذ، أن تنهضوا وتشمّروا عن سواعدكم للعمل وإذا شئتم أن أكون واحداً منكم فترون منّي عضداً متفانياً في كلّ عمل تستهدفون من ورائه الحقّ وهو يشير إليكم ويهتف بكم للأخذ بناصره في وجه الباطل....

أي أخواني الأعزاء...

لا تلوموني فيما الحف به عليكم واصر، ولا تحسبوا من الفضول إسرافي على نفسي

بالقول بين أيديكم، فإنّي رأيت أكثر ممّا رأيتم وسمعت أكثر ممّا سمعتم فلمست الحاجة إلى الحياة أكثر ممّا لمستم وشعرت بالألم الذي يخز الجنب ويضغط الصدر فوق شعوركم، ثمّ أوتيت من البلاء في معالجة هذا الداء فوق ما أوتيتم، لهذا أو ذاك أجدني حريصاً على الالحاف والاصرار بين يدي كلّ نسمة أتحسس في قلبها بقية من أمل وبصيصاً من نور.

لا تؤاخذوني بما أرهق في القول فما يحلو لي أن أقول وأقول حتّى يصدأ منطقي، وأن أكتب وأكتب حتى يكلّ ساعدي، ثمّ أن أبكي وأبكي حتّى يتحجر الدمع في قلبي، كلّ ذلك في سبيل أمّة عرفت فيها الحقّ وهو ضائع، ولمست فيها النور وهو مكبوت، وأشرفت منها على الجوهر وهو مكنون، ثمّ لم أر من أعلامها من يقول بفمي، ويكتب بيدي ويبكي بهاتين العينين اللتين مرتا بنعيم الحياة في شرق الأرض وغربها فلم يزده إمعاناً في غير البؤس الذي يشمل قومه ويغشى أفق بلاده.

أفلا تتحجر هذه الدموع وتلك الكلمات في النجف وعلى أيديكم، جامعة كبرى تثقف النشء، ونادٍ فخم يهذب العقول، ومستشفى رحب يرفه عن البؤساء في أمراضهم المستعصية، فأطمئن إذ ذاك إلى أنّ رسالتي في الحياة قد انتهت وأملي في الخلود قد تحقق ؟؟؟ وإنّي لعلى ثقة بأن تنزلوا هذه الكلمات من نفوسكم منزلة الحقّ الذي تشيدون به وتتنادون له وتحملون الأمّة عليه.

وإنّي لعلى ثقة بأن تعدوني شريكاً لكم في كلّ عمل تفكرون به وتنشطون له وتضطلعون ببعثه مستهدفين به الإنسانيّة في قومكم فتدفعون الباطل بالحقّ والشرّ بالخير مهما بعدت بيننا الشقة واتسع الأفق، لأشارككم في النتائج المرموقة بعين الله والتاريخ الذي سخره الله لتسجيل العمل الصالح في ديوان الحقّ الخالد.

جامعة تجمع الدين إلى المدنيّة في قلب النشء، ومستشفى يحمي النجف من أعراض الحياة، وناد تعالج على منبره أدواؤنا، ومكتبة تضم أروع الكتب واقوم الصحف، ودار

طباعة تكفل لنا طبع الكتب القيمة علميّة وأدبيّة للتدريس والتأدب على أتم تخريج فنّي، وصحيفة تعنى بالدعاية لكلّ ذلك، هذا هو الهدف الذي أشارككم فيه، وهذه هي الغاية التي يستهدفها كلّ حر، وهذا هو الحد الذي يجب على الطائفة أن تعمل له وتقف عنده.

أيّها النفر المجاهد الحر...

لقد لقيت من حفاوتكم بي يوم زرتكم ما أخشى على القلم أن تلهبه العاطفة فيحترق ثمّ لا يكون رائداً للحقّ على يدي، إنّ هذه الحفاوة التي لقيتها في بهو معهدكم الذي أرجو أن أزوركم ثانياً وقد ودعتموه غير آسفين إلى أرحب منه وأفخم، إنّ هذه الحفاوات لا تتناول شيئاً من كلماتي هذه ولم يكن ليدور في خلدكم أن أقابل عطفكم ولطفكم بمثل هذا الفضول الذي لمستموه في جملي الصاخبة بين يدي الاصلاح.

إنّي لواثق من أنّ النجف غني بالعلم والأدب والفن، ولكن الذي آسف له أن لا يتمشى مع الحياة الصحيحة بهذا العلم، ولقد كان بيني وبين أحدكم العلاّمة الشيخ محمّد حسين مظفر نقاش مسهب في مكتب منتداكم حول هذا كلّه، وقد أتينا فيه على الاجتهاد والتقليد، وكنّا مطمئنين إلى أنّ مآل الاجتهاد التطور والتجديد ومآل التقليد الركود والجمود، ولمّا عدنا إلى التطبيق رأينا الأمر بالعكس إذ ألفينا المجتهد جامداً والمقلد مجدداً وتحرينا السبب فعلمنا أنّ المجتهد لا يعمل باجتهاده والمقلد لا يعمل بتقليده فوقف ذاك ومشى هذا.

أفلا تدلونني على السبب الذي من أجله أعملنا جواز تقليد الميت ابتداء، وفيكم العالم والمفكر ؟؟ أنا لا أفهم سبباً غير الاجتهاد كيلا يقف تقليد الحي للميت في وجه تجديد المجتهد فنؤول إلى الجمود، فلنعد إذن إلى هذا التقليد وأنا الضامن لكم أنّ فيه تجديداً لنا وإقلاعاً عما نحن فيه من تقهقر وتخاذل إلى حياة يغبطنا عليها كلّ من رأى

الحياة مع الدين ضرورة للاحياء.

إنّ كثيراً من الأحكام التي توجب فينا الجمود والتأخير اليوم ينعى عليها كثير من علمائنا الماضين، وكثيراً من الأحكام التي كان أولئك يرونها ضروريّة لحياتنا ينعى عليها هؤلاء، فلو تخلصنا من قيود التقليد القاصر على الحي وولجناه في الحي والميّت، لكان لنا بفضل ذلك مجال واسع في التوفيق بين المدنيّة والدين.

ومهما يكن من أمر فإنّنا في حاجة ملحّة للتفكير في اصلاح النشء وهذا الاصلاح قائم على التبصر والامعان في الشكل الذي يوفق بين المدنيّة والدين، لأنّا في حاجة ماسّة إلى أن نتخلق، ونحن في الحكم، بأسمى خلال الإنسانيّة التي تذوب فيها الشخصيات وتضمحل معها الأنانيّة، وإنّما يضمن لنا هذه الخلال تعزيز الدين والإمعان في تدعيمه وتثبيته حتّى يتحول في صدرونا الناشئة قلوباً تنبعث منها العواطف وترسخ فيها عقيدة من ورائها إيمان بالحقّ وكفر بالباطل.

إنّي لجد متفائل بمؤسستكم التي يرمز النفر القائم عليها، إلى العلم أكثر ممّا يرمز إلى شيء آخر، فقد رأيت الغلبة في رجالها للعلم والدين على الأدب والفن، ونحن إلى العلوم في العراق عامة والنجف خاصّة، أحوج منّا إلى الفنون لأنّ العراق مطبوع على الفن فليس بمفتقر إلى من يعمل على تعزيزه.

وتمتع منتداكم بثقة المرجع الاكبر في عملكم هو عربون قائم على النجاح الذي يستقبلكم في الزمن القريب إذا أحسنتم استغلال هذه الثقة في نفوس الشيوخ والشباب من رجال الأمّة الذين لا يزالون يلحظون الدين بعين لا ترى الحياة إلّا من وراء مجهرها البصير النافذ.

ولقد رأيت من نشاطكم وغيرتكم على الحقّ واندفاعكم في سبيله، خلال الأبحاث التي دارت بيني وبين الأخوين الشيخ محمّد شريعة والشيخ محمّد رضا المظفر في منزلي

الصديقين الكريمين الشيخ علي ثامر والسيّد محمّد جمال، لقد رأيت فيكم إيماناً بالعمل لا يتزلزل بين يدي أرجاف من يرى فيكم هذه الخلّة فيحسدكم عليها.

فاستقيموا كما أمرتم وانهضوا بما أنتم له، فوالله ما أصر امرؤ في نفسه خدمة الحقّ إلّا خوله الله نصره وأعانه عليه، وما أصرّ في نفسه خدمة الباطل إلّا وكّله الله إلى باطله فخذله وكانت الفضيحة والندامة عقباه، ولقد جربت كلتا الخلّتين مراراً أكاد لا أحصيها فما كذبت ولا كذبت ولكنّها الحقيقة خليقة بأن تتحصحص ويظهر الصبح لذي عينين.

وبعد فهل تسمحون لي أيها النفر الصالح، أن أقول لكم: أنّ العمل على قدر العامل، وأنّ الخدمة إنّما تستوجب الشكر على قدر استيفائها حقّ المخدوم، إلّا وأنّ عملكم بالنسبة إليكم لا يزال شديد الفقر إلى التعزيز والتنمية، وإنّ خدماتكم على جلالتها، بالنسبة إلى أمتكم وبلادكم ضئيلة فاترة، لأنّ فيكم من المؤهلات للاصلاح، بين علم جم، وأدب رفيع، وحكمة بالغة، ما لا ينهض به عملكم هذا دليلاً على أنّكم أديتم الرسالة التي عهد إليكم بها الحقّ أمام هذا التيار الزاخر بالأعمال.

وإنّ في أمتكم وبلادكم من البدع والضلالات ومن الجهل والفقر والذل، ومن الجمود والركود والتقهقر، ما لا يقوم بدفعه أضعاف هذه الخدمات القاصرة فيكم على مدرسة أو مدرستين يترعرع في حجراتها بضع مئات من أبنائكم، ولعلّ جامعة تكبر جوامع الغرب وتشتمل على عشرات الألوف من الطلاب، لعلّ هذه تعجز عن أن تقوم بدفع تلك الغوائل التي تمسنا في كياننا وتكاد تطغى على البقية الباقية من تراثنا، الذي نتجمل به في معرض الرياء والتجمل.

وبعد، فهل تتقبلون شكر أخيكم هذا، وتصفحون عن شقشقته ثمّ تتوقعون اجتماعاً آخر به يستوحي منه رسالة أخرى تقوم على الإشادة بما عملتم لا الحث على ما يجب أن تعملوا؟؟ انكم إن توقعتم ذلك غنمتم شكره وحمده فإلى اللقاء....

كلمة الختام

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الطواف في أفق المجتهد المجدد الشيخ محمد رضا المظفرقدس سره مسار رحب يبدأ ولاينتهي بهذه الصفحات المعدودة، لانه رجل المبادئ الذي عاش حياته محطات عطاء وبذل من اجل ان يسمو الفكر الخلاق وينطلق لانقاذ الانسان من ربقة الضياع وان يعيش اليقين ليدفع عادية الوهم، ولذلك فكل من يطل على مدى رؤاه يعشق خواطره التي تنساب رقيقة كالزلال الصافي.

تلكم هي – باختصار – خطوات رحلتي مع موسوعية القلم المظفري لانه (كان مدركا للمتغيرات في العالم متحسسا لما يلزم الرسالي لمواكبتها من تجديد واضافة لافي مضمون الرسالة بل في المنهج والطرح واللغة والاسلوب)[1].

والذي اود بيانه في خاتمة ما استطعت جمعه من صفحات حياته وآثاره لرسم صورة من حياة رائد متفرد في طليعة المؤمنين الذين اهتدوا لنهج البصيرة، وكان عيشهم قربانا للحقيقة التي وعاها وآمن بها وتحمل من اجلها وصبر وصابر حتى ادركت الاجيال من بعده انه سبقها في قراءة المستقبل.

واذ بلغنا الختام أقدم اعتذاري للقراء ان هذا المجهود لا يمثل الا نفحة من نفحات شيخنا المظفر عسى الايام تفسح لأهل الفضل بقدر من الوفاء له، وان عملنا وان لم يحظ بتمام ما قدمه من خواطر وآثاره الفكرية الا بحدود المستطاع وما سمح به الوقت بعجالة الانجاز.

---

(١) انظر دراسة تلميذه البارع السيد عدنان االبكاء في القسم الرابع [ذكرى المظفر].

وبالتالي آيات تقديري واحترامي للاخوة الافاضل في العتبة العباسية المقدسة ومعهد العلمين للدراسات العليا، وتوليهم مهمة الطبع والنشر بهذه الحلة الجميلة، والشكر موصول لكل من ساهم بتقديم ما بحوزته من معلومات، ودعائي بالتوفيق للجميع واخص ولدي علي الذي تولى الجانب الفني، مبتهلا لله تعالى ان يجعل هذا العمل مباركا في خدمة كلمة الحق انه نعم المولى ونعم النصير. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

محمد جواد الطريحي

مصادر البحث

١- معجم المطبوعات النجفية، الدكتور الشيخ محمد هادي الاميني، الطبعة الاولى، مطبعة الآداب، النجف ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

٢- مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها ، الشيخ محمد مهدي الآصفي، مطبعة النعمان، النجف ١٣٨٣هـ -١٩٦٣م.

٣- معجم رجال الفكر والادب خلال الف عام ، الدكتور الشيخ محمد هادي الاميني، مطبعة النجف.

٤ ١٤١٧هـ-

١٩٩٧م.

٥- شعراء الغري ، علي الخاقاني، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٦- ماضي النجف وحاضرها ، الشيخ جعفر محبوبة، الطبعة الثانية، دار الاضواء، بيروت ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٧- في الادب النجفي ، محمد رضا القاموسي، المكتبة العصرية، مطبعة دار المثنى بغداد ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٨- معارف الرجال ، الشيخ محمد حرز الدين، الطبعة الثانية، مكتبة السيد المرعشي، قم ١٤٠٥هـ.

٩- من اوراق المظفر ، محمد رضا القاموسي، المكتبة العصرية، مطبعة الساعة، بغداد ٢٠٠٧ م

١٠-الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الاصلاحية ، علي احمد البهادلي، الطبعة الاولى، دار الزهراء، بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١١- كلية الفقه عطاء وابداع الدكتور علي خضير حجي، مطبعة دار الضياء، النجف بلا.

١٢- كلية الفقه تاريخ وتطور ، الدكتور علي خضير حجي، مطبعة دار الضياء، النجف بلا.

١٣- وحي الرافدين ، محمد علي الحوماني، بيروت ١٩٤٩م.

١٤- مستدركات اعيان الشيعة ، السيد حسن الامين، بيروت، دار التعارف ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٥- سير وتراجم نجفية ، الشيخ محمد رضا المظفر، تحقيق محمد جواد الطريحي، مركز دراسات تاريخ النجف الاشرف ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

١٦- جمعية منتدى النشر واثرها الفكري والسياسي ، سعد عبد الواحد عبد الخضر، دار المدينة الفاضلة ٢٠١٢م بغداد.

١٧- الحالي والعاطل ، الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، النجف ١٩٧٣م.

١٨- حفلة وضع الحجر الاساسي لبناية منتدى النشر، جمعية منتدى النشر، المطبعة الحيدرية النجف ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م.

١٩- منتدى النشر بعد ١٦ عاما ، جمعية منتدى النشر، النجف، المطبعة الحيدرية.

٢٠- الديوان ، مصطفى جمال الدين، الجزء الاول، دار المؤرخ العربي، بيروت.

٢١- الندوة الفكرية لاستذكار الشيخ محمد رضا المظفر ، محمد رضا المظفر ١٩٩٧م.

٢٢- نظام منتدى النشر ، جمعية منتدى النشر ١٣٧٠هـ النجف.

٢٣- الادب الجديد ، محمد جمال الهاشمي، النجف ١٣٥٧هـ.

٢٤- تجاربي مع المنبر ، الدكتور أحمد الوائلي، بيروت ١٤٢٤هـ.

٢٥- عقائد الامامية ، الشيخ محمد رضا المظفر، تحقيق محمد جواد الطريحي، مؤسسة الامام علي عليه السلام، قم، الطبعة الاولى، مطبعة نور ١٤١٧هـ.

٢٦- مع السيد الرفاعي في أماليه ، محمد رضا القاموسي، النجف ٢٠١٣م.

٢٧- ديوان صادق القاموسي، اعداد وتعليق محمد رضا القاموسي، بغداد، المكتبة العصرية ٢٠٠٤م.

٢٨- الذريعة الى تصانيف الشيعة ، الشيخ اغا بزرك الطهرانيدار احياء التراث العربي بيروت ٢٠٠٩.

٢٩- نقباء البشر ، الشيخ اغا بزرك الطهراني، بيروت ٢٠٠٩م.

٣٠- موسوعة العتبات المقدسة ، جعفر الخليلي بيروت ١٩٦٥م.

٣١- دموع وفاء ، طلاب ثانوية منتدى النشر في النجف، مطبعة الآداب ١٩٦٣م.

٣٢- نظام جمعية منتدى النشر ١٣٧٤ هـ- ١٩٥٤م، مطبعة النجف ١٩٥٥م.

٣٣- احلام اليقظة ، الشيخ محمد رضا المظفر، تحقيق محمد جواد الطريحي، منشورات جمعية منتدى النشر، دار الضياء للطباعة ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م.

٣٤- محمد تقي الحكيم وحركته الاصلاحية في النجف ، معهد الدراسات العربية والاسلامية لندن ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣م.

٣٥- هكذا عرفتهم ، جعفر الخليلي، الجزء الثاني، المطبعة الحيدرية، قم ١٤٢٦هـ.

٣٦- النجف الاشرف وحركة التيار الاصلاحي، بيروت ٢٠٠٥م.

٣٧- أدب الطف ، جواد شبر، الجزء العاشر، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت.

٣٨- تاريخ العراق السياسي المعاصر، حسن شبر، الجزء الثاني.

٣٩- حوزة النجف الاشرف النظام ومشاريع التطوير ، الدكتور عبد الهادي الحكيم، مطابع مؤسسة الاعلمي، بيروت ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٤٠- ذكرى صادق القاموسي ، محمد رضا القاموسي، دار القاموسي، مطبعة الكلمة الطيبة، بغداد ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٤١- النص والاجتهاد، السيد عبد الحسين شرف الدين.

٤٢- منتدى النشر أعماله وآماله ، محمد رضا المظفر.

٤٣- الشيخ المظفر وجهوده العلمية، حسين كاظم عزيز، رسالة ماجستير ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٤٤- هكذا رأيتهم الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي .

الصحف والمجلات

١- آفاق نجفية ، كامل سلمان الجبوري، النجف .

٢- الاعتدال ، محمد علي البلاغي، النجف.

٣- النجف، هادي فياض، النجف .

٤- النجف، كلية الفقه، النجف .

٥- البذرة، كلية منتدى النشر، النجف .

٦- النهج ،صدر الدين شرف الدين .

٧- الهاتف، جعفر الخليلي، النجف .

٨- الدليل، الشيخ عبد الهادي الاسدي، النجف .

٩- المصباح، محمد صالح بحر العلوم، النجف.

١٠- مجلة الهدى، عبد المطلب الهاشمي، العمارة.

١١- مجلة الموسم، محمد سعيد الطريحي، هولندا.

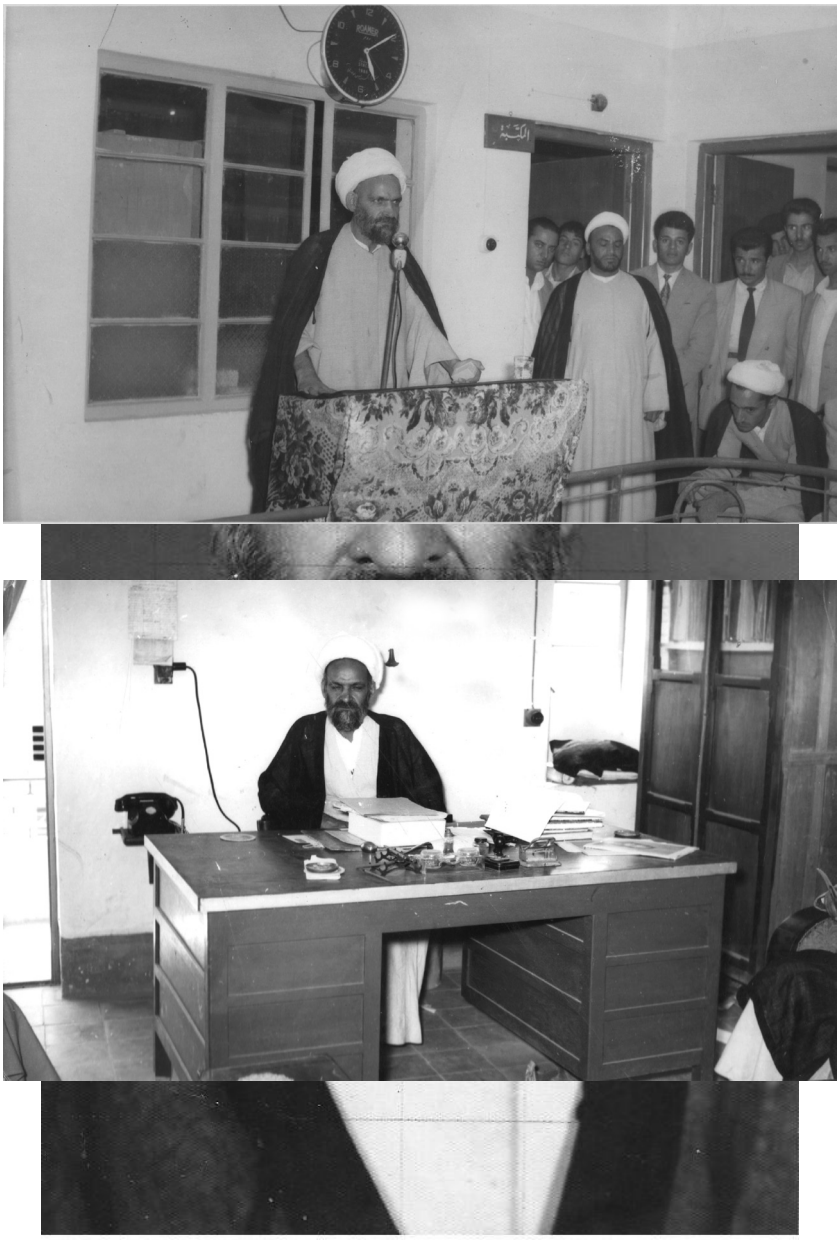

العلامة المجاهد الشيخ محمد رضا المظفر قدس سرّه

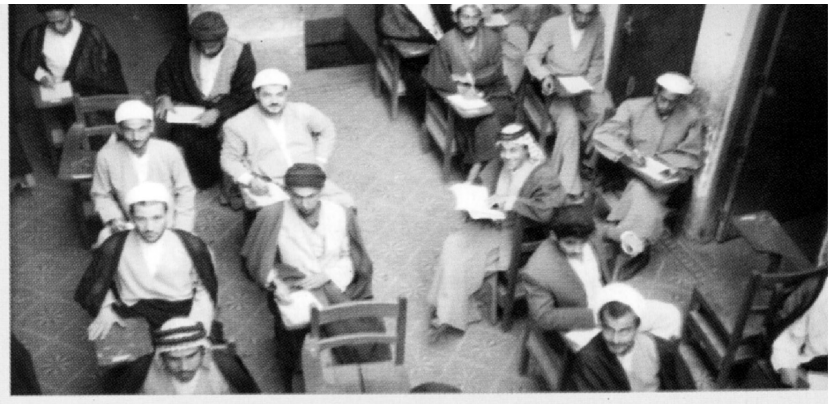

قاعة دراسية في كلية الفقه

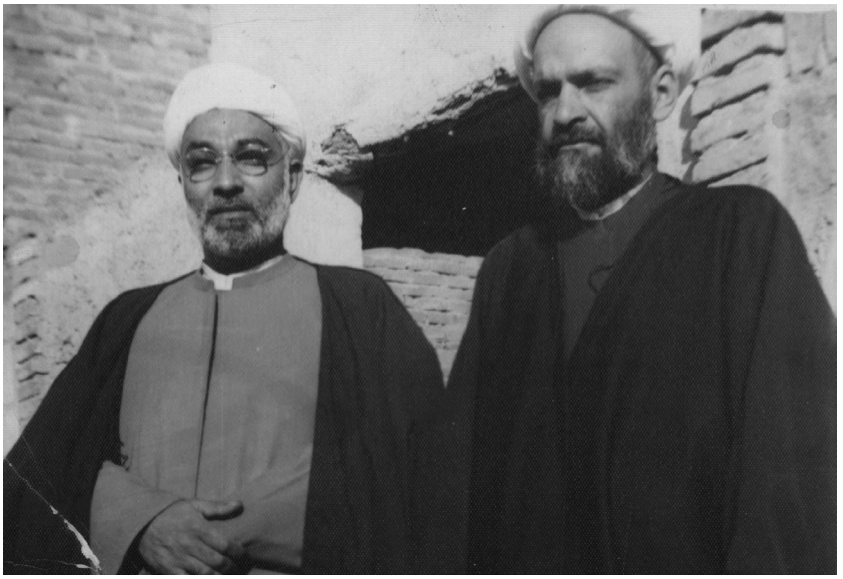

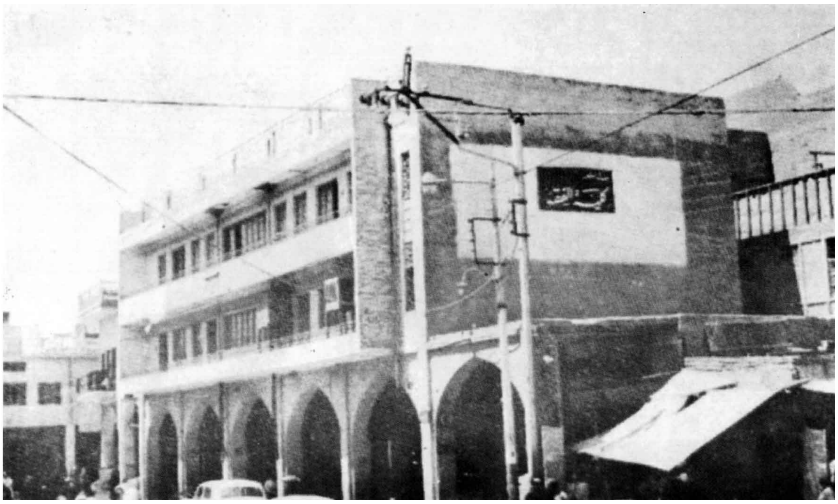

الشيخ محمد
رضا المظفر
المتوفى ١٦
رمضان ١٣٨٣

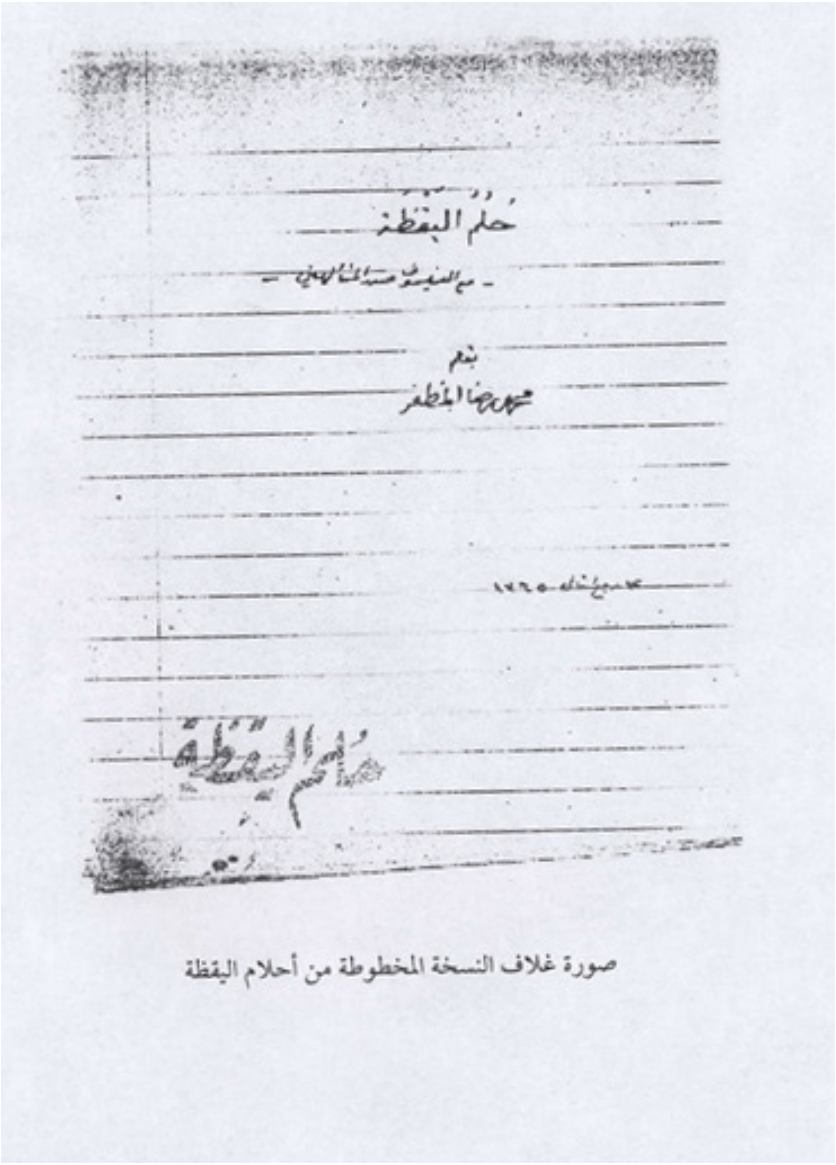

صورة غلاف النسخة المخطوطة من أحلام اليقظة

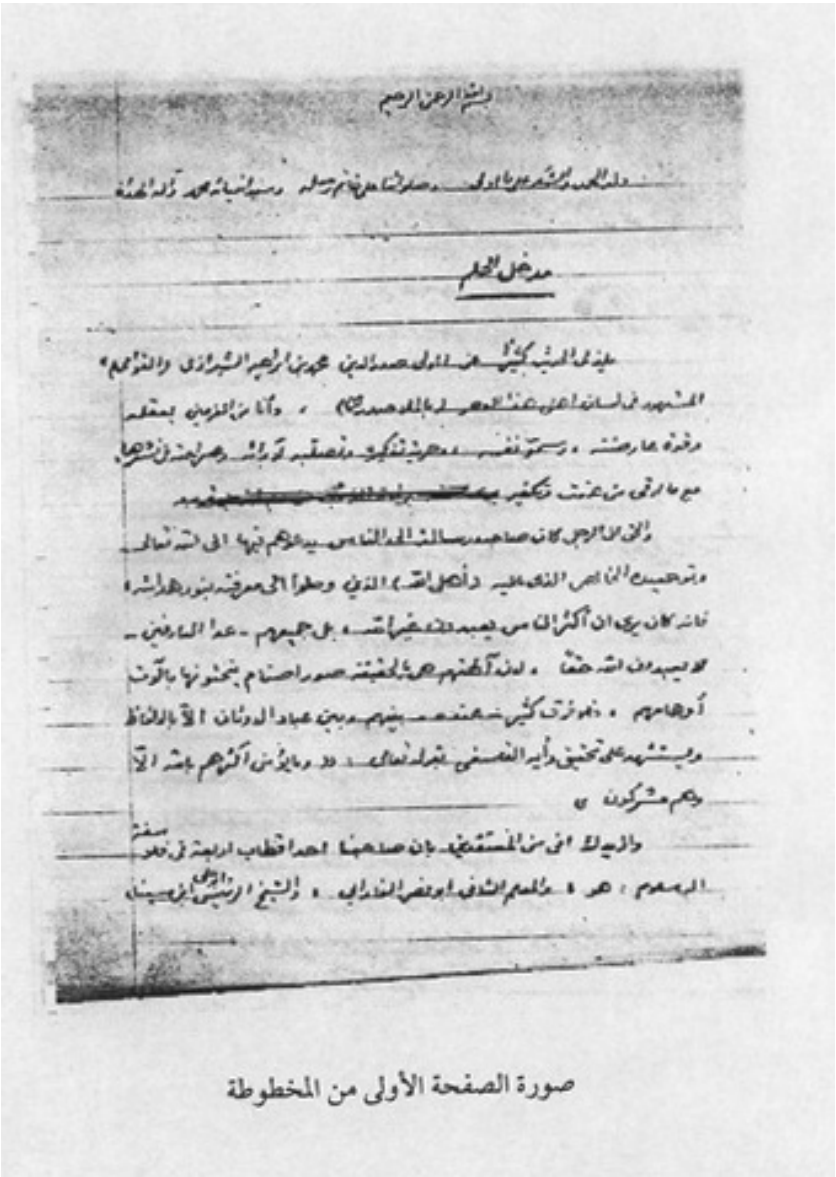

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل العلم

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

عقائد الشيعة

بقلم
محمد رضا المظفر

منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف
١٩٦٢ م - ١٣٨١ هـ

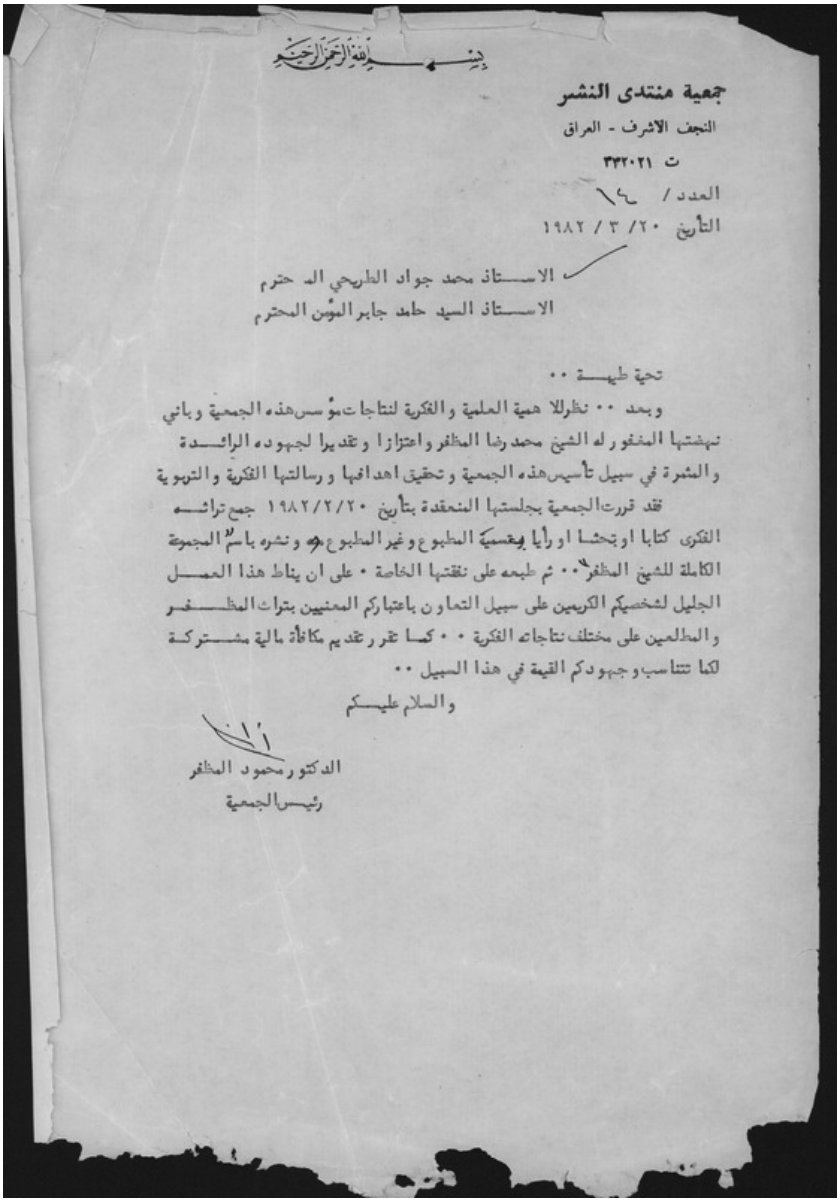

بسم الله الرحمن الرحيم

جمعية منتدى النشر

النجف الاشرف - العراق

ت ٣٣٢٠٢١

العدد / ٦٧

التأريخ ٢٠/ ٣ / ١٩٨٢

الاستاذ محمد جواد الطريحي المحترم

الاستاذ السيد حامد جابر المؤمن المحترم

تحية طيبة ..

وبعد .. نظرلا همية العلمية والفكرية لنتاجات مؤسس هذه الجمعية وباني نهضتها المغفور له الشيخ محمد رضا المظفر واعتزازا وتقديرا لجهوده الرائدة والمثمرة في سبيل تأسيس هذه الجمعية وتحقيق اهدافها ورسالتها الفكرية والتربوية

فقد قررت الجمعية بجلستها المنعقدة بتأريخ ١٩٨٢/٢/٢٠ جمع تراثه الفكري كتابا او بحثا او رأيا بقسميه المطبوع وغير المطبوع منه ونشره باسم المجموعة الكاملة للشيخ المظفر .. ثم طبعه على نفقتها الخاصة . على ان يناط هذا العمل الجليل لشخصيكم الكريمين على سبيل التعاون باعتباركم المعنيين بتراث المظفر والمطلعين على مختلف نتاجاته الفكرية .. كما تقرر تقديم مكافأة مالية مشتركة لكما تتناسب وجهودكم القيمة في هذا السبيل ..

والسلام عليكم

الدكتور محمود المظفر

رئيس الجمعية

المحتويات

موسوعة العلامة محمد رضا المظفر	٣
المقدمة	٩
توطئة البحث	١٥
القسم الأول / السيرة الذاتية	١٩
البيئة العامة في مجتمع النجف والحالة الدراسية فيها	٢١
محيط النشأة الأسرية وتاريخها العلمي	٢٧
الولادة والنشأة	٣٥
صفاته ومزاياه	٤٢
تراثه وتلامذته	٤٩
وفاته	٨١
القسم الثاني / حركته الإصلاحية	٨٩
القسم الثالث / دوره المؤسساتي و الثقافي والاجتماعي	١١٣
القسم الأول / السيرة الذاتية	١١٣
المؤسسات	١١٥
جمعية منتدى النشر	١١٧
المجمع الثقافي الديني	١٢٣
كلية الفقه	١٢٥
جماعة العلماء	١٢٧

الحقل الاجتماعي والوطني	١٣٢
مواقفه مع أنظمة الحكم في العراق وغيره	١٣٦
الدور الأدبي والثقافي	١٤٣
القسم الرابع: / ذكرى المظفر	١٦٣
القسم الأول / السيرة الذاتية	١٦٣
١. كلمات الرثاء والتأبين	١٦٥
٢. دراسات في شخصيته العلمية	١٨٩
٣. المراثي الشعرية	٣٦٣
٤. وثائق وصور	٤٢١
القسم الأول / السيرة الذاتية	٤٢١
كلمة الختام	٤٥٢
مصادر البحث	٤٥٤